

جامعة آل البيت

كلية الآداب

رسالة ماجستير بعنوان

الموارد والنفقات في مصر خلال العصر الفاطمي

(358- 567 هـ / 968 -1171م)

Resources and Expenses in Egypt During Fatimid Era

(358-567 A.H / 968-1171 A.D)

اعداد الطالب خالد عوده محمد الدليمي

الرقم الجامعي1320303006

إشراف الدكتور عيسى محمود العزام

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

عمادة الدراسات العليا

جامعة آل البيت العام الدراسي

1438هـ / 2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩ ﴾

سورة الإسراء : الآية (29)

تفويض

أنا الطالب " خالد عوده محمد " أفوّض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً وإلكترونياً للمكتبات، أو المنظمات، او الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها.

الاسم: خالد عوده محمد

التاريخ: / / 2017

التوقيع:

جامعة آل البيت/ عمادة الدراسات العليا

نموذج إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها لطلبة الماجستير والدكتوراه

انا الطالب : خالد عوده محمد الرقم الجامعي : (1320303006)

التخصص: تاريخ الكلية: كلية الاداب والعلوم الانسانية

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة ال البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصيا بإعداد رسالتي بعنوان :

الموارد والنفقات في مصر خلال العصر الفاطمي

(358- 567 هـ / 968 -1171م)

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية .

كما إنني أعلن أن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أي أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة في فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج من بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب :

التاريخ: / / 2017م

الموارد والنفقات في مصر خلال العصر الفاطمي

(٣٥٨- ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ -١١٧١م)

Resources and Expenses in Egypt During Fatimid Era
(358-567 A.H / 968-1171 A.D)

إعداد

خالد عوده محمد الدليمي

(١٣٢٠٣٠٣٠٠٦)

إشراف

الدكتور عيسى محمود العزام

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د عيسى محمود العزام	(مشرفاً ورئيساً)	....
أ.د. عليان عبد الفتاح الجالودي	(عضواً)	....
د. أنور عودة الخالدي	(عضواً)	....
أ.د. محمد نايف العمايره	(عضواً خارجياً)	....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة آل البيت

نوقشت وأوصى بإجازتها/ تعديلها/ رفضها

بتاريخ ١٦ / ٤ /٢٠١٧

الإهداء

إلى والدي العزيز أدعوا الله ان يطيل في عمره......

إلى والدتي الحنونة متمنيا لها دوام الصحة والعافية وأدعوا الله أن يطيل في عمرها....

إلى أخوتي وأخواتي الذين وقفوا إلى جانبي، وكانوا السند لي دائما......

إلى جميع أصدقائي وزملائي.........

أهدي ثمرة جهدي هذا.......

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث رحمة للعالمين , أما بعد :

فيقول الله جل وعلا في كتابه العزيز (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم آية 7)

ويقول رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " رواه البخاري .

بعد أن أكرمني الله عز وجل بجزيل فضله , وعظيم كرمه , بإنهاء رسالتي هذه , أتقدم بجزيل الشكر والامتنان والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور عيسى محمود العزام, الذي تفضل بقبول الأشراف على رسالتي , والذي بذل لي كل العناية والنصح والتوجيه , وما بخل علي من فيض علمه علاوة على صبره الجميل على أخطائي .

كما أتقدم بالشكر الموصول إلى الأستاذ الدكتور عليان الجالودي الذي وجهني خلال فترة الدراسة وكانت رعايته لي رعاية الأب لأبنائه ليس لي وحدي وإنما لجميع الطلبة .

وأتقدم بالشكر إلى الأستاذة الدكتورة هند غسان أبو الشعر التي وجهتنا نحو طريق العلم خلال فترة الدراسة , وأتقدم بالشكر والامتنان إلى الدكتور أنور الخالدي الذي كان الاخ المرشد والناصح لي فجزاه الله عني خير الجزاء , وأتقدم بالشكر والامتنان إلى الدكتور علاء سعادة رئيس قسم التاريخ .

وشكري وعرفاني إلى جميع أصدقائي لما بذلوه من النصح والمساعدة جزاهم الله خير الجزاء، كما أقدم شكري إلى جميع العاملين في مكتبة الجامعة الأردنية لجهودهم المبذولة في تسهيل عملية البحث , فلهم كل الشكر والامتنان .

قائمة الرموز والاختصارات:

التسلسل	الرمز	الوصف
1	ج	جزء
2	ص	صفحة
3	ع	عدد
4	م	ميلادي
5	مج	مجلد
6	هـ	هجري
7	د.ط	دون طبعة
8	د.ت	دون تاريخ النشر
9	د.ن	دون مكان نشر
10	ط	طبعة

قائمة المحتويات

الملخص

الموارد والنفقات في مصر خلال العصر الفاطمي

(358- 567 هـ / 968 -1171م)

إعداد

خالد عوده محمد الدليمي

إشراف

د. عيسى محمود العزام

تناولت هذه الرسالة الموارد والنفقات في مصر خلال العصر الفاطمي (358- 567 هـ / 968 -1171م)، وهذا الموضوع له أهمية كبيرة، ولكنه لم ينل ما يستحقه من عناية من الباحثين مع ان هناك العديد من الدراسات والأبحاث التي تناولت العصر الفاطمي سواء السياسية والاجتماعية أو الفكرية أو الاقتصادية، ولكن موضوع الموارد والنفقات تحديدا" لم أجد مراجع تستوفي قضية هذا البحث في حدود ما اعلم .

وكان هدف هذه الدراسة معرفة السياسة الاقتصادية للخلافة الفاطمية ومعرفة طرق إنفاقها.

احتوت الرسالة على تمهيد وأربع فصول ومقدمة وخاتمة .

وقد عالجت في الفصل الأول الموارد المالية في مصر خلال العصر الفاطمي وهي الخراج، والزكاة والنجوى، والجوالي، والمكوس , والمصادرات، والمواريث الحشرية , والأحباس، ومتحصلات دار الضرب، ومتحصلات المعادن .

كما عالجت في الفصل الثاني نفقات دار الخلافة مبتدئاً بتعريف النفقة في اللغة والاصطلاح، ثم الحديث عن نفقات البيعة، ونفقات النساء، ونفقات مرافق وقصور الخلافة , ونفقات الأعياد والمناسبات، ونفقات الهبات والعطايا .

أما في الفصل الثالث فقد تحدثت عن النفقات الإدارية العسكرية، وشملت نفقات الوزارة , ونفقات الدواوين، ونفقات ولاة الأقاليم، ونفقات الوظائف الدينية التي تشمل نفقات القضاء، والدعوة , والحسبة، والشرطة، ونفقات موظفي القصور، ثم انتقلت إلى نفقات مكونات الجيش الفاطمي، وإدارة الجيش ومرتباته، ثم نفقات الأسطول الفاطمي، والحملات العسكرية ومقدار نفقاتها .

وعالجت في الفصل الرابع النفقات العمرانية مبتدئاً بالعمارة المدنية التي شملت بناء مدينة القاهرة, ودار الوزارة, ودار الملك , والمناظر والمنتزهات , والبساتين , ثم تناولت في هذا الفصل النفقات على المنشأت العامة وتشمل الجسور والخلجان,والشوارع والطرقات , والأسواق. كذلك تحدثت عن النفقات التعليمية والتي شملت المكتبات ودور العلم والمدارس , ثم انتقلت الى المنشأت الدينية لتشمل المساجد والمشاهد ودور العبادة .

المقدمة

نشأت الدولة الفاطمية في أفريقيا سنة 297هـ/ 909م وامتد نفوذها إلى جميع بلاد المغرب العربي ثم إلى مصر سنة 358هـ / 968م ثم إلى بلاد الشام سنة 359هـ/ 969م, ثم إلى بلاد الحجاز سنة 366هـ/ 976م، ثم إلى بلاد اليمن سنة 453هـ/1061م ، وبذلك يكون الفاطميون قد نجحوا في تكوين دولة مترامية الأطراف تزاحم الخلافة العباسية في بغداد وتحاول إضعافها .

هناك الكثير من الدراسات التاريخية التي عالجت تاريخ الدولة الفاطمية، إلا أن موضوع نفقات الخلافة الفاطمية بالتحديد لم يدرس بصورة متخصصة، لذلك تهدف الرسالة إلى دراسة النفقات في مصر أثناء العصر الفاطمي من خلال المصادر التاريخية.

تقع الرسالة في التمهيد وأربعة فصول ومقدمة وخاتمة .

تحدثت في التمهيد عن قيام الدولة الفاطمية في المغرب وتوسعها نحو مصر وبلاد الشام .

ثم عالجت في الفصل الأول الموارد المالية في مصر خلال العصر الفاطمي , حيث تطرقت لمفهوم الخراج ومعناه اللغوي والإصطلاحي وطرق جبايته, ثم تطرق الباحث لمفهوم الزكاة ومقدارها , ضريبة النجوى ومقدارها , كذلك تطرق الباحث في هذا الفصل إلى الجوالي (الجزية) من حيث مفهومها ومشروعيتها ومقدارها مع مراعاة أحوال أهل الذمة الاقتصادية في أخذ الجزية منهم. ثم عالجت المكوس من حيث المفهوم اللغوي والإصطلاحي وقيام الدولة الفاطمية بفرضها او الغائها تبعا لظروفها الاقتصادية التي كانت تمر بها الدولة, ثم تناول الباحث المصادرات, والمواريث الحشرية, والأحباس , ومتحصلات دار الضرب والمعادن .

اما في الفصل الثاني فقد تناولت نفقات دار الخلافة, وتطرقت إلى تعريف النفقة من حيث اللغة والاصطلاح, ثم تناول نفقات البيعة من حيث المفهوم اللغوي والإصطلاحي, ومقدار الأموال التي ينفقها الخليفة عند توليه الخلافة, ومقدار الأموال التي ينفقها الخليفة عندما تقام له الخطبة على سائر منابر الدولة , ثم تطرقت إلى نفقات النساء داخل القصر الفاطمي ومقدار أعطياتهم ومقدار ثروتهن, وتناولت نفقات الأعياد والمناسبات التي تقيمها الخلافة, وتطرقت إلى العطايا والهبات التي ينفقها الخلفاء والوزراء والأمراء على ولاة الأقاليم والوعاظ والشعراء والأطباء .

وتحدثت في الفصل الثالث عن النفقات الإدارية والعسكرية, مبتدئاً بنفقات الوزارة من حيث مفهومها اللغوي والاصطلاحي وأنوعها ومقدار نفقاتها وجرايتها, والإقطاعات التي يقدمها لهم الخلفاء, إضافة إلى الرواتب والخلع, ثم تناولت النفقات على الدواوين (الدواوين المالية) للخلافة الفاطمية على الرغم من وجود العديد من الدواوين ولكن البعض منها اختص بالجوانب الادارية فقط , ولكن الذي يهمنا هو الدواوين المالية ذات العلاقة بموضوع الرسالة .

وتحدثت عن نفقات الولاة على الأقاليم المصرية ومقدار رواتبهم وأعطياتهم, ثم تطرقت إلى الحسبة من حيث مفهومها اللغوي والإصطلاحي ومهامها وشروطها ومقدار نفقتها, كذلك احتوى الفصل على نفقات الشرطة وتقسيماتها, وأنتقلت إلى نفقات الدعوة وشروطها ومقدار النفقات التي تنفق لنشرها, ثم انتقل الباحث إلى القضاة ومقادير الرواتب , ونفقات موظفي القصور. كما تناولت في الشطر الثاني من هذا الفصل النفقات العسكرية مبتدئاً بمكونات الجيش الفاطمي وعناصره, وأدارته, ومرتباته, ثم تطرق إلى نفقات الأسطول الفاطمي , والحملات العسكرية التي قام بها الجيش الفاطمي ومقدار نفقاتها .

أما في الفصل الرابع فقد تحدثت عن النفقات العمرانية التي شملت النفقات المدنية ,والنفقات على المنشاة العامة, والنفقات التعليمية , والنفقات الدينية, ثم الخاتمة.

التمـــــهيـد

نشأة الخلافة الفاطمية وتوسعها

التمهيد : نشأة الخلافة الفاطمية وتوسعها

أطلق عليهم تسمية الفاطميين نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم)[1] , وهم فرقة من فرق الشيعة اشتهرت بالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق [2] , الذين قالوا إن الإمام بعد جعفر بن محمد الصادق ابنه إسماعيل[3] .

اتخذ الفاطميون المذهب الإسماعيلي , فاعترفوا بموت إسماعيل وأن الإمامة انتقلت بعده إلى محمد بن إسماعيل وأولاده من بعده التي تقوم على أساس الوراثة عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) , ثم علي بن أبي طالب , ثم أولاده من بعده ثم الفاطميين , فشرعية الإمامة الفاطمية لا تقوم إلا على صحة النسب إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفاطمة الزهراء [4]

---

(1) أبن الأثير , أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني ,(ت 630 هـ / 1233م) , الكامل في التاريخ , تحقيق : عمر عبدالسلام , ط1, دار الكتاب العربي, بيروت , 1997م , ج6 , ص 579 . وسيشار له لاحقا : أبن الأثير , الكامل .

(2) هو إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين توفي في حياة أبيه جعفر الصادق , واليه تنسب الإسماعيلية . النوبختي , أبو محمد الحسن بن موسى , (ت 402هـ / 1011م) , فرق الشيعة , تصحيح : هـ بيتر, مطبعة الدولة , استانبول, 1931م , ص 55. وسيشار له لاحقا : النوبختي , فرق الشيعة . . السبحاني , جعفر , بحوث في الملل والنحل , ط2, مؤسسة الصادق , إيران , 2007م , ج8 , ص 71 . وسيشار له لاحقا : السبحاني , الملل والنحل .

(3) الأشعري , أبو الحسن علي بن إسماعيل بن اسحق بن سالم بن إسماعيل (ت330 هـ / 941م) , مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين , تحقيق : محمد محي الدين , المكتبة العصرية , بيروت, 1990م , ج1 , ص 100-101 . وسيشار له لاحقا : الأشعري , مقالات .

(4) القاضي , أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد , (ت 363هـ / 973م) , دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام , تحقيق : آصف بن علي أصغر, دار المعارف , القاهرة, 1963م , ج1 , ص 24 . وسيشار له لاحقا : القاضي , دعائم الإسلام ؛ الشهرستاني , أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد , (548 هـ / 1153م) , الملل والنحل , تحقيق : أمير علي مهنا , علي حسن فاعور , دار المعرفة , بيروت, 1993م , ج1 , ص 226-227 . وسيشار له لاحقا : الشهرستاني , الملل والنحل ؛ مشرفة , عطية مصطفى , نظم الحكم في مصر في عصر الفاطميين , ط1 , دار الفكر العربي, مصر , 1948م, ص 85 . وسيشار له لاحقا : مشرفة , نظم الحكم .

ويرجع الفاطميون نسبهم إلى عبيد الله المهدي[1] لذلك أطلق عليهم بعض المؤرخين اسم العبيديين , وسموا بالعلويين نسبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه , والإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن محمد بن جعفر عليه السلام, كما عرفوا بالمصريين نسبة إلى مصر باعتبارها ملاذهم الأخير قبل إنهاء حكمهم[2] .

أسس الفاطميون دولتهم في المغرب في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي, فقد تم التمهيد للدعوة الفاطمية عن طريق رجلين قدما من المشرق بأمر من أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق, فذكر أن الرجلين يعرفان الأول بالحلواني[3], والأخر يعرف بأبي سفيان[4], أوصاهم إنكم ستنزلون في أرض بور لم تحرث قط فاحرثاها وعرباها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبه [5] .

---

(1) هو أبو محمد عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي أبن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب توفي (322هـ / 934م) , دعي له بالخلافة على منابر رقادة والقيروان . أبن خلكان , أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر, (ت 681هـ / 1282م) , وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان , تحقيق : إحسان عباس , دار صادر , بيروت , 1971م , ج3 , ص 118-117 . وسيشار له لاحقا : أبن خلكان , وفيات الأعيان .

(2) المعافيري , أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي القائل الحمادي , (ت 470هـ / 1077م) , كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة , تحقيق : محمد بن علي بن الحسين , ط1 , مركز الدراسات والبحوث اليمني , صنعاء , 1994م, ص 21-22 . وسيشار له لاحقا : المعافيري , كشف الأسرار . القلقشندي , شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله , (ت 820هـ / 1417م) , مآثر الإنافة في معالم الخلافة , تحقيق :عبدالستار أحمد فراج , عالم الكتب, بيروت , د.ت , ج2 , ص 248 . وسيشار له لاحقا : القلقشندي , مآثر الإناقة .

(3) الحلواني : منسوب إلى حلوان , فبضم الحاء وسكون اللام في الغالب مدينة في آخر سواد العراق من الجزء الأقرب لعراق العجم . أبن عبدالحق , صفي الدين عبد المؤمن البغدادي , (ت739هـ / 1338م) , مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع , تحقيق : محمد علي البجاوي , دار الجليل , بيروت , 1992م , ج1 , ص 418 . وسيشار له لاحقا : أبن عبد الحق , مراصد الاطلاع .

(4) أبو سفيان : لم أجد له ترجمه سوى انه أبو سفيان بن بكار . أبن خلدون , عبد الرحمن , (ت 808هـ / 1406م) , العبر في ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر , مراجعة : سهيل زكار , دار الفكر , بيروت , 2000م ,ج4 , ص41 . وسيشار له لاحقا : أبن خلدون , العبر .

(5) النعمان , القاضي بن حيون , (ت363هـ / 973م) , رسالة افتتاح الدعوة , تحقيق : وداد القاضي , ط 1 , دار الثقافة , بيروت, 1970م , ص 54-58. وسيشار له لاحقا : النعمان , افتتاح الدعوة ؛ أبن خلدون , العبر ,ج4 , ص41 ؛ المقريزي , تقي الدين أحمد بن علي , (ت845هـ / 1442م) , اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا , تحقيق : جمال الدين الشيال , ط2 , دار الفكر , القاهرة, 1996م , ج1 , ص 41 . وسيشار له لاحقا : المقريزي , اتعاظ .

نستخلص من ذلك أن المغرب كانت تربة صالحة للدعوة الفاطمية, فلما وصلا إلى مرجمانة[1], نزل أبو سفيان تالا[2], حيث بنى مسجدا وتزوج هناك, فأخذ الناس يأتون إليه ليستمعوا إلى أحاديثه , وبذلك استطاع نشر الدعوة في أنحاء مرجمانه إلى أن توفي هناك[3],اما الحلواني فقصد سوجمار[4], ونزل في موضع يقال له الناظور[5], فبنى مسجدا وتزوج هناك , وكان من ذوي العلم والمعرفة , فتجمع الناس حوله وتشيع على يديه العديد من قبائل كتامة[6] وما حولها[7].

وبفضل الحلواني وآبي سفيان انتشرت الدعوة في أنحاء إفريقية وأصبحت الأرض مهيأة ومؤيدة للتشيع, وبذلك أصبح الطريق مهيأ لقدوم أبي عبدالله الشيعي [8] ليضع أساس الخلافة الفاطمية في المغرب سنة 297 هـ/ 909م [9] .

---

(1) مرجمانة : بالفتح ثم السكون بعد الألف والجيم والنون مشددة , قرية تقع في إفريقية تابعة لهوارة , وهي قبيلة من البربر . ياقوت الحموي , شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي , (ت626هـ / 1228م) , معجم البلدان , دار صادر, بيروت , 1977م , ج5 , ص109 . وسيشار له لاحقا : ياقوت الحموي , معجم البلدان .

(2) تالا : وتكتب تالة أيضا , مدينة قديمة بافريقية تقع على بعد 45 ميلاً إلى الجنوب من الكاف . النعمان , افتتاح الدعوة , ص 55 .

(3) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 55.

(4) سوجمار : قيل هي سوق حمار , هي بلدة من أرض سماتة في الناحية التي تعرف ببلاد جرير , القاضي , افتتاح الدعوة , ص 68 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج6 , ص 450 .

(5) الناظور : حصن يقع في طريق بيجاية القلعة جنوب وادي بيجاية , وهي من أرض سوجمار. النعمان , رسالة , ص 60 . الإدريسي , أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله , (ت 564هـ / 1160م) , نزهة المشتاق في اختراق الأفاق , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة, 2002م , مج1 , ص 262. وسيشار له لاحقا : الإدريسي , نزهة .

(6) كتامة : هي قبيلة كبيرة من البربر البرانس الذين ساندو الدعوة الفاطمية في المغرب , وينتسبون إلى كتم بن برانس , ويقيمون في بلدة تعرف كتامة وتعتبر من أقوى قبائل البربر وأشدهم بأسا وأطولهم باعا في الملك عند نسابة البربر , وتمتد حدودهم من جبل أوراس في الجنوب إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة . النعمان , افتتاح الدع ص 57 ؛ أبن خلدون , العبر , ج6 , ص 195 .

(7) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 57 .

(8) أبو عبدالله الشيعي : هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي أو المحتسب أو الصنعاني , يعتبر الممهد والمؤسس للخلافة الفاطمية في المغرب ومثبت اركانها , قتل على يد أبي عبيدالله المهدي سنة 298 هـ / 910م . النعمان , افتتاح الدعوة , ص 58 . أبن خلدون , العبر , ج4 , 48 . أبن الأثير , الكامل , ج6 , ص 450-463 .

(9) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 58 . أبن الأثير , الكامل , ج6 , ص 450 . أبن خلدون , العبر , ج4 ص41 . العمايرة , محمد عبدالله , الجيش الفاطمي , ط1 , دار كنوز المعرفة , عمان , 2010م , ص 22 . وسيشار له لاحقا : العمايرة , الجيش الفاطمي .

وقبل دخول الداعي أبو عبدالله إلى المغرب توجه إلى اليمن فالتقى هناك بابن حوشب[1] فأمده ابن حوشب بالمال وزوده بالمعلومات وأخرجه مع الحجاج إلى مكة, فالتقى هناك بعض حجيج بنو كتامة فاختلط بهم, ووجد فيهم تحمسا للمذهب الإسماعيلي لنصرة أهل البيت, فلما وصل أبو عبدالله إلى أرض كتامة سنة 280هـ / 893م, مع الحجيج الكتاميين نزل عند موضع يقال له ايكجان[2], فكان اختياره للنزول في أرض كتامة تحديدا بناءً على التعليمات التي حصل عليها من الحجاج حول أفضل القبائل التي يمكن الاعتماد عليها, حتى أصبح عنده أن ليس في قبائل إفريقية أكثر عددا, ولا اشد شوكة, ولا أصعب مراما على السلطان من كتامة, إضافة إلى ذلك أنها بعيدة عن قوى المغرب الثلاث المتمثلة بالأغالبة في أفريقية, والأدارسة في المغرب الأقصى , والرستميين في المغرب الأوسط , فعند نزوله عند أرض كتامة سألهم أهذا فج الأخيار؟ قالوا نعم, قال والله ما سمي هذا الفج إلا بكم, لقد جاء في الحديث ان المهدي تنبأ عن الأوطان, فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان, قوم مشتق اسمهم من الكتمان, وبخروجكم من هذا الفج سمي فج الأخيار [3] .

لقي أبو عبدالله الشيعي صعوبات في كتامة تمثلت بالمؤامرات التي دبرها بعض المعارضين من بطون كتامة, خوفا أن تزول السلطة من أيديهم, الأمر الذي أجبر أبو عبدالله على الانتقال من ايكجان إلى قلعة تازروت[4], وسماها دار الهجرة, انتقل إليها ومن معه من أنصاره وأهل بيته الذين بايعوه من قبل , واستخلف على الضعفاء ومن لم يستطع السير معه الحكم بن تماست , وهناك استطاع تكوين جيش وهزيمة معارضيه , بذلك أحكم سيطرته على بلاد كتامة سنة 287هـ / 900م [5] .

---

(1) أبن حوشب , : هو أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي , رئيس الدعاة الفاطميين في اليمن , توفي سنة 302هـ / 914م . النعمان , افتتاح الدعوة , ص 32-34 .

(2) أيكجان : ناحية من بلاد البربر , تقع في منتصف الطريق بين طنجة وفارس , فيه تسكن قبائل كتامة , وأيكجان تعني جمع حاج كانوا يطلقون عليه سابقا (Tzajjan) , وهو محل اجتماع الحجاج من الاندلس وشمال المغرب الأقصى . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص 273 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 57 ؛ حسن , حسن إبراهيم , الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص , المطبعة الأميرية , القاهرة , 1932م , ص 56 . وسيشار له لاحقا : حسن , الفاطميون .

(3) النعمان , رسالة , ص 73 ؛ أبن الأثير, الكامل , ج8 , ص 450 ؛ أبن عذاري , أبو عبدالله محمد المراكشي , (ت 712هـ / 1312م) , البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب , تحقيق : س.كولان وليفي بروفنسال ,ط3 , دار الثقافة , بيروت , 1983 , 3ج , ج1 , ص125 أبن عذاري , البيان المغرب ؛ أبن خلدون , العبر , ج4 , ص242 ؛ حسن , الفاطميون , ص 54-55 ؛ العمايرة , الجيش الفاطمي , ص 23 .

(4) تازروت : قلعة تقع جنوب شرق جبل ايكجان , باتجاه مدينة ميلة . الدشراوي , فرحات , الخلافة الفاطمية بالمغرب , ترجمة : حمادي الساحلي , ط1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1994م , ص 101 . وسيشار له لاحقا : الدشراوي , الخلافة الفاطمية .

(5) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 99-103-117 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج6 , ص 451 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 43-44 ؛ إدريس , عماد الدين , (ت872هـ / 1488م) , تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب , من كتاب عيون الأخبار , تحقيق : محمد اليعلاوي , ط 1, دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1985م, ص 97-99 . وسيشار له لاحقا : إدريس , تاريخ الخلفاء ؛ الدشراوي , الخلافة الفاطمية , ص 111-112 .

بعد أن استحكم أبو عبدالله على كتامة اتخذ إجراءات عدة ومنها, بناء قصر لنفسه في تازروت , وأقطع الأولياء دورا حوله, فارتحل إليه أنصاره, فقوي أمرهم, وحاربوا إلى جانبه , فقيل إنه ما مر يوم إلا وفيه وقعة بموضع, أخذ الناس يسألون الدخول في الدعوة, لما أظهره أبو عبدالله من أخلاق سامية, وحسن معاملة , كذلك حارب بعض السلوكيات الاجتماعية غير المرغوبة إما بالسيف وإما بالخوف, إضافة إلى ذلك قسم كتامة إلى أسباع, وجعل لكل سبع منها عسكرا, وقدم عليه مقدما , وأطلق بكل موضع داعيا, فسمى المقدمين والدعاة (المشايخ), وإن كان فيهم من لم يبلغ السن أبقى أعماله وما أفاء الله من الغنائم في أيدي المشايخ, كذلك سير الرسل إلى المشرق وإلى سجلماسة[1], وكان يبعث الرسل بسرية تامة لا يعرف منهم حيث سار ولا أين توجه, وكان يبعث بالأموال العظيمة فيتسترون في حال الضعفاء والحجيج, حتى يوصلوا ما بعث معهم إلى الإمام ثم يرجعون على مثل حالهم [2] .

يتضح من ذلك أن النظام الذي أقامه أبو عبدالله في بلاد كتامة كان يستند إلى بنية أساسية متبعة , تستطع الصمود أمام هجمات القبائل المتحالفة المعادية, تقاتل بلا رأس ولا كثرة عدد , وتقاتل من يعرفها أصل البلد , تستطع أن تفقد خصومها تفوقهم العددي, فقد اعتمد هذا النظام في ايكجان وتازروت , وكانتا تمثل دولة بمعنى الكلمة , ومنذ ذلك الحين انبعثت قوة الفاطميين لفتح المدن والحصون المجاورة لتازورت بدعم من قبائل كتامة, وأصبح لكتامة الفضل في نشر الدعوة وانتشارها في أفريقية [3].   تمكن أبو عبدالله من مواجهة الأغالبة , فاستغل خروج إبراهيم بن أحمد[4] إلى صقلية[5] سنة 289هـ / 902م[6] ,

---

(1) سجلماسة : بكسر أوله وثانيه , وسكون اللام , وما بعد الإلف سين مهملة : مدينة في جنوب المغرب , في طرف بلاد السودان , بينها وبين فارس عشرة ايام تلقاء الجنوب , وهي في منقطع جبل درن . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص192 .

(2) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 117-128 .

(3) الدشراوي , الخلافة الفاطمية , ص 115 .

(4) إبراهيم بن أحمد : هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب , ولد سنة 235هـ /850هـ , حكم دولة الأغالبة في المغرب بعد وفاة أخيه أحمد سنة 261هـ / 874م , ومدة ولايته ثمانية وعشرون سنة إلى أن توفي سنة 289هـ / 902م . أبن عذاري , البيان المغرب , ص 132 . النويري , شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب , (ت733هـ /1332م) , نهاية الأرب في فنون الأدب , تحقيق : عبد المجيد ترحيني , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 2004م , ج24 , ص 69. وسيشار له لاحقا : النويري , نهاية الأرب .

(5) صقلية : هي مدينة في البر الشمالي الشرقي من مدينة قسطنطينية , مقابل أفريقية . لمزيد من المعلومات انظر . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 416 .

(6) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 93 .

فحاصر ميلة[1] , فقاتل أهلها حتى طلبوا الصلح فصالحهم[2] , إلا أن رد الأغالبة كان سريعا , فجهز إبراهيم حملة بقيادة ابنه محمد المعروف بأبي الأحوال , استطاع من خلالها هزيمة جيش أبو عبدالله الشيعي , مما أجبره على الانسحاب إلى حصن تازورت[3] , ثم انسحب بعد ذلك إلى ايكجان , فتحصن بها , فبنى فيها مقرا له أسماه دار الهجرة [4] .

بعد رجوع أبي عبدالله إلى أيكجان , أخذ بتنظيم قوته لتعويض ما خسره , فأستطاع بعد ذلك من السيطرة على مدينة ميلة وأقام بها بضع أيام , ثم رجع إلى مقره إلى أيكجان محملا بالغنائم , ثم استغل أبو عبدالله الشيعي موت إبراهيم بن احمد , فزحف إلى مدينة سطيف [5] واستولى عليها[6] .

نتيجة الانتصارات التي حققها أبو عبدالله على الأغالبة , أخذ بتوسيع نفوذه في معظم مناطق المغرب , ففي سنة 293 هـ / 905م خرج أبو عبدالله على رأس جيش نحو مدينة طبنة[7] , فحاصرها وهدم أسوارها , فطلب أهلها الصلح , فصالحهم [8] . ثم توجه بعد ذلك نحو بلزمة[9] في نفس السنة , فحاصرها , فقطع عنهم الطعام , وغلبهم الجوع , فملكها بالقوة[10] .

---

(1) ميلة : بالكسر ثم السكون ولام , هي مدينة صغيرة في أقصى أفريقية , بينها وبين بجاية ثلاثة أيام , وبينها وبين قسطنطينية يوم واحد . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج5 , ص 244 .

(2) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 134-135 ؛ المقريزي , المقفى الكبير , تحقيق : محمد اليعلاوي , ط1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1991م , ج3 , ص 487 , وسيشار له لاحقا : المقريزي , المقفى .

(3) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 137 ؛ المقريزي , المقفى , ص 486 ؛ إدريس , تاريخ الخلفاء , ص110.

(4) أبن خلدون , العبر , ج4 , 43-44 .

(5) سطيف : فتح أوله , وكسر ثانيه , ثم ياء مثناة وآخره فاء : هي مدينة من أرض البربر , تقع في جبال كتامة , تقع بين تاهرت والقيروان, في بلاد المغرب . ياقوت الحموي , معجم البلدان, ج3 , ص220 .

(6) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 143 ؛ المقريزي , المقفى , ج3 , ص 48 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 57-58 .

(7) طبنة : بالضم ثم السكون , ونون مفتوحة , هي بلدة في طرف أفريقية مما يلي المغرب, على ضفة الزاب , ليس فيما بين القيروان إلى سجمانة بلدة اكبر . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 21 .

(8) النعمان , افتتاح الدعوة , ص161 ؛ أبن عذاري , البيان المغرب , ص 129؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 . ص 59 ؛ ادريس , تاريخ الخلفاء , ص 119 .

(9) بلزمة : هي حصن أولي في الشرق من قبر مادغوس , بينها وبين قسطنطينية مسيرة يومين . الحميري , محمد بن عبد المنعم , (ت610هـ / 1213م) , الروض المعطار في خبر الأقطار , تحقيق : إحسان عباس , ط2 , مكتبة لبنان , بيروت , 1984م , ص 103 . وسيشار له لاحقا : الحميري , الروض .

(10) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 164 ؛ أبن عذاري , البيان المغرب , ص 141 ؛ إدريس , تاريخ الخلفاء , ص 119 .

أخذت قوة أبو عبدالله تزداد , نتيجة الانتصارات التي حققها على المدن الأغلبية , والغنائم التي مني بها , فقد تمكن من السيطرة على مدينة تيجس[1] , ثم مدينة باغاية[2] , ومدينة قفصة [3] , ثم مدينة قسطيلية [4], ومدينة الأربس[5] , وأخذت قوات أبو عبدالله تفتح المدن الواحدة تلو الأخرى , إما بالسيف , وإما بالصلح , حتى استطاعوا السيطرة على القيروان سنة 296هـ / 908م , ثم انطلق بجيشة إلى مدينة رقادة[6] معلنا السيطرة على دولة الأغالبة[7].

كان نجاح الداعي أبي عبدالله في نشر الدعوة في إفريقية, وما حققه من نصر على الأغالبة, من الأسباب المباشرة التي دعت المهدي إلى التوجه إلى أفريقية[8], بعد أن كشف أمره من العباسيين, توجه من مدينة سلمية[9] إلى مصر[10], بعيدا عن أنظار العباسيين, فأقام بها متخفيا بزي تجار, فأتت الكتب من بغداد تأمر صاحب مصر بالقبض على المهدي, فخرج من مصر ومعه ابنه القائم وأبو العباس محمد بن أحمد أخو أبو عبدالله وحاشيته, إلى أن وصلا طرابلس[11] , ففرق أصحابه, ومنها توجه إلى سجلماسة[12] ,

---

(1) تجيس : هي مدينة من بلاد كتامة , تقع بين مدينة القيروان ومدينة نوبرت , سمي طريقها بالجناح الأخضر . البكري , أبو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد , (ت487هـ/ 1094م) , المسالك والممالك , دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1992 م , ج2 , ص 715 . وسيشار له لاحقا : البكري , المسالك والممالك

(2) باغية : مدينة جبلية بافريقية , تقع بين بجانة وقسطنطينية , على مقربة من جبل أوراس المتصل بالسوس . الحميري , الروض المعطار , ص 76 ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص 325 .

(3) قفصة : بالفتح ثم السكون , وصاد مهلهلة , مدينة صغيرة في طرف إفريقية , من ناحية المغرب , على الزاب الكبير , بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص382 .

(4) قسطيلية : مدينة بأفريقية من أرض الزاب الكبير . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 348 .

(5) الأربس : هي مدينة من أرض أفريقية , بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام , وبينها وبين باجة مرحلتان . الحميري , الروض المعطار , ص 24 .

(6) رقادة : هي بلدة في إفريقية , بينها وبين القيروان أربعة أيام , بناها إبراهيم بن الأغلب سنة 263هـ / 867م , واتخذها عاصمة للأغالبة . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 55 .

(7) النويري , نهاية الأرب , ج28, ص 59 ؛ إدريس ,تاريخ الخلفاء , ص 130-139 .

(8) سيد , أيمن فؤاد , الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد , مكتبة الأسرة , القاهرة , 2007م , 117 . وسيشار له لاحقا : سيد , الدولة الفاطمية .

(9) سلمية : بفتح أوله وثانيه , وسكون الميم , هي بلدة في الشام , تابعة لحماة , وكانت تعد من أعمال حمص .ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 240 .

(10) الدواداري , أبو بكر بن عبدالله بن أيبك , (ت 645هـ/ 1247م) , الدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية , تحقيق : صلاح الدين المنجد , المعهد الألماني للآثار , القاهرة , 1961م , ص20. وسيشار له لاحقا : الدواداري , الدرر المضيئة .

(11) طرابلس : هي كورة من بلاد المغرب , تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط , تبعد عن نفوسة مسيرة ثلاثة أيام . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 25 .

(12) سجلماسة : بكسر أوله وثانيه , وسكون اللام , مدينة في جنوبي المغرب , في طرف بلاد السودان , بينها وبين فاس عشرة ايام تلقاء الجنوب . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج 3 , ص 192 .

وكان صاحب سجلماسة اليسع بن مدرار[1] , فكان المهدي يواصله ويهدي إليه , فأتاه كتاب من زيادة الله الأغلبي[2] يخبره أنه الذي يدعو أبو عبدالله إليه , فأودعه السجن[3] .

خرج أبو عبدالله إلى سجلماسة في رمضان سنة 296هـ/ 909م ومعه قبائل كتامة, فالتقى مع قبائل زناته[4], يسألونه الأمان , فأمنهم , وأخذ عليهم العهد, بأن لا يغدر ولا يتعدى أحد على أحد , وسار بعد ذلك قاصدا سجلماسة فأوقع بقبائل تاهرت[5], حتى اقترب من سجلماسة, وهرب اليسع بن مدرار, وسلم أهل سجلماسة المدينة إلى أبي عبدالله , فدخلها, وأطلق سراح المهدي وابنه[6], وبذلك سيطر المهدي على أملاك الأغالبة في إفريقية , وأملاك بني مدار في سجلماسة , وأملاك بني رستم[7] في تاهرت , وبذلك ملك المهدي المغرب[8], ودعي له بالخلافة في خطبة الجمعة على منابر رقادة والقيروان سنة 297هـ/910م[9] .

شرع الخليفة الفاطمي الأول إجراءات لتنظيم شؤون دولته بنفسه , وقسم الأموالاً على زعماء كتامة, وأوكل عليهم أعمال إفريقية وجعل لكل عسكر من كتامة ناحية منها ومن غيرها من البلدان, ودون الدواوين, وأمر باقتضاء واجب الأموال, وأحيى ديوان الخراج بعد أن أحرق , ونصب ديوانا للكشف , وديوانا للمفقودات , ونصب ديوانا للعطاء,

---

(1) اليسع بن مدرار : هو اليسع بن ميمون بن مدرار الملقب المنتصر بن اليسع بن سفون بن مدلان المكناسي، فتلقب بالمنتصر على اسم جده ، تولى أمر سجلماسة سنة 270هـ/883م وحتى سنة 297هـ/909م حتى ظفر به أبو عبد الله الشيعي ، وبموت اليسع انتهى ملك بني مدرار, الذي استمر130 سنة بسجلماسة , وأصبح ملكاً للفاطميين . النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص129 .

(2) زيادة الله : هو زيادة بن أبي العباس عبدالله بن إبراهيم بن أحمد , آخر أمراء الأغالبة بأفريقية , الذي استمر حكمه من (290هـ / 903م) إلى (296هـ / 909م) , عندما علم بالانتصارات التي حققها أبو عبدالله عزم الهروب إلى مصر , وأقام بها مع جنوده وأفراد عائلته , وبذلك انقرضت دولة الاغالبة , وأصبحت ملكاً للفاطميين . النعمان , افتتاح الدعوة , ص 129 .

(3) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 150-154 ؛ الدواداري , الدرر المضيئة , ص 21 .

(4) قبائل زناتة : هي قبائل بربرية , سكنت المغرب زمن جدهم خزر بن صولات , تقوم بدعوة الأمويين , على خلاف صنهاجة التي تقوم بدعوة العبيديين مما يولد حروباً كثيرة , حتى أصبح زيري بن عطية الجزري أميرا وملكا على زناته . أبن عذاري , البيان المغرب , ج1 , ص260 .

(5) تاهرت : بفتح الهاء , وسكون الراء , وتاء فوقها نقطتان , اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لأحدهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة بينها وبين المَسيلة ستّ مراحل , بين تلمسان وقلعة بني حماد . أبن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1، ص251 .

(6) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 236-238 ؛ الداوداري , الدرر المضيئة , ص 21-22 ؛ الدشرواي , الخلافة الفاطمية , ص 178-179 .

(7) بني رستم : هو ميمون بن عبدالرحمن بن رستم بن بهرام الفارسي , كان إباضيا , وكان يسلم عليه بالخلافة , تعاقب على مملكة تاهرت بنو ميمون , وبنو إخوته إسماعيل وعبدالرحمن بن الرستمية , إلى سنة 296هـ/908م , حيث انتهى حكم الرستميين بعد ان دام 130 سنة , عندما دخل أبو عبدالله تاهرت , قضى على جميع الرستميين . الحميري , الروض المعطار , ص126 .

(8) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص66 .

(9) النعمان , افتتاح الدعوة , ص253 .

وجعل بيتا للمال وأقام له ديواناً [1], ثم أمر ببناء مدينة جديدة , سماها المهدية[2] نسبة إلى اسمه[3], ثم تخلص من أبي عبدالله وأخيه أبي العباس سنة 298هـ/910م , بعد أن ابدوا شكوكاً حول صحة إمامته , فثارت عليه القبائل فتمكن من إخمادها [4] .

كانت السنوات الأولى من خلافة المهدي في المغرب عهد نزاع ومشاكل متوالية , فقد أتيح القضاء عليها , فبعد موت أبي عبدالله الشيعي أصبح المهدي الحاكم المطلق لكافة أرجاء المغرب , فلم يكتف بشمال إفريقية , بل تعدى طموحه على تهديد الخلافة العباسية في بغداد[5] .

وجه الفاطميون أولى عنايتهم بامتلاك مصر بعد امتلاكهم المغرب سنة 296هـ/909م, ذلك لكثرة ثرواتها, وموقعها الجغرافي المهم سياسيا وحربيا, خصوصا أن ولاة هذه البلاد كانزا يحكمون الشام والحجاز , فكان امتلاك مصر بمثابة امتلاك لهذين البلدين, وتأسيس نفوذ سياسي وديني للفاطميين في ثلاثة مراكز إسلامية مهمة, هي (المدينة , والفسطاط , ودمشق) , وان تحقيق هذا المطلب سيكون تمهيدا لتهديد بغداد حاضرة الخلافة العباسية[6] .

وجه الفاطميون ثلاث حملات على مصر, الأولى سنة 302هـ/914م, حيث ملكوا الإسكندرية والفيوم[7], وسيطروا على خراجها, إلا أن هذه الحملة لم تأت بثمارها, حيث سير العباسون جيشاً بقيادة مؤنس الخادم[8], الذي تصدى لهم وأجبرهم على العودة

---

(1)النعمان , افتتاح الدعوة , ص 256-257 ؛ الدشراوي , الخلافة الفاطمية , ص184 .

(2) المهدية : مدينة في إفريقية , أنسبت إلى الخليفة المهدي , بينها وبين القيروان مرحلتان , والقيروان في جنوبيها , شرع المهدي في اختطاطها سنة 303هـ / 915م , وانتقل إليها سنة 308هـ/ 920م ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج5 , ص 230-231 .

(3) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 275 ؛ إدريس , تاريخ الخلفاء الفاطميين , ص 209 .

(4)النعمان , افتتاح الدعوة , ص262 , و ص266-267 .

(5) حسن , الفاطميون , ص 80 .

(6) حسن , الفاطميون , ص 81 و 104؛ الأحمدي , خلود محمد , القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية (358-569هـ/969-1173م) دراسة في الحياة الاجتماعية , رسالة ماجستير غير منشورة , الجامعة الأردنية , الأردن , 2010م , ص 3 . وسيشار له لاحقا: الأحمدي , القاهرة .

(7) الفيوم : هي ولاية من ولايات مصر الغربية , بينها وبين الفسطاط مسيرة أربعة أيام , وهي ارض منخفضة . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 286 .

(8) مؤنس الخادم , ويسمى أيضا مؤنس المعظم , هو قائد الجيش العباسي , أرسله الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى مصر للتصدي لهجمات الجيش الفاطمي , قتله الخليفة القاهر سنة 321هـ/933م . أبن الأثير , الكامل , مج7 , ص 85-86 . المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 69 .

إلى أفريقية, أما الثانية فكانت سنة 307هـ / 919م, فدخلوا الإسكندرية , إلا أن مؤنساً أوقع فيهم الخسائر, وأصابهم الغلاء والوباء في الخيل والناس, فرجع من بقي إلى أفريقية[1], أما الحملة الثالثة فكانت زمن الخليفة القائم بأمر الله (322-334هـ/ 934-945م) الذي تمكن سنة 323هـ/ 934م من دخلول الإسكندرية فتصدى لهم الإخشيد فهزمهم فرجعوا إلى المغرب[2] .

شجعت الظروف التي مرت بمصر المتمثلة بعوامل الضعف التي سادت الخلافة العباسية في بغداد, وعجزها عن إرسال الإمدادات إلى مصر, بسبب سيطرة الأتراك على مقاليد الحكم من جهة, ودخول البويهيين بغداد سنة 334هـ / 945م , وسيطرتهم على الخلافة العباسية من جهة أخرى , هذه العوامل شجعت الفاطميين على فتح مصر[3] , فضلا عن ذلك سوء الحالة العامة في مصر بعد وفاة كافورالإخشيد[4] سنة 357هـ/968م حيث سادت الديار المصرية صراعات واضطرابات اقتصادية وسياسية , منها انخفاض منسوب النيل, مما أدى إلى ارتفاع الأسعار, وانتشار القحط والوباء, ونهبت الضياع, وثار الجند مطالبين بأرزاقهم, وانقضت الأعمال لكثرة الفتن [5],

---

(1) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 274 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج5 , ص 19-20 ؛ أبن الأثير , الكامل , مج6 , ص 483 و 501 ؛ المقريزي , اتعاظ ,ج1, ص 69 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 48-49.

(2) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 100 ؛ المقريزي , اتعاظ ,ج1 , ص 74 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4, ص 52 .

(3) مسكويه , أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب , (ت421هـ/1030م) , تجارب الأمم وتعاقب الهمم , تحقيق : سيد كسروي حسن , ط1, دار الكتب العلمية , بيروت, 2003 م , ج5 , ص 275 . وسيشار له لاحقا : مسكويه , تجارب الأمم . . حسن , الفاطميون , ص 104 ؛ ماجد , عبدالمنعم , ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر , ط1 , دار الفكر العربي , القاهرة , 1994م , ص 93-94 . وسيشار له لاحقا : ماجد , الخلافة الفاطمية .

(4) كافور : هو أبو المسك كافور بن عبدالله الإخشيدي , كان خادما اسود لابو بكر محمد بن إخشيد حاكم مصر والشام , رباه وأصبح من كبار القادة , تولى حكم مصر سنة 335هـ /946م باعتباره احد أبناء الإخشيد . أبن تغري بردي , جمال الدين أبو المحاسن يوسف , (ت 874هـ/ 1469م) , النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , تعليق : محمد حسين شمس الدين , ط1, دار الكتب العلمية , بيروت , 1992م , ج4 , ص 3 . وسيشار له لاحقا : أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة .

(5) المقريزي , المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار , تحقيق : محمد زينهم ومديحة الشرقاوي , ط1, مكتبة المدبولي , القاهرة , 1997م , ج1 , ص 107-110 . وسيشار له لاحقا : المقريزي , الخطط ؛ المقريزي , إغاثة الأمة بكشف الغمة , تحقيق : كرم حلمي فرحان , ط1, عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية , مصر , 2007م , ص 87-88 . وسيشار له لاحقا : المقريزي , إغاثة ؛ أبن إياس , محمد بن أحمد ,(ت930هـ/1523م) , بدائع الزهور في وقائع الدهور, مطابع الشعب , مصر , 1960م , 5ج , ج1 , ص 33 . وسيشار له لاحقا : أبن اياس , بدائع الزهور ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 21 .

فيذكر المقريزي أحوال مصر قائلا " ثم مات كافور فكثر الاضطراب وتعددت الفتن , وكانت الحروب كثيرة بين الجند والأمراء قتل فيها خلق كثير, ونُهبت أسواق البلد , واحترقت مواضع عديدة, فاشتد خوف الناس, وضاعت أموالهم , وتغيرت نياتهم, وارتفع السعر ,وتعذر وجود الأقوات حتى بيع القمح كل وبية[1] بدينار "[2] .

نتيجة لذلك كتبت جماعة من الإخشيديين ووجوه البلاد إلى الخليفة المعز لدين الله (341-365هـ/953-975م) , يدعونه لفتح مصر , فكان من جملة ما كتب أن كنت تخشي أنك لا تحضر بنفسك فابعث من تثق به يستلم البلاد ويعلم صحة المناصحة[3] .

كان المعز يخطط لدخول مصر قبل وفاة كافور, والدليل على نية المعز الانتقال إلى مصر قبل فتحها بوقت طويل وجود ثلاثة دنانير فاطمية تحمل مكان الضرب (مصر), مؤرخة في السنوات 341هـ / 952م, 343هـ/954م , 353هـ/ 964م , ضربت قبل تأسيس القاهرة , بغرض ترويجها بواسطة الدعاة بين الأفراد الذين يتوسمون فيهم الاستجابة للدعوة [4] , وفي سنة 355هـ /965م أمر المعز بحفر آبار في طريق مصر, وأن يبنى في كل منزلة قصر فتم ذلك , إضافة إلى إرسال الدعاة إلى مصر لنشر الدعوة , وتزويده بالمعلومات حول وضع مصر , فكانوا يحذرونه من كافور بقولهم بيننا وبينك الحجر الأسود بمعنى كافور[5] .

استجاب المعز لهذه الدعوات , واخذ في إعداد الجيوش وتجهيزها بالأموال لدخول مصر, فعهد قيادة الجيش إلى جوهر الصقلي[6] فكان المعز واثقا من امتلاك مصر, يتضح ذلك من قوله : والله لو خرج جوهر وحده لفتح مصر ولدخلها من دون حرب [7] .

---

(1) وبية : مكيال مصري يعادل 12.168كغم قمح ؛ هنتس , المكاييل , ص 80 .

(2) المقريزي , اغاثة , ص 88 .

(3) الدواداري , الدرر المضيئة , ص 121 . المقريزي , اغاثة , ص 88 .

(4) سيد , الدولة الفاطمية , ص 129-130 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 96و102 .

(6) جوهر الصقلي : هو جوهر بن عبدالله , القائد أبو الحسن الرومي , مولى المعز لدين الله , من كبار قادة الجيش الفاطمي , وفاتح مصر سنة 358/ 969م . المقريزي , المقفى , ج3 , ص 83-84 . أبن تغري بردي , النجوم , ج4 , ص29 .

(7) المقريزي , المقفى , ج3 , ص 86 .

سار جوهر مع الجيوش نحو مصر سنة 358هـ/968م, ومعه الأموال والسلاح, فدخل الإسكندرية من دون مقاومة تذكر, ومنع جنده من التعرض للأهالي, واستطاع أن يتألف عساكره بما أغدقه عليهم من الأرزاق[1], لما وردت الأخبار إلى الفسطاط بدخول جوهر إلى الإسكندرية , اجتمع أعيانهم , واختاروا جعفر بن الفضل[2] لمفاوضة جوهر للحصول على الأمان, فالتقوا بجوهر في مدينة تروجه[3] واتفقوا على الصلح[4] .

توصلت المفاوضات بين جعفر وجوهر إلى منح الأمان لأهل مصر من خلال كتاب أعلنه لهم جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله, لجماعة أهل مصر الساكنين بها من أهلها ومن غيرهم, انه قد ورد من سألتموه الترسل والاجتماع معي ...ذكر عنكم أنكم التمستم كتابا يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم , فعرفتم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين وحسن نظره لكم, فلتحمدوا الله على ما أولاكم, وتشكروه على ما حماكم, وتدأبوا فيما يلزمكم, وسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم, العائد بالسلامة لكم, هو أنه لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة, والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم, إذا قد تخطفتكم الأيدي, واستطال عليكم المستذل وأطمعته نفسه بالاقتدار على بلدكم في هذه السنة والاحتواء على نعمكم وأموالكم .... بإخراج العساكر المنصورة, وبادر بإنقاذ الجيوش المظفرة دونكم, ومجاهدته عنكم وعن كافه المسلمين ببلدان المشرق .... وما أوعز به أمير المؤمنين نشر العدل, وبسط الحق, وحسم الظلم , وقطع العدوان, ونفي الأذى , ورفع المؤن, والقيام بالحق, وإغاثة المظلوم .... وأن أجري المواريث في كتاب الله وسنة نبيه ... وتزيد المساجد .... وإقامتكم على مذهبكم ... وإجراء آهل الذمة على ما كانوا عليه ... ولكم علي الوفاء بما ألتزمته , أعطيتكم إياه , عهد الله , وغليظ ميثاقه وذمته وذمه أنبيائه .... مولانا المعز لدين الله ... "[5] .

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ص 102 ؛ سرور , محمد جمال الدين , تاريخ الدولة الفاطمية , دار الفكر العربي , القاهرة, 1995م , ص 64 . وسيشار له لاحقا : سرور , الدولة الفاطمية .

(2) جعفر بن الفضل : هو جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسين بن الفرات , كان وزير مصر في عهد كافور , لما توفي كافور استغل بالوزارة , وتدبر أمر المملكة لأحمد بن علي الإخشيد , ليستأثر بالأمور لنفسه , وفي عهده شهدت مصر اضطرابات وفوضى . أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج1 , ص 346-347 .

(3) تروجه : بالفتح ثم الضم , وسكون الواو , وجيم , قرية بمصر من كورة البحيرة , تتبع لإعمال الإسكندرية . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 27-28 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص103 .

(5) المقريزي , اتعاظ, ج1 , ص 102-106 .

يدل نص الأمان الذي أعطاه جوهر باسم الخليفة المعز لدين الله لاهل مصر على حنكته السياسية ونزعته العلمية, نحو تطمين سكان مصر أن الأمور ستسير كما يحبون, وأنه لم يكن هناك أي تغيير قهري, وانه قدم إلى مصر لإنقاذ المصريين مما أصابهم من فساد واضطراب, وكذلك تضمن نص الأمان بأن يسمح لهم بممارسه شعائر مذهبهم السني, وأن يجري الأذان والصيام والزكاة والحج على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم [1].

واجهت المفاوضات معارضة من بعض رجال الإخشيديين الكافوريين حول الصلح والأمان الذي أعطاه جوهر للمصرين , فقالوا ما بيننا وبين جوهر إلا السيف , فكلف جوهر جعفر بن فلاح[2] للتصدي لهم, فجرت معركة أوقع بالمصريين القتل وهرب الباقون إلى الشام[3] .

بذلك استطاع الفاطميون امتلاك مصر, فلم يكن قيام حكومة مكان أخرى, بل كان بمثابة انقلاب ديني وثقافي واجتماعي بعيد المدى, فلأول مرة في التاريخ الإسلامي تحكم مصر بدولة لا تدين حتى بالولاء الاسمي لبغداد[4] .

بعث جوهر إلى الخليفة المعز لدين الله ليطمنه بامتلاك مصر, في الوقت نفسه بعث حسن بن جعفر[5] إلى جوهر يخبره امتلاك مكة وإعلان الدعوة للمعز, فبحث جوهر بالخبر للخليفة للمعز لدين الله [6] .

باشر جوهر إجراءاته بعد فتح مصر, فعمل على تأسيس مدينة القاهرة, بناء على توجيهات الخليفة المعز لدين الله, لتكون دار خلافة ومنزل ملك, ولا ينزلها الا الخليفة وعساكره

---

(1) حمادة , محمد ماهر , الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية , ط2 , مؤسسة الرسالة , بيروت ,1985م , ص 31-32 . وسيشار له لاحقا : حمادة , الوثائق .

(2) جعفر بن فلاح : أبو علي جعفر بن فلاح الكتامي , احد قواد المعز صاحب إفريقية , بعثه المعز مع جوهر إلى مصر , ثم بعثه جوهر إلى الشام . أبن خلكان , وفيات , ج1 , ص 161 .

(3) المقريزي , المقفى , ج3 , ص 96 .

(4) سيد , الدولة الفاطمية , ص 139 .

(5) هو أبو الفتوح حسن جعفر بن محمد الحسني أمير مكة , استولى على مكة سنة 358هـ/ 968م وخطب للخليفة المعز لدين الله الفاطمي فبعث له الخليفة المعز لدين الله من المغرب بتقليد الحرم واعماله. المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 101 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 101 .

وخواصه الذين يشفعهم بقرابة[1], أراد من ذلك ان تكون حصنا منيعا بين مصر والقرامطة ليقاتلهم من دونها[2], إضافة إلى ذلك بناها لتكون منعزلة عن العامة مثلما فعل المهدي في المغرب[3], خاصة أن اختلاط الفاطميين بالمصريين قد يعرضهم لأخطار الدسائس والعداء والثورات, حيث أن الدولة الفاطمية قامت على أساس الدعوة للمذهب الإسماعيلي في ارض لا يدين أهلها بهذا المذهب[4] .

وفي يوم الجمعة العاشر من شعبان سنة 358هـ/ 968م نزل جوهر إلى الجامع العتيق بإعلان الخطبة للفاطميين بدل العباسيين[5], وأمر بضرب السكة, وجلس للمظالم بنفسه كل يوم سبت, ونظم الخراج وأوكل عليه جعفر بن فضل, وحارب الفساد[6], وفي سنة 359هـ/ 970م شرع جوهر ببناء جامع الأزهر وفرغ من بنائه سنة 361هـ/ 972م [7] .

بعد أن تمكن جوهر الصقلي من فتح مصر 358هـ/ 968م , واستقرت له الأمور فيها, وجه أنظاره إلى بلاد الشام, فسير جيشا بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي لفتح الشام[8] .

كان على الشام أبو محمد الحسن بن عبدالله [9], فلما بلغ جعفر الرملة[10] اصطدم مع الحسن فغلبه واسر الحسن مع غيره من القواد, فسيرهم جعفر إلى مصر[11], ثم سار إلى

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 59 ؛ سيد , الدولة الفاطمية , ص 141 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 55 .

(3) أبن دقماق , إبراهيم بن محمد بن أدمر العلائي , (ت 809هـ/1407 م) , الأنتصار لواسطة عقد الأمصار, المكتب التجاري للنشر والتوزيع , بيروت , د.ت , ق2 , ص 36 . وسيشار له لاحقا : أبن دقماق , الانتصار .

(4) الأحمدي , القاهرة , ص 7 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج1 , 114 .

(6) المصدر نفسه , ج1 , ص 115-117 .

(7) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 33 .

(8) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 310 . النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 84 . العزام , عيسى محمود , بلاد الشام في العصر الفاطمي الاول (358-465هـ) دراسه حضارية , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة اليرموك , الأردن , 1992م ص 28 . وسيشار له لاحقا : العزام , بلاد الشام .

(9) أبو محمد الحسن : هو أبو محمد الحسن بن عبيدالله بن طغج بن جف الإخشيدي , كان صاحب مصر قبل دخول الفاطميين , ثم توجه إلى الشام بعد دخول جوهر مصر سنة 358هـ/ 968م . أبن عساكر , أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي , (ت 571هـ/1175م) , تاريخ دمشق , تحقيق : عمرو بن غرامة , دار الفكر , بيروت 1995م , ج13 , ص 130. وسيشار له لاحقا : أبن عساكر , تاريخ دمشق .

(10) الرملة : هي مدينة عظيمة بفلسطين , كانت رباط المسلمين . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 69 .

(11) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 310 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 123 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 84 .

طبرية[1] فبنى قصراً عند الجسر ليحارب الإخشيد, لكن الإخشيديين لم يعترضوا له, فملك طبرية دون إي قتال[2] , فلما وصل الأخبار إلى أهل دمشق نبأ استيلاء جعفر على طبرية خشوا على أنفسهم, سار من دمشق مشايخ أهلها إلى طبرية للقاء جعفر لطلب الأمان, فلقوا جعفر وعادوا إلى دمشق وهم غير شاكرين من سوء المعاملة, حتى استوحش أهل دمشق منهم, ودارت حرب بين الدمشقيين وجعفر, على الرغم من أن أهالي دمشق استطاعوا الصمود, إلى أن لحقت بهم الهزيمة , فدخل جعفر دمشق في أواخر 359هـ /969م وإقامة الخطبة للمعز, وقطع الخطبة عن العباسيين[3] .

استأذن جعفر بن فلاح جوهر الصقلي للمسير إلى أنطاكية[4], لأنه رأى إن استقرت له الأمور ببلاد الشام, وأن استيلاء الروم على أنطاكية يهدد الحكم الفاطمي في هذه البلاد, فأذن له جوهر وسار نحوها وحاصرها , وأدانت له البلاد , ثم انسحب بعد ذلك إلى دمشق , بعد ان وصل مدد الروم إليها[5].

بعد أن استقر الحال في مصر والشام والحجاز للفاطميين, وإقامة الدعوة للخليفة المعز, كتب جوهر إلى المعز يحثه على القدوم إلى مصر, فسر المعز بذلك سرورا عظيما [6].

استجاب الخليفة المعز إلى جوهر فخرج من المغرب سنة 361هـ / 971م بعد أن استخلف على إفريقية بلكين بن زيري[7] , اصطحب معه أمواله وأهل بيته وعماله وحمل معه إلى مصر توابيت آبائه [8], فأقام بسردانية وهي قرية قريبة من القيروان مدة أربعة شهور, ثم رحل منها سنة 362هـ / 971م فوصل الإسكندرية وسلم على أعيان البلاد, فجلس عند المنارة, وخطب بالناس,

---

(1) طبرية : بليدة مطلة على بحيرة طبرية , وهي في طرف جبل الطور , تابعة لأعمال الأردن من جهة الغور , بينها وبين دمشق ثلاثة أيام . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 17 .

(2) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 310 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 123 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 61 .

(3) أبن الأثير , الكامل, ج7 , ص 310-311 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1, 123-124 .

(4) أنطاكية : هي من الثغور الشامية , بينها وبين حلب يوم وليلة . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص266-267.

(5) النويري , نهاية الأرب , ج 28 , ص 84 .

(6) أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج5 , ص 226 .

(7) بكلين بن زيري : بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي , هو الذي استخلفه المعز على إفريقية بعد خروجه إلى مصر فأوصاه ثلاثا , بان لا يرفع الجباية عن أهل البادية , ولا السيف عن البربر , ولا يولى أقاربه فيرون انه ماحق . أبن خلكان , وفيات الأعيان . ج1 , ص 286 .

(8) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 161 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , 86-87 ؛ أبن عذاري , البيان المغرب , ج1 , ص 228 .

فأوضح أنه لم يدخل مصر لزيادة أمواله او ملكه , وإنما أراد إقامة الحق, ونشر العدل والمساواة بين الناس, بعد ذلك ارتحل فوصل إلى الجيزة[1] فخرج أليه جوهر وابن الفرات وأقام بها ثلاثة ايام, ثم عبر المعز إلى القاهرة الخامس من شهر رمضان سنة 362هـ / 971م فدخل قصره وسجد لله تعالى , وبذلك أصبحت مصر دار الخلافة الفاطمية[2].

---

(1) الجيزة : بليدة مصرية تقع غربي الفسطاط , ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص200 .

(2) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 330-332 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان . ج5 , 226-227 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج 28, 87-88 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 76-77 .

الفصل الاول

الموارد المالية في مصر خلال العصر الفاطمي

أولا : الخراج

ثانيا : الزكاة والنجوى

ثالثا : الجوالي

رابعا : المكوس

خامسا : المصادرات

سادسا : المواريث الحشرية

سابعا :الأحباس

ثامنا : متحصلات دار الضرب

تاسعا : متحصلات المعادن

الفصل الأول

الموارد المالية في مصر خلال العصر الفاطمي

تقسم الموارد في الدولة الفاطمية إلى قسمين: ضرائب شرعية وأخرى غير شرعية : فالضرائب الشرعية تشمل الخراج, الجوالي, العشور, الزكاة والغنائم, اما غير الشرعية فتشمل المكوس والمصادرات وغيرها[1] .

أولا : الخراج

الخراج : في لغة العرب الغلة [2], وتعني الرزق والأجر[3], وهو ما يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم[4], ومنه ما ورد عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (الخراج بالضمان)[5], فيذكر الماوردي أن الخراج هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها[6], فقد ذكر مصطلح الخراج في القران الكريم, قال تعالى (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ)[7], وقوله تعالى (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا)[8].

أوضح الماوردي في الآية الأولى (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا) وجهين : فالأول الأجر والثاني النفع , أما في (فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ) كذلك وجهان احدهما الرزق في الدنيا والأخر الرزق في الآخرة[9] .

---

(1) المخزومي , أبو الحسن علي بن عثمان , (585هـ / 1189م) , المنتقى من كتاب المنهاج في علم خراج مصر , تحقيق : كلود كاهن , مراجعة يوسف راغب , القاهرة , 1986م, ص 34 . وسيشار له لاحقا : المخزومي , المنتقى ؛ أبن مماتي , أبو المكارم الأسعد بن المهذب , (ت 606هـ / 1209م) , قوانين الدواوين , تحقيق عزيز سوريال , ط1, مكتبة المدبولي , القاهرة, 1991م , ص307 . وسيشار له لاحقا : أبن مماتي , قوانين .

(2) أبن سلام , أبو عبيدة القاسم بن سلام , (ت224هـ/ 838م) , كتاب الأموال , ط1 , مؤسسة الناصر للثقافة , بيروت , 1981م , ص 38 . وسيشار له لاحقا : أبن سلام , الاموال .

(3) الماوردي , أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البغدادي , (ت 450هـ / 1085م) ,الأحكام السلطانية والولايات الدينية , تحقيق : أحمد مبارك البغدادي , ط1, دار أبن قتيبة , الكويت, 1989م , ص 186 . وسيشار له لاحقا : الماوردي , الأحكام السلطانية .

(4) أبن منظور , محمد بن مكرم بن علي , (ت 711 هـ / 1311م) , لسان العرب, دار صادر, بيروت , 1993 م , ج2 , ص 151 . وسيشار له لاحقا : أبن منظور , لسان العرب .

(5) البخاري , أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة , (ت 265هـ / 869م) , التاريخ الكبير , تصحيح : محمود محمد خليل, دار المعارف العثمانية , الهند, د.ت , ج1 , ق 1 , ص 243 . وسيشار له لاحقا : البخاري , التاريخ .

(6) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 186 .

(7) سورة المؤمنين : الاية 70 .

(8) سورة الكهف : الاية 94 .

(9) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 186 .

كذلك يرى المقريزي ان الخراج ما يؤخذ من الأرض التي تزرع حبوبا ونخلا وعنبا وفاكهة , وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره من طرق الريف[1] .

أما عن أصل كلمة الخراج, فقد قيل بأن الكلمة آرامية (سريانية), والبعض الآخر قال بأنها كلمة يونانية , لذلك فقد كان الفرس يستعملون هذه الكلمة لتعني ضريبة الأرض, وهي بالتحديد نوع من الإيجار يدفع للدولة مقابل الانتفاع بالأرض واستغلالها, وإن كلمة الخراج لم تكن غريبة عن العرب, فهي تشير إلى الأجر والرزق[2] .

يجبى الخراج على ثلاثة أنواع من الأراضي :

1- النوع الأول: الأراضي التي ملكت عنوة وقهراً , فأصبحت وقفاً للمسلمين .

2- النوع الثاني: الأراضي التي هرب عنها أصحابها في فترة الفتح فانتقلت للمسلمين دون قتال.

3- النوع الثالث: الأراضي التي فتحت صلحا وهي محكومة بشروط الصلح , فإما أن تكون ملكيتها للمسلمين وبالتالي تكون وقفاً لهم ويفرض عليها الخراج, وإما أن تكون ملكيتها لأصحابها يدفعون خراجها [3] .

والجزية والخراج حقان أوصى الله تعالى المسلمين إليها من المشركين, فإن الجزية نص,والخراج اجتهاد [4], يجتمعان في ثلاثة أوجه، ويفترقان في ثلاثة أوجه، ثم تتفرع أحكامهما، فأما الأوجه التي يجتمعان فيها فاحدها أن كل واحد منهما مأخوذ عن مشرك صغارا له وذمة ، والثاني أنهما مال فيء يصرفان في أهل الفيء، والثالث أنهما يجبيان بحلول الحول،ولا يستحقان قبله، وأن الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الإسلام، والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام[5]، وأحيانا يطلق لفظ الخراج على الجزية أو ضريبة الرأس[6].

---

(1) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 296 .

(2) كاتبي , غيداء خزنة , الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري , الممارسات والنظرية , ط3 , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 2001م , ص 99-100 . وسيشار له لاحقا : كاتبي , الخراج .

(3) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 187-188 .

(4) المصدر نفسه , ص 181 .

(5) المصدر نفسه ، ص 181 .

(6) أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، (ت 182هـ/ 798م) ، الخراج، دار المعرفة ، بيروت، 1979م، ص 101-102. وسيشار له لاحقا : أبو يوسف، الخراج ؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت 279هـ/ 892م) ، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م ، ص 90 . وسيشار له لاحقا : البلاذري، فتوح البلدان .

فقد كان يراعى في تقدير الخراج كمية المحصول ومساحة الأرض وجودتها، حيث ذكر الماوردي أن الأرض تختلف في ثلاثة أوجه يؤثر كل واحد منهما في زيادة الخراج ونقصانه، أحدهما يختص بالزرع من اختلاف أنواعه من حبوب وثمار، فمنها ما يكثر ثمنه، ومنها ما يقل ثمنه، فيكون الخراج بحسبه، والثالث يختص بالسقي والشرب، فإن كانت تسقى بالدواليب[1] فإن ذلك لا يحتمل من الخراج ما يحتمله السقي سيحا[2] وبالأمطار[3] .

يأتي الخراج على راس واردات الدولة المالية , فهو يمثل الضريبة الأساسية على الأراضي الزراعية[4], فهناك مجموعة من الاعتبارات يجب مراعاتها في تقدير الخراج أهمها نوع الأرض, ونوع المحصول , وطريقة الري[5] .

يختلف الخراج في مصر عن سائر البلدان , فخراج مصر مرتبط بنهر النيل وفيضانه ,فيذكر المقدسي " مصر معولة على النيل وربما لا جرى وربما بلغ أربعة عشر وست عشر ذراعاً ,وربما زاد على ذلك والأمر في جريانه شديد التفاوت , فلو فرض عليه الخراج لزم الأمر ان يؤدي من أمكنه أن يزرع ولم يمكنه " [6] . فالخراج لا يجبى الا اذا بلغ النيل ست عشر ذراعا ,فاذا زاد عن ذلك ذراعا زاد في الخراج مايه ألف دينار , فان نقص ذراعا نقص الخراج مايه ألف دينار[7] , أما إذا زاد عن ثمانية عشر ذراعاً غرقت الأراضي فحل الوباء والغلاء, أما إذا انخفض منسوب النيل إلى اثني عشر ذراعاً فان أغلب الأراضي الزراعية لا يصلها الماء فتصاب البلاد بالقحط والغلاء , ففي كلا الحالتين فإن البلاد مهددة بالغلاء والوباء[8].

---

(1) الدواليب: آلة لنقل الماء من جهة إلى جهة أخرى , وهو ما يسقى بالدلو، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 95.

(2) سيحاً: السيح ، ما على ظهر الأرض من الماء يسقى من غير آلة من دولاب أو دالية أو غرافة أو ناعور أو منجنون وهذه الآلات معروفة تسقى بها الأرضون العالية، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 95.

(3) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 147 .

(4)الماوردي، الأحكام السلطانية , ص 186 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج8 , ص 180 .

(5)الماوردي، الأحكام السلطانية , ص 189 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج 8 , ص 180 .

(6) المقدسي , أبو عبدالله محمد بن أحمد البشاري , (ت380هـ/ 990م) , أحسن التقاسيم في معرفه الأقاليم , ط3, مكتبة المدبولي , القاهرة, 1991م , ص 212-213 . وسيشار له لاحقا : المقدسي , أحسن التقاسيم.

(7) ناصر خسرو علوي , (ت 481هـ/ 1088م) , سفر نامة , ترجمة : يحيى الخشاب , ط2, الهيئة المصرية للكتاب , القاهرة, 1993 م , ص 97 . وسيشار له لاحقا : ناصر خسرو , سفر نامة . أبن مماتي , قوانين , ص 76 .

(8) المسعودي , أبو الحسن علي بن الحسين بن علي , (ت 346 هـ/ 957م) , مروج الذهب ومعادن الجوهر , تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد , ط5, دار الفكر, بيروت , 1973م , ج1 , ص 342 . وسيشار له لاحقا : المسعودي , مروج الذهب ؛ القلقشندي , أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد , (ت 821هـ / 1418م) , صبح الأعشى في صناعة الإنشاء, المطبعة الأميرية , القاهرة , 1914م , ج3 , ص 298-300 . وسيشار له لاحقا : القلقشندي , صبح الأعشى . المقريزي , الخطط , ج1 , ص 172 .

أما مواعيد جباية الخراج في مصر فقد أوردها ابن حوقل "لمصر عادة وسنة لم تزل منذ عهد فراعنتها في استخراج خراجها وجباية اموالها الا عند تمام الماء وافتراس سائر ارضها وتطبيقها ويقع في شهر توت[1]"[2] , فإذا مضى من السنة الخراجية أربعة شهور ندب من الجند وكتاب العدول وكاتب نصراني لاستخراج ثلث الخراج [3] , فالخراج كان يجبى على خمس مراحل ففي شهر كهيك[4] يطالب الناس بافتتاح الخراج ومحاسبة المتقبلين[5] على الثمن , وهو القسط الأول , وفي شهر أمشير[6] يؤخذ الناس فيه بإتمام ربع الخراج من السجلات , أما في شهر برمهات[7] فيطلب الناس بالربع الثاني , وفي شهر برمودة[8] يطلب الناس بإغلاق نصف الخراج ويثبتون ذلك في سجلاتهم , وفي شهر ابيب[9] يكونون قد أدوا ثلاثة أرباع الخراج , أما في شهر مسرى[10] فيغلق فيه الخراج وبذلك تكون الدولة قد استخرجت الخراج بالكامل[11] .

أما مقادير الخراج في مصر فقد كانت تختلف من سنة إلى أخرى , ومن عصر إلى آخر عبر التاريخ الإسلامي , فقد بلغ خراج مصر في صدر الإسلام في عهد الوالي عمرو بن العاص (22-25هـ / 643-645م) اثنى عشر ألف ألف دينار , ثم ارتفع مقدار الخراج زمن ولاية عبدالله بن سعد بن ابي سرح (25-36هـ / 645-656م) إلى أربع عشر ألف ألف دينار[12] .

---

(1) توت : هو أحد الأشهر القبطية , يقابلها آب . القلقشندي , صبح الأعشى , ج2 , ص 373 .

(2) أبن حوقل , أبو القاسم محمد بن علي النصيبي , (ت 367هـ/ 977م) , صورة الأرض , ط2, مطبعة بريل , ليدن , 1928م , ج1 , ص 136 . وسيشار له لاحقا : أبن حوقل , صورة الأرض .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 157 .

(4) كهيك : يصادف تشرين الثاني . القلشقندي , صبح الأعشى , ج2 , ص 375 .

(5) المتقبلين : هم اشخاص يقوموا بجمع الخراج من المزارعين لقاء مبالغ يؤدونها الى الدولة وهم اشبه بالمستاجرين . المقريزي , الخطط , ج2 , ص 157 .

(6) اشمير : يصادف كانون الثاني . القلقشندي , صبح الأعشى , ج2 , ص 376 .

(7) برمهات : يصادف شهر شباط . القلقشندي , صبح الأعشى , ج2 , ص376 .

(8) برمودة : يصادف شهر اذار . القلقشندي , صبح الأعشى , ج 2, 377 .

(9) أبيب : يصادف شهر حزيران . القلقشندي , صبح الأعشى , ج 2, 378 .

(10) مسرى : يصادف شهر تموز . القلقشندي , صبح الأعشى , ج 2, 379 .

(11) أبن حوقل , صورة الأرض , ج 1 , ص 137 .

(12) المقريزي , الخطط , ج1 , ص284 ؛ أبن إياس , محمد بن أحمد الحنفي , (ت 930هـ /1523م) , نشق الأزهار في عجايب الأقطار , الناسخ وهبة سالم , مخطوطة محفوظهة في جامعة الملك عبد العزيز , جدة , ص 35 . وسيشار له لاحقا : أبن إياس , نشق الأزهار .

وفي عهد الخلافة الأموية أنخفض خراج مصر إلى ما دون الثلاثة الآف آلف في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك (105-126هـ/ 723-743م) , بسبب الفساد والخراب , بينما كان في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/ 715-717م) , اثنتي عشر ألف الف دينار[1].

وفي العصر العباسي وبالتحديد في عهد الخليفة المأمون (198-218هـ / 813-833م) بلغ خراج مصر أربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف وسبعة وخمسون ألف دينار , بينما تعرض خراج مصر للانخفاض قبل فترة الحكم الدولة الطولونية (254-292هـ/868-904م) عندما استلم أحمد بن محمد بن المدبر[2] أرض مصر بلغ خراجها ثمانمائة ألف دينار , ثم ارتفع بعد أن تسلم أحمد بن طولون أرض مصر إلى أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار نتيجة العمارة والإصلاح من خلال الاهتمام بالنيل وإقامة الجسور , ثم جباها ابنه الأمير خمارويه[3] بن أحمد أربعة آلاف آلف مع رخاء الأسعار حينئذ[4] .

أما في عهد الدولة الإخشيدية (323-358هـ/ 934-968م) , وبالتحديد زمن مؤسسها محمد بن الإخشيد[5] , انخفض خراج مصر إلى ألفي ألف دينار , بسبب سوء الإدارة , وكثرة المحن التي مرت بها مصر نتيجة نقص نهر النيل والغلاء والفتن والاضطراب السياسي والصراع بين الأمراء بعد وفاة كافور الإخشيدي سنة 357هـ/ 968م أدى إلى انقطاع الخراج[6].

---

(1) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 284 .

(2) أحمد بن المدبر : هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله المدبر الكاتب السامري الضبي , تولى خراج مصر ودمشق في عهد الدولة الطولونية , فساءت سيرته فحبسه أحمد بن طولون سنة 265هـ/878م , ومات بعد خمس سنوات من حبسه . أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج7 , ص 56 . , الذهبي , شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد , (ت 748هـ/ 1347م) , سير أعلام النبلاء, دار الحديث , القاهرة , 2006م , ج10 , ص 285 و ج17 , ص 9 . وسيشار له لاحقا : الذهبي, سير أعلام النبلاء .

(3) خمارويه : هو أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون من ملوك الدولة الطولونية بمصر , اجتمع الجند على توليته بعد وفاة أبيه سنة 270هـ/884م , وكانت ولايته في عهد الخليفة المعتمد على الله العباسي , وفي آخر أيامه تزوج من ابنة الخليفة المعتضد , قتل سنة 282هـ/896م في دمشق وحمل إلى مصر . أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 396 . أبن خلكان , وفاة الأعيان , ج2 , ص 249 . الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج10 , ص 470 .

(4) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 285 .

(5) محمد بن الإخشيد : هو أبو بكر محمد بن طغج المنعوت بالإخشيد , مؤسس الدولة الإخشيدية في مصر والشام والدعوة لخلفاء بني العباس , أصله من أولاد ملوك فرغانة , وكان والده ينوب عن خمارويه بن أحمد بن طولون في ولاية دمشق والشام , ولي امارة الديار المصرية سنة 323هـ/ 935م خلال خلافة الراضي بالله العباسي , استمرت ولايته أحد عشر سنة . أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج6 , ص 56 . أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 408 . الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج11 , ص 456.

(6) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 287 .

أما في عهد الخلافة الفاطمية (358-هـ567/968-1171م) , فكانت جباية الخراج تتم بطريقة منتظمة , يقوم بها ديوان الخراج , ويشرف الديوان على مسح الأراضي التي غمرتها مياه النيل سواء كانت كليا او جزئيا وتقدير الضرائب , كما يشترط من يعمل في هذا الديوان ان يكون له معرفة بعلم الخراج , وكان كثيرا من الكتاب نصارى أو أقباط[1] .

فعلى اثر التوسع الفاطمي في مصر سنة 358هـ/ 968م , كان عامل الخراج علي بن يحيى العرمرم , فاقره القائد جوهر الصقلي على جباية الخراج شهرا ثم أشرك معه رجاء بن صولان[2] , فجبى ثلاثة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار[3] , وفي رواية أخرى يورد ابن إياس أن مقدار الخراج الذي جباه جوهر عند قدومه مصر هو ألف ألف دينار ومئتا ألف دينار [4] . وهذه الرواية هي الأرجح , وذلك أن أوضاع مصر قبيل الفتح الفاطمي كانت تسودها الاضطرابات والقحط والوباء , بسبب نقص منسوب النيل , والصراعات على السلطة , وخاصة بعد وفاة كافور الإخشيد .

وارتفع خراج مصر سنة 359هـ / 969م اذ بلغ ثلاثة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار, بسبب قيام جوهر الصقلي في السنة الثانية من ولايته لمصر بزيادة مقدار الخراج إلى سبعة دنانير على الفدان [5], بينما كانت فيما سلف ثلاثة دنانير ونصف عن كل فدان [6].

---

(1) المقريزي , الخطط, ج1 , ص 248-249 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج 1 , ص 118-119 . رجاء بن صولان : لم أجد له ترجمه سوى ان جوهراً أشركه في جباية خراج مصر سنة 358هـ/968م بعد أن أصاب البلاد قحط وغلاء . المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 118-119 .

(3) المقريزي , الخطط , ج1 ,ص 287 .

(4) أبن إياس , نشق الأزهار , ص 53 .

(5) الفدان : هو مقياس المساحة المصري المفضل , وتقدر مساحته حوالي (6368) متراً مربعاً في العصور الوسطى . هنتس , فالتر , المكاييل والأوزان الإسلامية , ترجمة : كامل العسلي , الأردن , منشورات الجامعة الأردنية , 1970م , ص 97-98 . وسيشار له لاحقا : هنتس , المكاييل .

(6) أبن حوقل , صورة الأرض , ج1 , 163 .

لكن الخراج انخفض في سنة 360هـ / 970م إلى ثلاثة آلاف ألف دينار ومائتي ألف دينار[1].

وفي سنة 362هـ/ 972م وصل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى مصر. فأوكل الخليفة امر الخراج إلى يعقوب بن كلس[2], وعسلوج بن الحسن , فجلس في جامع أحمد بن طولون في القاهرة لأتخاذ إجراءات جمع الخراج , فطالبوا الناس بالبقايا السابقة من الأموال مما على المالكين والمتقبلين والعمال[3], وأخذوا بجمع الأموال بالدينار المعزي[4], بدل الدينار الراضي[5] , الذي كان أغلب الناس يتعاملون به , فانحط ونقص سعره , فاستخرجوا في اليوم الأول نيفا وخمسون ألف دينار معزية , إذ بلغ الخراج مائة وعشرين ألف دينار فقط من مال تنيس[6] ودمياط[7] في اليوم[8] .

نتيجة لهذه الإجراءات التي قام بها الوزير يعقوب بن كلس , زاد خراج مصر , فبلغ سنة 363هـ / 972م أربعة آلاف ألف دينار[9] .

---

(1) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج1 , ص 60 .

(2) يعقوب بن كلس : هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس , توفي 380 هـ/ 990م , وزيرا ومن كتاب الحساب , ولد في بغداد وسافر مع أبيه إلى الشام , ثم إلى مصر , تولى ديوان كافور في الشام ومصر , كان يهودياً وأسلم سنة 356هـ/ 966م , تولى الوزارة في عهدي الخلفية المعز لدين الله والخليفة العزيز . أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج7 , ص 27-28 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 144-145 .

(4) الدينار المعزي : ضرب هذا الدينار بمصر سنه 358هـ/ 968م , حمل اسم الخليفة المعز لدين الله , وكانت قيمته تساوي عشرين درهماً . المقريزي , المقفى الكبير , تحقيق : محمد اليعلاوي , ط1, دار العرب الإسلامي, بيروت , 1991م , ج3 , ص 100-105 . وسيشار له لاحقا : المقريزي , المقفى .

(5) الدينار الراضي : هو الدينار الذي ضرب في عهد الخليفة العباسي الراضي بالله (322-329 هـ/ 933-940 م) , كان يساوي خمسة عشر درهماً . المقريزي , الخطط , ج3 , ص 105 .

(6) تنيس : هي جزيرة في بحر مصر , قريبة من البحر , تقع ما بين دمياط والفرما . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 51 .

(7) دمياط : كورة من كور أرض مصر , بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج 2 , ص 474-475 . المقريزي , الخطط , ج1 , ص 597 .

(8) أبن ميسر , تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن حلب , (ت 677هـ/ 1278م) , المنتقى في أخبار مصر , أنتقاه المقريزي , تحقيق : ايمن فؤاد السيد , القاهرة , المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية , بيروت , 1981 م, ص 164 . وسيشار له لاحقا : أبن ميسر , المنتقى ؛ المقريزي , المقفى , ج3 , 105 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 145 .

(9) الأرمني , أبو المكارم جرجيس بن مسعود , (ت 605هـ / 1208م) , كنائس وأديرة مصر , تحقيق : ايفنتس , أكسفورد , 1985م , ص 82 . وسيشار له لاحقا : الارمني , الكنائس .

وفي خلافة العزيز بالله (365-386هـ / 975-996م) لم تتعرض مصر لأزمة مالية , فيذكر ابن الأثير " لما استقر العزيز في الملك أطاعه العسكر فاجتمعوا عليه "[1] , فاتخذ من ابن كلس وزيرا له , وأطلق يده في تدبير الدولة , فرد إليه ديوان الخراج إضافة إلى دواوين أخرى , فجمع الخراج فبلغ ثلاثة آلاف ألف دينار , وهذا من الطبيعي أن يجبى الخراج بطريقة مرنه في ظل الاستقرار السياسي[2] .

وفي خلافة الحاكم بأمر الله (386-411هـ/ 975-996م) , بلغ خراج مصر ثلاثة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار[3] .

وخلال خلافة المستنصر بالله (427-487هـ/ 1053-1094م) , شهدت مصر في بداية حكمه استقرارا , وبالتحديد في بدايات الوزير ابو محمد اليازوري[4] (442-450هـ/1050-1147م) فقد أمره الخليفة بدراسة سبل زيادة الخراج دون الضرر بأرباب الخراج , بعد أن وجد إيرادات الدولة لا تكفي مصروفاتها , فعمل على عزل العمال المفسدين فارتفعت إيرادات الدولة إلى ألفي ألف دينار[5] , ثم أصابت مصر خلال السنوات 444هـ/ 1052م , 446هـ/ 1054م , 448هـ/1056م , أزمات اقتصادية خانقة ناتجة عن قصر منسوب النيل عن الحد اللازم للري , وخلو المخازن السلطانية من الغلال فارتفعت الأسعار وانتشر الوباء , مما أدى إلى انخفاض وارد الخراج إلى ستماية ألف[6] , ويعود السبب إلى سوء تدبير الوزير اليازوري , حيث كان الخليفة يقوم بشراء الغلة كل سنة بمائة ألف دينار توضع في المخازن السلطانية لما تقتضيه لطلب الحاجة , فيبيعها بالسعر الذي يحدده ليجبر التجار على البيع بنفس السعر الذي يبيعه , لكن الوزير اقترح على الخليفة بعدم خزن الغلال واستبدالها بمواد أخرى أكثر ربحاً , وغير قابله للتلف ,

---

(1) أبن الأثير , الكامل , مج7 , ص 361 .

(2) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 98 ؛ الأرمني , الكنائس , ص 82 .

(3) أبن إياس , نشق الإزهار , ص 53 .

(4) أبو محمد اليازوري : هو أبو محمد الحسن بن علي بن عبدالرحمن اليازوري , استوزره المستنصر بالله سنة 442هـ / 1050 م , فعظم أمره حتى وصل به انه نقش اسمه على السكه , قتله المستنصر سنة 450 هـ / 1058م . أبن الصيرفي , أبو القاسم علي بن منجب بن سلمان المصري , (ت 542هـ / 1147م) , الإشارة إلى من نال الوزارة , تحقيق عبدالله مخلص, المعهد العلمي الفرنسي , القاهرة , 1923م , ص 30-35 . وسيشار له لاحقا , أبن الصيرفي , الإشارة .

(5) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 287 .

(6) المقريزي , إغاثة الأمة , ص 92-93 ؛ أبن ميسر , المنتقى , ص 13 ؛ أبن الجوزي , أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد , (ت 597هـ/ 1201م) , المنتظم في تاريخ الملوك والامم , تحقيق : محمد عبد القادر عطا , ط1, دار الكتب العلمية , بيروت , 1992م , ج 16 , ص 5 . وسيشار له لاحقا : أبن الجوزي , المنتظم ؛ المقريزي , الخطط , ج1 , ص 241 .

ما دامت الغلال متوفرة وبأسعار زهيدة واستبدالها بالخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وغيرها , فأمضى الخليفة ما رآه , وأبطل المتجر[1] في الغلة وتوسع الناس بذلك[2] , إضافة إلى أسباب الأزمة هي خلو خزينة الدولة من الأموال بسبب إرسال هذه الأموال إلى أبي حارث البساسيري[3] لأقامة الخطة للفاطميين في بغداد[4] , ثم اشتدت الأزمة سنة 457هـ/ 1064م واستمرت سبع سنوات , فيها انخفض منسوب النيل , وضعفت سلطة الخليفة وسيطرت والدته السيدة رصد على مقاليد الأمور في الدولة , وتخبطت في الإدارة وأوقعت البلاد في فتنة , وسيطر الأمراء على مقاليد أمور الدولة , وكثرت الفتن بين العربان , وحدث قتال عنيف بين طوائف الجند وبخاصة بين السودان والأتراك , أدت هذه الظروف إلى اشتداد الغلاء وقلت الأقوات , وعظم الفساد , وتعطلت الزراعة , وعم الخوف , وكثر الوباء , اصابت البلاد فيما يعرف بالشدة العظمى[5]. فانحط الخراج إلى إلفي ألف دينار عام 463هـ/1071م[6] .

وبعد انتهاء الشدة وبالتحديد سنة 466هـ/ 1073م استقرت الأحوال في مصر بعد قدوم بدر الجمالي[7] (466-487م / 1073-1094م) إلى مصر وسيطرته على مقاليد الأمور في الدولة[8] ,

---

(1) المتجر : هو عبارة عن ما يباع للديوان من بضائع التجار الواردين مما تستدعي إليه الحاجة ويقتضيه الطلب . أبن مماتي , قوانين , ص 327 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 224-225 ؛ المقريزي , الخطط , ج1 , 213 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 5 .

(3) أبو الحارث البساسيري : هو أبو الحارث أرسلان بن عبدالله البساسيري التركي , سمي بالبساسيري نسبة إلى بلد بسا ببلاد فارس , مقدم الأتراك في بغداد , مملوك بهاء الدولة بن بويه , خرج على الخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة 441هـ/1049م , وأخرجه من بغداد , وخطب للخليفة المستنصر بالله الفاطمي صاحب مصر , فاستنجد الخليفة القائم بالسلاجقة وقبضوا عليه سنة 451هـ/1059م . أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج1 , ص 192 . النويري , نهاية الأرب , ج26 , ص 128 ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص 412 .

(4) أبن ميسر , المنتقى , ص 15 .

(5) أبن ميسير , المنتقى , ص 31-35 ؛ المقريزي , إغاثة , ص 98 .

(6) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 287 .

(7) بدر الجمالي : هو أبو نجم بدر الجمالي أمير الجيوش , كان مملوكا لجمال الدولة أبي الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس , تولى امر دمشق من قبل الخليفة المستنصر بالله سنة 455هـ/ 1063 م , استدعاه الخليفة المستنصر لمصر سنة 464هـ/ 1070 م بعد ان توالت عليه المحن . أبن الصيرفي , الإشارة , ص 55-56 . أبن ميسر , المنتقى , ص 39 . أبن حجر , شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني , (ت 852هـ/ 1448م) , رفع الإصر عن قضاة مصر , تحقيق : علي محمد عمر , ط1, مكتبة الخانجي , القاهرة, 1988م, ص 91 . وسيشار له لاحقا : أبن حجر , رفع الإصر .

(8) أبن ميسر , المنتقى , ص 39 .

تحسنت أحوال الدولةنتيجة الأعمال التي قام بها , ومنها حجر على الخليفة المستنصر بالله[1] , فلم يبق له سوى الركوب في العيدين[2] , وألغى ديوان أم المستنصر ,

حيث لم نسمع عن مثل هذه الوظيفة التي ألغيت , ولعل إلغاء هذه الوظيفة دليل واضح على زوال سلطة ام المستنصر التي لم يظهر لها دور في الإدارة في عهد الجمالي[3] , وقام بالقضاء على الفتنة , وضرب رؤوس بعض الأمراء , واخذ في القبض على الأتراك وتتبعهم حتى لم يدع فيهم أحد , وقاتل عرب لواته وهزمهم , وقضى على المفسدين[4] , ثم شرع الجمالي بالإصلاح الزراعي , حيث نادى بأباحة الزرع لمن زرع , وبذر بغير خراج لثلاث سنوات حتى استغنوا فوضع الخراج في السنة الرابعة[5] , نتيجة لهذه الإجراءات زاد خراج مصر فبلغ سنة 478هـ/ 1085م ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف دينار , مما أعرب عنه حسن العمارة وشمول العدل[6] .

أما في عهد الخليفة المستعلي بالله (487-495هـ/ 1094-1101م) فقد بلغ خراج مصر خلال عهد وزيره الأفضل بن بدر الجمالي (487-515هـ/1094-1121م) سنة 510هـ/ 1116م آلفا ألف وسبعمائة ألف وعشرين ألفا وسبعمائة وسبع وستين ديناراً , فضلا عن الأموال التي أسقطتها الدولة عن الرعية لتخفيف الأعباء عليها , فأسقطت من الورق (الفضة) سبعة وستين آلفا وخمسة دراهم , ومن الغلة ثلاثة آلاف ألف وثمانمائة ألف وعشرة آلاف ومائتين وتسع وثلاثين إردبا[7] , حسب ما أورده المقريزي[8] .

وفي سنة 515 هـ / 1121م بلغ خراج مصر خمسة آلاف ألف دينار , ومتحصل الأهراء[9] السلطانية ألف ألف أردب[10] .

---

(1) المقريزي , المقفى , ج2 , ص 397 .

(2) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 5 .

(3) العزام , الدولة الفاطمية , ص 30 .

(4) أبن ميسر , المنتقى , ص 41 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 312 .

(5) أبن حجر , رفع الإصر , ص 94 .

(6) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 287 .

(7) الأردب : مكيال مصري للحنطة يساوي 69,6 كغم للقمح و 56 كغم للشعير . هنتس , المكاييل , ص 59.

(8) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 81 ؛ المقريزي , الخطط , ج1 , 243-244 .

(9) الأهراء : هي مخازن يحمل أليها ما ورد من الغلال السلطانية , من منفلوط والحبس الجيوشي وينفق منها ما يوقع به عليها . أبن مماتي , قوانين , ص 350 .

(10) المقريزي , الخطط , ج1 و ص 288 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 72 .

وفي خلافة الحافظ لدين الله (525-544هـ/ 1130-1149م) بلغ خراج مصر سنة 540 هـ/ 1145م ألف ألف دينار ومائتان ألف دينار , ويعلل المقريزي سبب ضياع الخراج أن ملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق في كلف عمارة الأرض , فإنها تحتاج أن ينفق عليها ما بين ربع متحصلها إلى ثلثه , وبعدها لم يجبى الخراج حتى انقرضت الدولة الفاطمية[1] .

أما تقديرات الخراج خلال العصر الفاطمي فتختلف بالإختلاف المحاصيل الزراعية , فقد أورد ابن مماتي مقادير ما يجب على كل فدان إما بالأردب او بالدينار حتى سقوط الدولة الفاطمية سنة 567هـ / 1171م والجدول رقم (1) يوضح المحاصيل التي تجبى بالأردب[2] .

جدول رقم (1)

اسم المحصول	مقدار الخراج
القمح	عن كل فدان ثلاث أرادب
الشعير	عن كل فدان ثلاث أرادب
الفول	عن كل فدان من ثلاثة إلى اثنين ونصف أردب
الحمص	عن كل فدان أردبان ونصف
الجلبان	عن كل فدان أردبان ونصف
العدس	عن كل فدان أردبان ونصف
السمسم	عن كل فدان من اردب إلى خمس

أما المحاصيل التي كانت تجبى نقدا فقد أوردها ابن مماتي[3] والجدول رقم (2) يوضح ذلك:جدول رقم (2)

اسم المحصول	مقدار على الفدان بالدينار
القرط	1 دينار
الثوم	2 دينار
الترمس	1,25 دينار

(1) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 288 .

(2) أبن مماتي , قوانين , ص 259-260-265 .

(3) أبن مماتي , قوانين , ص 262-270 و ص 276 .

الكمون والكراويا والسلجم	2 دينار
البطيخ الأصفر والأخضر	1-2 دينار
اللوبيا	3 دينار
السمسم	1 دينار
القطن	1 دينار
قصب السكر الرأس	5 دنانير
قصب السكر الخلفة	2 دينار و 5 قراريط
القلقاش	4 دنانير
الباذنجان	3 دنانير
النيلة	3 دنانير
الفجل	1 دينار
اللفت	1 دينار
الخس	2 دينار
الكرنب	2 دينار
البصل	2 دينار
الشجر والكرم	3 دنانير
القصب الفارسي	3 دنانير

أما الكتان فكانت قطيعة الخراج فيه تختلف بأختلاف البلاد, وهو ما تقرر في الديوان ثلاثة دنانير, وفي دلاص[1] يبلغ خراجها ثلاثة عشر دينار, وفي الصعيد حوالي خمسة دنانير[2].

من خلال الجداول يوضح أن الضريبة على الحبوب كانت تقدر بالأرادب على الفدان , أما باقي المحاصيل فإنها غالبا ما تدفع نقدا , حيث تركت ضريبة الخراج تقدر من قبل موظفي الحكومة , فغالبا ما كان يتيح بعض التلاعب في تقدير قيمة الفرق بين ثمن المحصول ووزنه , فقد أوضح ابن مماتي نسب الضرائب المفروضة على المحاصيل والجدول رقم (3) يوضح ذلك[3] .

---

(1) دلاص : هي كورة في صعيد مصر . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 259 .

(2) أبن مماتي , قوانين , 262 .

(3) أبن مماتي , قوانين , ص 259-263 ؛ البراوي , راشد , حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين , ط1, النهضة المصرية , القاهرة, 1948م , ص 331 . , وسيشار له لاحقا : البراوي , حالة مصر .

جدول رقم (3)

اسم المحصول	الغلة بالفدان	مقدار الضريبة
القمح	2-20 أردبا	3 اردب
الحمص	4-10 أرادب	2 أردب
الثوم	10-20 دينار	2 دينار
الترمس	20 أردباً	1.25 دينار
اللفت	4-6 دينار	1 دينار

فإذا قدرنا النسب المئوية فإن متوسط إنتاج الفدان من (8-10) أردباً كانت الضريبة حوالي (30 %) , وفي حالة الحمص فان مقدار الضريبة يرتفع ما بين (25%) و (65%) , وفي حالة اللفت فإن مقدار الضريبة ينخفض ما بين (25%) و (17%) , وإذا حاولنا أن نستخلص متوسط الضريبة العقارية على الفدان لم يقل عن (20 %) من ثمن المحصول[1] .

أما الأراضي الخراجية البور فإنها لم تنجُ من الضرائب , حيث كانت الدولة غالبا ما تلجأ إلى تحويلها إلى مراعٍ تحصل من خلالها على الضرائب المقررة على رؤوس الحيوانات[2] والجدول رقم (4) يوضح ذلك .

جدول رقم (4)

الحيوانات	الضريبة المقدرة بالدينار
الجاموس	في الغالب من (3-4) دنانير ونادرا ما يكون خمسة دنانير في السنة
أبقار الخيس	مقدار ما يتحصله على الراس المرتب ديناران
الأغنام (الكبش والنعجة)	دينار
الأغنام (الثني والنثية)	ثلثا دينار

---

(1) البراوي , حالة مصر , ص 332 ؛ الشوربجي , رؤية الرحالة , ص 73 .

(2) أبن مماتي , قوانين , ص 350-353 ؛ البراوي , حالة مصر , ص 232-233 ؛ الشوربجي , رؤية الرحالة , ص 73-74 .

الأغنام (العبور)	نصف دينار
الشعاري	مقدار ما يتحصل على كل (100) رأس من نتاجها وثمن ألبانها وشعورها (20) ديناراً
النحل	على كل (100) خلية (10) أرطال[1] وما يتحصل منها في السنة من (5) إلى (6) قناطير وعشرون رطلا من الشمع

أما اسلوب جباية الخراج في مصر خلال العصر الفاطمي فكانت تتم عن طريق الضمان أو القبالة , فيذكر ابن حوقل " وأما ما أخرجه مصر فقبالة تقع على كل فدان مقاطعه"[2] , وهو نظام يتعهد الضامن بجباية الخراج في قرية أو عدة قرى , ويتم العمل بها بطريقة المزايدة[3] , يلتزم الضامن بدفع مبلغ من المال إلى الدولة لقاء منحه جباية الخراج من المزارعين لغرض الاستفادة من المبالغ المتبقية كأرباح إيفائه بالالتزامات[4], فكان متولي الخراج يجلس في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في الوقت الذي تتهيأ فيه قبالة الأراضي , وقد اجتمع الناس من القرى والمدن , فيقوم رجل ينادي على البلاد صفقات صفقات , وكتاب الخراج بين يدي متولي الخراج يكتبون ما ينتهي إليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس , وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها اربع سنين لأجل الضمأ والأستبحار[5] .

وكان من تقع عليه قبالة الأرض وضمانها يتولى زراعتها وإصلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك , ويحصل ما عليه من الخراج في إبانة على أقساط ويحسب له مبلغ قبالته وضمانته لتلك الأراضي ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجانها بضرائب مقدرة في ديوان الخراج[6] . وكانت الدولة تشدد في طلب مبالغ الضمان من المتقبلين ,

---

(1) الرطل: هو اثنتا عشرة أوقية وكل أوقية تساوي ثمانية دراهم أي انه كان يزن 300 غم .هنتس، المكاييل ، ص 30.

(2) أبن حوقل , صورة الأرض , ج1 , ص 163 .

(3) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 239 ؛ البراوي , حالة مصر , ص 321 .

(4) الصالح , صبحي , النظم الإسلامية نشأتها وتطورها , ط4 , بيروت , دار العلم للملايين , 1978 , ص 361. وسيشار له لاحقا : الصالح , النظم الإسلامية .

(5) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 239 .

(6) المقريزي , الخطط, ج1 , ص 239 .

ففي زمن الخليفة المعز لدين الله تأخر مبلغ الخراج على المتقبلين , فأوكل الخليفة ليعقوب بن كلس أمر الخراج , فطالب الناس بالبقايا السابقة من المالكين والمتقبلين [1] .

وأحيانا كانت الخلافة الفاطمية تتسامح بالبقايا السابقة من المالكين والمتقبلين فتسقطها عنهم , تبعاً للظروف الاقتصادية التي تمر بها البلاد , فقد حدث ذلك سنة 510هـ / 1116م حيث أسقطت الدولة الأموال على متقبلي الأراضي , فبلغت الأموال التي أسقطتها ألف ألف وسبعمائة ألف وعشرون ألفا وسبع وستون ألفا وخمس دراهم , ومن الغلة ثلاثة آلاف ألف وثمانمائة ألف وعشره الآف ومئتان وتسع وثلاثون أردباً , ومن الأغنام مائتا ألف وخمسه وثلاثون ألفا وثلاثمائة وخمسه رؤوس , ومن البسر وهي خلطة بالرطب والتمر ثلاثمائة وثلاثة عشر قنطار وثمانية وثلاثون رطلا , ومن العسل والخل واحد وأربعون قنطار ومن الشمع أربعمائة وأربعون رطلا , ومن الخلايا ثلاثة آلاف وأربعمائة , ومن الأبقار اثنان وعشرون ألفا ومائة وأربعة وستون رأسا , ومن الجبن ثلاثة وعشرون رطلا[2] .

كانت الخلافة الفاطمية وخاصة في الأوقات التي تصاب فيها بالعجز المالي تقوم بإلغاء عقود التضمين وتمنحه إلى متضمن آخر يدفع أكثر , وكان المستفيد من ذلك موظفو الدولة بما يقدم إليهم من هدايا ورشاوي , إلا أن هذا انتهى عندما قام الوزير البطائحي[3] (515-519 هـ / 1121-1125م) بإصدار منشور يمنع بموجبه أرباب الدواوين من قبول الزيادة وفسخ عقود الضمانات , وإعفاء كافة العاملين والضمناء من قبول الزيادات فيما يتصرفون ما داموا قائمين بإقساطهم[4] .

فلم يترك بعض الخلفاء تقديرات الخراج للمتقبلين , بل حددوها بأنفسهم حتى يحموا الرعية من التعسف , بل كانوا يراجعونها بأنفسهم من وقت لآخر , حيث كانت جباية الخراج تتم بواسطة الملتزمين , فكان الملتزم يظلم الرعية ويشتط في اخذ المال واستعمال وسائل تعسفية لتحقيق أرباحهم [5] .

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 145 ؛ المقريزي , الخطط , ج1 , ص 139 .

(2) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 242-244 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 81 .

(3) المأمون البطائحي : هو أبو عبدالله بن أبي شجاع فاتك بن أبي الحسن مختار المعروف بالبطائحي , تولى وزارة الديار المصرية في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله عقب مقتل الأفضل سنة 515هـ/1122م وعزل بعد اربع سنوات من توليه الوزارة .ابن الصيرفي , الإشارة , ص 62-64 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج5 , ص 299 ؛ أبن ميسر , المنتقى , ص 79 و ص 98 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 81 ؛ البراوي , حالة مصر , ص 324 .

(5) مشرفة , نظم الحكم , ص 200 .

إلى جانب الضمان أو الالتزام كان هناك نظام آخر يقال له الإقطاع , فقد عرفه الخوارزمي بأن يقطع السلطان رجلا أرضا فتصير له رقبتها[1] , فيقال قطع الشيء يقطعه , وأقطعه قطيعة أي طائفة من أرض الخراج , شرط ان تكون قطيعة الأرض لا يملكها أحد , ولا عمارة عليها لأحد , فيجوز للمقطع أن يعمرها[2] .

إن الإقطاع في مصر خلال العصر الفاطمي كان يقسم على قسمين , فالأول سمي إقطاع الاستغلال , وفيه تمنح الدولة الأراضي إلى الوزراء والأمراء والأجناد , مقابل ان يدفع المقطع مبلغا من المال , أما النوع الثاني فسمي إقطاع التمليك , وفيه تتنازل الدولة تنازلا تاما عن جزء من أراضيها إلى بعض الأفراد , وهي الأراضي التي تعد ملكا لبيت المال , فلا هي خراجية ولا عشرية , فقد منحت الدولة بعض أراضيها إلى الأمراء ورجال القبائل كنوع من التمليك [3] , بالرغم أن الإقطاع لم يكن منتشرا في أول الخلافة الفاطمية , الا انه خضع لإشراف الدولة عن طريق ديوان يعرف بديوان الإقطاع[4] , كان الخليفة يشرف عليه ويأمر بتقدير الخراج المفروض على القطيعة[5] .

أما الإجراءات المتبعة لمنح الإقطاع فقد أوردها ابن طوير " إذا خلت كل ناحية من ضامن أو كانت محلوله ورسوم إقطاعها , عمل من ديوان المجلس[6] المقدم ذكره انه أصل الدواوين ارتفاعها خراجها لأربع سنين , سنتين لغاية رخائها , وسنتين لغاية جدبها بالتنقيب على ذلك , ثم يجمع هذا الارتفاع لهذه المدة , ويعتمد أسعار ما بيع فيها من الغلات وغيرها ,

---

(1) الخوارزمي , أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر , (ت 387هـ/ 997م) , مفاتيح العلوم , تحقيق : عثمان خليل , ليدن , 1930م , ص 39 , وسيشار له لاحقا : الخوارزمي , مفاتيح العلوم .

(2) الرازي , زيد الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر , (ت 666هـ / 1267م) , مختار الصحاح , تحقيق يوسف الشيخ , ط5, المكتبة العصرية , بيروت , 1999م , ص 256 . وسيشار له لاحقا : الرازي , مختار ؛ أبن منظور , لسان العرب , ج8 , ص 281 .

(3) البراوي , حالة مصر , ص 322-323 ؛ سيد , الدولة الفاطمية , ص 330-331 ؛ سرور , محمد جمال الدين , مصر في عصر الدولة الفاطمية , القاهرة , مكتبة النهضة , ص197 .

(4) ديوان الإقطاع : يشرف هذا الديوان على ما يقطع للأجناد من الأراضي فقد اقتصر على حفظ السجلات المتعلقة بالإقطاع . أبن طوير , أبو محمد المرتضى عبد السلام الحسن الفهري , (ت 517هـ / 1120م) , نزهة المقتلين في أخبار الدولتين , تحقيق : ايمن فؤاد السيد , ط1, دار صادر , بيروت , 1992م , ص 86 . وسيشار له لاحقا : أبن طوير , نزهة ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 493 .

(5) سعد , أحمد صادق , تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي , ط1 , بيروت , دار أبن خلدون , 1979م , ص 269 .

(6) ديوان المجلس : هو اصل الدواوين في الدولة الفاطمية , وهو المسؤول عن الدولة بأجمعها , وهو المتحدث عن الإقطاعات ويلحق بديوان النظر , أبن طوير , نزهة , ص 75 .

فإذا اجتمع من ذلك مبلغ معلوم أخذ ربعه , وإذا أراد الضامن ان يضمن ناحية كانت مقطعة عمل في معدلها على أصل عبرتها بريعه وما يريده على هذا النحو من البذل" [1] .

أما تقديرات الإقطاع خلال العصر الفاطمي فقد أوردها المقريزي أن يعقوب بن كلس كان اول وزراء الخلفاء الفاطميين بمصر الذي منح إقطاعا في كل سنة بمصر والشام ومبلغها ثلاثمائة ألف دينار[2] , كما اقطع الخليفة الظافر بالله (544-549 هـ/1149-1154م) قرية قليوب[3] إلى نصر بن عباس[4] الصنهاجي [5] . كما كان للعربان إقطاعات في أطراف البلاد , يدفعون للخلافة عن كل ألف دينار مائة دينار[6] .

وكثرت الإقطاعات بعد الشدة المستنصرية نتيجة للهلاك الذي أصاب الناس في مصر وبقيت الأراضي دون وريث , واخذ الأمراء بزيادة أقطاعاتهم , ثم امتدت أيديهم إلى الأجناد الضعفاء فشكى صغار المقطعين من الأجناد من قله تحصيل إقطاعهم وعدم كفايتها في تغطية نفقاتهم والتزاماتهم , فخاطب أبو عبدالله بن فاتك الوزير الأفضل بن بدر الجمالي سنة 501هـ/ 1107م فأمر الوزير بحل جميع الاقطاعات وإعادة توزيعها من جديد فسمح لهم باستثمار الأراضي لمدة ثلاثين سنة , لا يقبل الزيادة , وكتب لهم السجلات على الحكم المتقدم فشملت المصلحة للفريقين , وطابت نفوسهم , وحصل للديوان بلاد مقورة , بما كان مفرقا في الإقطاعات , بما مبلغه خمسون ألف دينار[7] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 86 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 378 .

(3) قليوب : هي قرية تقع شمال القاهرة . أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , هامش ص 297 .

(4) نصر بن عباس : هو نصر بن عباس أبن وزير الظافر بالله وتربى مع الخليفة الظافر , وقتل الخليفة بأمر من والده . أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج1 , ص 237 .

(5) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 297 .

(6) أبن طوير , نزهة , ص 86 .

(7) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 241-242 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج 3 , ص 38-40 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج 28 , ص 177-178 .

ثانيا : الزكاة والنجوى

الزكاة : مأخوذة من زكا الشيء , إذا نما وزاد يقال زكا الزرع والمال يزكو , إذا كثر وزاد , وهو إخراج شيء من المال [1] , وأصل الزكاة هي النماء والطهارة , ويعبر عنها بالصدقة [2] , فيقال : زكا فلان زكا , أي طهر أمواله , فكأن الخارج من المال يذهب جزءا منه إلى دور العبادة والفقراء والمساكين , وتذهب ثلاثة أثمان من قيمة الزكاة إلى الخليفة او السلطان[3] .

فالزكاة ركن من أركان الإسلام , فقد وردت أحاديث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم منها (في المال حق بعد الزكاة)[4] , فأخبرهم ان الله افترض عليهم الزكاة في أموالهم , تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم)[5].

في هذه الأحاديث نص صريح على الزكاة , والغرض منه تحقيق العدالة الاجتماعية بين الفقراء والأغنياء , فقد وردت آيات قرآنية في مصطلح الزكاة , قال تعالى (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا)[6] , وقوله تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[7] .

تعد الزكاة مصدرا من مصادر الدولة الفاطمية المالية , فلم تتدخل الدولة الفاطمية في تحديد مقادير الزكاة , لأن فيها نصاً واضحاً من القرآن الكريم والسنة النبوية , فقد قسم الماوردي الزكاة إلى قسمين , إحداهما ظاهرة تشمل الزرع والثمار والماشية , وأخرى باطنة وتشمل الذهب والفضة , وعروض التجارة [8] , فيذكر ابن مماتي " أن الزكاة تفرض على من اشترى عرضا من عروض التجارة من الرقيق والخيل وغيرها فعال عليه في يده عاما فان بلغ نصاب الذهب أو الورق أدى زكاته , ومن اشترى عبدا للتجارة ونواه للخدمة فلا زكاة عليه حتى يبيعه ويمكث في يده عاما , ومن اشتراه لم تجب عليه زكاة"[9] .

---

(1) القرطبي , أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري , (ت 671هـ/ 1272م) , تفسير القرطبي , تحقيق أحمد البردوني و ط2, دار الكتب المصرية , القاهرة , 1964 م , ج1 , ص 343 . وسيشار له لاحقا : القرطبي , تفسير .

(2) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 145 .

(3) القرطبي , تفسير , ج1 , ص 343 , أبن جبير , أبو الحسن محمد بن أحمد , (ت 614هـ/ 1217م) , رحلة أبن جبير , بيروت , دار صادر , د.ت , ص 16 . وسيشار له لاحقا : أبن جبير , رحلة

(4) البخاري , التاريخ الكبير , ج3 , ص 90

(5) البخاري , صحيح البخاري , تحقيق محمد زهير ناصر , ط1, دار طوق النجاة , بيروت, 2001 م , ج9 , ص 114. وسيشار له لاحقا : البخاري , صحيح .

(6) سورة مريم , الآية : 55 .

(7) سورة التوبة , الآية : 103 .

(8) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 145 .

(9) أبن مماتي , قوانين , ص 311 .

ويتم جباية الزكاة من المسلمين عن طريق الأمناء , يتواجدون في جميع مواني مصر , يصعدون إلى المراكب ويستكشفون ما فيها , فيقومون بإحصاء المسلمين الموجودين فيها , ويتم كتابة أسمائهم وبلادهم , فيسأل كل واحد عما لديه من سلع أو أموال ليؤدي عنها الزكاة[1] .

حدد ابن مماتي[2] جدول ما تجب فيه الزكاة ومصروفها خلال العصر الفاطمي , والجدول رقم (5) يوضح ذلك:

جدول رقم (5)

ت	الصنف	مقدار الزكاة
1	الذهب	إذا بلغ نصابا (20) مثقال[3] فمقدار الزكاة نصف مثقال
2	الورق (الدراهم)	على كل مئتي درهم خمسة دراهم
3	عروض التجارة فتشمل الخيل والرقيق وغيرها	على كل عرض إذا بلغ نصابا من الذهب أو الورق أدى زكاته , ومن اشترى عبدا فلا زكاة عليه حتى يبيعه
4	الإبل	عن كل خمسة شاه , وفي خمسة وعشرين بنتاً مخاضاً أو ابن لبون , وفي ستة وثلاثين بنتاً لبوناً , وفي ستة وأربعين حقة , وفي إحدى وستين جذعة , وفي سبعة وسبعين ابنا لبوناً , وفي إحدى وتسعين حقتان إلىماية عنزة .
5	البقر	كل ثلاثين بقرة عليها تبيع , وعلى الأربعين مسنة , وعلى الستين تبيعان

(1) أبن جبير , رحلة , ص 13 و 16.

(2) أبن مماتي , قوانين , ص 308-313 .

(3) المثقال : كان وزن المثقال في مصر 24 قيراط، كل قيراط 0.195 غم = 4.68 غم أي 1/ 72 من الرطل المصري . انظر: هنتس ، المكاييل ، ص 9- 18.

6	النبات (الشعير والأرز والحنطة والذرة , وكل ما يقات به مثل الحمص والفول والعدس واللوبيا وما أشبهه ... الخ	العشر أذا كان يسقى بالدواليب , ونصف العشر اذا كان يسقى ما فيه كلفة
8	النخل والكرم	العشر إذا كان يسقى سيحا , ونصف العشر إذا كان يسقى بالدواليب

أما النجوى فهي الأموال التي يدفعها المؤمنين من المذهب الإسماعيلي للخليفة الفاطمي , مبلغها ثلاث دراهم وثلث , فيجمع ذلك الشيء الكثير , يحمله النقباء والدعاة إلى الخليفة , فيعرض له الخليفة منه ما يعينه لنفسه , وللنقباء معه[1] , فقد استمد الفاطميين النجوى من قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً)[2] .

وأصبحت النجوى فرضا واجبا على كل من يتبع المذهب الإسماعيلي , ويؤكد ذلك سجل الخليفة المستنصر المؤرخ سنة 481هـ/ 1084م " فقد صارت هذه الصدقات فرضا كفرائض الصلاة والصوم والحج والجهاد , وليس ما يراه أمير المؤمنين من متابعة أوامره بإخراج الفطرة والنجاوى احتذاء يحتذيه ولا اتساع في بيت ماله يلتمسه ويستدعيه , ولكن لما كانت من الفروض اللازمة للإمام على المؤمنين وبهما قوام دين المؤمن , تعين على أمير المؤمنين تعهد أوليائه بحملتها ليرفع لهم في الأعمال الصالحات ويجتنبوا بها ثمرة الباقيات"[3] .

وفي سنة 516هـ/1122م وصلت كتب من ضواحي الدولة الفاطمية تتضمن الأموال التي سيرت مع التجار من المؤمنين المؤيدين للمذهب الإسماعيلي الذين ينزلون عندهم الرسل فبلغ ثلاثة آلاف دينار برسم النجوى[4] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 112 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 337 .

(2) سورة المجادلة , الآية : 12 .

(3) ماجد , عبد المنعم , السجلات المستنصرية , القاهرة , دار الفكر العربي , 1954 , ص 84-85 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 85 .

ثالثا : الجوالي (الجزية)

الجوالي : هي في اللغة تعني جلا , أي جلا القوم عن أوطانهم , يجلون وأجلوا اذ خرجوا من بلد إلى بلد , ويقال أجلاهم السلطان اي أخرجهم فخرجوا , والجلاء بمعنى الخروج من البلاد [1] .

أما في الاصطلاح : فهو اسم يطلق على أهل الذمة الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب (13-23هـ / 634-644م) عن جزيرة العرب , بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم , ثم انتقل اللفظ إلى الجزية التي اتخذت منهم[2].

فالجزية : هي مبلغ من المال يؤخذ من أهل الذمة مما فتح من البلدان المقررة على رقابهم في كل سنة [3] , وهي المفروضة على الذكور البالغين ويستثنى الأطفال والشيوخ والنساء والعبيد والمجانين الفقراء الذين لا كسب لهم , المقيمين في ديار الإسلام يدفعونها لقاء الأمان على نفوسهم وأموالهم [4] .

فقد ورد مصطلح الجزية في القرآن الكريم (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)[5] .

تعد الجزية مصدرا مهما من موارد بيت المال في العصر الفاطمي , فقد قسمت الجزية على أهل الذمة وفقا لثروتهم كما أوردها ابن مماتي والمخزومي[6] إلى ثلاث طبقات :

الطبقة العليا (الأغنياء) يدفع أفرادها أربعة دنانير وسدس , والمتوسطة يدفع أفرادها دينارين وقيراطين[7] , والطبقة السفلى (الفقيرة) يدفع أفرادها ديناراً وثلثاً وربعاً وحبتين [8] , فكانت الطبقة السفلى تشكل غالبية أهل الذمة .

---

(1) أبن منظور , لسان العرب , ج14, ص 149 .

(2) أبو يوسف , الخراج , ص 13 .

(3) أبن سلام , الأموال , ص 209 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 462 .

(4) أبن الفراء , أبو يعلى محمد بن الحسن الحنبلي , (ت 458هـ / 1065م) , الأحكام السلطانية , صححه محمد حامد, دار الكتب العلمية , بيروت , 2000م , ص 161 , وسيشار له لاحقا : أبن الفراء , الأحكام السلطانية . الماوردي , الأحكام السلطانية , ص183 ؛ أبن مماتي , قوانين , ص 317-318 .

(5) سورة التوبة , الاية : 29 .

(6) أبن مماتي , قوانين , ص 318 ؛ المخزومي , المنتقى , ص 35 .

(7) القيراط : مقياس مصري للمساحة , وهو اليوم 24/1 فدان , او 175,035متر مربع . هنتس , المكاييل , ص 98 .

(8) الحبة : هي وزن حبة الشعير العربية , بمقتضاها تساوي الحبة الواحدة 0,0446 غم , وكل درهم يساوي 60 حبة . هينتس , المرجع السابق , ص 25 .

وجرت العادة في جباية الجزية بعد انتهاء السنة الهلالية , وتستخرج عادة في مصر في شهر محرم , ثم صارت تستخرج في أيام ذي الحجة[1].

واستمرت الدولة الفاطمية تجبي الجزية طوال فترة حكمها , وقد بلغت هذه الضريبة في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (495-524هـ/ 1101-1129م) ديناراً وثلثاً وأحيانا تكون دينارين عن كل نفس[2] , ولم يعرف المقدار الحقيقي لما كان يجبى من هذه الضريبة , إلا أنها وردت في إشارات متأخرة بعد زوال الخلافة الفاطمية , فيذكر المقريزي " إن مقدار ما جبى سنة 587هـ/ 1151م مائة وثلاثون ألف دينار[3] , كانت تتم جبايته عن طريق ديوان الجوالي يترأسه كاتب عادل , يقوم بمسح شامل لأهل الذمة في شهر محرم من كل عام [4] .

أما الطريقة المتبعة في جباية الجزية في العصر الفاطمي فيذكر القلقشندي " يتولى جباية الجزية ناظرا[5] ويتبعه مباشرون وعامل وشهود , وتحت يده حاشر[6] اليهود وحاشر النصارى , يعرف أرباب الأسماء في الديوان"[7] .

ويوضح المخزومي الطريقة التي يتبعها القائمون على جباية الجزية وهم المشارف[8] والعامل[9] و الحاشر والجهبذ[10] .

---

(1) أبن مماتي , قوانين , ص 319 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 462 .

(2) الارمني , الكنائس , ص 12 ؛ ماجد , عبد المنعم , نظم الفاطميين ورسومهم في مصر , ط3, مكتبة الأنجلو , القاهرة , 1985 م, ج1 , ص 119 . وسيشار له لاحقا : ماجد , نظم الفاطميين .

(3) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 308 .

(4)القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 462 ؛ المخزومي , المنتقى , ص 35 -36 .

(5) الناظر : هو شخص يتولى أمر الديوان , أو مشارف العمل , ليس لأحد أن ينفرد عنه بشيء إلا بعلمه , ومن لوازمه أن يكون علمه محوطا بضبطه , محفوظا بخطه , وهو المسؤول على كل ما يتم من خلل في معاملته . أبن مماتي , قوانين , ص 298 .

(6) الحاشر : هو موظف من اليهود والنصارى , يساعد الناظر في جباية الجزية من أهل طائفته . أبن مماتي , قوانين , ص 306 . القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 462 ؛ المخزومي , المنتقى , ص 38 .

(7) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , 462 .

(8) المشارف : هو احد موظفي الدواوين , وهو المسؤول على عملية جباية الخراج والجزية , والعمل على إدخال المحصولات المستخرجة على ذمة الخراج إلى بيت المال . أبن مماتي , قوانين , ص 302 . المخزومي , المنتقى , ص 36 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج8 , 218 .

(9) العامل : هو ما يتولى عمل الحسابات ورفعها , والكتابة على ما يرفعه غيره من معاملته منها بالصحة والموافقة , وهو الأصل في الخدمة وكل من الناظر والمشارف وإنما هو لضبطه والشد منه . أبن مماتي , قوانين , ص 303 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج8 , ص 218 .

(10) الجهبذ : كاتب برسم استخراج المال وقبضه , وكتب وصولات به , عليه عمل المخازيم والرزنامات وتولي الختمات , ويطالب بما يقبضه , ويخرج ما يرفعه من الحساب اللازم . أبن مماتي , قوانين , ص 304.

أول ما ينبغي للمشارف والعامل أن يقدما بيانا يشمل مقدار الجوالي مفصلاً بالعدد والطبقات والأسماء , ويعين اسم الحاشر مقرنا بشواهد من أعمال العدد المرفوع من جهة الحاشر , ويساعد الحاشر في أعمال الحصر والجباية أدلاء موجودين في كل ناحية , ويدون الحاشر القيمة الكاملة للمبالغ التي جبيت , كما يستثنى من مات او أسلم وإيجاد الحساب النهائي لكل ناحية[1]

ويقدم كل من المشارف والعامل والجهبذ تعليقا لما يستخرجه , فيقول في بدايته تعليقا مباركا يشتمل على المستخرج من مال الجوالي بالأعمال الفلانية في شهور سنة كذا , ثم يكتب في بداية الورقة الثانية من التعليق اسم الشهر الذي بدا الجباية فيه ثم يكتب تحته فلان بن فلان عن جزيته لسنة كذا وما قبلها , ويعين مبلغ ما أداه المذكور ثم يفصله بسنية وإن كان المحضر لذلك حاشر ناحية قيل من جهة فلان بن فلان الحاشر عن جزيته من يأتي ذكره كذا وكذا , ويفصله بأسماء أربابه وسنيه , ومهما ورد في مستخرج ذلك اليوم أورد على هذا المثال إلى حين انقضاء النهار ثم يعقد جملة النهار في آخره[2] .

ويقيم المشارف والعامل والجهبذ تعليقا يشمل المبالغ المحصلة بالعمل كحساب الجوالي في كل ناحية عن كل يوم متضمن أسماء دافعي الجزية والسنة المستحقة عنها , ويعمل الجهبذ مخزومة[3] , يوقع عليها العامل والمشارف ويحتفظ كل منهم بنسخة , ويعمل كل عشرة أيام روزنامج[4] , يحتفظ كل من العامل والمشارف بنسخة منه[5] .

---

(1) المخزومي , المنتقى , ص 36 .

(2) المخزومي , المنتقى , ص 38 .

(3) المخزومة : هي أشبه بالصحيفة , يسجل فيها أسماء دافعي الجزية والمبلغ المتحصلة منها عن كل يوم , وفي نهاية كل يوم تختم هذه الصحيفة بختمه ويوقع عليها كل من العامل والمشارف على قيمة ما تحصلوه ويحتفظ كل منه بنسخة . الخوارزمي , مفاتيح العلوم , ص 36 . المخزومي , المنتقى , ص 39 .

(4) روزنامج : يعني كتاب تاريخ اليوم , يكتب فيه ما يجري كل يوم من الخراج أو نفقة أو غير ذلك . الخوارزمي , مفاتيح العلوم , ص 36

(5) المخزومي , المنتقى , ص 39 .

وإذا انتهى الشهر ينظم الجهبذ ختمة[1] , تتضمن المستخرج على يده الأعمال , ويعين اسم عامل لشهر كذا بمشارفة فلان وتولى فلان , وإذا انقضت السنة نظم العامل عملا بما اشتمل عليه ارتفاع الجوالي بالأعمال الفلانية لسنة كذا بما اعتمد في أصوله على ما تضمنته أعمال الحاشر ويحتفظ بها كوثيقة في بيت المال[2] .

رابعا : المكوس :

المكوس : هي ضرائب تفرض على كل ما يباع ويشترى في الأسواق [3] , والمكس دراهم تؤخذ من بائع السلع في الأسواق[4] , وأصل المكس هي في اللغة الجباية[5] , والمكس ، جمعه مكوس، وقد جمعت أمكاس ، إن هذه الكلمة التي شاعت منذ أيام الجاهلية اتخذت معنى رسوم الأسواق او ما يفرض من الرسوم على البضائع التي تطرح في الأسواق[6] , والماكس هو العشار الذي يقوم بالجباية[7] , والمقس اسم قرية تقع على ساحل النيل شمال القاهرة , وسميت بالمقس لان الماكس كان يقعد بها ليستخرج منها المكس[8] .

لعبت الدولة الفاطمية دوراً مهماً في التجارة العالمية ، لأن مصر كانت معبراً لتجارة الترانزيت بين الشرق والغرب ، ولا سيما بعد ضعف التجارة عبر الخليج ، لاضطراب أوضاع الدولة العباسية , فصار الطريق الرئيسي للتجارة من الهند والصين إلى عدن وعبر بحر القلزم (الأحمر) إلى ميناء عيذاب[9] ثم ينقل براً إلى مدينة قوص[10] ثم عبر نهر النيل شمالاً إلى مدينة الفسطاط. ومنها عبر الخليج الحاكمي إلى الإسكندرية ، وبذلك فقد كانت تجبي الدولة الفاطمية المكوس الضخمة من مرور السلع الشرقية[11] .

---

(1) الختمة : كتاب يرفعه الجهبذ في كل شهر بما استخرجه من الجمل والنفقات والحاصل , كأنه يختم به الشهر . الخوارزمي , مفاتيح العلوم , ص 37 .

(2) المخزومي , المنتقى , ص 40-41 .

(3) أبن خلدون , العبر , ج1 , ص 345 ؛ أبن منظور , لسان العرب , ج6 , ص 220 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 647 .

(5) الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زركيا القزويني، (ت 395هـ/ 1004م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر , بيروت، 1979م ، ج5، ص 345 . وسيشار له لاحقا : الرازي، معجم المقاييس .

(6) دوزي ، رينهارت , تكملة المعاجم العربية ، ترجمه جمال الخياط , ط1 , دار الشؤون الثقافية , بغداد , 2000م , ج10، ص 94 . وسيشار له لاحقا : دوزي , تكملة المعاجم .

(7) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 647 .

(8) المصدر نفسه , ج2 , ص 647 .

(9) عيذاب : بالفتح ثم السكون، وذال معجمة، وآخره باء موحدة: بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 171 .

(10) قوص : هي مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما ، وهي محط التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , 413 .

(11) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 118 . العزام , الدولة الفاطمية , ص 91 .

وخلال العصر الفاطمي كانت المكوس تفرض على جميع السلع الواردة والصادرة سواء كانت غلات زراعية ام منتجات صناعية التي ترد إلى ثغور مصر كالإسكندرية ودمياط[1] وتنيس[2] وعيذاب , فقد كان يجبى من تجار الروم الوافدين رسوم تتراوح بين (16%) إلى (35 %) إلا ان هذه الضريبة استقرت في أواخر العصر الفاطمي فأصبحت (20%) , أما من التجار المسلمين فإنها تؤخذ العشر أي (10%)[3] . حيث يؤخذ الخمس من تجار الروم مرة واحدة في السنة حتى وان تكرر قدومه عدة مرات خلال السنة نفسها[4] , أما التاجر المسلم فكان يستطيع أن يطوف عاما كاملا أينما شاء من حدود البلاد معفى من المكوس متى دفع العشر , بالإضافة إلى الزكاة التي هي (2,5%) تسمى بعروض عيون التجارة[5] .

كان يؤخذ من تجار الروم رسوم جمركية على البضائع الواردة إلى الموانى المطلة على السواحل المصرية خمسا , ويسمى بالخمس الرومي[6] , وهو ضعف العشر[7] , فيذكر ابن مماتي ما يستادي من تجار الروم الواردين على الثغر بمقتضى ما صولحوا عليه , وربما ما يستخرج منهم عما قيمته مابة دينار ما يناهز خمسة وثلاثين ديناراً , وإنما انحط عن العشرين ديناراً وكله كان يسمى خمسا[8] , حيث أن الحكومة الفاطمية لم تكن تتعامل مع التجار الروم على أساس واحد في فرض المكوس , وإنما كانت المكوس تتفاوت من سلعة لأخرى الأمر الذي يمكن إرجاعه إلى اعتبارات سياسية واقتصادية ,

---

(1) دمياط: مدينة قديمة ببين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم المالح والنيل ، وهي ثغر من الثغور الإسلامية. ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج 2، ص 472.

(2) تنيس: جزيرة في بحر مصر، قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط. ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 51.

(3) أبن مماتي , قوانين , ص 325 ؛ إبراهيم , حسن إبراهيم , تاريخ الدولة الفاطمية , ط4, مكتبة النهضة , القاهرة, ص 550 . وسيشار له لاحقا , إبراهيم , الدولة الفاطمية ؛ سيمينوفا , ل . أ , تاريخ مصر الفاطمية , ترجمة حسن بيومي, المجلس الأعلى الثقافي , القاهرة , 2001م , ص 152 . وسيشار له لاحقا , سيمينوفا , تاريخ مصر .

(4) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 463 .

(5) المخزومي , المنتقى , ص 42 ؛ زيادة , أحمد السيد محمد , التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة الزقازيق , مصر , 2007م , ص 93. وسيشار له لاحقا : زيادة , التجار .

(6) المخزومي , المنتقى , ص 45 .

(7) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 463 .

(8) أبن مماتي , قوانين , ص 326 .

فقد كانت الحكومة الفاطمية تخفض على التجار الروم المكوس إلى نحو نصف العشر على البضائع التي تكون في امس الحاجة إليها وخاصة في المواسم التي تصيب البلاد بالقحط لكي تشجع التجار على حملها إلى البلاد , وخاصة المواد الغذائية مثل القمح والزبيب والزيوت [1] .

شكلت المكوس موردا هاما من الموارد المالية للخلافة الفاطمية , فقد بالغ الفاطميون في فرض الرسوم الجمركية على السلع الواردة إلى مناطق الثغور , وكانت هذه البضائع التي ترد إلى مصر متنوعة ومختلفة لكثرة الطلب عليها , مما دفع الفاطميين إلى فرض مكوس عليها , فكان يؤخذ على القطن والكتان في حال وروده بصحبة التجار الأجانب الخمس[2] , وأما الجلد البقري عن كل جلد قيراط ومبلغه نصف وربع دينار[3] , والجلد الجاموسي والمدبوغ قيراطان ومبلغه دينار واحد ونصف [4] , أما السمك بغير قشور فانه يفرض عليه الخمس كل (100) دينار (30) دينار[5], أما الرسوم على البهار والحرير والذهب والفضة الخمس [6] .

أما بالنسبة إلى طيور البيع والنسناس , إذا صدر بصحبة التاجر الذي يرد إلى الخمس بالبضائع وغيرها على اختلاف أصنافها وأجناسها في حال ورودها أخذ عن كل قفص نصف دينار , وعن كل شخص خمسة دنانير , وإذا صدر صحبة التاجر الغريب الذي لا وارد له اخذ منه عشر الثمن , وعشر عشرة الواجب عن كل شخص نصف دينار [7] .

وفيما يخص الأخشاب والفخار والحديد فكان يؤخذ عن كل مائة دينار عشرون ديناراً , والذهب والفضة والحرير يؤخذ عن كل مائة دينار عشرة دنانير[8] .

أما رسم البرغل الذي يكون وزنه من عشرين رطلا إلى ما دونها سدس دينار[9] , أما صادر الخمس فيؤخذ من كل مركب كبيراً كان أو صغيراً عن رسم حرس مسلم سدس وثمن دينار [10] , ويفرض عن كل مائة أردب ملح دينار وثلثين[11] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 648؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 463 ؛ زيادة , التجار , ص 91 .
(2) المخزومي , المنتقى , ص 15 .
(3) المصدر نفسه , ص 15 .
(4) المصدر نفسه , ص 16 .
(5) المصدر نفسه , ص 16 .
(6) المصدر نفسه , ص 16 .
(7) المصدر نفسه , ص 18 .
(8) المخزومي , المنتقى , ص 22 .
(9) المخزومي , المنتقى, ص 15 .
(10) المصدر نفسه , ص 25 .
(11) المصدر نفسه , ص 27 .

فقد كانت الخلافة الفاطمية تفرض رسوما على المراكب , فالمركب الذي يزيد بيعه عن المائة دينار يفرض على الرئيس دفع ستة دنانير , وعلى البحرية والتجار ثلاثة دنانير لكل منهم بغير المكس[1] .

ولم يكتف الفاطميون بفرض الضرائب على السلع الواردة , فقد فرضت ضرائب على السلع المصدرة من مصر إلى سائر البلدان , ومن المنتجات التي يحملها التجار السكر والشب[2] والنطرون[3] والكتان والمنسوجات الثمينة[4] . كانت مصر تصدر الأقمشة النفيسة المنسوجة بالحرير التي تصنع في الإسكندرية إلى بيزنطة , وروما , التي كان يوهب جزء كبير منها إلى الكنائس والأديرة [5] , وكانت الرسوم المفروضة على النسيج باهظة , فقد أورد المقدسي وناصر خسرو في كلامهم عن تنيس , أنهم كانوا يأخذون الضرائب على النسيج معدل دينارين على الزق[6] عند خروج المنسوجات من المدينة [7] . وأن المنسوجات التي تحمل إلى بغداد وحدها تتراوح قيمتها من عشرين إلى ثلاثين ألف دينار في كل سنة[8] .

أما السلع الصادرة , فكان يفرض عليها إذا صدرت بصحبة التجار الواردين من أنطاكيا وجبلة[9] والشام قوام كل قنطار جوري[10] مبلغة خمسة دنانير[11] , وإذا صدر للتجار الغرباء الذين لا وارد لهم أخذ منهم عن كل قنطار جوري دينار واحد , وعن كل عدل[12] أو حصير ثلثا دينار وحبة[13]

---

(1) المصدر نفسه , ص 25 .

(2) الشب : حجر معروف يحتاج إليه الروم في أشياء كثيرة , وأهمها الصبغ الأحمر , يتوفر في صعيد مصر . أبن مماتي , قوانين , ص 328 .

(3) هو من المعادن الموجودة في الديار المصرية . أبن مماتي , قوانين , ص 334 .

(4) البراوي , حالة مصر , ص 340 .

(5) حسن , زكي محمد , كنوز الفاطميين, دار الرائد العربي , لبنان , 1981 م, ص 116 . وسيشار له لاحقا : حسن , كنوز .

(6) الزق : الزق هو البرمة , او لفة من النسيج , وكذالك يقال له قدر . الرازي , مقاييس اللغة , ج1 , ص 233

(7) المقدسي , أحسن التقاسيم , ص 213 ؛ ناصر خسرو , سفر نامة , ص 92 ؛ البراوي , حالة مصر , ص 346.

(8) أبن حوقل , صورة الأرض , ج1 , ص152 .

(9) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام , وهي من أعمال حلب قرب اللاذقية . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 105 .

(10) القنطار الجوري : يساوي مائة رطل جوري , كل رطل يساوي 312 درهم , أي انه يزن 96,7 كغم . هنتس , المكاييل, ص41.

(11) المخزومي , المنتقى , ص 15 .

(12) العدل : هو نصف الحمل , ويساوي 135كغم . الفيروزآبادي , مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب , (817هـ/ 1414م) , قاموس المحيط , ط8 , مؤسسة الرسالة , بيروت , 2008م, ص 1030 . وسيشار له لاحقا : الفيروزآبادي , القاموس المحيط ؛ هنتس , المكاييل , ص 27 .

(13) المخزومي , المنتقى , ص 15 . الحبة : هي وحدة قياس الوزن وتساوي 0,048 غم . هنتس , المكاييل , ص 25.

, أما الملح فكان يؤخذ عن كل مائة أردب دينار وثلثي دينار , وعن الحبوب والكزبرة واليانسون والكمون عن كل أردب واحد سدس دينار[1] , والحنة عن كل عدل من خمسة خيوش[2] إلى خيشة واحدة نصف دينار , وعن السكر عن كل قفص او خيشة نصف دينار , وعن سمك السلور عن كل ألف حوت ديناران[3] .

إضافة إلى المكوس على السلع الصادرة والواردة , فقد فرض الفاطميون رسوم على حجاج النصارى إلى بيت المقدس , فكانت الضريبة على كل شخص دينار واحد ونصف[4] , وفرضوا مكوسا على الحجاج المسلمين فبلغت سبعة دنانير ونصف عن كل حاج , فيذكر ابن جبير " كان الحجاج يلاقون من الضغط في أستيدائها عنتا مجحفا ويسامون فيها خطة حسف باهظة وربما ورد منهم من لا فضل لديه على نفقته أو لا نفقة عنده , فيلزم أداء الضريبة المعلومة فكانت سبع دنانير ونصف على الرأس"[5] , كذلك لم يسلم حتى الموتى من دفع الضريبة , فيذكر المقريزي سنة 415هـ / 1024م غرق رجل في النيل فطرده الماء إلى الشط , فأراد أهله حمله , فمنعهم أصحاب متولي الصناعة من ذلك , وطالبوهم بدفع ضريبة قدرها ديناران ونصف واجب الصناعة من حق من غرق في النيل , فدفع إليهم ذلك , وحمل الرجل حتى غسل ودفن , إلا أن هذه الضريبة رفعت في عهد الخليفة الظاهر[6], وفرض الفاطميون الضرائب على مقرر السجون , وهي عبارة عما يؤخذ من كل من سجن فلسجانه على حكم المقرر ستة دراهم , وكان على هذه الجهة عدة مقطعين يرغبون فيها الضمان بالمزايدة لكثرة ما يتحصلون منها , فلو تخاصم رجل مع امرأته أو مع ابنه رفعه الوالي إلى السجن , فمجرد ما يدخل السجن حتى وإن لم يقم به إلا لحظه واحدة أخذ منه المقرر[7] .

---

(1) المخزومي , المنتقى , ص 27 .

(2) الخيوش : مفردها خيشة وتساوي رطلين . أبن مماتي , قوانين , ص 363 .

(3) المخزومي , المنتقى , ص 26-28 .

(4) المصدر نفسه , ص 28 .

(5) أبن جبير , رحلة, ص 30 .

(6) المسبحي , الأمير المختار عز الملك محمد بن عبدالله بن أحمد , (ت 420هـ / 1029م) , أخبار مصر , اعتنى بها وحققها : أيمن فؤاد سيد , القاهرة , 1965 م , ج1 , ص 42 . وسيشار له لاحقا : المسبحي , أخبار مصر ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص144 .

(7) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 257 .

كما فرض الفاطميون رسوما على السمسرة , وهي عبارة عن من باع شيئا من الأشياء فأنه يعطي عن كل مئة درهم درهمين [1] , وفرضوا ضريبة على مقرر الفرسان , وهي عبارة عما يجبيه ولاة النواحي من سائر البلاد , فلا يؤخذ درهم مقرر حتى يغرم عليه درهمين [2] , وفرضوا ضرائب على حماية المراكب , وهي عبارة عما يؤخذ من كل مركب بتقرير معين يعرف بتقرير الحماية فيؤخذ من كل من ركب البحر للسفر , سواء كان من السوال والمتسولين[3] , وكذلك فرض الفاطميون مكوسا على كنوز الأرض فبلغ مقدار الضريبة خمسا[4].

أما مقدار المكوس التي جبيت في مصر خلال العصر الفاطمي فيذكر الأرمني أن مقدار المكوس التي جُبيت في عهد الخليفة المستنصر بالله من الإسكندرية ودمياط وتنيس مقدارها ستون ألف دينار[5] , ومن الفسطاط وحدها أثنا عشر ألف دينار في اليوم , وما جبي من المكوس في كل من تنيس ودمياط والأشمونيين في اليوم مائتي ألف وعشرون ألف دينار , وكانت تنيس وحدها تمد خزانة الخلافة الفاطمية يوميا بمبلغ قدره ألف دينار[6] .

أما المكوس التي جبيت سنة 458هـ/1066م من مدينة الفرما[7] فبلغت ثلاثين ألف دينار[8] , تعتبر المدينة مركزا هاما لجباية المكوس من التجار اليهود الذين كانوا يمرون بها في الطريق الشرق , ثم يمرون بها عند عودتهم إلى الغرب[9] .

---

(1) المصدر نفسه , ج1 , ص 257 .
(2) المصدر نفسه , ج1 , ص 258 .
(3) المصدر نفسه , ج1 , ص 258 .
(4) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 129 .
(5)الأرمني , كنائس , ص 65 .
(6) أبن ميسر , المنتقى , ص 164 ؛ ناصر خسرو , سفر نامة , ص 79 ؛ مشرفة , نظم الحكم , ص 219.
[7] الفرما : مدينة على الساحل من ناحية الفسطاط , تنزله العساكر والتجار . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 255 .
[8] Goitein , S.D , From Mediterranean to India documenton the Traade to India , magazin Speculum , Issue 29 , Part 1,pp 38. And it will bereferred tolaer : Goitein , trade .
[9] أبن خرداذبة , المسالك والممالك , ص 153-154 . زيادة , التجار , ص 90 .

أما المكوس المجباة من تجار الروم من مدينة الإسكندرية سنة 563هـ/1168م فبلغت حوالي سبعمائة وثمان وخمسون ديناراً وأربعة عشر ديناراً[1] .

على الرغم من أن الضرائب تمثل مورداً هاما من موارد بيت المال في مصر خلال العصر الفاطمي , إلا أن الدولة كانت أحيانا تسقط المكوس عن بعض البضائع , فيذكر ابن ميسر أن الخليفة الحاكم بأمر الله أمر في سنة 386هـ / 996م بإلغاء المكوس التي كانت تؤخذ من الساحل , فكثر الدعاء له [2] , وفي سنة 387هـ/ 997م أسقط من أهل القلزم[3] مما يؤخذ من مكوس الراكب[4] , و كذلك تابع الخليفة بإعفاء الناس من المكوس وفي سنة 398هـ / 1007م أبطل المكوس والمؤن التي كانت تؤخذ من المسافرين عن الغلال والأرز [5] , ثم أعيدت سنة 399هـ / 1008م المكوس التي رفعت [6] .

وفي سنة 401هـ / 1010م أبطل الخليفة الحاكم بأمر الله عدة جهات من المكوس والرسوم ومنع الغناء واللهو ومنع المسكرات وألا يجتمع الناس في الصحراء , ومنع النساء من ارتياد الحمامات [7] .

وفي سنة 403هـ/ 1012م أمر الخليفة الحاكم بأمر الله الحسن بن ظاهر[8] ناظر الأموال برفع المكوس على جميع الغلال الواردة إلى الساحل , وكذلك رفع المكوس عن دار الفاكهة , ورفع كافة الرسوم والمكوس التي جرت العادة بأخذها[9] .

---

[1] Goitein , trade , pp 38 .

(2) أبن ميسر , المنتقى , ص 179 .

(3) القلزم : بلدة على ساحل بحر اليمن من جهة مصر , وهي كورة من كور مصر , إليها ينتسب بحر القلزم , وبالقرب منها غرق فرعون , بينها وبين مصر ثلاثة أيام . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 387 .

(4) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 595 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 15 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 74 .

(6) المصدر نفسه , ج2 , ص 79 .

(7) المقريزي , اتعاظ , ج2 , 87 ؛ المقريزي , الخطط , ج3 , ص 247 .

(8) الحسين بن طاهر : هو أبو عبدالله الحسين بن طاهر الوزان , استوزره الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 403هـ / 1012م , تولى أمر بيت المال إلى أن قتل سنة 405هـ / 1014م . الصيرفي , الإشارة , ص 29 .

(9) الدوداري , الدرة المضيئة , ص 286 . الأنطاكي , يحيى بن سعيد بن يحيى , (ت 458هـ/ 1066م) , تاريخ الأنطاكي , تحقيق : عمر عبد السلام التدمري, مطبعة جروس , لبنان , 1990م , ص 302 . وسيشار له لاحقا : الأنطاكي , تاريخ .

وفي عام 411هـ / 1020م أعادت ست الملك شقيقة الخليفة الحاكم(411-414هـ / 1020-1023 م) جميع المكوس التي أبطلها الخليفة الحاكم بأمر الله خلال فترة وصايتها على ابن أخيها الخليفة الظاهر لإعزاز لدين الله (411-427هـ/1020-1035م)[1] , يذكر الأنطاكي " وقبضت السيدة على جميع الإقطاعات التي أقطعها الحاكم , وأعادت المكوس إلى ما كانت عليه قبل تسامح الحاكم بها , وقطعت كثيراً من الأرزاق والرواتب التي أجراها[2] .

ومن الواضح أن الدولة الفاطمية كانت تلجأ أحيانا إلى إلغاء المكوس وخاصة أثناء ارتفاع أسعار الحبوب والمواد الغذائية بهدف التيسير على الناس وكسب ولائهم , فيذكر المسبحي أن متولي الحسبة قرأ سجلا في شوارع مصر الفسطاط أثناء أزمة الحنطة التي مرت بها مصر سنة 415هـ / 1024م بحطيطة جميع المكوس من سواحل مصر عن سائر أصناف الغلات عن أهلها الواردة إلى سواحل مصر الفسطاط , حتى أصبحت الأخباز كثيرة متوافرة في الأسواق , وكثر الخبز والدقيق[3] .

وقد زودنا المقريزي بقائمة السلع ومقدار المكوس المفروضة عليها سنويا خلال العصر الفاطمي[4] مفصلة كما مبين في الجدول التالي .

جدول رقم (6)

ت	اسم المكس	مقدار المكس
1	مكس البهار وعمالها	33,364 دينار
2	مكس البضائع والقوافل وعمالها	9,350 دينار
3	مكس منفلت الصناعة وتشمل النحاس والقصدير والمرجان .	5,193 دينار
4	مكس الصادر عن الصناعة بمصر .	6,666 دينار
5	مكس سمسرة التمر .	300 دينار

(1) أبن المقنع , ساويريس , (ت 377هـ/987م) , تاريخ مصر من بدايات القرن الأول للميلاد حتى نهاية القرن العشرين من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة , تحقيق : عبدالعزيز جمال الدين , ط1, مكتبة المدبولي , القاهرة , 2006 م , ج3 , ص 517 . وسيشار له لاحقا : أبن المقنع , تاريخ .

(2) الأنطاكي , تاريخ , ص 373 .

(3) المسبحي , أخبار مصر , ج1, ص 75 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 166 .

(4) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 298 .

6	الفندق بالمنية عن مكس البضائع .	856 دينار
7	مكس رسوم دار القند .	3,108 دينار
8	رسوم الخشب الطويل والملح .	676 دينار
9	رسوم العلب المنسوبة إلى بلبيس والبوري .	100 دينار
10	رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره .	217 دينار
11	خيمة أرمنت عن الوارد إليها .	67 دينار
12	سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمسرة وعبور الأغنام بالجيزة .	3,311 دينار
13	عبور الأغنام والكتان والأبقار بباب القنطرة .	1,200 دينار
14	واجب ما ورد من الكتان الحطب إلى الصناعة .	200 دينار
15	رسوم واجب الغلات وتشمل الحبوب الواردة إلى الصناعة والمقس[1] والمنيا والجسر والتالين ومفالت جزية الذهب وطموم ومنبر الدرج .	6000 دينار
16	مكس ما يرد إلى الصناعة من الأغنام .	36,000 دينار
17	الأغنام البيتوتية .	12 دينار
18	العرصة والسرسناوي بالجيزة ومكس الأغنام .	190 دينار
19	منفلت الفيوم عما يرد من الكتان من القبلة ومن البضائع الواردة إلى الفيوم وغيره .	4,160 دينار
20	مكس الورق المجلوب إلى الصناعة ورسم التفتيش .	200 دينار
21	الحصة بساحل الغلة والأقوات والرسائل .	768 دينار
22	دار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة .	1,700 دينار
23	رسم ابن المليجي .	200 دينار
24	دار الجبن .	1,000 دينار

(1) المقس : بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، يقال: مقسته في الماء مقسا إذا غططته فيه، والمقس كان في القديم يقعد عندها العامل على المكس فقلب وسمي المقس : وهو بين يدي القاهرة على النيل ، وكان قبل الإسلام يسمى أمّ دنين، وكان فيه حصن ومدينة قبل بناء الفسطاط . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج 5, ص175 .

25	مشارفة الخزائن .	240 دينار
26	واجب الحلي الوارد من الوجه البحري والقطن .	1,020 دينار
27	رسم سمسرة الصفا .	1,200 دينار
28	منفلت الصعيد .	161 دينار
29	خاتم الشرب والديبقي .	1,500 دينار
30	مكس الصوف .	200 دينار
31	مكس الموردة بساحل المقس .	14 دينار
32	دكة السمسار .	350 دينار
33	منفلت العريف بالصناعة وحملة البهار والبضائع .	216 دينار
34	الحلفاء الواردة من القبلة .	135 دينار
35	الوقد والسرقين والطعم بدار التفاح ومنفلت القبلة بالتبانيين والجسر .	35 دينار
36	رسوم الصفا والحمراء ورسوم دار الكتان .	60 دينار
37	حماية الغلات بالمقس ودار الجبن .	140 دينار
38	الحلفاء الواردة على الجسر ومعدية المقياس .	100 دينار
39	خمس البرنية بالجيزة .	20 دينار
40	تل التعريف بالصناعة .	28 دينار
41	منفلت الغلاة بمعدية جزيرة الذهب .	10 دنانير
42	رسوم الحمام بساحل الغلة .	534 دينار
43	واجب الحناء الواردة في البر .	800 دينار
44	واجب الحلفاء والقصاب .	63 دينار
45	مكس ما يرد من البضائع إلى المنية .	184 دينار
46	مسلخة شطنوف والبرانية .	200 دينار
47	سوق السكرين .	50 دينار
48	رسوم خيمة الجملى بالشارع وسوق وردان .	19 ديناراً
49	واجب الفحم الوارد إلى القاهرة .	10 دنانير

50	معدية الجسر بالجيزة .	120 ديناراً
51	خيمة البقري .	40 ديناراً
52	الخيمة بدار الدباغة .	19 دينار
53	سمسرة الحبس الجيوشي .	312 دينار
54	دكان الدهن ومعصرة الشيرج والخل بالقاهرة .	500 دينار
54	الخل الحامض ومن معه .	400 دينار
55	بيوت الغزل والمسطبة .	350 ديناراً
56	ذبائح الأبقار .	1,000 دينار
57	سوق السمك بالقاهرة ومصر .	1200 دينار
58	رسوم الدلالة .	300 دينار
59	سمسرة الكتان .	300 دينار
60	رسوم حماية الصناعيين .	400 دينار
61	مربعة العسل .	232 ديناراً
62	معادي جزيرة الذهب وغيرها .	300 دينار
63	خاتم الشمع بالقاهرة .	63 ديناراً
64	زريبة الذبيحة .	700 دينار
65	رسم معدية المقياس .	200 دينار
66	رسم حمولة اللفت .	330 ديناراً
67	دكة الدباغ .	800 دينار
68	سوق الرقيق .	500 دينار
69	معمل الطبري .	240 دينار
70	سوق منسوبه .	164 ديناراً
71	ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل السنطة .	10 دنانير
72	نخ السمك .	5 دنانير
73	تنور الشوي .	100 دينار

74	نصف الرطل من مطابخ السكر .	135 ديناراً
75	سوق الدواب بالقاهرة ومصر .	400 دينار
76	سوق الجمال .	250 ديناراً
77	قبان الحناء .	30 ديناراً
78	واجب طاقات الأدم .	36 ديناراً
79	منفلت الخام بالشاشين .	33 ديناراً
80	أنولة القصار .	40 دينار
81	بيوت الفروج .	30 ديناراً
82	الشعر والطارات	4 دنانير
83	رسوم الصبغ والحرير	300 دينار
84	وزن الطفل .	140 ديناراً
85	معمل المزر .	84 ديناراً
86	الفاخور بمصر والقاهرة .	236 ديناراً

نرى من خلال الجدول السابق أن هذه الرسوم كانت تشكل عبئاً كبير على المجتمع المصري , وكانت غالبا ما تؤثر على حركة التجارة , فقد ذكر ابن خلدون أن كثرة المكوس تؤدي إلى تدهور المدن قائلا " إن استحداث أنواع الجباية المفروضة على البياعات من قبل صاحب الدولة , ويفرض لها قدرا معلوما على الأثمان في الأسواق وعلى أعيان السّلع في أموال المدينة وهو مع هذا مضطرّ لذلك بما دعاه إليه طرق النّاس من كثرة العطاء من زيادة الجيوش والحامية وربّما يزيد ذلك في أواخر الدّولة زيادة بالغة فتكسد الأسواق لفساد الآمال ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدّولة ولا يزال ذلك يتزايد إلى أن تضمحلّ. وقد كان وقع منه بأمصار المشرق في أخريات الدّولة العبّاسيّة والعبيديّة"[1] .

(1) أبن خلدون , العبر , ج1 , ص 346 .

فقد بلغت قيمة المكوس التي أسقطها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 564هـ/1169م نيف وألف ألف دينار , وألفي ألف أردب من الغلة , ويدل هذا المبلغ على الحجم الكبير للمكوس التي جبيت خلال العصر الفاطمي [(1)] , ولعل السبب في زيادة المكوس خلال العصر الفاطمي هو نقص الخراج والذي كان سببه تدهور الأحوال الاقتصادية وقصور نهر النيل , والشدة التي أصابت مصر في عهد المستنصر بالله , والاضطرابات التي خلفتها الأجناد خلال تلك الفترة , مما أدى إلى انتقاص الإيرادات وهجر الفلاحين للأراضي الزراعية .

خامسا : المصادرات

المصادرات هي كلمة مشتقة من صادر , فيقال صودر فلان العامل على مال يؤدي أي فورق على مال ضمنه , والصادر هو المنصرف , يقال صادرت مال فلان , أي صرفته عنه[(2)] , فقيل فلان له مال صادره أي أخذه منه[(3)] , وقيل فلان يعرف موارد الأمور ومصادرها , وصادرت فلان على هذا الأمر من نجح وتصادروا على ما شاءوا[(4)] .

تعد المصادرات من الموارد الرئيسية لبيت المال خلال العصر الفاطمي , ويعتبر من الضرائب غير الشرعية , ويعني بالمصادرات الاستيلاء على أموال كبار رجالات الدولة بعد عزلهم أو قتلهم نتيجة لسخط وغضب الخليفة , فكان كل من يسخط منه الخليفة يعزله أو يقتله ويصادر أمواله , ويودعها في بيت المال ثم أصبح هناك ديوان يعرف بديوان الفرد[(5)] , وهو متصل بديوان المواريث[(6)] .

---

(1) أبو شامة , الروضتين , ج2 , ص 120-121 ؛ المقريزي , الخطط , ج1 , ص 32 .

(2) أبن منظور, لسان العرب , ج4 , ص 447-449 .

(3) الفيروزآبادي , قاموس المحيط , ص 1258 .

(4) الزمخشري , أبو القاسم محمود بن عمروا بن أحمد جارالله , (ت538هـ/1143م) , أساس البلاغة , تحقيق : محمد باسل , ط1, دار الكتب العلمية , بيروت, 1998م , ج1 , ص 540 .

(5) ديوان الفرد : هو ديوان أحدثه الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 400هـ /1009م برسم من يقبض ماله من المقتولين أو يسخط عليهم الخليفة , المقريزي , الخطط ,ج2 , ص 398 . المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 81.

(6) مشرفة , نظم الحكم , ص 215 ؛ بني عامر , هارون أحمد , الأسرة الجمالية ودورها في الدولة الفاطمية , رسالة ماجستير غير منشورة , الجامعة الأردنية , 2002م , ص 143 . وسيشار له لاحقا : بني عامر , الأسرة الجمالية .

تفرض المصادرات من قبل الخليفة في حالات عده منها غضبه على أحد أمرائه , أو وزرائه نتيجة سوء تصرف منه , أو لاستغلال منصبه بشكل سيء أو لازدياد نفوذ احد الأشخاص فتصادر الخلافة أمواله , وكان كثير من أهالي أو حاشية الخليفة المعزول او المتوفى تصادر أمواله , مثلما حصل مع الوزير يعقوب بن كلس , عندما غضب عليه الخليفة العزيز بالله سنة 373هـ/ 983م وصادر أمواله وحبسه لشهرين , وحمل من ماله مئة ألف دينار ثم أفرج عنه بعد ذلك , وأعاده إلى الوزارة في العام التالي[1] , ثم قام يعقوب بسم أفتكين[2] وقتله , مما اغضب الخليفة العزيز بالله وسجنه أربعين يوما , وصادر أمواله , فبلغت خمسمائة ألف دينار[3] .

وفي سنة 380هـ/990م صادر الخليفة الحاكم بأمر الله أموال وزيره عيسى بن نسطورس[4] فبلغت ثلاثمائة ألف دينار , وذلك لتعصبه للنصارى ومحاباتهم [5] .

وفي عام 386هـ / 996م قبض الخليفة الحاكم بأمر الله على الوزير عيسى بن نسطورس النصراني وقتله , فصادر أمواله البالغة سبعمائة ألف دينار نتيجة تكرار سوء معاملته للمسلمين[6] . ولم يكن الخليفة يصادر أموال الوزراء والرعية فحسب , بل تعدى ذلك إلى مصادرة أموال أهل بيته , فيذكر الأنطاكي في سنة 399هـ / 1008م أن الخليفة صادر سائر أموال وعقارات والدته وأخته وعماته وخواصه من النساء وجميع أملاكهن وإقطاعهن من الدور والأجنحه والحمامات في مصر والقاهرة[7] , كذلك صادر رجال دولته في الشام فقبض على العمال المتصرفين وألزمهم بمئتي ألف دينار , وبعث نوابه إلى دمشق وطبرية والسواحل فأمرهم بمصادرة أموالهم [8].

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 262 .

(2) أفتكين : هو مولى معز الدولة بن بويه , صاحب دمشق , أخذ أسيرا إلى الخليفة العزيز بالله وأحسن أليه . أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج4 , ص 54 .

(3) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 99 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4 و ص 67 .

(4) عيسى بن نسطورس : هو عيسى بن نسطورس النصراني المصري , من وزراء الحاكم بأمر الله استوزره الحاكم سنة 386هـ/ 996م وقتل في نفس السنة . أبن الصيرفي , الإشارة , ص 33 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 297 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 104 .

(6) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 105 .

(7) الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 297 .

(8) أبن القلانسي , حمزة بن أسد بن علي بن محمد , (ت555هـ/ 1160م) , ذيل تاريخ دمشق , تحقيق : سهيل زكار , ط1, دار حسان للنشر والطباعة , دمشق , 1983م , ص 97 . وسيشار له لاحقا : أبن القلانسي , ذيل دمشق .

وأمر الخليفة في سنة 390 هـ / 999م بقتل الوزير برجوان[1]القائم بتدبير أمور القاهرة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله , فصودرت أمواله, ومن جملة موجوداته ألف سروال ديبقي , وألف تكه حرير, وألف نافجة[2] مسك, ومن الجواهر والأواني والملابس والمتاع ما قيمته خمسمائة ألف دينار, وأربعة آلاف دابة, ومن العين ثلاثون ألف دينار , ومائة وخمسون سرجا , منها عشرون من الذهب, ومن الكتب شيءٌ كثير[3], كما صادر الخليفة أموال الحسين بن جوهر وصهره عبدالعزيز بن محمد بن النعمان سنة 399هـ / 1008م وأودعت سائر أملاكهم وأقطاعهم في بيت المال, فوجد له سبعة آلاف مبطنة حرير, وتسع مثارد صيني أسود فنصوري مملوء حب كافور فنصوري , وزن كل حبة ثلاثة مثاقيل[4] .

وسار الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله على خطى والده في المصادرات , ففي سنة 413هـ / 1022م صادر أموال وزيره بدر الدولة[5] بعد أن قبض عليه وقتله , فوجد معه من العين ما يساوي ستمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار[6] .

فلم تقتصر المصادرات على الخلفاء, بل نجد بعض الوزراء العظام والأمراء والجند في الدولة الفاطمية في العصر الفاطمي الثاني يقومون بمصادرة أموال الخليفة نتيجة ضعف سلطة الخلافة تعول أمام الوزراء, ففي عهد الخليفة المستنصر بالله صادر الأمراء والجند خزائن الخليفة المستنصر بالله خلال سنتي 460-461هـ / 1068-1069م عندما طالبوه بالزيادات والرسوم والواجبات فلم يدفع لهم, فصادروا ذخائر التحف في قصور الخلافة ومنها خمسون ألف قطعة من الخسرواني (وهو نوع من القماش الفاخر)

---

(1) برجوان : هو الأستاذ أبو الفتوح برجوان أبو العلا فهد بن إبراهيم النصراني , الذي ينسب إليه حارة برجوان بالقاهرة , وكان من خدام العزيز صاحب مصر ومدبري دولته وكان نافذ الأمر مطاعا , نظر في أيام الحاكم بأمر الله في ديار مصر والحجاز والشام والمغرب , استوزره الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 387هـ / 997م إلى ان قتل سنة 393هـ/1002م على يد أبي الفضل زيدان الصقلي . أبن الصيرفي , الإشارة , ص 27 -28 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص14 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج1 , ص 270 .

(2) نافجة : هي اشبه بوعاء يوضع فيه المسك للتطيب به . أبن منظور , لسان العرب , ج3 , ص 50 .

(3) الدوداري , الدرر , ص 265 ؛ أبن الصيرفي , الإشارة , ص 28 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 30 .

(4) الزبير , الرشيد بن أحمد القاضي , (ت ق 5 هـ / 11م) , الذخائر والتحف , تحقيق : محمد حميد الله, سلسلة دائرة المطبوعات والنشر , الكويت , 1959م , ص 233 . وسيشار له لاحقا الزبير، الذخائر؛ الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 284-285 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 82 .

(5) بدر الدولة: هو بدر الدولة أبو الفتوح موسى بن الحسن المصري , كان يتولى الشرطة السفلى , وتولى ديوان الإنشاء سنة 412هـ/ 1021م , واستوزره الخليفة الظاهر سنة 413هـ / 1022م , ومدة وزارته تسع أشهر . أبن الصيرفي , الإشارة , ص 34 .

(6) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 39 .

أكثره مذهب , ومئه كأس بأزهر , ومن الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها عددها مائتا ألف , وصناديق كثيرة مملوءة بالسكاكين مذهبة ومفضضة, وظرائف مملوءة من سائر أنواع الصواني المدهونه بالذهب , وحصير ذهب وزنه عشرة أرطال, ومن خزائن الفضة ما يقارب ألف ألف درهم , وخمسة آلاف سرج, كل سرج يساوي سبعة آلاف دينار, وأربعة آلاف نرجسية فضة محرقة بالذهب , وستة وثلاثون ألف قطعة بلور من سائر أنواعه, ومن التماثيل العنبر اثنا وعشرون ألف قطعة كل تمثال وزنه اثنا عشر منا[1], ومن الفرش أربعة آلاف رزمة خسرواني مذهب , في كل رزمة فرش مجلس لم تلمس, ومن القناديل ومداخن ومجامر وحلي المحاريب الموجودة في مدافن إجداده ما يقدر بخمسين ألف دينار, وسرير الملك وفيه من الذهب الخالص مئة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال, مرصوع بألف وخمسمائة وستون قطعة جوهر من سائر ألوانه ...الخ [2].

وفي سنة 436هـ/1044م توفي الوزير الجرجرائي[3] , فوجد له سبعمائة صينية من الذهب والفضة , ومائة ألف مثقال عنبر[4] , كذلك قام الخليفة المستنصر بالله نفسه بمصادرة أموال وزيره اليازوري سنة 449هـ/ 1057م بسبب الأزمات الاقتصادية من خلال إفراغ مخازن الغلال وسوء إدارته التي تسببت بخروج افريقية وحلب عن المستنصر [5] .

وفي عام 450هـ/1058م تولى الوزارة بعد اليازوري أبو فرج البابلي[6] كان من جملة أصحاب الدواوين فقبض عليه الوزير أبو البركات[7] , فصادره على عشرة آلاف دينار[8] ,

---

(1) المن : من يساوي شرعا رطلين . هنتس , المكاييل , ص 45 .

(2) الزبير, الذخائر, ص 249-263 .

(3) الجرجرائي : هو أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني , من قرية من سواد العراق , ولي ديوان النفقات سنة 406هـ /1015م , وفي 413هـ / 1022م تولى أمر الخراج , ثم استوزره سنة 418 هـ/1027 في عهد الخليفة الظاهر إلى أن توفي في عهد الخليفة المستنصر . أبن الصيرفي , الإشارة , ص 35-36 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج2 , 190 .

(5)أبن ميسر , المنتقى , ص 16 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 149 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج 28 , ص 142 .

(6) أبو فرج البابلي : هو أبو الفرج عبدالله بن محمد البابلي , تولى الوزارة ثلاث مرات سنة 450هـ / 1058م و 452هـ / 1060 م و 454هـ/ 1062م , فكانت كل مدة وزارته لا تتجاوز الاربع شهور او اقل . أبن الصيرفي , الإشارة , ص 46 .

(7) أبو بركات : هو عماد الدولة محمد اخو الوزير أبو القاسم الجرجاني , تولى الوزارة سنة 440هـ/ 1048م وفي أيامه كثرت المصادرات والبطش . أبن الصيرفي , الإشارة , ص 38-39 .

(8) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 247 .

وفي سنة 469هـ/ 1076م صادر الوزير بدر الجمالي أموال العربان من صعيد مصر بعد أن تغلب عليهم وحمل أموالهم إلى الخليفة المستنصر[1] , ثم خرج الأوحد بن بدر الجمالي على أبيه وتحصن في الإسكندرية , فسار إليه والده وقبض عليه وصادر أمواله وأموال الإسكندرانيين فابتنى بها جامع العطارين[2] .

كذلك صادر أمير الجيوش بدر الجمالي أموال الدكز[3] عام 466هـ / 1073م فوجد له أثني عشر ألف دينار , ومن الجواهر الشيء الكثير[4] , ثم قام بمصادرة أموال عرب لواته , فقتل وأسر أمراءهم فخفضت الأسعار ورجعت إلى السابق[5] .

لما توفي بدر الجمالي سنة 487هـ/ 1094م بلغ حجم تركته سبعمائة غلام , وست آلاف ألف دينار , وأربعمائة ألف ألف درهم في دار الوزارة , ومن الجواهر والياقوت أربعة صناديق , ومن القصب الفضة والذهب والمراتب ما يعجز عن وصفه , وخلف ألف قصبة زمرد[6] .

أما في عهد ولده الأفضل بن بدر الجمالي , فيذكر أبن ميسر أنه كان من العدل وحسن السيرة في الرعية والتجار , ولم يعرف أحد في زمانه صودر[7] .

وفي عام 515هـ/ 1121م صودرت أموال الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بعد مقتله , فأقام الخليفة الآمر بأحكام الله في دور الأفضل في القاهرة أربعين يوما , والكتاب بين يديه يحصون ما ينقل إلى القصر , فوجد له من الذخائر النفيسة ما لا يحصى , ووجد له من العين ستة آلاف ألف دينار , وفي بيت الخاصة ثلاثة آلاف ألف دينار , وفي البيت البراني ثلاثة آلاف ألف ومئتين وخمسين ألف دينار , وخمسين أردب دراهم ورق , وثلاثين راحلة من الذهب العراقي المغزول ,

---

(1) أبن ميسر , المنتقى , ص 43 .

(2) أبن ميسر , المنتقى, ص 46 .

(3) الدكز : الملقب بأسد الدولة وهو شيخ الأتراك والمقدم عليهم , المخالفين على أبن حمدان . أبن تغري بردي و النجوم الزاهرة و ج5 , ص 16 .

(4) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 25 .

(5) أبن ميسر , المنتقى , ص 41 . أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 26 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 331 .

(7) أبن ميسر , المنتقى , ص 83 .

وعشرة بيوت في كل بيت منها عشرة مسامير ذهب و كل مسمار وزنه مئتا مثقال عليها العمائم المختلفة الألوان , وتسعمائة ثوب ديباج , وخمسمائة صندوق من دق دمياط وتنيس برسم كسوة بدنه , ولعبة عنبر على قدر جسده برسم ما يعمل عليها من ثيابه ليكسب الراحة , ومن الطيب والنحاس والآلات ما لا يحصيه عدد , ومن الأبقار والجاموس والأغنام والجمال ما بلغ ضمان ألبانه ونتاجه أربعون ألف دينار في السنة , وأدوات يكتب منها مرصعة بالجواهر قوم جوهرها باثني عشراً دينار , وخمسمائة ألف مجلد من الكتب[1] .

وبعد مقتل الأفضل تولى أمر الوزارة المأمون البطائحي , فقام بمصادرة الأموال التي سيرها ابن صباح برسم نفقة المقيمين بمصر[2] , وفي سنة 519هـ/ 1125م قبض الخليفة الآمر بأحكام الله على وزيره المأمون وأخيه أحمد المؤتمن وصادر أموالهم وذخائرهم ثم قتلهم سنة 522هـ/ 1126م [3].

بعد مقتل المأمون قام أبو نجاح[4] بمصادرة أموال النصارى البالغة مائة ألف دينار , وكان هذا خلال خلافة الآمر بأحكام الله , ثم أطلق يده فيهم حتى عم البلاء جميع رؤساء مصر وقضاتها وكتابها وسوقتها , بحيث لم يبق أحد إلا وناله منه مكروه من الضرائب والنهب أو أخذ ماله , فارتفع شأنه عند الخليفة , حتى كان يعمل له في تنيس ودمياط ملابس خاصة من الصوف الأبيض المنسوج بالذهب فوجد له ثلاثمائة طراحة محشوة لم تستخدم بعد [5] , وفي سنة 525هـ / 1131 م صادر الخليفة الحافظ لدين الله أموال الطبيب اليهودي ابن قرقة[6] بعد سم ابنه [7] .

---

(1) أبن ميسر , المنتقى , ص 79-80 .

(2) المصدر نفسه , ص 98 .

(3) ابن ميسر , المنتقى , ص 103 . أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , 223 .

(4)هو أبو نجاح النصراني المعروف بالراهب , كان يخدم ولي الدولة أبو البركات يحنا بن الليث , ثم اتصل بالخليفة الآمر بأحكام الله بعد مقتل الأفضل فارتفع شأنه لدى الخليفة , فاخذ يصادر أموال الناس , أمر بقتله الخليفة سنة 523هـ/1129م . أبن ميسر , المنتقى , ص 107-110 . أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج5 , ص 299-300 .

(5) أبن ميسر , المنتقى , ص 107-108 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 189 .

(6) أبن قرقة : هو أبو سعيد بن قرقة الطبيب ,تولى خزائن السلاح والسروج والصناعات خلال العصر الفاطمي , وكان بارعا في الطب والهندسة ونحو ذلك من العلوم الأولى . أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , 237 .

(7) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 237 .

ووجد للسيدة راشدة بنت الخليفة المعز لدين الله حين توفيت سنة 442هـ /1050م ما يقارب ألف ألف وسبعمائة ألف دينار , وكان من جملة ما وجد في خزائن كسوتها ثلاثون ألف ثوب خز مقطوع , واثنا عشر ألف من الثياب المصمتة الألوان , ومائة قطرميز مملوء كافورا فنصوريا[1] .

وتركت السيدة عبدة بنت المعز لدين الله في نفس السنة , مالا لا يحصى , فوجد لها ألف وثلاثمائة مناً فضة محرقة , وزن كل مينا عشرة آلاف درهم , وأربعمائة سيف محلى بالذهب , وثلاثون ألف شقة صقلية , ومن الجواهر مالا يحد كثره , وزمرد كيلهُ أردب واحد[2] .

تركت ست مصر بنت الخليفة الحاكم بأمر الله بعد وفاتها سنة 455هـ/ 1063م مالا لا يحصى , فبلغ إقطاع لها في كل سنة يدر خمسون ألف دينار , ووجد لها ثمانية آلاف جارية , ووجد لها نيف وثلاثون زبرا صينيا مملوء جميعها مسكا مسحوقا , ووجد لها جوهر نفيس من جملته قطعه ياقوت فيها عشرة مثاقيل [3] .

وفي أواخر الخلافة الفاطمية أصبح الخلفاء الفاطميين معرضين للمصادرات من قبل الوزراء , فصادر الوزير صلاح الدين الأيوبي أموال الخليفة العاضد لدين الله (555-567 هـ / 1160-1171م) بعد وفاته سنة 567هـ/ 1171م , فبلغ الموجودات في القصر مائة صندوق كسوة فاخر موشح ومرصع وعقود ثمينة , وذخائر فخمة , ومن الأعلاق النفيسة والأشياء الغريبة ما تخلو الدنيا منها قبله , ومن الجواهر لا يوجد عند غيرهم , فوجد حبل ياقوت زنته سبعة عشر مثقالا , ونصاب زمرد طوله أربع أصابع , ولؤلؤ كثير وإبريق حجر مانع يسع مائة رطل ماء , وسبعمائة يتيمة بزهر , وطبل مصنوع من أجل إزالة القولج , ومن الذهب عينا ما قيمته ستون ألف دينار , ومن الدروع والسلاح الشيء الكثير , ومن الكتب النفيسة ما لا يعد , ويقال أنها كانت ألف ألف وستمائة ألف كتاب , منها مائة ألف مجلد بخط منسوب , وألف ومئتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري[4] .

---

(1) الزبير، الذخائر, ص 241 .

(2) الزبير، الذخائر, ص 241-242 .

(3) المصدر نفسه , ص 240 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 331 ؛ المقريزي , الخطط, ج2 , 367 ؛ أبن خلدون , العبر , ج5 , ص 333-334 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج7 , ص158-159 ؛ أبو شامة , شهاب الدين عبدالرحمن إسماعيل , عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية , تحقيق : أحمد البيسومي, منشورات وزارة الثقافة , دمشق , 1991م , ج1 , 316 . وسيشار له لاحقا : أبو شامة , عيون .

من خلال ذلك نجد أن الأموال المصادرة تشير إلى عظم الثروات التي استحوذ عليها رجالات الدولة خلال العصر الفاطمي , وكانت هذه الثروة يتم الاستحواذ عليها عن طريق استغلال الموظفين لمناصبهم , لذلك غالبا ما نجد أن الخلفاء يصادرون أموال وزرائهم لتدعيم سلطة الخلافة من جهة , وللحد من سلطة الوزراء من جهة أخرى .

سادسا : المواريث الحشرية

هي مال من يموت وليس له وريث[1] , يتولى جمع المواريث ناظر من قبل السلطان يساعده مجموعة من العمال وشهود , ويحمل متحصلها إلى بيت المال , فكان لها ديوان يسمى بديوان المواريث[2] , وقد جرت العادة أن كاتب الديوان يقوم بكتابة تعليق مفصل حول من يموت في مصر والقاهرة من رجال ونساء وصغار ويهود ونصارى , ويغلق سجله قبيل صلاة العصر وان حدث شيء بعد ذلك فانه يحوله إلى اليوم التالي[3] .

تعد المواريث مصدر من مصادر بيت المال , وخاصة في أوقات الأزمات الاقتصادية التي تنتشر فيها الأمراض والأوبئة , فيهلك الناس دون أن يجد لهم وريث , فتنتقل هذه الأموال إلى بيت المال , وبالتالي تصب هذه في زيادة موارد الدولة [4] .

كان جوهر قد وعد المصريين في نص الأمان الذي منحه لهم عند دخوله مصر أن يجري عليهم المواريث على كتاب الله وسنه نبيه صلى الله عليه وسلم , ويضع ما كان يؤخذ من تركات موتاهم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها , لأنه لا استحقاق لتصير لبيت المال [5].

---

(1) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 464 .

(2) ديوان المواريث : هو ديوان يقوم بإحصاء ما يموت من الناس وليس لهم ارث خاص بقرابة أو نكاح أو أي صلة قرابة أخرى , فإذا انقطع ذهب الإرث إلى بيت المال . أبن طوير , نزهة , ص 92 ؛ أبن مماتي و قوانين , ص 319 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 464 .

(3) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 464 ؛ أبن مماتي , قوانين , ص 319 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 89 ؛ أبن مماتي , قوانين , ص 319 ؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج1 , ص 121 ؛ سيد , الدولة الفاطمية , ص 354 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج 1 , ص 105.

من خلال المنشور يبين أن المواريث كانت موجودة قبيل الفتح الفاطمي , فكان يجرى الإرث على الكتاب والسنة , فإذا مات شخص ولم يترك ورثة يرث أقاربه الأدنين من الأسهم المفروضة على الكتاب والسنة ولا يزاد شيء ويذهب ما تبقى إلى بيت المال بعد إعطاء كل ذي حق حقه[1] .

أما المذهب الإسماعيلي فيرى توريث ذوى الأرحام , وأن البنت إذا انفردت تأخذ الإرث جميعه بلا عصبة ولا بيت مال , بينما يرى مذهب الشافعية أن لا ترث البنت أكثر من نصف الثروة التي يتركها أبوها إذا لم يكن لها أخ أو أخت [2] .

وقد أورد ابن مماتي من يورثون من الرجال وهم خمسة عشر : الابن , ابن الابن , والأب , والجد إن علا , والأخ للأب , والأم , والأخ للأم , وأبن الأخ للأب والأم ... والمولى المعتق[3] . والوارثات من النساء , وهن إحدى عشرة : البنت , وبنت الابن , وألام , والجدة من الأم , والجدة من قبل الأب , والأخت للأب والأم , ... ومولاة المعتقة , ومولاة المولاة[4] .

ثم أورد ابن مماتي من لا يرث أهل ملتين لا يتوارثان , ومن قتل مورثه لا يرث , والحربي لا يرث الذمي , ولا الذمي يرث الحربي , والمرتد لا يرث , والعبد الذي لم يعتق , وإذا مات متوارثان بالغرق والهدم ولم يعرف السابق منهما لا يورث أحدهما الآخر , وبنت الأبن مع الأبن لا ترث ... ومن لا يرث لا يحجب أحد عن قرضه , وإذا أجتمع أصحاب فروض ولم يحجب بعضهم بعضا , فرض لكل واحد فرضه , فإذا زادت السهام أعلنت بالجزء الزايد[5] , ثم أورد من لا يورث فالمرتد يورث ويكون ماله فيئاً لبيت مال المسلمين [6] .

وكانت الخلافة الفاطمية تطبق نظام المواريث على المذهب الإسماعيلي , إلى أن جاء أمير الجيوش بدر الجمالي إلى مصر فأنشأ نظاما جديداً خاصاً بالمواريث , وهذا النظام يقتضي أنه كل من مات يعمل في ميراثه على حكم مذهبه [7] , وعندما تولى الوزارة الأفضل بن بدر الجمالي عمل على إفراد أموال المواريث , ومنع من أخذ شيئاً من التركات ,

---

(1) أبن مماتي , قوانين , ص 319 ؛ متز , آدم , الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري و ترجمة محمد عبد الهادي, المركز القومي للترجمة , القاهرة , 2008م , ج1 , ص 190 . وسيشار له لاحقا : متز , الحضارة .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج3 , 89 ؛ المقريزي , الخطط , ج1 , ص 318 .

(3) أبن مماتي , قوانين , 319 .

(4) المصدر نفسه , ص 320 .

(5) أبن مماتي , قوانين , 220-321 ؛ متز , الحضارة , ص 190 .

(6) أبن مماتي , قوانين , ص 321 .

(7) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 89 .

وأمر بحفظ هذه التركات لأصحابها فإذا حضر من يطلبها وطالعه القاضي بثبوت استحقاقها أطلقها في الحال[1] , فيذكر أبن ميسر " وأجتمع بمودع الحكم من مال المواريث في أيام الأفضل مما ينتظر وصول مستحقيه من مشرق الدنيا ومغربها ما قدره مائة ألف وثلاثون ألف دينار رفع إلى القاضي ما ودع من مال المواريث إلى بيت المال أولى من تركها في المودع فإن لها السنين الطويل لم يطلب منه شيء , فوقع على وقعته أنما قلدناك الحكم ولا أرى لنا فيما نستحقه فاتركه على حاله لمستحقيه ولا تراجع فيه" [2].

سابعا : الأحباس

يقصد بالأحباس الأموال الموقوفة على جهات البر للأنفاق على المساجد والجوامع والمدارس والزوايا في سبيل الصدقة لأناس معنيين[3] , يتولى الإشراف عليه ديوان يعرف بديوان الأحباس , ويذكر ابن طوير " هو أوفر الدواوين مباشرة , ولا يخدم فيه إلا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين بحكم أنها معاملة دينية , وفيها عدة مدبرين ينوبون عن أرباب هذه الخدم فيه إيجاب أرزاقهم من ديوان الرواتب وينجزون لهم الخروج بإطلاق أرزاقهم , ولا يوجب لأحد من هؤلاء خرج إلا بعد حضور ورقة التعريف من جهة مشارف الجوامع والمساجد باستمرار خدمته ذلك الشهر جميعه , ومن تأخر تعريفه تأخر الإيجاب له ... وكان يطلق لكل منهم خمسون درهم في الشهر برسم الماء لزوارها , ويجري من معاملة سواقي السبيل بالقرافة والنفقة عليها من ارتفاعه فلا تخلو المصانع ولا الأحواض من الماء أبدا , ولا يتعرض احد من الانتفاع به , وكان فيه كاتبان معينان لنظم الاستيمارات , ويورد في استيمارة كل ما في الرقاع والرواتب وما يجبى له من جهات كل من الوجهين القبلي والبحري"[4].

أن أول من وضع ديواناً للأحباس توبة بن نمر[5] قاضي الديار المصرية سنة 118هـ / 736م , والسبب من إنشائه أن القاضي كان يخشى على أموال الفقراء والمساكين من الهلاك , فأنشأ ديوان للأحباس , وكان يتولاه بنفسه , ثم أصبح بعده من يتولى القضاء تصبح الأحباس من ضمن مسؤولياته[6] .

---

(1) أبن ميسر , المنتقى , 83 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 72 .

(2) أبن ميسر , المنتقى , ص 83-84 .

(3) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج9 , ص 100 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج4 , ص 38 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 100-101 .

(5) توبة بن نمر : هو توبة بن نمر بن حرمل بن ربيعة بن نمر بن شاجي , تولى القضاء في مصر من سنة 115-120هـ/ 733-738م , وهو أول قاضي في مصر يتسلم الأحباس . أبن حجر , رفع الإصر , ص 109-111 .

(6) أبن حجر , رفع الإصر , ص 110 .

يعتبر هذا الديوان أول تنظيم للأوقاف ليس في مصر فحسب , وإنما في كافة الدول الإسلامية[1] , وظل القضاة يتولون النظر في الأحباس بحفظ أصولها , واستثمارها , وقبض ريعها , وصرفها بالأوجه التي رصدت لها , فمنذ النصف الأول للقرن الرابع للهجري / العاشر للميلادي كان يعين في بعض الأحيان متولي الأحباس ونفقة الأيتام بالإضافة إلى القاضي للشخص نفسه , ثم فصل القضاء عن الأحباس , فكان أول من تولى النظر في الأحباس بعد فصلها عن القضاء بكران بن الصياغ[2] الذي قدم من الشام إلى مصر فتولى الأحباس ونفقة الأيتام , وقدم معه أحمد بن عبدالله الكشي[3] الذي تولى النظر في الإحكام سنة 331هـ / 942م[4] .

كانت الأحباس في القديم لا تعرف إلا بالرباع[5] , وما يجري مجراها من المباني كلها كانت على جهات بر , فلم يكن سلف الأمة من الصحابة والتابعين يتعرضون لها [6] .

ويرجع أصول هذه الوظيفة أن الليث بن سعد [7] اشترى أراضي من بيت المال وحبسها على وجه البر , ثم اتبعه الناس في إضافة الأوقاف إلى ذلك [8] ,

---

(1) أمين , محمد محمد , الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (648-923هـ/ 1250-1517م) دراسة تاريخية وثائقية , ط1, دار النهضة , القاهرة , 1980م, ص 48 . وسيشار له لاحقا : أمين , الأوقاف .

(2) بكران بن الصباغ : هو عفيف بن الحسن الصباغ المعروف بكران , كان من العدول في مصر , تولى أمر الأحباس في عهد الإخشيد , فاشتكى منه الناس فعزل . أبن حجر , رفع الإصر , ص 265 .

(3) أحمد بن عبدالله الكشي : هو أحمد بن عبدالله الكشي , تولى قضاء مصر مجردا عن الأحباس والمظالم سنة 331هـ/ 942م نيابة عن الحسين بن عيسى , وكانت مدة ولايته ثلاثة شهور . أبن حجر , رفع الإصر , ص 56 .

(4) الكندي , أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المعري , (ت 355هـ/ 965م) , الولاة والقضاة , تحقيق محمد حسن محمد واحمد فريد , ط1, دار الكتب العلمية , بيروت, 2003م , ص 351 . وسيشار له لاحقا : الكندي , الولاة والقضاة . أمين , الأوقاف , ص 51 .

(5) الرباع : وهي الأملاك المسقوفة من الآدر والحوانيت والحمامات الموقوفة على الخانات والبيمارستانات وما ينفق على عمارتها ما استهدم , يستخرج خراجها كل سنة هلالية . أبن مماتي , قوانين , ص 341 . المقريزي , الخطط , ج3 , ص 265 . القلقشندي , صبح الأعشى , ج4 , ص 38 .

(6) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 265 .

(7) الليث بن سعد : هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي المصري , أحد الأعلام وشيوخ مصر وعلمائها , كان القضاة والنواب يخشونه وتحت إمرته ومشورته , توفي سنة 175هـ/ 791م . الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج7 , ص 204 . أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج2 , ص 104 .

(8) القلقشندي , صبح الأعشى , ج4 , ص 38 .

وحبس أبو بكر محمد بن علي الماردائي[1] سنة 303هـ/ 915م على الحرمين ضياعا وبركة الحبش وسيوط وغيرها على وجه البر , كان ارتفاعها مائه ألف دينار[2] , فلما قدمت الدولة الفاطمية من المغرب إلى مصر , بطل تحبيس البلاد , وصار قاضي القضاة يتولى أمر الأحباس من الرباع , واليه يعود أمر الجوامع والشواهد , وصار للأحباس ديوان فرد[3] .

أضاف الفاطميون الكثير من التنظيمات الخاصة بالأحباس , فقد أمر الخليفة المعز لدين الله بحل مال الأحباس من المودع إلى بيت المال سنة 363هـ974م وطالب أصحاب الأحباس أن يظهروا دليلاً يثبت أحقيتهم في هذا الحبس [4].

شكلت الأحباس موردا هاما من موارد بيت المال في مصر خلال العصر الفاطمي , فكانت الدولة الفاطمية تعرض تولية الأحباس بالضمان , فيذكر المقريزي أول من ضمن الأحباس هو محمد بن القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد سنة 363هـ/ 974م حيث ضمنها بألف ألف وخمسمائة ألف درهم في كل سنة , وعلى أن يدفع إلى المستحقين حقوقهم , ويحمل ما بقي إلى بيت المال[5] .

بذلك اعتبر الخليفة المعز لدين الله نفسه أحد المستحقين في أموال الأحباس عندما أورد له القاضي النعمان بن محمد[6] على ما جاء بكتاب أبي عمر الكندي بشأن حبس عمرو بن العاص أن محمد بن أبي بكر كان قبضه وضرب عليه صافية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أهل الحق فقال المعز مال لنا فيحمل إلينا مفردا من مال الأحباس [7] .

---

(1) أبو بكر محمد بن علي الماردائي : هو محمد بن علي بن أحمد بن رستم أبو بكر الماردائي , وزير كان من الكتاب , وصف بأنه من عظماء الدنيا , أصله من قرى البصرة , ولد بنصيبين , دخل مصر سنة 272هـ/885م خلف أباه في النظر في أمور خمارويه أبن أحمد بن طولون , ثم تولى امور الخراج في عهد الإخشيد , فملك من الضياع ما لم يملكه احد , توفي سنة 345هـ/ 957م . المقريزي , الخطط , ج2 , ص 732 -734 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 725 .

(3) المصدر نفسه , ج3 , ص 265 .

(4) المقريزي , الخطط, ج3 , ص 265-266 .

(5) المصدر نفسه , ج3 , ص 266 .

(6) النعمان بن محمد : هو النعمان بن محمد بن المنصور بن أحمد بن حيون الإسماعيلي المغربي يكنى أبا حنيفة , تقدم بصحبة الخليفة المعز لدين الله من المغرب إلى مصر , فأقره المعز على القضاء وفوض له الحكم في الضيعة التي كان محمد بن على الماذرائي حبسها . أبن حجر , رفع الإصر , ص 445 .

(7) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 148 ؛ أمين , الأوقاف , ص 52 .

هكذا أصبح لبيت المال منذ العهد الفاطمي نصيب من متحصلات الأحباس , والتي صارت أحد موارد الدولة المالية , إضافة إلى ذلك فقد ضمن الفاطميون موردا ثابتا ينفقون منه على إعمار المساجد وفرشها , والصرف على قومتها وخدامها , فقد أوقفوا الكثير من الأراضي الزراعية وغيرها من المواضع لسد نفقاتها [1] .

نلاحظ أن الفاطميين أضافوا أسساً جديدة إلى نظام الأحباس , إذ حبس الأراضي الزراعية بعد ما كان الأحباس مقتصرا على العقارات وغيرها , فقد ذكر المسبحي : " أحصى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله سنة 403هـ/ 1012م المساجد التي لا غلة لها , فكانت ثمانمائة مسجد , فأطلق لها في كل شهر من بيت المال تسعة آلاف ومائتين وعشرين درهماً"[2] , أي لكل مسجد اثنا عشر درهماً في الشهر[3], بناءا على هذه الإحصائيات أمر الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 405هـ/ 1014م بحبس سبع ضياع على القراء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع , وعلى ملء المصانع والقوام بها , والمارستان وأرزاق المستخدمين فيها , وثمن الاكتفان لفقراء المسلمين[4].

كان القضاة بمصر إذا بقي لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوما على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة يبداءوا بجامع المقس، ثم القاهرة، ثم المشاهد، ثم القرافة، ثم جامع مصر، ثم مشهد الرأس , لحصر ما يحتاج إليه من قناديله وعمارته وما تشعث منه، وما زال الأمر على ذلك إلى أن زالت الدولة الفاطمية[5] .

هناك نوعان من الحبس عامة وخاصة , فالعامة التي توقفه الحكومة من ضياع أو مبان أو منشآت , وأما الخاصة فهي التي تمثل المباني والضياع يوقفها أصحابها لفعل الخير , أو وقفها لأبنائهم .

---

(1) سيد , الدولة الفاطمية , ص 359 ؛ أمين , الأوقاف , ص 52 .

(2) المسبحي , نصوص ضائعة من أخبار مصر , اعتنى بجمعها ونشرها أيمن فؤاد سيد , القاهرة , 1965م , ص 31 , وسيشار له لاحقا : المسبحي , نصوص ضائعة .

(3) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 266 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 96 .

(4) المسبحي , نصوص ضائعة , ص 32 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 105-106 ؛ المقريزي , الخطط , ج3 , ص 266 .

(5) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 267 .

لم يكن الخلفاء الفاطميون وحدهم الذين يقومون بحبس الأراضي والضياع , بل شاركهم في ذلك الوزراء , فقد حبس بدر الجمالي وزير المستنصر بالله حبس عرف بالحبس الجيوشي[1] , فكان بعضها بالبر الشرقي[2] , والآخر في البر الغربي [3] , وظلت هذه الأحباس للورثة الجيوشية , فعندما توفي الخليفة الآمر بأحكام الله جلس أبو علي ابن الأفضل بن بدر الجمالي في الوزارة (524-526هـ/1129-1131م) , أعاد الجميع إلى الملاك لكون نصيبه في ذلك أوفر[4].

بعد مقتل أبي علي حفيد بدر الجمالي استبد الخليفة الحافظ لدين الله فأمر بالقبض على جميع الأملاك وحل الأحباس المختصة بأمير الجيوش , إلا أن ورثة بدر الجمالي اظهروا سنة 530هـ/1135م كتب عليها خطوط الخلفاء فلم يخرجها منهم [5] , ثم أعادت البساتين دون البلاد على حكم الورثة ما آل أمرها إليه من الاختلال ونقص الارتفاع , لما انقرضت العائلة الجيوشية فلم يبق سوى امرأة كبيرة , أفتى الفقهاء ببطلان الحبس , فأصبحت من الأموال السلطانية [6] .

ثامنا : متحصلات دار الضرب

يقصد بدر الضرب المكان الذي تسك فيه النقود , والسكة هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس , ينقش فيه صورة أو كلمة مقلوبة , يضرب بها على النقود فتخرج رسوم تلك النقوش , لذلك سميت الدراهم المضروبة بالسكة[7] .

---

(1) الحبس الجيوشي : هو الأحباس والأوقاف التي حبسها بدر الجمالي لما كان وزيرا في الديار المصرية , وبعد انقراض الأسرة الجمالية افترى الفقهاء بان الحبس باطل , فصار مالها يحمل إلى بيت المال . أبن مماتي , قوانين , ص 339 .

(2) البر الشرقي : هي بهبيت , والأميرية , والمنية . أبن مماتي . قوانين , ص 336 .

(3) البر الغربي : هي سفط وتهيأ وغير ذلك من النواحي . أبن مماتي , قوانين , ص 338 .

(4) أبن المأمون , جمل الدين أبو علي موسى البطائحي , (ت 588هـ/ 1192م) , نصوص من أخبار مصر , تحقيق : أيمن فؤاد سيد, المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية , القاهرة , 1983م , ص 105 . وسيشار له لاحقا , أبن المأمون , أخبار مصر . أبن مماتي , قوانين , ص 336 .

(5) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 105 .

(6) أبن المأمون , أخبار مصر, ص 105 ؛ أبن مماتي , قوانين , ص 337-339 .

(7) أبن خلدون , العبر , ج1 , ص 322 ؛ الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 199 .

كانت مصر منذ أن فتحت أمارة تابعة للخلافة الأموية , ثم العباسية , وسكتها هي سكة الخلافة التي تتبع لها , حتى وصل إلى إمارة مصر أحمد بن طولون فسك عملة مستقلة سنة 266هـ/840م باسمه , فسماها الدينار الأحمدي[1] , كذلك سار الإخشيد على خطى أحمد بن طولون فسك الأمير محمد بن طغج سنة 329هـ/ 843م دينارا حمل لقب الإخشيد[2] .

وعندما جاء الفاطميون إلى مصر , ضرب القائد جوهر الصقلي الدينار المعزي سنة 358هـ/ 968م فحمل اسم الخليفة المعز لدين الله , فنقش على وجهه ثلاثة اسطر , الأول دعاء الإمام لتوحيد الأحد الصمد , والسطر الثاني المعز لدين الله أمير المؤمنين , وفي السطر الأخير ضرب هذا الدينار سنة ثمان وخمسون وثلاثمائة , أما في الوجه الآخر: لا اله الا الله محمد رسول الله , أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون , على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين[3] .

نلاحظ أن هدف الفاطميين من سك النقود باسمهم , هو لإضفاء الصفة الشرعية لحكمهم على مصر , وتقبل وجودهم داخليا , وفصل مصر اقتصاديا وسياسيا عن الخلافة العباسية في بغداد .

ثم ازداد ضرب الدينار المعزي عندما قدم الخليفة المعز لدين الله إلى مصر سنة 362هـ/ 972م وأقام في قصره في القاهرة , وأوكل وزيره يعقوب بن كلس بجمع الخراج , فامتنع يعقوب إلا أن يأخذ الخراج الا بالدينار المعزي , بدل الدينار الراضي فازداد الطلب على الدينار المعزي [4] .

وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ازداد أمر الدرهم فبلغ سنة 399هـ/ 1008م كل أربعة وثلاثين درهماً يساوي ديناراً , مما أدى إلى انتزاع السعر , واضطربت أمور الناس , فأراد الخليفة معالجة الأزمة , فضرب دراهم جديدة , وأنزل من بيت المال عشرين صندوقاً من الدراهم الجدد وفرقها في الأسواق , وقرأ سجلاً يمنع المعاملة بالدراهم القديمة , وأنظر من في يده شيء منها ثلاثة أيام لاستبدالها بالعملة الجديدة في دار الضرب , فبلغ كل درهم جديد أربعة دراهم من القديمة , واستقر أمر الدرهم الجديد , وأصبح كل ثمان وعشر درهم بدينار[5] .

---

(1) المقريزي , شذور العقود في ذكر النقود , مخطوطه مصورة في جامعة الملك سعود , السعودية , ص 7 . وسيشار له لاحقا : المقريزي , شذور .

(2) المقريزي , شذور , ص 8 ؛ كاشف , مصر في عصر الإخشيد , ص 203 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 116 ؛ المقريزي , شذور , ص 8 .

(4) المقريزي , شذور , ص 8 .

(5) المقريزي , شذور , ص 8 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 69 .

كان في مصر في العهد الفاطمي داران للضرب , الأولى في الإسكندرية والثانية في القاهرة[1] , فقد أورد ابن المأمون سنة 516 هـ / 1122م أمر الأجل المأمون البطائحي ببناء دار ضرب بالقاهرة المحروسة , لكونها مقر الخلافة وموطن الإمامة , فبنيت بالقماشيين قبالة المارستان سميت بالدار الأميرية , واستخدم لها العدول , وصار دينارها أعلى من جميع ما يضرب بجميع الأمصار[2] , ثم تعددت دور الضرب في أواخر العصر الفاطمي , فأصبح في القاهرة دار ضرب , والإسكندرية , ويقوص[3] دار ضرب[4] .

فقد أورد ابن مماتي كميات المعادن التي يحملها الموردون إلى دار الضرب , فيضرب بها العملة , فمن الذهب يسبك ما يجمع من أصناف الذهب المختلف , حتى يصير ماء واحداً , ويصب في قوالب , ويقطع من أطرافها , ويحرر وزنه , فيصبح سبيكة واحدة , ثم يأخذ من جملتها أربعة مثاقيل , فيعمل كل منها أربع ورقات , ويجع الثماني ورقات في قدح فخار بعد تحرير وزنه , ثم تخرج الأوراق وتمسح , ويعبر الفرع عن الأصل , فإن تساوى الوزن أجازه النايب في الحكم ضرب دنانير , وإن نقص أعيد إلى أن يساوى , وإن مقدار ما يتحصل عليه عن كل ألف دينار يضرب بدار الضرب المصرية [5] .

أما الفضة فكان يؤخذ منها ثلاثمائة درهم تضاف إلى سبعمائة درهم نحاس , فيسبك حتى إذا صار ماء واحداً , يصب في قوالب , فيقطع من أطرافها خمسة عشر درهما فتسبك , فان خلص منها أربعة دراهم ونصف درهم حسبها عن كل عشرة دراهم , وإلا أعيدت إلى أن تصح وتختم ,وأجرة عن كل ألف درهم ست عشر درهم ونصف وربع , يخرج منه رسم المشارفة درهمان وربع , وجميع الأجرة والمؤن من مال الموردين[6] .

(1) أبن مماتي , قوانين , ص 331 .
(2) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 38 .
(3) يقوص : هي مدينة عظيمة بصعيد مصر , بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما , وهي محط التجار القادمين من عدن . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 413 .
(4) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 315 .
(5) أبن مماتي , قوانين , ص 331-332 .
(6) المصدر نفسه , ص 333 .

وأصبحت دار الضرب تمثل موردا هاما يحصل منه المال الكثير [1], فأصبحت موضع اهتمام الخلفاء الفاطميين , فكان لا يتولى عيار دار الضرب إلا قاضي القضاة , أو من يستخلف [2] , وما يؤكد ذلك نص مرسوم الخليفة الحاكم بأمر الله عندما قلد الحسين بن علي بن النعمان[3] القضاء في مصر سنة 389هـ/ 998م [4] "هذا ما عهد به عبد الله ووليه المنصور أبو علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين للقاضي الحسين بن علي .... حين ولاه الحكم بالمعزية والقاهرة ومصر , النظر في مصالحها جميعا , ومشارفة دار الضرب , وعيار الذهب والفضة ... وأمره أن يراعي دار الضرب وعيار الذهب والفضة بثقاة يحتاطون عليها من كل لبس , ولا يمكنون المتصرفين فيهما من سبب يدخل على العاملين بهما شيئا من الوكس , إذ كان بالعين والورق تتناول الرباع , والضياع والمتاع , ويبتاع الرقيق , وتنعقد المناكح , وتتقاضى الحقوق , فدخول الغش والدخل فيما هذه سبيله جرحه للدين , وضرر على المسلمين , يتبرأ إلى الله منها أمير المؤمنين "[5] .

وإن سبب الذي دعا الفاطميين إلى جعل مسؤولية دار الضرب من مسؤوليات قاضي القضاة , هو منع الغش والتلاعب بالمكاييل والأوزان العملة والحفاظ على شرعية المسكوكات الفاطمية , والتي تصدر من دار الضرب , وخاصة أن المسكوكات كانت تصدر بأسماء الخلفاء وولاتهم وعمالهم .

كان هناك ما يمد خزانة الخلافة مما تحتاج إليه من أصناف النحاس والحديد والخشب , يسمى دار العيار, وهو المكان المسؤول عن مراقبة المكاييل والموازين , ويحرص المستخدمون على حماية الرعية من الغش والتلاعب , وكان ما يباع شيء منه يعود بإيراداته إلى الدار , ويشرف على الدار محتسب يكون مسؤولاً عن معايير الموازين , فإذا وجد من زاد أو نقص سنجه استهلكوها وباعوا عليه غيرها , ومن احتاج إلى أصلاح سنجه احضره إلى الدار وحررها[6], فكان من يجد في مكياله عيوبا عاقبه , فقد عاقب المحتسب سنة 415هـ/1024م جماعة من الخبازين ,

---

(1) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 316 .

(2) المصدر نفسه , ج1 , ص 315 .

(3) الحسين بن علي : الحسين بن علي بن النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيُّون المغربي الإسماعيلي , قدم مع والده إلى القاهرة وكان صغيراً في السن , تولى القضاء في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 389هـ / 998 . أبن حجر , رفع الإصر , ص 139-140 .

(4) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 242 .

(5) القلقشندي , صبح الأعشى , ج10 , ص 385- 388 .

(6) أبن مماتي , قوانين , ص 333-334 .

فضربهم ضربا وجيعاً , وذلك انه وجد موازينهم للأرطال باخسة وصنجهم إلتى يزنون بها الدراهم الزائدة [1] , وكذلك ضرب المحتسب رجلاً حلاويا , وذلك أنه وجد أرطاله منقوصة[2] .

تاسعا : متحصلات المعادن

تعتبر المعادن المستخرجة من باطن الأرض من واردات الخلافة الفاطمية المهمة , فقد كانت تشكل المورد الهام لبيت المال , وكانت الخلافة الفاطمية تحتكر بيعه لضمان حصولها على مورد مالي أعلى , ومن أهم المعادن هي الزمرد , والشب , والنطرون .

أولا : الزمرد هي من المعادن الثمينة الموجودة في صعيد مصر[3] , القريب من مدينة قوص[4] , يعتبر من أجود وأهم الجواهر لما يتمتع به من خفة الوزن دون سائر الجواهر [5] , تتراوح وزن الجوهرة من خمسة مثاقيل إلى أن تنتهي إلى حد العدسة في المقدار[6] .

ويعمل في استخراجه عمال من صعيد مصر من ذوي الدراية , والمعرفة بهذا المعدن , ويعرفون الأوقات التي يكثر بها في فصول السنة , وينفق على العمال ما يستخرج منه , وله ديوان فيه شهود وكتاب[7] , ولم يزل مستمراً في استخراجه إلى أواخر الدولة الناصرية (748-761هـ / 1347-1360م) , فقد أهمل استخراج الزمرد بسبب قلة ما يتحصل منه مع كثرة الكلفة [8] , فكان له مباشرون وأمناء , تشرف عليه من جهة السلطان , يشرفون على استخراجه وتحصيله فلهم جوامع في ذلك , ومهما تحصل منه يحمل إلى الخزائن السلطانية فيباع ما يباع , ويبقى ما يصلح للخزائن المملوكية[9] .

ثانيا : الشب هو من المعادن يستخرج من صعيد مصر[10] , فهو يكثر في الواحات , لكون أرضهم شيبة وزجاجية وعيون حامضة [11] , فقد احتكرت الدولة الفاطمية الشب , وكانت لا تسمح لأحد أ

---

(1) المسبحي , أخبار مصر , ج1 , ص 72 .
(2) المصدر نفسه , ج1 , ص 78 .
(3) المسعودي , مروج الذهب , ج2 , ص 23 .
(4) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 459 .
(5) المسعودي , مروج الذهب , ج2 , 23-24 .
(6) المصدر نفسه , ج2 , 24 .
(7) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 648 .
(8) المصدر نفسه , ج1 , ص 650 .
(9) القلقشندي , صبح الأعشى , ج 3 , ص 459 .
(10) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 34 .
(11) المسعودي , مروج الذهب , ج2 , ص 27 .

ن يبيعه أو يشتريه ألا عن طريقها , حيث ارتبط بيع الشب بالديوان السلطاني , لما يجنيه من أرباح وافرة [1] , فكان ما ينفق على استخراجه كل قنطار ليثي[2] ثلاثون درهماً , وكانت العربات تحضره في معادنه إلى الإسكندرية , فكان يشترى الشب بالقنطار الليثي , ويباع بالقنطار الجوري , فكان ما يباع على التجار الروم اثنا عشر ألف قنطار في السنة , وكان سعر القنطار الواحد ستة دنانير , ويباع منه بمصر على اللبودين والصباغين نحو ثمانين قنطار بالجوري , وكان سعر القنطار الواحد يتراوح بين ستة دنانير ونصف إلى سبعة دنانير ونصف[3] .

تكثر استعمالات الشب في صناعات عدة , ومنها ما يدخل في صناعة الأصباغ ذات اللون الأحمر , وكان الروح يكثرون في استيراده و لما يجدون به الفائدة في صناعاتهم [4] .

ثالثا : النطرون هو من المعادن التي احتكرتها الدولة الفاطمية , حيث يوجد معدنين أحداهما في البر الغربي في موقع يقال له الطرانة , يوجد صنفان منه , الأحمر والآخر الأخضر , فالأخضر من أكثر ما تدعو إليه الحاجة , أما النطرون الأحمر فهو اقل جودة من الأول يوجد بالفاقوسية[5] , ويباع القنطار في مصر في ثلاثة أشكال , حيث يباع في مصر بالقنطار المصري , وفي بحر الشرق والصعيد بالقنطار الجوري , وفي دمياط يباع بالقنطار الليثي[6] .

وكان ينفق على تحصيل النطرون على كل قنطار منه درهمان , ومبلغ ثمن القنطار في مصر والإسكندرية سبيعن درهما , لضيق الحاجة إليه , والعادة المستقرة أن الديوان السلطاني ينفق على العربات أجرة حمولة عشرة ألاف قنطار , بينما يكون مبلغ الحمولة خمسة عشر ألف قنطار ,

أي أن الديوان السلطاني يأخذ قنطاراً ونصف بسعر القنطار الواحد[7] , كان النطرون يعطى بالضمان , فقد بلغ مضمون النطرون إلى ما بعد زوال الخلافة الفاطمية خمسة عشر ألف وخمسمائة دينار[8] .

---

(1) أبن مماتي , قوانين , ص 328-329 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 459 ؛ المقريزي , الخطط , ج1 , ص 314 .

(2) القنطار الليثي : يتألف من مائة رطل ليثي , كل رطل ليثي يساوي 200 درهم , اي انه يزن 62كغم . هنتس , المكايل , ص 41.

(3) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 459-460؛ أبن مماتي , قوانين , ص 328-329 ؛ المقريزي , الخطط , ج1 , ص 314 .

(4) أبن مماتي , قوانين , ص 328 .

(5) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 314 ؛ أبن مماتي , قوانين , ص 334 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 460.

(6) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 314 .

(7) المقريزي , الخطط , ج1 , ص314 ؛ أبن مماتي , قوانين , ص 334.

(8) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 314 .

الفصل الثاني

نفقات دار الخلافة

أولا : نفقات البيعة

ثانيا : نفقات النساء

ثالثا : نفقات مرافق وقصور الخلافة

رابعا : نفقات الأعياد والمناسبات

خامسا : نفقات الهبات والعطايا

الفصل الثاني

نفقات دار الخلافة الفاطمية

مفهوم النفقة : تعني في اللغة ذهاب المال , وأنفق الرجل , أي افتقر وذهب ماله[1] , قال تعالى (إذ أمسكتم خشية الإنفاق)[2] .

النفاق بالكسر : هو فعل المنافق , والنفاق ايضا جمع النفقة من الدراهم , ويقال : نفقت بالكسر نفاق القوم اي فنيت[3] .

والنفقة : ما أنفق واستنفق على العيال وعلى نفسك[4] . وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه (المال تنفقه النفقة , والعلم يزكو على الإنفاق)[5] . أما عفو المال : ما يفضل على النفقة , فقال ابن الاثير كلاهما جائر في اللغة [6] , وقوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو)[7].

والنفقة هي مشتقة من النفوق الذي هو الهلاك , ويقال نفقت الدابة إذا ماتت وهلكت , ومنه النفقة لإن فيها هلاك المال[8] .

---

(1) الرازي , مختار الصحاح , ص 316 .

(2) سورة الإسراء : الآية 100 .

(3) الجوهري , أبو نصر إسماعيل بن حماد , (ت 393هـ/ 1002م) , الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية , تحقيق : أحمد عبدالغفور عطا , ط4 , دار العلم للملايين , بيروت , 1984م , ج4 , ص 1460 . وسيشار له لاحقا : الجوهري , الصحاح .

(4) أبن منظور , لسان العرب , ج10 , ج14 , ص 358 .

(5) المصدر نفسه , ج14 , 358 .

(6) المصدر نفسه , ج15 , 76 .

(7) سورة البقرة , الآية 119 .

(8) القونوي , قاسم بن عبدالله بن أمير علي الرومي الحنفي , (ت 978هـ/1570م) , أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء , تحقيق : يحيى حسن مراد , دار الكتب العلمية , بيروت , 2004م , ص 59 . وسيشار له لاحقا : القونوي , أنيس الفقهاء .

والنفقة اسم من الإنفاق , وما ينفق من الدراهم ونحوها والزائد وما يفرض للزوجة على زوجها من مال للطعام والكساء والسكنى والحضانة[1] ,حيث اصطلح فقهاء الشريعة الإسلامية على تسمية النفقات بالمصارف , أي أوجه صرف المال العام , فقالوا مصارف الزكاة أي الأوجه التي تنفق فيها الزكاة[2] .

وأيضا عرفها علماء المالية العامة بأنها مبلغ من المال داخل في الذمة المالية للدولة , ويقوم الإمام باستخدامه في إشباع حاجات عامة وفق الشريعة الإسلامية[3] .

ومن خلال التعريفات السابقة يتضح لنا ان هناك شروطا يتجوجب من خلالها الإنفقاق وهي:

أولا : استخدام نوع من أنواع المال في مجال الإنفاق .

ثانيا : أن يكون هذا المال من الأموال العامة .

ثالثا : أن ينفق هذا المال وفق رأي ولي أمر المسلمين أو من ينوب عنهم .

رابعا : أن يستخدم هذا المال في سد حاجات الدولة الإسلامية [4].

فقد تركزت مالية الدولة في العصر الفاطمي على عنصرين أساسيين وهما الموارد المالية والتي سبق وأن تحدثنا عنها في الفصل الأول , والنفقات المالية للدولة والتي سنتطرق لها في الفصول اللاحقة , ومن المعلوم أن الأموال التي تأتي من الموارد المالية للدولة تنفق في العديد من مصالح الدولة , ومنها نفقات دار الخلافة , والتي سنتناول التحدث عنها كالآتي :

---

(1) مصطفى , إبراهيم , وآخرون , المعجم الوسيط , دار الدعوة , تركيا , 1989م , ج2 , ص 942 . وسيشار له لاحقا : مصطفى , المعجم الوسيط .

(2) الكفراوي , عوف محمود , سياسة الإنفاق العام في الإسلام , مركز الإسكندرية للكتاب , مصر , 1997م , ص 5 . وسيشار له لاحقا : الكفراوي , سياسة الإنفاق .

(3) يوسف , يوسف إبراهيم , النفقات العامة في الإسلام , دار الثقافة , قطر , ط2 , 1982م , ص 123 . وسيشار له لاحقا : يوسف , النفقات العامة .

(4) الزهراني , ضيف الله يحيى , النفقات وإدارتها في الدولة العباسية (132-334 هـ) , أطروحة دكتوراة , جامعة أم القرى , المملكة العربية السعودية , 1983م , ص 40 . وسيشار له لاحقا : الزهراني , النفقات .

أولا : نفقات البيعة

البيعة في اللغة كما جاء في لسان العرب , البيع ضد الشراء , والبيع : الشراء أيضا , وهو من الأضداد , وبعت الشيء : شريته , أبيعه بيعا ومبيعا , وهو شاذ وقياسه مباعا[1] .

فالبيع هو مبادلة المال بسلعة , فيقال باعه بيعة بيعا من باب ضرب , وتأتي عنه المبايعة , فيقال بايعته أبايعه , وقد تبايعنا , يستعمل كذلك في المعاهدة لما فيها مبادلة الحقوق[2] .

إذن البيعة هي الصفة على إيجاب البيع , وعلى المبايعة والطاعة , وفي الحديث الشريف أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم قال (ألا تبايعونني على الإسلام) , وهو عبارة عن المعاهدة والمعاقدة , كان كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره [3] .

فذكر القلقشندي البيعات جمع بيعة , وهي مصدر بايع فلان الخليفة يبايعه مبايعة , ومعناها المعاقدة والمعاهدة , وهي مشبهة بالبيع الحقيقي , ويقال بايعه وأعطاه صفقة يده , والأصل في ذلك أنه كان من عادة العرب أنه اذا تبايع اثنان صفق أحدهما بيده على يد الآخر[4] .

أما البيعة في الاصطلاح : فهي نوع من أنواع المخاطبات والرسائل التي توجهها الدولة إلى الرعية لمبايعة الخليفة الجديد أو ولي العهد [5] , فقد عرف ابن خلدون قائلا " اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة , كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدا للعهد"[6] .

ومن خلال هذه التعريفات نستنتج أن البيعة هي التزام من الطرفين الامام والمبايعون , فيلتزم الإمام بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام , ويلتزم المبايعين بالسمع والطاعة .

---

(1) أبن منظور , لسان العرب , ج8 و ص 23 .

(2) مجمع اللغة العربية , معجم ألفاظ القرآن , ط2 , الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف , 1970م , ج1 , ص 141 . وسيشار له لاحقا : مجمع اللغة العربية , معجم ألفاظ القرآن ؛ صالح , فيروز عثمان , البيعة في النظام السياسي الإسلامي , مجلة العلوم والبحوث الإسلامية , جامعة السودان , ع1 , 2010م , ص 174 . وسيشار له لاحقا : صالح , البيعة .

(3) أبن منظور , لسان العرب , ج8 , ص 26 .

(4) القلقشندي , صبح الأعشى , ج9 , ص 273 .

(5) الدروبي , محمد محمود , الرسائل الفنية في العصر العباسي , ط1 , دار الفكر , بيروت , 1999م , ص 30 . وسيشار له لاحقا : الدروبي , الرسائل الفنية .

(6) أبن خلدون , العبر , ج1 , ص 261 .

هناك نوعان من البيعة , البيعة الخاصة , والبيعة العامة , فالبيعة الخاصة المراد بها أن يجتمع أهل الحل والعقد ليعقدوا الإمامة لمن يستجمع شرائطهما[1] , أما البيعة العامة فهي تتم بين الخليفة أو السلطان وجمهور الناس علنا[2] , حيث تأتي بعد البيعة الخاصة فيبايع جمهور المسلمين الموجودين في عاصمة الخلافة فيبايعون الخليفة في المسجد الجامع , بمقتضاها يبايع بقية المسلمين الموجودين في الأمصار الإسلامية , فإن هذه البيعة تشبه الاستفتاء الشعبي , وكلا الطرفين تعتبر وسيلة شرعية لإسناد السلطة إلى الحاكم في الإسلام[3] .

تعد البيعة وتولية الخليفة السلطة من المناسبات الاجتماعية الرسمية في العصر الفاطمي , حيث تقدم الهبات والهدايا للرعية بفئاتها المختلفة , باعتبارها الحدث المهم في الدولة الفاطمية , تتم من خلاله الحفاظ على استقرار الدولة , وتتم هذه المناسبة ضمن مراسيم خاصة عند تولي الخلافة , ويكون هذا الامر بعد انتهاء مجلس العزاء للخليفة المتوفي , ثم أخذ البيعة الخاصة للخليفة الجديد من قبل أقاربه وأهله , ثم رجالات الدولة والحاشية من قادة وقضاة [4] .

بعد أن تؤخذ البيعة العامة من الناس عن طريق المساجد والجوامع , ويصاحب ذلك نثر الأموال الكثيرة من الدنانير والدراهم على الخطباء وعامة الناس بهذه المناسبة , فقد عني الفاطميون منذ استقرارهم في مصر بكل مظاهر الترف والبذخ نتيجة للثراء التي تمتعت به دولتهم[5] .

وجرت العادة إنفاق الأموال الضخمة عند تولي كل خليفة جديد وزودتنا المصادر التاريخية ببعض الإشارات عن نفقات بعض الخلفاء بهذه المناسبة , فبعد مقتل الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 411هـ/1020م سيطرت أخته ست الملك على مقاليد الحكم في الدولة , وأخذت البيعة لأبنه علي ولقبته بالظاهر لإعزاز دين الله , فأعطت الجند والقادة وعامة الناس الأموال لكسب ولائهم

---

(1) القلقشندي , صبح الأعشى , ج9 , ص 277 .

(2) العزام , صبحي ,عيسى العزام , النفقات في العراق في العصر السلجوقي , دراسات تاريخية , مجلة علمية فصلية محكمة , العدد 109-110 , مطبعة جامعة دمشق , 2010م , ص 212 . وسيشار له لاحقا : العزام , النفقات .

(3) البياتي , منير حميد , النظم الإسلامية , ط1 , دار وائل للنشر , الأردن , 2006م , ص 246 .وسيشار له لاحقا : البياتي , النظم الإسلامية .

(4) أبن خلدون , العبر , ج1 , ص 261 ؛ أبن الجوزي , المنتظم, ج10 , ص 192.

(5) البياتي , النظم الإسلامية , ص 212 ؛ أحمد , حسن خضيري , علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب , ط1 , مكتبة المدبولي , القاهرة , د.ت , ص 269 . وسيشار له لاحقا : البياتي , علاقات الفاطميين .

, فأقبلوا على مبايعته , وبلغ حجم الأموال التي أنفقت على هذه البيعة ألف ألف دينار[1] , ثم ألبسته تاج المعز جد أبيه , وهو تاج مرصع بالجواهر الفاخرة , وجعلت على رأسه مظلة مرصعة , وأركبته فرسا رائعا بمركب ذهب مرصع , وفتحت أبواب القصر وأدخل الناس على العموم فسالموه ومدوه وظل واقفا إلى الظهر حتى صرفوا وأخذت عليهم البيعة , ووضع لهم العطاء , وأطلق مال الفضل للجند كافة , ولم يجر خلاف من أحد , ثم كتبت إلى بلاد الشام والمغرب بوفاة الخليفة الحاكم , وتولى الظاهر الخلافة , ورسم لهم أخذ البيعة على نفوسهم ومن عندهم من سائر طبقات الناس , وأخذت البيعة في جميع الأمصار فاقيمت المآتم في القصور لثلاثة أيام , وجمعت ست الملك عامة أهل مصر وخاطبتهم بالملاطفة ووعدتهم بحسن السيرة والمعاملة[2] .

وعندما عزم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله على أخذ البيعة بولاية العهد لابنة المستنصر بالله سنة 421هـ/ 1030م وعمره لا يتجاوز الثمانية أشهر , خلع على كافة أهل الدولة , وعمل موائد الطعام , وأنفقت الأموال الضخمة على الرعية وقادة الدولة[3] .

وركب الخليفة المستنصر ابن الظاهر مع والده من القاهرة إلى مصر في موكب عظيم سنة 424هـ / 1032م فزينت له مدينة مصر , فأخذ الناس بتقبيل الأرض كلما أقبل عليهم , ونثر عليهم الأموال , فبلغ ما نثر في هذا اليوم على العامة خمسة الاف دينار وعلى الخاصة عشرين ألف دينار [4] . وعندما تقلد الخليفة المستنصر بالله الخلافة سنة 427هـ/ 1035م قام الوزير ابو القاسم الجرجرائي بأخذ البيعة له على الناس , فأطلقت للجند أرزاقهم , وشيءٌ على سبيل الصدقة , فسكنت له الأمور واستقامت له الأحوال , فكتب له الخليفة المستنصر بالله سجلا بإقراره على الوزارة[5] .

كذلك أقام الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 524هـ/ 1130م احتفالا كبيرا في مصر والقاهرة لتعيين أبنه الحافظ لدين الله وليا للعهد , فأنفقت الأموال بتزيين مصر والقاهرة , وزينت قصور الخلافة , وكسيت العساكر , فأخرج من خزائنه وذخائره قماشا ومصاغا ما بين الآت

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 115-117 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , 247-248 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 125-126 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج2, ج2 , ص 179 .

(4) المصدر نفسه , ج2 , ص 181 .

(5) المصدر نفسه , ج2 , ص 184-185 .

وأوانٍ من ذهب وفضة وجوهر , فزين بها وعلق على إيوان القصر الستور والسلاح , ونثرت الدنانير على رؤوس الناس , ومدت الأسمطة العظيمة , وملئ القصر بالفواكه وغيرها مما تشتهيه الأنفس , وبخر القصر بالعنبر والعود والند حتى امتلأ الجو من دخانه , واستمر الحال على هذا اربعة عشر يوماً[1] .

ثانيا : نفقات النساء

عني الفاطميون منذ استقرارهم في مصر بكافة مظاهر الترف والبذخ , نتيجة الثراء العظيم التي تمتعت به دولتهم , وانعكست مظاهر الترف على القصور الفاطمية , وكانت هذه القصور تضم أعدادا ضخمة من النساء , فكان يحتوي القصر على زوجات الخليفة وحظاياه وجواريه واخواته وكرائمه وعماته , وكان يطلق على نساء القصر بصفة عامة الحريم[2] .

وفيما يخص نفقات النساء فلا تسعفنا المصادر التاريخية إلا ببعض الإشارات حول هذه النفقات , لكنها تدل على حجم الترف والبذخ في الإنفاق سواء ما كان الإنفاق على الصداق أو أمتلاك الجواري أو وجوه انفاق أخرى .

أما ما يخص الصداق فهو مهر المرأة[3] , وهو بمعنى الهدية والتي تعتبر من حقوق الزوجة على زوجها[4] , فقد كانت قيمة المهر أو الصداق كبيرة بالنسبة للفئة الحاكمة من أفراد الأسرة الفاطمية , وكبار رجال الدولة من الخلفاء والوزراء , فكان صداق الخليفة العزيز بالله عند عقد قرانه على امرأة سنة 369هـ/ 979م مائتي ألف دينار , وأعطى الذي كتب الكتاب ألف دينار , وخلع على القاضي والشهود وحملهم على البغال فطافوا البلد بالطبول والبوقات[5] .

---

(1) المصدر نفسه , ج3 , ص 128 .

(2) الجالودي , عليان عبدالفتاح ونهلة أحمد عبد الباقي , سيدات القصور ودورهن في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي , المجلة الأردنية للتاريخ والآثار , ع 2-3 , 2013م , مج7 , ص 27 . وسيشار له لاحقا : الجالودي , سيدات القصور ؛ أحمد , نريمان عبد الكريم , المرأة في مصر في العصر الفاطمي , الهيئة المصرية العامة للكتاب و القاهرة , 1993م , ص 35-36 . وسيشار له لاحقا : أحمد , المراة في مصر ؛ الزعبي , فايزة محمود أحمد , مراسيم الزواج في مصر وبلاد الشام في العصر الفاطمي حتى نهاية دولة المماليك , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة اليرموك , الأردن , 2003 م, ص 26 . وسيشار له لاحقا : الزعبي , مراسيم الزواج .

(3) أبن الأثير , مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني , (ت 606هـ/ 1209م) , النهاية في غريب الحديث والاثر , تحقيق : طاهر أحمد الرازي ومحمود محمد الطناحي , المكتبة العلمية , بيروت , 1979م , ج3 , ص 18 . وسيشار له لاحقا : أبن الأثير , النهاية .

(4) أحمد , دور المراة في مصر خلال العصر الفاطمي , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة آل البيت , الاردن , 2010م , ص 138 . وسيشار له لاحقا : أحمد , دور المرأة ؛ رحمة الله , فليحة , صورة الحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي في العراق , المجلة التاريخية المصرية , ج17 , ع1 , 1970م , ص 13 . وسيشار له لاحقا : رحمة الله , صورة .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 25 .

واختلف مقدار الصداق من خليفة لآخر , فلم يكن مقدار الصداق أو المهر ثابتاً , فقد أورد ابن طوير ان الخليفة الآمر بأحكام الله قد عقد قرانه على ابنة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي سنة 522هـ/ 1128م فاشتمل الصداق على مائة ألف دينار , ومئة خلعة , كل خلعة تعادل خمسمائة دينار , ومئة خادم , ومئة جارية , وكذلك منحها الناحيتين بطمندي واثنين[1] عرفتا بالعروستين إلى الآن[2] , ثم أرود المقريزي أن الخليفة الآمر بأحكام الله وهب ابنة الوزير الأفضل صداقا بلغ اربعة عشر ألف دينار , إلا أنها رفضت وأقفلت أبواب مقصورتها فأشترطت عليه ان يهب لها مثلما وهب لأحد غلاميه , فيذكر أن الخليفة وهب لهم مئتي ألف دينار , لكل وأحد مائة ألف دينار , فاستدعى الخليفة الفراشين , وحمل عشرة أكياس في كل كيس عشرة آلاف دينار , وفتحت له الباب ودخل[3] , وعندما رزقت بطفلة سماها الخليفة ست القصور , منحها أكثر من مئتي ألف دينار[4] . مما يدل ذلك على المكانة التي كانت تتمتع بها نساء القصر في العصر الفاطمي .

كذلك تمتعت نساء الوزراء وغيرهم من نساء رجالات الدولة بمهور عالية كانت تنفق أحيانا من بيت مال الدولة , فالخليفة الحاكم بأمر الله أنفق في سنة 403هـ/ 1012م على عقد زواج لأبنتي قائد القواد حسين بن جوهر وخلع على الزوجين ألفين دينار وحملهما عنهما[5] , ثم زوج القاضي عبد العزيز[6] ولديه سنة 394هـ/ 1003 بأبنتي القائد فضل بن صالح على صداق أربعة آلاف دينار , فدفعها الخليفة الحاكم عنهما من بيت المال أيضا[7] , ثم تزوج القاضي عبد العزيز من ابنة القائد جوهر الصقلي سنة 375هـ/ 985م فعقد الصداق على ثلاثة آلاف دينار[8].

---

(1) بطمندي واثنين : هما مدينتان باسم اثنين أو اثنتين , طمبدي أو طنبدي , الأولى من كفور البتنون من أعمال المنفية بالوجه البحري , والثانية طنبذة من اعمال البهسني من صعيد مصر ؛ أبن طوير , نزهة , ص 6 , هامش 3 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 6 .

(3) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 652 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 123 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 123 .

(5) المقريزي , اتعاظ, ج2 , ص 98 .

(6) عبدالعزيز : هو عبد العزيز بن محمد بن النعمان المغربي القيرواني , ولي القضاء على مصر والحرمين والشام , ثم أضيفت له المظالم سنة 394هـ/ 1003م ؛ الكندي , الولاة , ص 601 .

(7) الكندي , الولاة , ص 601 .

(8) الكندي , الولاة , ص 592 .

أضافة إلى الصداق والمهر التي تتمتع به نساء الطبقة الخاصة في العصر الفاطمي , كانت هناك نفقات تضاف إلى الصداق وهو الجهاز , فقد كانت هذه الفئة تبالغ في إعداد جهاز بناتها , كنوع من انواع الترف , وإبراز عظمة النفوذ , فقد جهز يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله ابنته جهازاً بمئتي ألف دينار[1] , وزفت أخت كاتب السيدة العزيزية سنة 381هـ/ 991م إلى بلتكين التركي ومعها جهاز بمائة ألف دينار , وصناديق محملة على ثلاثين بغلا , ومئة قطعة من الثياب الملونة على أيدي خمسة وعشرين غلاماً , وعمل لها وليمة ذبح فيها عشرون ألف حيوان , ما بين كبش وخروف وجدي وإوزة ودجاج[2] .

كذلك عند زواج الخليفة العاضد لدين الله سنة 556هـ/ 1160م من ابنة الوزير الصالح بن رزيك , وحمل معها جهازاً فخماً فيه العديد من الصناديق , ويحتوي على الكثير من قناطير الذهب[3] .

كذلك كان الخلفاء الفاطميون يمنحون نساء القصر أموالا ضخمة ذخيرة لهن , فقد أمر الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 411هـ/ 1020م منح والدته خمسمائة دينار ذخيرة لها[4] , بينما كان لأخته ست الملك إقطاعا يبلغ خمسمائة ألف دينار سنويا[5] , وكان للسيدة زوجة الحسين بن جوهر إقطاعا يغل في السنة ما يقدر بستمائة دينار أجرة في كل شهر[6] .

ويدل هذا على عظم ثروات نساء القصر , فقد نجد في بعض الأحيان أن تقوم النساء بتقديم الهدايا والأعطيات إلى الخلفاء ورجالات الدولة , فقد أهدت ست الملك سنة 387هـ/ 997م اخاها الحاكم بأمر الله ثلاثين فرساً مسرجة , إحداها مرصعة والآخر مبلور وبقيتها ذهب , وعشرين بغلة مسرجة ملجمة , وخمسين خادماً , ومئة تخت ثياب , وتاجاً مرصعاً , وشاشية مرصعة وأسفاطا كثيرة من طيب، وبستانا من الفضة مزروعا من أنواع الشجر[7] , كما بعثت السيدة العزيزية لأحد القواد عندما رزق بمولود مائة ثوب صحاحا من كل فن، وثلاثمائة دينار، ومهدين، أحدهما أبنوس محلى بذهب، والآخر صندل محلى بفضة مخرقة، ولهما أغشية ومخاد وثياب وفرش مثقلة[8] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 382 .

(2) أبن ميسر , المنتقى , ص 170 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 271.

(3) عمارة , أبو محمد نجم الدين علي بن زيدان الحكمي , (ت 569هـ/ 1173م) , النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية , اعتنى بتصحيحه هرتويغ درنُبرغ , مطبعة مرسو , باريس , 1897م , ص 54 . وسيشار له لاحقا : عمارة , النكت العصرية ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 246 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 116 .

(5) الزبير، الذخائر، ص 240 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 195 .

(6) المسبحي , أخبار مصر , ج1 , ص 93 .

(7) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 15 .

(8) المصدر نفسه , ج1 , ص 271.

كانت لنساء القصر في العصر الفاطمي رعاية خاصة , فكان هناك مما يشرف على شؤونهن , ومن يقوم بهذا العمل يعرف بزمام القصر , وهو المشرف على القصر وخاصة النساء[1] , حيث يقوم بتسجيل ما يصرف من رواتب على خدمة سيدات القصور والأشراف على الأعطيات , ومنح الكسوات , وتسجيل ما يرد من التحف والهدايا , وضبط ما ينفق منها[2].

فقد كان يستخرج لنساء القصر الجرايات , فكان يطلق لهن من بيت المال ثلاثة آلاف دينار في الشهر , ومائة دينار عن كل يوم , وأربع جمع حمام , في كل جمعة مائة دينار , ويستخرج أربعمائة دينار برسم الاخوة والأخوات من بيت المال , ويستخرج ألفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون ديناراً رسماً خاصاً للسيدة الملكة والسيدات والموالي والجواري والمستخدمات من أعمال القصر كافة[3] .

وكان لنساء القصر أطباء خاصون , يشرفون على صحتهن ومعالجتهن داخل القصر , فكان يستخرج للأطباء راتبا شهريا يبلغ ثلاثين دينار[4] .

وكانت الجواري تملأ القصور الفاطمية[5] , فقد بلغت الجواري في المجتمع الفاطمي شأنا عظيما , فكلما كانت الجارية جميلة أو مغنية ارتفع شأنها , واستحوذت على رضا الخليفة أو الأمير أو الوزير , وبذلت المبالغ الكبيرة للحصول عليها[6] , فقد كثر اهتمام الخلفاء الفاطميين بالجواري والمغنيات , فكان معظم الجواري مغنيات , فيحكى ان جارية اشتريت من بغداد تجيد الغناء للأمير تميم بن المعز لدين الله[7] , فغنت له ولجلسائه , فأعجب بصوتها , فقال لها تمني ما شئت , فتمنت أن تغني ما غنت في بغداد , فلم يجد الأمير إلا تلبية طلبها , وأرسلها إلى بغداد[8] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 34 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 و ص 169 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 59

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 181 .

(4) المصدر نفسه , ج2 , ص 188 .

(5) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 104 .

(6) أيوب , إبراهيم رزق الله , التاريخ الفاطمي الاجتماعي , الشركة العالمية للكتاب , لبنان , 1997م , ص 29 . وسيشار له لاحقا : أيوب , التاريخ الاجتماعي .

(7) تميم بن المعز : هو أبو علي تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي , كان ابوه صاحب الديار المصرية والمغرب , لم ينل الخلافة لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز تولاها بعد وفاة أبيه ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج1 , ص 301 .

(8) متز , الحضارة الإسلامية , ج2 , ص 169 ؛ سرور , محمد جمال الدين , مصر في عصر الدولة الفاطمية , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , 1960م , ص 251. وسيشار له لاحقا : سرور , مصر في عصر الدولة الفاطمية .

وكان الخليفة المستنصر يميل إلى سماع المغنيات , فذكر أنه سمع إحدى الجواري تغني تحت قصره فأعجب بصوتها وأدائها , وأجرى لها العطاء[1] , فقد حظيت المغنيات بمكانة كبيرة لدى الخليفة المستنصر بالله , فعند استيلاء البساسيري على بغداد سنة 451هـ/1059م وخطب للخليفة المستنصر الفاطمي على منابر بغداد , فزينت مصر والقاهرة بهذا الخبر , وجاءت الطبالة[2] فغنت بين يدي الخليفة وقالت :

يا بني الـعـبـاس ردوا ملك الأمر معـــد

ملككم ملك مـــعار والعوارى تـسترد[3]

فقال لها تمني , فتمنت الأرض المجاورة للمقس , فاقطعها إياها , فعرفت هذه الأرض بأرض الطبالة[4] لفترة طويلة من الزمن , وأنشات تربة بأسمها على هذه الأرض[5] .

كانت الدولة الفاطمية تنفق الأموال الكثيرة على شراء الجواري , فبلغ عدد جواري القصور في عهد الخليفة العزيز بالله عشرة آلاف جارية[6] . وهذا يدل على حجم الأموال التي تم إنفاقها على الجواري , أما في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله فقد بلغ عدد الجواري في قصور الخلافة ثمانية آلاف جارية [7] , أما قصر الخليفة المستنصر بالله فبلغ عدد الخدم اثني عشر ألف غير الجواري اللواتي لا يمكن وصف أعدادهن[8] .

فلم يتوقف امتلاك الجواري لدى الخلفاء الفاطميين فحسب , بل نجد الوزراء ونساء قصور الخلافة يمتلكون الأعداد الكبيرة من الجواري , فالوزير يعقوب بن كلس كان يمتلك ثمانمائة جارية [9]

---

(1) كاشف , سيد إسماعيل , وآخرون , موسوعة تاريخ مصر عبر العصور , أعدها للنشر عبد العظيم رمضان , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر , 1993م , ص 329 . وسيشار له لاحقا , كاشف , مصر عبر العصور ؛ أحمد , دور المرأة , ص 70 .

(2) نسب الطبالة : هي امراة مترجلة تقف تحت القصر في المواسم والأعياد وتغني , تسير المواكب , وحولها طائفة تضرب الطبل ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 656 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 14 .

(3) أبن ميسر , المنتقى , ص 18 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 254 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 14 .

(4) أرض الطبالة : هذه الأرض تقع على جانب الخليج الغربي بجانب المقس , كانت من أحسن المنتزهات القاهرة , يمر النيل من غربيها , تنتهي هذه الأرض إلى موضع يعرف بالجرف على جانب الخليج الناصري , سميت بأرض الطبالة لان الخليفة وهب الأرض إلى مغنية تعرف بنسب الطبالة وسميت باسمها ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 656-657.

(5) أبن ميسر , المنتقى , ص 19 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 657 ؛ المقريزي , اتعاظ و ج2 , ص 254 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج 5 , ص 14 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 295 .

(7) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 195 .

(8) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 104 .

(9) الدوداري , الدرر المضيئة , ص 226 .

, وكان في مجلس الأفضل بن بدر الجمالي الذي يشرب فيه ثماني جواري متقابلات , أربع منهن بيض من كافور , وأربع سود من عنبر , عليهن أفخر الثياب وأثمن الحلي , وبأيديهن أحسن الجواهر , فإذا دخل من باب المجلس ووطئ العتبة نكسن رؤوسهن خدمة له , فإذا جلس في صدر المجلس استوين قائمات خدمة له[1] .

أما نساء القصر الفاطمي فقد كن يمتلكن العدد الكبير من الجواري , لذلك نجد أن ست الملك أخت الخليفة الحاكم بأمر الله حين توفيت وجد لها ثمانية آلاف جارية[2] .

فلم يقتصر الخلفاء الفاطميون على أمتلاك الجواري فحسب , بل تعدى ذلك إلى أن يتزوجوا منهن , فقد تزوج الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله من السيدة رصد استهدادها له أحد التجار يدعى أبا سعيد التستري اليهودي فأنجبت منه الخليفة المستنصربالله [3] , كذلك كان الخليفة الآمر بأحكام الله يعشق الجواري , حتى صارت له عيون في البوادي للبحث عنها , فبلغه أن بالصعيد جارية من أكمل العرب , وأظرف نسائهم , فقيل أنه تزيا بزي الأعراب إلى ان وصل اليها , فأرسل من يخطبها من أهلها وتزوجها وأصبحت من بلاط القصر الفاطمي[4] .

ثالثا : نفقات مرافق وقصور الخلافة

أنشأ الفاطميون في القاهرة لأول مرة قصراً للخلافة وأوجدوا به بلاطاً للخلفاء , تقليداً من الخلافة العباسية في بغداد , فقد سعى الفاطميون جاهدين للتخلص من دعائم دولة العباسيين السياسية , باسطين هالة القداسة على أنفسهم , منفقين من الأموال بسخاء على بناء حاضرة لهم في مصر , لتنافس البلاط العباسي في بغداد , وأباطرة الروم , بل تفوقوا عليهم بمظاهر الترف والبذخ التي عالى الفاطميون في أنفاقها مستغلين كل أماكنيات مصر الاقتصادية .

ومنذ أن أستقر الخليفة المعز لدين الله في القاهرة سنة 362هـ/ 972م مع أسرته وحاشيته في القصر الشرقي الكبير الذي أبتناه القائد جوهر الصقلي في الجهة الشرقية من القاهرة

---

(1) أبن ميسر , المنتقى , ص 82 .

(2) الزبير، الذخائروالتحف , ص 240 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 272 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 42 .

(4) المصدر نفسه , ج2 , ص 796.

بأمر من الخليفة المعز لدين الله سنة 358هـ/968م , حتى أصبح دارا للخلافة يسكنه الخلفاء الفاطميون حتى نهاية الدولة الفاطمية , وأشتمل القصر على عدة مواضع منها قاعة الذهب , وهي أكبر قاعات القصر وأضخمها , وأثث القصر بأفخر الأثاث من الجوهر والحلي والفرش وأوانٍ وثياب وسلاح وأصفاط وأعداد وسروج , وفيه جميع ما يكون للملوك[1] .

وأحضر الخليفة المعز من افريقية إلى القصر توابيت آبائه الذين قد سبق ودفنوا فيها , ودفنهم في مقبرة القصر , التي يطلقون عليها تربة الزعفران , أو التربة المغربية , وبها دفن المعز وكافة الخلفاء الفاطميين ونساؤهم[2] .

وكانت الدولة الفاطمية تنفق الأموال الكثيرة على قصور الخلافة , وخاصة على قاعة الذهب , التي بها سرير الملك , والتي تعد مقرا لاستقبال الرسل الوافدين من البلدان الأخرى , ويعمل بها أسمطة الطعام في المواسم والأعياد , وخاصة في عيدي الفطر والنحر , ومنها يخرج الخليفة في مواكبه الاسبوعية يومي الاثنين والخميس يشق شوارع القاهرة , وقد وصف المقريزي هذه القاعة بقوله " وما كان بالقصر من ذلك إن وزن ما استعمل من الذهب الإبريز الخالص في سرير الملك الكبير، مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال ووزن ما حلي به الستر الذي أنشأه سيد الوزراء أبو محمد البازوري من الذهب أيضا ثلاثون ألف مثقال، وإنه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه، وذكر أن في الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهبا، وعشرين ألف درهم مخرّقة، وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه، وأن في الشمسية التي لم تتمّ من الذهب سبعة عشر ألف مثقال"[3] , كذلك علقت فيه الستائر الديباج والستور المذهبة، وعلق جميع السقائف كلها بالستور وفرشت القاعة بالفرش[4].

وقامت السيدة تغريد أم الخليفة العزيز بالله بن المعز سنة 366هـ/ 976م بتشييد قصر سمته قصر القرافة , وهو من أعظم القصور بما يتميز من حسن الآثار في إتقان بنيانه وصحة أركانه , فيتصل بالقصر بستان جميل , وحمام وبئر وبجانب جامع القرافة , فقد شيد على مرتفعه قبو تمر المارة من تحته , ويقيل المسافرين في أيام الصيف[5] , وجدده الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 420هـ/ 1029م

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 143-135 و ج2 ,ص 105-106 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 143 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 161 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 109-110 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 140 .

(5) المقريزي , اتعاظ, ج2 , ص 338 .

وعمل تحته مصطبة للصوفية , وبسطت الحصر ومدت لهم الأسمطة من الأطعمة والحلوى اصنافا مصنفة , فانفق على الفقراء من بيت المال ألف دينار[1] .

وبنى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله قصرا عرف بقصر اللؤلؤة ويقال لها أيضا منظرة اللؤلؤة القريبة من القصر الغربي , وهو من أحسن القصور وأعظمها زخرفة , وهو يعتبر أحد متنزهات الدنيا في العصر الفاطمي , يشرف من شرقيه على البستان الكافوري , ويطل من غربيه على الخليج من قرب باب القنطرة , وفيه بساتين عظيمة , وبرك ترف ببطن البقرة، فيرى الجالس في هذا القصر جميع أرض الطبالة ، وسائر أرض اللوق ، وما هو من قبليها، ويرى النيل من وراء البساتين , فكان لمنظرته تسر الناظرين[2] .

وقد تجلت مظاهر الإنفاق في عصر الخليفة المستنصر بالله بما شيده من قصور جميلة , بلغت درجة من الرقي والعمارة ومن أهمها القصر الغربي أو القصر الصغير , وكذلك عرف بقصر البحر شيد سنة 450هـ / 1058م , يقع غربي القصر الشرقي أو القصر الكبير , ويعتبر من أعظم القصور , حتى انه وصف بأنه لم يبنى مثله في الشرق ولا في الغرب , فانفق على بنائه ألفي ألف دينار , ويعود السبب في بنائه أن الخليفة عزم على أن يجعله منزلا للخليفة القائم بامر الله (428-467هـ/1036-1075م) العباسي صاحب بغداد , فيجمع بني العباس إليه , ويجعله كالمجلس لهم , فخاب أمله وجعله لنفسه[3].

أما الخليفة الآمر بأحكام الله فقد بنى قصراً لزوجته البدوية التي هام في حبها , حتى لا يستطيب لها العيش في القصور , وسماه قصر الهودج , وهو يقع في جزيرة الفسطاط بجوار البستان المختار على شاطئ النيل , وأنفق عليه الأموال الضخمة[4] . كما شيد الخليفة قصر الورد بالخانقية[5] سنة 522هـ/1128م , وبه جنان كثيرة , وكان من أحسن المتنزهات المصرية , وبها عدة دويرات يزرع بها الورد , فسار إليها الخليفة يوما وأعجب بها وأمر بإنشاء قصر عظيم من الورد , يخدم بضيافة عظيمة [6] . كان ينفق على هذه القصور الأموال الكثيرة , لكن لم تذكر لنا المصادر حجم الأموال التي تم انفاقها على هذه القصور .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 338-339 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 295-297 ؛ ناصر خسرو , سفر نامة , ص 107 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 270-271 .

(4) المقريزي , الخطط, ج2 , ص 235 ؛ السيوطي , جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر , (ت 911هـ/ 1505م) , حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة , تحقيق محمد أبو الفضل , ط1 , دار احياء الكتب العربية , مصر , 1967م , ج2 , ص 380 . وسيشار له لاحقا : السيوطي , حسن المحاضرة .

(5) الخانقية : هي قرية من قرى قيلوب كانت من خاص الخليفة ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 344 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 212 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 344 .

أما نفقات مرافق وخزائن قصور الخلافة فهي على النحو التالي :

1- مطبخ القصر

يقع بجوار القصر الغربي , قبالة باب الزهومة من القصر الشرقي الكبير , يصل به عن طريق ممر تحت الأرض , وكان ينفق على المطابخ والأسمطة التي تقدم كل يوم في المواسم والاعياد والمناسبات النفقات الكبيرة , وقد خص لذلك صندوق يطلق عليه صندوق النفقات , يحمل إليه من بيت المال ما ينفق على هذه المطابخ وما يتعلق بها , وكان يخرج من المطبخ في شهر رمضان ألف ومئتا قدر من جميع أنواع الطعام , تفرق على أرباب الرسوم والفقراء[1].

يتألف محتويات المطبخ من الفستق والسكر والعسل والزيت والشمع والمربيات الفاخرة , وان المبلغ الذي يصرف على السكر لمائدة السلطان خمسون ألف قنطار, لكثرة استعمالات السكر, فقد وصف ناصر خسرو المائدة " وقد رأيت على المائدة شجرة أعدت للزينة تشبه شجرة الترنج كل غصونها وأوراقها وثمارها مصنوعة من السكر وعليها ألف صورة وتمثال مصنوعة كلها من السكر "[2] .

فكان ما يصرف على البقول والتوابل في اليوم نصف دينار , ومن الضأن راس واحد , ومن الحيوانات ثلاثة أطيار , ومن الحطب حملة واحدة , ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلا , ومن الخبز عشرون وظيفة , كان يقدم كل اثنين وخميس في قاعة الذهب[3] , وكان يصرف على المطبخ في كل شهر على اللحم والتوابل مبلغ قدره خمسمائة دينار في الشهر , يزيد عن ذلك أو ينقص , وفي كل يوم سلة فاكهة بدينار , وعشرة أرطال شمع , ونصف حمل ثلج كان هذا أيام الخليفة العزيز بالله [4] .

كان يخصص مبلغ يومي للمطبخ فيذكر المقريزي في أحداث سنة 386هـ/996م بلغ راتب مطبخ الخليفة ومائدته مالا عظيما[5] .

(1) أبن مماتي , قوانين , ص 350 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 281 ؛ ناصر خسرو , سفر نامة , ص 108 .
(2) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 108 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 476 .
(3) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 66 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 142 .
(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 445 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 13 .
(5) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 295 .

وفي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله كان يذبح في الشهر خمسة آلاف رأس من الضأن خاصة , سوى ما يذبح مما سوى ذلك ,وكان ثمن الراس ثلاثة دنانير , فإن مجمل ما ينفق على اللحوم ما يزيد عن خمسة عشر ألف دينار في الشهر(1).

كان يعهد أحياناً إلى صاحب بيت المال شراء احتياجات الخليفة اليومية من الفاكهة والرطبة واليابسة , فإن الخليفة المعز لدين الله أوكل صاحب بيت المال بشراء ما يحتاجه من الفواكة وحوائج المطبخ السلطاني بسعر الناس(2) .

وكان يحمل إلى مطبخ القصر كل يوم أربعة عشر حملا من الثلج , وكان لمعظم الأمراء والخواص راتب من هذا الثلج , ويصرف منه لمن يطلبه من مرضى المدينة , وكذلك لمن كل من يطلب من أهلها مشروبا أو دواء من الحرم السلطاني , ويبلغ عدد العاملين في المطبخ خمسون غلاما لتجهيز الطعام والمائدة للسلطان (3) .

2- دار الضيافة

أنشأها الوزير الأفضل بن بدر الجمالي سنة 501هـ/1107م فكانت تعرف بدار الوزارة , فسكنها وحول إليها الدواوين من القصر وجعل فيها الأسمطة , واتخذها مجلس سماه مجلس العطايا ثم أتخذ الأفضل من هذا الدار مقرا للحكم(4) .

بعد وفاة الأفضل استخدمت هذه الدار لتكون دارا للضيافة , لاستقبال السفراء والرسل الوافدين إلى الدولة الفاطمية , استمرت هذه الدار حتى زوال الخلافة الفاطمية (5) .

كان يشرف على إدارة الدار موظف يعرف بالنائب , لأنه ينوب عن صاحب الباب(6) في استقبال الرسل الوافدين , حيث كان يخصص لكل رسول دارا تصلح له , ويقيم من يقوم بخدمته , ويرتب ما يحتاجون اليه , ولا يمكن لأحد الاجتماع بهم سوى الخليفة والوزير, فكان يخصص لدار الضيافة كل شهر خمسين دينار , ومن الخبز نصف قنطار , وقد يهدي إليه المرسلون ظرفا فلا يتناولها إلا بإذن الخليفة(7) .

---

(1) المقريزي , اتعاظ, ج3 , ص 131 .

(2) المصدر نفسه , ج1 , ص135-136 .

(3) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 108 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 279 ؛ أبن ميسر , المنتقى , ص 76-77 .

(5) المقريزي , الخطط, ج2 , ص 279 .

(6) صاحب الباب : وهي ثاني رتبة بعد الوزير , ويقال لها الوزارة الصغرى , فهو الذي ينظر في المظالم إذا لم يكن الوزير صاحب سيف , فإن كان لهم وزير صاحب سيف كان هو الذي يجلس للمظالم بنفسه , وصاحب الباب من جملة ما يقف بخدمته ؛ أبن طوير , نزهة , ص 122 .

(7) أبن طوير , نزهة , ص 118 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 280 .

3- دار الفطرة

تقع دار الفطرة خارج القصر , أسست في عهد الخليفة العزيز بالله , يعمل فيها اصنافا من الحلوى التي يتم توزيعها على العامة في الاعياد والمناسبات الرسمية , وكذلك يتم توزيع الاضاحي التي تقدم إلى الاولياء وللفقراء والمساكين , وكان مصروفها يتراوح في كل سنة من سبعة آلاف إلى عشرة آلاف دينار , تخصص من هذا المبلغ شراء السكر والعسل والزعفران والطيب والدقيق والفستق والبندق والتمور والخل والسمسم وغير ذلك مما يعمل في الأعياد من أطباق الحلوى , وفي عيد الفطر كان ينفق على الدار ألف حمل دقيق , وسكر سبعمائة قنطار , والفستق ستة قناطير , واللوز ثمانية قناطير , والبندق أربعة قناطير , ومن التمر أربعمائة أردب , ومن الزبيب ثلاثمائة أردب , ومن الخل ثلاثة قناطير , ومن العسل خمسة عشر قنطاراً , ومن الحطب كان يحمل ألف ومئتان حملة , ومن السمسم أردبان , ومن الينسون أردبان , ومن الزيت برسم الوقود ثلاثون قنطارا , وخمسون رطلا ماء الورد , ومن المسك خمسة أوعية , وكافور قديم عشرة مثاقيل , ومن الزعفران المطحون مائة وخمسون درهماً , وينفق على المواعين والبيض والسقائين وغير ذلك من المؤن خمسمائة دينار[1] .

كان الخليفة ينعم على المستخدمين في الدار ستين ديناراً بعد أن يشاهد ما في الخواص المعمولة والمعبأة مثل الجبال في كل صنف[2] .

4- دار الكسوة

هي دار أنشأها الخليفة المعز لدين الله , فكان يفصل فيها جميع أنواع الثياب والبز[3] , يكسو بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف[4] , تحتوي هذه الدار على خزانتين , فالأولى تسمى الخزانة الظاهرة , والأخرى تدعى الباطنة , فالظاهرة يتولاها أستاذ أو غيره من خواص الخليفة وفيها من الحواصل من الأقمشة وملابس النساء والرجال من الديباج الملون على أختلاف أنواعه , وكان يحمل إليها ما يعمل بدار الطراز بتنيس ودمياط والإسكندرية ,

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 145-146 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 201 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 126-127 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 529 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 145 .

(3) البز : نوع من أنواع الثياب والسلاح , يقال لها متاع البيت من الألبسة . الفيروزآبادي , القاموس المحيط , ص 503.

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 165 .

وبها صاحب المقص وهو رئيس الخياطين والمقدم على جميع العاملين , وتحت إشرافه عدد من الموظفين , يقومون بخياطة ما تدعو إليه الحاجة من لباس الخليفة وما يحتاج إليه من الخلع والتشريفات وغير ذلك , ثم ينقل بعد ذلك إلى الخزائن الباطنية[1] , فكان هناك ديوان خاص سمي بديوان خزائن الكسوات يشرف على توزيع الملابس في الأعياد والمناسبات[2].

اما خزائن الكسوة الباطنية , فهي مشتملة على الخزائن الظاهرة , فهي تتخذ مكانا يغير الخليفة ملابسه فيها , تتولاها امرأة تنعت بزين النساء , تساعدها ثلاثون جارية , فلا يغير الخليفه ملابسه إلا عندها , فتلقي الزهور كل يوم لتعطير ثيابه[3].

وكانت الخلافة الفاطمية في كل سنة تخرج كسوة في الصيف والشتاء من خزائن الكسوة لجميع أهل الدولة من صغير وكبير في أوقات معروفة , فكان ينفق على هذه الكسوات ستمائة ألف دينار ويزيد على ذلك , فكانت تشمل السراويل وما دونه من الملابس والمناديل من أفخر الثياب ونفيس الملبوس[4] .

إضافة إلى ذلك كانت تخرج للأمراء ملابس الخلع المصنوعة من الطراز الديبقي العمائم المطرزة بالذهب , فكان ينفق على طراز الذهب والعمامة خمسمائة دينار , تقدم إلى أكابر الأمراء , ويقدم لهم الأطواق والأساور والسيوف , فكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد الجوهر , فكانت غالبا تبلغ تكلفته خمسة آلاف دينار[5] .

وكان من أبهة الفاطميين أن يضعوا علامات تخص الخليفة , وبعض الأحيان يكتب أسم الخليفة على طراز ثوبه , فقد لبس الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 516هـ/ 1122م من خزائن الكسوة برسم الموكب في الصيد بدلة جليلة مذهبة ثوبها موشح مجاوم ومذايل عدتها باللفتين أحدى عشر قطعة , كل قطعة تكلف مئة وستة وسبعين ديناراً ونصف , ومن الذهب الغالي المغزول ثلاثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف , كل مثقال غزله ثمن دينار , ومن الذهب العراقي الفان

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 128-129 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 173-174 ؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج2 , ص 16 .

(2) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 494 .

(3) أبن طوير , نزهة , ص 129 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 174 .

(4) المقريزي و الخطط , ج2 , ص 166 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 343 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 166 .

وتسعمائة واربعة وتسعون قصبة , أما الثوب الموشح فبلغت تكلفته خمسين ديناراً وثلاثمائة وواحد وخمسين مثقالاً ونصفاً ذهباً , وأجرة كل مثقال ثمن دينار , فتكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلاثمائة وأربعة وستون ديناراً ونصفاً , وثوب ديبقي حريري وسطاني تكلف اثني عشر ديناراً , ومنديل نخب أول مذهب تكلفته مائتان وخمسة دنانير[1] .

وكان يصرف من دار الكسوة كسوات للجند وموظفي الدولة وحاشية الخليفة والمستخدمين في المواكب والمناسبات والعامة والخاصة , فقد أنفق إلى أخي الخليفة الآمر بأحكام الله أبو الفضل جعفر بدلة مذهبة مبلغها تسعون دينار ونصف , وخمسة وعشرون مثقال ذهب عالٍ , كذلك كان يصرف على سيدات القصور لكل منهن حلة حريري , وعلى الأمراء يصرف لكل أمير بدلة مذهبة , ويعطى القاضي جوهر حلة مذهبة موشح مجاوم مذايل مطرف عدته خمسة عشر قطعة , اما الموظفون في القصر السلطاني , فكان يصرف على متولي الدفتر ومتولي بيت المال وكذلك حامل المظلة ومتولي المائدة بدلة مذهبة لكل واحد , اما باقي الموظفين فلكل واحد بدلة حريري , أما الوزير فله بدلة خاصة كبيرة موكبية عدتها إحدى عشر عدة , وأولاد الوزير وأخوانه والحاشية المأمونية ثلاثون بدلة [2] , وينفق على مشارف خزائن السروج بدلة حريري , ومشارف خزائن الفرش ومشارف بيت المال ومشارف خزائن الشرب ومشارف خزائن الكتب لكل منهم بدلة حريري , أما الخدام في القصور فكان لكل منهم كسوة الصيف والشتاء وكسوة العيدين[3] .

أما الذين يخيطون الكسوة في العيدين من الفراشين , ومن الذين يتولون الأسمطة ويقفون في تقديمها مبلغ كسوتهم تبلغ ستة آلاف دينار , وكان ينفق بدلة موكبية حريرية مكملة ومذهبة من بداية شهر رمضان برسم الجامع الأزهر للجمعة الأولى من الشهر , وبدلة موكبية حريرية برسم الجمعة الثانية للجامع الأنور , وبدلة منديلها وطيلسانها شعري للجمع الباقية[4] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 166-167 .

(2)المقريزي , الخطط, ج2 , ص 170 .

(3) المصدر نفسه , ج2 , ص 171-172 .

(4) المقريزي , الخطط, ج2 , ص 172 .

وكانت نفقات دار الكسوة تختلف من عام إلى عام آخر حسب موارد الدولة والأزمان التي تصيب البلاد , وسياسة الخلفاء والوزراء في الإنفاق , فكانت الدولة تنفق في معظم الأحيان على الكسوة ما يزيد عن ستمائة ألف دينار , وينفق في دار الطراز للأستعمالات الخاصة للخليفة وكبار رجال الدولة في كل سنة عشرة آلاف دينار[1] .

5- الأهراء السلطانية

يقصد بها المخازن التي يحمل إليها الغلات السلطانية من منفلوط[2] والحبس الجيوشي[3] , وينفق منها ما يوقع به عليها[4] , فقد كانت الأهراء السلطانية في الدولة الفاطمية تقع في مواضع عدة في مدينة القاهرة , فهي تحتوي على ثلاثمائة ألف أردب من الغلات , وربما يزيد عن ذلك , تحمل إليها الغلات عن طريق المراكب الواصلة إلى ساحل مصر , وساحل المقس , فتطلق الأقوات لأرباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان , وطواحين الخلافة , فكانت تخرج من الاهراء السلطانية الجرايات لرجال الأسطول وجرايات السودان ودار الضيافة لأخباز الرسل ومن يتبعهم , وكذلك يستخرج لزاد الأسطول القمح ما يعمل به الكعك , والشعير لدواب الواصلين بالغلات[5] .

كان الخليفة يبتاع من الغلال في السنة بمائة ألف دينار توضع في المخازن السلطانية لما تقتضيه لطلب الحاجة , ثم يقوم ببيعها بالسعر الذي يحدده ليجبر التجار على البيع بنفس السعر الذي يبيعه , ثم استعاضت الدولة عن المتاجرة بالغلال والمتاجرة بمواد أخرى عوضا عنها أكثر ربحا وغير قابلة للتلف , باقتراح من الوزير اليازوري على الخليفة المستنصر بالله

---

(1) ابن طوير , نزهة , ص 75 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 34 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 162-167 .

(2) منفلوط : بلدة بالصعيد في غربي النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج5 , ص 214 .

(3) الحبس الجيوشي : وهو ضياع وقرى وقفها أمير الجيوش بدر الجمالي على وجه البر . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 383 .

(4) أبن مماتي , قوانين , ص 350 .

(5) أبن طوير , نزهة , ص 132 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 288-289 .

بأن تخزين الغلال والمتاجرة بها فيها مضرة بالغة على المسلمين , فإذا انحط السعر على مشتراه فلا يمكن بيعها حتى يتغير في المخازن وتتلف , فالمصلحة أن تقيم متجرا لا كلفة على الناس فيه , يضيف أضعاف فائدة الغلة , ولا يخشى عليه من تغير المخازن ولا انحطاط السعر , فاستبدلت المخازن بالخشب والحديد والعسل والرصاص والصابون عوضاً عن الغلات[1] .

6- الإصطبلات

وكانت تتكون من بنائين أحدهما يسمى الطارمة , أي بمعنى بيت من الخشب يقابل قصر الشوك , والآخر يسمى الجميزة تقع في حارة زوية[2] , فكانت الإصطبلات تضم من الخيول والبغال والحمير والجمال عشرين ألف رأس , منها ألف فرس مخصصة لركوب الخليفة في كلا الاصطبلين[3] , وخمسمائة خيل للخليفة برسم أستعمال الخليفة , أما الخمسمائة الأخرى فكانت برسم استعمال الجند وترتب في أعياد الدولة الرسمية , فكان لكل إصطبل بئر بساقيته تدور حول أحواض , ومخازن فيها الشعير , وشونة فيها تبن , وكان تنظيم العمل في الإصطبلين متشابه , فكان لكل ثلاث خيول سائس برسم خدمتها في الإصطبل , ولكل واحد فيها شداد برسم تسييرها في المواكب , ولكل عشرين سائس رئيس أو عريف , عملة تسلم تجهيزات الخليل وتوزيعها عليهم , ثم يعيدها إلى خزائن السروج بعد انتهاء الموكب , فلكلا الإصطبلين رائض كامير خور , وكانت تصرف لهم رواتب منتظمة , وكانت الخلافة الفاطمية تنفق المبالغ الكبيرة على الإصطبلات , وكانت الدواب التي تخرج في مواكب الاحتفال تبلغ حوالي ألف رأس كلها تزين بسروج محلاة بالذهب[4] .

7- خزائن الجوهر والطيب والطرائف

تحتوي هذه الخزائن على الأموال والجواهر النفيسة والذخائر العظيمة والأقمشة الفاخرة , يستدعي منها الأعلام والجوهر في الأعياد , وكذلك عند حاجة الخليفة فيها , ثم يعاد اليها بعد الانتهاء منها , فكانت تخزن هذه الذخائر في صناديق[5] , فيذكر المقريزي أن في أيام الشدة العظمى (459-465هـ/ 1066-172م

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 288 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 225 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 5 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 136 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 243 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 478 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 296 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 136-137 ؛المقريزي , الخطط , ج2 , ص 243-244 .

(5) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 478 .

) في عهد الخليفة المستنصر بالله أجبر الأمراء الخليفة على بيع ذخائر القصور لتغطية نفقات الجند بسبب افلاس خزينة الدولة , فأخرج من خزائن القصر صندوقاً يحتوي على سبعة أمداد زمرد قيمتها ثلاثمائة ألف دينار , وعقد جوهر قيمته ثمانون ألف دينار, وأخرج ألفا ومئتي خاتم ذهبا وفضة فصوصها من سائر أنواع الجوهر المختلف الألوان والقيم والأنواع , مما كان لأجداده, وأخرج لوبية [1] جوهر قيمتها سبعمائة ألف دينار, كما أخرج كميات كبيرة من خزائن البلور, والمينا المجري بالذهب, وخزائن الفرش والبسط والستور والتعاليق لا يحصى لها, وأخرج الصواني الذهب وعدتها ثمانٍ وعشرون صينية قومت كل صينية بثلاثة آلاف دينار, وسكاكين مذهبة ومصنفة من سائر الجواهر والعاج العدد الكثير, وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجوهر والذهب والفضة , تساوي ألف دينار واكثر , واخرج من الشطرنج والند المعمولة من سائر أنواع الجوهر والذهب والفضة والأبنوس برقاع الحرير والمذهب ما لا يجد كثرة نفائسه , وأخرج آلات فضة وزنتها ثلاثمائة ألف وأربعون ألف درهم, وأخرجت الكلوت المرصعة بالجوهر وقيمتها مائة وثلاثون ألف دينار, وأخرج أيضا ستين طستا وتسعين أبريقا من صافي البلور, وأخرج أجاين صيني معمولة لغسل الثياب ما لا يحصى عدده, قيمة كل قطعة ألف دينار, وأخرجت أقفاص مملوءة بالبيض مصنوعة من الجوهر للزينة , وأخرجت حصيرة من الذهب وزنها ثمانية عشر رطلاً, وعددا كبيرا من المرائي المصنوعة من الحديد والمحلاة بالذهب والفضة , وبعضها بالأحجار الكريمة , وأخرج من المظال التي قبضتها من الفضة والذهب الشيء الكثير , وأخرج أيضا من خزائن الفضة ما يقارب الألف درهم , وأخرج أقفاص مملوءة من سائر آلات مصوغة بالذهب وعدتها أربعمائة قفص سبكت جميعها , وأخرجت أربعة آلاف نرجسية مجوفة بالذهب يعمل فيها النرجس , وأخرج ستة وثلاثين ألف قطعة بلور وقوم السكاكين , فجاءت قيمتها ستة وثلاثين ألف دينار , وأخرج من تماثيل العنبر اثنين وعشرين ألف قطعة , وأقل تمثال منها وزنه عشر أمنان , وأكبره يتجاوز ذلك , وأخرج من خزائن الطيب خمسة صواري عود هندي , كل واحد يبلغ من تسعة أذرع , إلى عشرة أذرع وكافور قيصوري زنة كل حبة من خمسة مثاقيل إلى ما دونها , وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة آلاف مثقال , وأخرج مثارد صيني محمولة على ثلاثة أرجل ملء كل وعاء منها مائتا رطل من الطعام , وعدة قطع شب , وأخرج طاووس ذهب مرصع بنفيس الجوهر , عيناه من الياقوت الأحمر , وريشه من زجاج المجرى بالذهب على ألوان ريش الطاووس , وديك من الذهب له عرف مفروق كأكبر ما يكون من أعراف الديوك من الياقوت الأحمر مرصع بسائر الجواهر ,

(1) لوبية : هو مكيال مصري يساوي 11,6 كغم ؛ هنتس , المكاييل , ص 80

وعيناه ياقوت , وغزال مرصع بنفيس الدر والجوهر وبطنه أبيض قد نظم من در رائع , ومجمع سكارج من بلور تخرج منه وتعود فيه، فتحته أربعة أشبار ، مليح الصنعة في غلاف خيزران ، وبطيخة من الكافور في شباك ذهب مرصعة وزنها خالصة سبعون مثقالا من كافور، وقطعة عنبر تسمى الخروف وزنها سوى ما يمسكها من الذهب: ثمانون منا، وبطيخة كافور أيضا وجد ما عليها من الذهب ثلاثة آلاف مثقال ، ومائدة نصب كبيرة واسعة قوائمها منها ، وبيضة بلخش وزنها سبعة وعشرون مثقالا أشد صفاء من الياقوت الأحمر، وقاطر ميز بلور مليح التقدير ، يسع مروقتين قوم في المخرج بثمانمائة دينار , ومائدة جزع يقعد عليها جماعة، قوائمها مخروطة منها، ونخلة ذهب مكللة بالجوهر، وبديع الدر في إجانة ذهب تجمع الطلع والبلح، والرطب بشكله، ولونه وعلى صفته، وهيأته من الجواهر لا قيمة لها، وكوز زير بلور يحمل عشرة أرطال ماء، ودارج مرصع بنفيس الجوهر لا قيمة له، ومزيرة مكللة بحب لؤلؤ نفيس، وقبة العشاري، وكارته وكسوة رحله بلغ قيمتها مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم ، وأخرج العشاري الفضي الذي استعمل لأم المستنصر وكان فيه مائة ألف وعشرون ألف درهم ، وأخرج جميع كسا العشاريات التي برسم البرية والبحرية ، وعدتها كانت ستة وثلاثين عشارية بلغت قيمتها أربعمائة ألف دينار , وأخرج بستان أرضه فضة مخرقة مذهبة وطينة ند ، وأشجاره فضة مذهبة مصوغة وأثماره عنبر ، وغيره وزنه ثلاثمائة وستة أرطال ، وبطيخة كافور وزنها ستة عشر ألف مثقال ، وقطع ياقوت أزرق زنة كل قطعة سبعون درهما ، وقطع زمرد زنة كل قطعة ثمانون درهما[1] .

كما وجد للسيدة رشيدة أبنة الخليفة المعز لدين الله حين توفيت سنة 442هـ/ 1050م من الجوهر ما قيمته ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار , ثوب خز مقطوع[2] , فلما توفيت أختها عبدة في العام نفسه تركت أردبا من الزمرد , وألف وثلاثمائة قطعة فضية , وزن القطعة عشرة آلاف درهم , وتركت أربعمائة سيف محلى بالذهب , ومن الجوهر ما لا يحصى كثره , ووجد لها مدهن ياقوت أحمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا[3] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 175-180 .

(2) المقريزي , الخطط, ج2 , 176 .

(3) الزبير، الذخائروالتحف , ص 241 . المقريزي , الخطط , ج2 , ص 177 .

بالغ وزراء ورجال الدولة في الخلافة الفاطمية باكتناز الأموال والجواهر الثمينة , فلما قتل برجوان الخادم سنة 393هـ/1003م وجد له من الصياغات الذهب والفضة ما لا يحصى عدده , ومن السروج الثقيلة المحلية بالحلي مائة وخمسين سرجا , بينما وجد لقائد القواد الحسين بن جوهر حين قتل تسع مثارد صيني اسود فنصوري مملوءة حب كافور فنصوري , وزن كل حبة ثلاثة مثاقيل[1] .

أما الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي فقد ترك من بعد مقتله سنة 515هـ/1121م ثلاثين راحلة ذهب , وعشرة بيوت في كل بيت منها عشرة مسامير ذهب كل مثقال وزنه مائتا مثقال , ومن الطيب والنحاس والآلات ما لا يحصى عددا[2] .

ووجد للخليفة العاضد لدين الله بعد وفاته سنة 567هـ/1171م سبعمائة يتيمة من الجوهر وقضيب زمرد طوله أكثر من شبر وسمكه نحو الإبهام، وحبل من ياقوت، ووجد فيه إبريقاً عظيماً من الحجر المانع، وطبل للقولنج إذا ضرب عليه أحد يحصل له خروج ريح من دبره، ينصرف عنه ما يجده من القولنج[3] .

8- خزائن الفرش والأمتعة

وموضعها بالقرب من باب الملك , تحتوي على سائر أنواع الفرش الفاخر مثل المراتب الملونة والأبسطة , والحصر السامان المطرزة بالذهب والفضة والستور الحريرية المنسوجة بالذهب على أختلاف ألوانها وأطوالها , ومقاطع الأقمشة المنقوشة والمذهبة بالرسوم المختلفة , فكان الخليفة يحضر إليها من غير الجلوس , ويطوف فيها , ويسأل عن أحوالها , وينفق على مستخدميها خمسة عشر ديناراً في اليوم الذي يطوف فيه [4] .

بالغ الخلفاء الفاطميون بإبراز عظمتهم وامكانياتهم من خلال الإنفاق على الفرش , نرى ذلك من خلال أن الخليفة الحاكم بأمر الله أمر سنة 386هـ/ 996م عندما سمع بقدوم رسول من إمبراطور الروم بإخراج ديباج مغرّز بالذهب من خزائن الفرش ، لفرش الإيوان وعلّق في حيطانه حتّى صار الإيوان يتلألأ بالذّهب ، وعلّق في صدره العسجدة ، وهى درقة من ذهب مكلّلة بفاخر الجوهر يضيء لها ما حولها، إذا وقعت عليها الشمس لا تطيق العيون النظر إليها[5]

---

(1) الزبير، الذخائروالتحف , ص 232-233 .

(2) أبن ميسر , المنتقى , ص 80 .

(3) أبن كثير , البداية والنهاية , ج16 , ص 454 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 133؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 180-182 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 477 .

(5) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص195 .

وأخرج من الخزائن أيام الشدة المستنصرية مئة ألف قطعة مذهبة , وأخرج قطعة خسرواني حمراء بيعت بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار , كما أخرج من الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسرواني أحمر مطرز بأبيض في هدبها لم يفصل من كسا بيوت كاملة بجميع آلاتها ومقاطعها, كل هذا يدل على عظمة الفاطميين في انفاقهم على الفرش والامتعة[1] .

وأخرج من خزائن القصر من سائر الخسرواني ، ما يزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها مذهب ، ما حررت قيمته على أكثر من مائة ألف قطعة مذهبة ، وأخرج مرتبة خسرواني حمراء بيعت بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ، ومرتبة قلموني بيعت بألفين وأربعمائة دينار ، وثلاثين سندسية بيعت كل واحدة منها بثلاثين دينارا ، ونيف وعشرين ألف قطعة خسرواني في هدبه لم يقطع منها شيء ، وكانت قيمة العرض المبيع بأقل القيم ، وأبرز الأثمان في مدة خمسة عشر يوما من صفر سنة ستين وأربعمائة سوى ما نهب وسرق ثلاثون ألف ألف دينار[2].

ويذكر المقريزي أن الفراشين دخلوا إلى بعض خزائن الفرش لما اشتدت مطالبة المارقي للمستنصر بالمال إلى الخزانة المعروفة بخزانة الرفوف ، وسميت بذلك لكثرة رفوفها ، لكل رف منها سلم مفرد ، فأنزلوا منها ألفي عدل شقق طميم بهدبها من سائر أنواع الخسرواني وغيره لم تستعمل بعد ، وجميع ما فيها مذهب معمول بسائر الأشكال ، والصور ، وأنهم فتحوا عدلا منها ، فوجدوا ما فيه أجلة معمولة للفيلة من خسرواني أحمر مذهب كأحسن ما يكون من العمل ، وموضع نزول أفخاذ الفيل ، ورجليه ساذجة بغير ذهب . وأخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسرواني أحمر مطرز بأبيض في هدبها لم يفصل من كسا بيوت كاملة بجميع آلاتها ومقاطعها ، وكل بيت يشتمل على مسانده ، ومخاده ، ومساوره ، ومراتبه ، وبسطه وعتبه مقاطعه وستوره ، وكل ما يحتاج إليه فيه , وأخرج من خزائن الفرش من البيوت الكاملة الفرش من القلموني والديبقي من سائر ألوانه ، وأنواعه المخمل ، والخسرواني ، والديباج الملكي ، والخز وسائر الحرير من جميع ألوانه وأنواعه ما لا يحصى كثرة ، ولا يعرف قدره نفاسة ، وأخرج من الحصر، والأنخاخ السامان المطرزة بالذهب والفضة وغير المطرزة من المخرمة ، والطيور والفيلة المصورة بسائر أنواع الصور شيء كثير، والتمس بعض الأتراك من المستنصر مقرمة ,

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 180-181 .

(2) المصدر نفسه , ج2 , ص 180 .

يعني ستارة سندس أخضر مذهبة، فأخرج عدلاً منها مكتوب عليه: مائة وثمانية وثمانون من جملة أعداد أعدال، فيها من المتاع، ووجد من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها عدة مئين تقارب الألف فيها: صور الدول وملوكها، والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة أيامه وشرح حاله , وأخرج من خزائن الفرش أربعة آلاف رزمة خسرواني مذهب في كل رزمة فرش مجلس ببسطه وتعاليقه ، وسائر آلاته منسوجة في خيط واحد باقية على حالها لم تمس ، وصار إلى فخر العرب مقطع من الحرير الأزرق التستري القرقوبي غريب الصنعة منسوج بالذهب، وسائر ألوان الحرير، كان المعز لدين الله أمر بعمله في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، فيه صورة أقاليم الأرض وجبالها، وبحارها، ومدنها، وأنهارها، ومسالكها شبه جغرافيا، وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر مكتوب على كل مدينة، وجبل وبلد ونهر، وبحر، وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير، وفي آخره مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقا إلى حرم الله، وإشهارا لمعالم رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، والنفقة عليه: اثنان وعشرون ألف دينار[1] .

9- خزائن السلاح

اهتم الخلفاء الفاطميون بتوفير الأسلحة لجيوشهم في مختلف الأوقات , فأنشأوا خزانة عرفت بخزانة السلاح , وظيفتها خزن وصناعة الأسلحة من مختلف الأنواع والأحجام , تقع هذه الخزانة في الإيوان الكبير بالقصر الفاطمي , في صدر الشباك الذي يجلس فيه الخليفة[2] .

يتم تصنيع الأسلحة في خزائن السلاح , فقد احتوت على مستخدمين يستدعون ما يحتاج اليه من خشب وحديد وسلوخ وأصباغ وآلات يعملون فيها ما يؤمرون به من آلات السلاح على أختلاف أوصافها وتباين أصنافها[3] , وهناك عمال يتعهدون بإصلاح الأسلحة وتقديم ما تحتاج إليه من مسح ودهان وصقل وجلاء وغير ذلك[4] .

كانت خزائن السلاح بالقصور الفاطمية عامرة وغنية , فقد جمع الخلفاء الفاطميون فيها اسلحة عظيمة القيمة التاريخية , كالسيف المسمى ذي الفقار , وهو السيف الذي غنمه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في وقعة بدر , ويقال ان هذا السيف آل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 180-181 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 160 ؛ العمايرة , الجيش الفاطمي , ص229 .

(3) أبن مماتي , قوانين , ص 354.

(4) حسن , كنوز الفاطميين , ص 58 .

, ثم إلى الخلفاء العباسيين , ثم حصل عليه الخلفاء الفاطميون , وأحتوت على درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه , وسيف الحسين بن علي عليه السلام , وسيف جعفر الصادق , وسيف كافور , ودرع الخليفة المعز لدين الله [1] .

كما أحتوت خزائن السلاح على ألبسة الجند من الكراغندات[2] المغشاة بالديباج المحكمة , والدروع المبطنة بالذهب والفضة , والدروع السابلة برؤوسها , والخوذ المحلاة بالذهب والفضة , والسيوف على أختلافها من العربيات والقلوجيات[3] , والرماح القنا والقنطاريات[4] المدهونة والمذهبة , وأنواع القسي المنسوبة إلى صناعها , كما أحتوت على الأسلحة الثقيلة كالمنجنيقات والسلالم وآلات الحصار والمدافع وآلات القتال البحري , وكان كل صنف منها مفردا عشرات وألوفاً[5] .

وفي الشدة المستنصرية حينما هاجم الجند خزائن القصور ونهبوها وبيع درع الخليفة المعز لدين الله بألف دينار , فكان يدخل على خزائن السلاح الخليفة يطوفها , ويتفقد حواصلها , وكان يعطي مستخدميها خمسة وعشرين ديناراً , وكان ينفق على خزائن السلاح في كل سنة من سبعين إلى ثمانين ألف دينار[6] .

10- خزائن الكتب

تقع هذه الخزانة بالقصر الكبير , وهي من أجل الخزائن وأعظمها شأناً عند الخلفاء الفاطميين , فكانت تحتوي على المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفائقة , ومن الكتب النفيسة ما يزيد عن مائتي ألف مجلد مشتملة على انواع العلوم مما يدهش الناظر ويحيره , وفيها من الصنف الواحد عشر نسخ , حتى قيل أنه لم يكن في جميع بلاد الاسلام كتب اعظم من التي بالقاهرة[7] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 182 . حسن , كنوز الفاطمين , ص 54 .

(2) الكراغندات : جمع كراغند هو لفظ فارسي في الاصل معناه المعطف القصير الذي يلبس فوق الزردية , يصنع من الصوف أو القطن أو الحرير . أبن طوير , نزهة , ص 133 , هامش 2 ..

(3) القلوجيات : وأصلها من قلج التركية وتعني السيف . أبن طوير , نزهة , ص 134 , هامش 1 .

(4) القنطاريات : نوع من أنواع الرماح تصنع من الخشب الزان , وهي ليست بطويلة , اشتهر بصناعتها الروم . أبن طوير , نزهة , ص 151, هامش 2 .

(5) أبن طوير , نزهة , ص 133-134 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 182 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 477 .

(6) أبن طوير , نزهة , ص 133-134 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 182 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 477 .

(7) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 163 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 475 .

وتحتوي هذه الخزائن على اربعين خزانة , وكل خزانة تحتوي على ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة , وتحتوي الخزانة على عدة رفوف , والرفوف مقطعة بحواجز , وعلى كل حاجز باب متقن وقفل , وإن من جملة ما استخرج أيام الشدة العظمى ألفان وأربعمائة ختمة قرآن , وإن جملة ما نهب من خزانة الكتب يقدر بمائة ألف دينار , فكان الخليفة يقوم بزيارة الخزائن فيعطي الشاهد عشرون ديناراً في كل مرة يزور فيها خزائن الكتب [1] .

11- خزائن الشراب

وهي تعني الخانة أو المارستان , وفيها أنواع الأشربة المعالجة وأصناف من الأدوية والعطريات الفائقة التي لا توجد الا فيها , وكذلك فيها من الآلآت النفيسة والأزياء الصيني من الزبادي , والصحون والبراني والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك [2] .

وكان ينفق على خزائن الشراب في السنة ستة آلاف دينار برسم ما ينفق على صنع الأدوية , وكان إذا جلس الخليفة على السرير عرض عليه ما فيها حاميها وهو من كبار الأستاذين فيحضر إليه مستخدموه من المعالجين ليصف لهم كبير الأطباء الدرياق الفاروق , وكان هناك أطباء خاصون لحواشي القصور , فكان يعطى للطيب أجرة ثلاثين ديناراً[3] .

12- خزائن السروج

وهي عبارة عن قاعة كبيرة في القصر فيها من السروج وأطقم الخيل ما لا تحتوي عليه خزائن مملكة أخرى من الممالك الإسلامية , وشملت هذه الخزانة على سروج محلاة بالذهب أو الفضة وقلائد وأطواق لاعناق الخيل , وعدة سروج فيها ما يزيد عن أربعة آلاف سرج , وفي عهد الخليفة المستنصر بالله تم بيع سروج من الخزائن على إثر الشدة العظمى فبلغ حوالي خمسة آلاف سرج , كل سرج منها يتراوح من سبعة آلاف إلى عشرة آلاف دينار , وأخرج قادة الجند من خزائن أم المستنصر أربعة آلاف سرج[4]

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 127-128 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 164 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 130 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3, 476 .

(3) أبن طوير , نزهة , ص 130 ؛ أبن المأمون , أخبار مصر , ص 90 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 188 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 131 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 183 .

ويدور حول قاعة القصر الكبير مصطبة علوها ذراعان ومجلسها كذلك , وعلى كل مصطبة متكئات مخلصة الجانبين , على كل متكأ ثلاثة سروج متطابقة , وفوقه في الحائط وتد مدهون مضروب في الحائط قبل تبييضه , وهو بارز بروزا بمتكأ عليه المركبات الحلي , لجم تلك السروج الثلاثة من الذهب الخالص أو الفضة خاصة , أو الذهب والفضة معا , وقلائدها وأطواقها لأعناق الخيل وهي لخاص الخليفة وأرباب الرتب ما يزيد عن ألف سرج , ومنها لجام وهو الخاص , ومنها الوسط , ومنها الدون وهو خيار وغيرها لرسم العواري لأرباب الرتب والخدم , فكان الخليفة يطوف خزائن السروج من غير جلوس فيعطي حاميها للتفرقة على العاملين عشرين ديناراً[1] .

13- خزائن دار أفتكين

هي دار كبرى يسكنها نصر الدولة أفتكين الذي رافق نزار بن المستنصر بالإسكندرية وجعلوها برسم الخزن ، تحتوي على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الإسكندرية وغيرها ، وجميع القلوب المأكولة من الفستق وغيره ، والأعسال على اختلاف أصنافها ، والسكر، ، والزيت ، فيخرج من هذه الخزائن بيد حاميها ، وهو من الأستاذين المميزين ومشارفها ، وهو من المعدلين راتب المطابخ خاصا وعاما أو لأيام ، ينفق منها للمستخدمين، ثم لأرباب التوقيعات من الجهات، وأرباب الرسوم في كل شهر من أرباب الرتب حتى لا يخرج عما يحتاجونه فيها إلا اللحم، والخضراوات، فهي أبدا معمورة بذلك [2] .

14 خزائن الخيم

تخزن فيها الخيم من كل نوع وحجم وكانت الخيم تصنع من الأقمشة النفيسة مبطنة من الداخل , تضم أصنافا مختلفة تشمل المضارب والمسطحات والحصون والقصور والشرعات والمشارع والفساطيط المعمولة من الديبقي والمخمل والديباج الملكي والآرمني والبهنساوي والحلي وما أشبه ذلك من سائر ألوانه وأنواعه , تلبس على الأعمدة بأنابيب فضة والثياب المذهبة وغير المذهبة والحبال الملبسة بالقطن والحرير والأوتار , وسائر ما تحتاج من آلات وعدتها المبطنة بالديبقي المذهب والخسرواني المذهب وثياب الحرير الصيني والديباج وسائر أنواع الحرير من سائر أنواعة وألوانه[3] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 131 -132 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 142-143 – المقريزي , الخطط , ج2 , ص 193-194 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 185 .

وقد تم عمل خيمة في أيام وزارة أبي محمد اليازوري بلغ عدد الصناع مئة وخمسين صانعا , وأنفق عليها ثلاثين ألف دينار , وعمل الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش خيمة سماها خيمة الفرج أشتملت على ألف ألف وأربعمائة ألف ذراع وقائمها ارتفاع خمسون ذراع صرف عليها عشرة آلاف دينار فمدحها الشعراء[1] .

15- خزائن التوابل

تقع بجانب مطبخ القصر , تحتوي على جملة كثيرة من التوابل والبخور فنجد بها الزعفران والعنبر الاسود والند والكافور وماء الورد وغير ذلك من توابل اليمن , وكان ينفق على التوابل مبلغ خمسين ألف دينار في السنة[2] .

16- خزائن البنود

هي ملاصقة للقصر الكبير , فيما بين قصر الشوك وباب العيد , تحفظ فيها الرايات والاعلام ويطلق عليها ايضا العصائب السلطانية , بنيت في أيام الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله بين قصر الشوك وباب العيد , وكان يعمل فيها ثلاثة آلاف صانع , وينفق عليها ما بين السبعين والثمانين ألف دينار في السنة [3] .

17- دار التعبية :

تقع في قاعة الذهب , تحفظ فيها أنواع الزهور الواردة من بساتين الخليفة في القاهرة فيشمل النرجس والبتنوفوان الأحمر والأصفر , فكانت تحمل كل يوم برسم القصور والمناظر والحمامات والمائدة الملكية ودار الضيافة , توزع على أقارب الخليفة وحاشيته والوزير وكبار رجال الدولة , كان ينفق عليها في اليوم عشرة دنانير خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية [4] .

18- خزائن التجميل :

هي جزء من خزائن السلاح , استخدمت لتخزين العديد من الأسلحة يخرج منها للوزير والأمراء في المواكب والألوية والقصب والعماريات[5] وغيرها في المواكب , فكان يخرج من هذه الخزانة برسم الوزير وأكابر الأمراء وأرباب الرتب وأزمّة العساكر لتجملهم في الموكب ،

---

(1) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 102 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 187 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 189 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 196 . أبن ميسر , المنتقى , ص 5 .

(4) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 94 ؛ المقريزي , الخطط ,ج2 , ص 193 .

(5) العماريات : هي الهوادج التي يجلس فيها الأشخاص فتحمل على الجمال ؛ ناصر خسرو , سفر نامة , ص 94 , أبن طوير , نزهة , ص 149 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 84 .

وهي نحو أربعمائة راية مرقومة الأطراف ، وبأعلاها رمامين الفضة المذهبة ، وعدة من العمّاريّات ، وهي شبه الكنجاوات[1] ملبسة بالحرير الأحمر والأصفر والقرمزيّ وغير ذلك، وعليها كوابج الفضة المذهبة ، لكل أمير من أصحاب القضب منها عمّاريّة ، ويختص لواءان على رمحين منقوشين بالذهب غير منشورين يكونان أمامه في الموكب إلى غير ذلك من الآلات التي يطول ذكرها[2] .

رابعا :نفقات الأعياد والمناسبات

أهتم الخلفاء الفاطميون منذ استقرارهم بمصر بكثير من مظاهر الترف والبذخ نتيجة للثراء العريض الذي تمتعت به دولتهم , وأنعكس ذلك في مظاهر احتفالهم بالأعياد والمواسم المختلفة , وفي مواكبهم التي أسهب المؤرخون في وصفها , حتى أصبحت حياتهم كلها أعراسا وأعيادا , فلم يتركوا مناسبة دينية أو مذهبية خاصة أو عامة الا وأطلقوا فيها العنان لبذخهم وتأنقهم معتمدين على ثراء دولتهم , فكانت هذه الاحتفالات بما تحتويه من مظاهر الفخامة والبذخ من النادر أن نجد لها مثيلاً في أي عصر من العصور الإسلامية , فكانت معظم هذه الاحتفالات يشارك بها الخليفة وكبار رجال الدولة طبقا لرسوم دقيقة وتقاليد ثابتة , فقد كان الخليفة في بعض الأعياد يركب في مواكب ضخمة لتناسب عظمة الفاطميين , وبرفقته في الموكب أحد الموظفين يحمل كيس حرير فيه خمسمائة دينار توزع على العامة على جانبي الطريق [3] وسنتحدث عن الأعياد والمناسبات التي كانت تحتفل بها الخلافة الفاطمية على النحو الآتي :

1- الاحتفال بشهر رمضان

عني الفاطميون بشهر رمضان عناية خاصة , فكانوا يستعدون له قبل قدومه , فيقوم القضاة بمصر إذا بقي ثلاثة أيام لقدومة في أواخر شعبان بالطواف على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر للنظر فيما يلزمها من فرش وإضاءة وما تحتاج إليه من إصلاح ,

---

(1) الكجاوات : تعني المحمل أو المحفة . أبن طوير , نزهة , ص 149.

(2) أبن طوير , نزهة , ص 135 . القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 474-475 .

(3) ماجد , اصل حفلات الفاطميين في مصر , مجلة المعهد العربي للدراسات الإسلامية في هندريز , اسبانيا , ع 1-2 , مج2 , 1954م , ص 256 . وسيشار له لاحقا : ماجد , أصل الحفلات ؛ أبوب , التاريخ الاجتماعي , ص 230 ؛ سلطان , عبد المنعم , المجتمع المصري في العصر الفاطمي , دار المعارف , القاهرة , 1985م , ص 125 . وسيشار له لاحقا : سلطان , المجتمع المصري ؛ حسن و علي إبراهيم , عظمة الفاطميين , مجلة الكتاب , مصر, ع 2 , ج2 , 1946م , ص 237 . وسيشار له لاحقا , حسن , عظمة .

وتغلق الدولة جميع قاعات الخمارين وتختم حوانيتهم , ويمنع بيع الخمر من آخر جمادى الآخرة حتى نهاية شهر رمضان , وترسل الكتب إلى جميع ولاة الدولة الفاطمية بإغلاق حوانيت الخمور [1] .

وجرت العادة في أول يوم من رمضان أن ترسل الخلافة إلى جميع الأمراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم بما في ذلك الأولاد والنساء لكل وأحد طبقا فيه حلوى بواسطة صرة من ذهب , فيشمل ذلك سائر أهل الدولة , فيقال لها غرة رمضان[2] .

كذلك حرصت الخلافة الفاطمية على إقامة أسمطة الطعام في شهر رمضان في مساجد وجوامع مصر والقاهرة وفي قاعة الذهب , وكان قاضي القضاة يحضر ليالي الجمع , أما الأمراء وكبار رجالات الدولة فكانوا يحضرون السماط في كل ليلة بالتناوب , حتى لا يحرموا الإفطار مع أولادهم وأهاليهم , فكان يخرج صاحب الباب منشوراً يعرف فيه صاحب كل نوبة ليلته , وكان من جملة الحاضرين الوزير , فيحمل له الطعام الخاص بالخليفة تشريفا له , وعند إنصرافه يحمل معه طعام السحور الذي يتناول من الخليفة , وإن تأخر عن الحضور أناب عنه ولده أو أخاه[3] , وقد وصف أبن طوير هذا السماط قائلا " ويهتم فيه اهتماما عظيما تاما بحيث لا يفوته شيء من أصناف المأكولات الفائقة، والأغذية الرائقة، وهو مبسوط في طول القاعة، ماداً من الرواق إلى طول ثلثي القاعة ... ويحضر الماء المبخر في كيزان الخزف برسم الحاضرين"[4].

وبعد أنتهاء سماط الإفطار يبدا الأحتفال الديني بحضور الخليفة فيذكر الوعاظ فضائل شهر رمضان , ويسهبون في مدح الخليفة والدعاء له , فيستمر الاحتفال إلى ما بعد منتصف الليل , وتوزع فيه أطباق من الحلوى وأكواب الماء المقطر , فيأكلون ويحملون ما يستطيعون حمله , فيأخذ الفراشون ما بقي منه , ثم تمد بعد ذلك مائدة السحور التي يحضرها الخليفة والحضور وشهود الاحتفال ويباح للجميع الطعام الخاص بالخليفة , وكل من أخذ من طعام الخليفة قام وقبل الأرض , وحمل بعضه على سبيل البركة لأهله وأولاده , وينتهي السحور بتوزيع الحلوى والقطائف على الحاضرين[5] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 350-351 ؛ المقريزي , المفقى الكبير , ج6 , ص 493 .

(2) المقريزي و الخطط , ج2 , ص 351 .

(3) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 82 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 352 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 114 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 527 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 212 .

(5) أبن المامون , أخبار مصر , ص 82 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 352 .

وفي التاسع والعشرين من شهر رمضان تضاعف محتويات السماط في هذه الليلة بحكم أنتهاء ليلة ختم شهر رمضان , فيذكر المقريزي: " لما كان التاسع والعشرون منه شهر رمضان خرج الأمر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين، والمؤذنين في كل ليلة برسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر، وحضر الأجل الوزير المأمون في آخر النهار إلى القصر للفطور مع الخليفة، والحضور على الأسمطة على العادة ، وحضر إخوته ، وعمومته، وجميع الجلساء ، وحضر المقرئون، والمؤذنون، وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن ، وحمل من عند معظم الجهات، والسيدات والمميزات من أهل القصور ثلاجي ، وموكبيات مملوءة ملفوفة في عراضي ديبقي ، وجعلها أمام المذكورين ، لتشملها بركة ختم القرآن الكريم ، واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ، ثم وقف بعد ذلك من خطب، فأسمع ودعا، فأبلغ ورفع الفراشون ما أعدوه برسم الجهات ، ثم كبر المؤذنون ، وهللوا وأخذوا في الصوفيات إلى أن نثر عليهم من الروشن دنانير، ودراهم ورباعيات ، وقدمت جفان القطائف على الرسم مع البسندود والحلواء , فجروا على عادتهم ، وملأوا أكمامهم ، ثم خرج أستاذ من باب الدار الجديدة، بخلع خلعها على الخطيب، وغيره ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين"[(1)].

وكانت نفقات أسمطة شهر رمضان تختلف من عهد خليفة إلى آخر , ففي عهد الخليفة العزيز بالله كانت النفقات ثلاثة آلاف دينار[(2)] , بينما بلغت في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله ستة عشر ألف دينار وأربعمائة وستة وثلاثين ديناراً[(3)] , وكان ينفق برسم الصدقات للفطرة والتوسعة على الحاشية والأمراء والكسوات سنويا ما بين الستين ألف دينار والمائة ألف دينار[(4)].

وكان الخليفة يخرج في شهر رمضان في ثلاث مواكب لصلاة الجمعة بالناس , ففي الجمعة الأولى يخرج إلى الجامع الأزهر , والجمعة الثانية يخرج إلى الجامع الحاكمي , اما في الجمعة الثالثة في جامع عمرو بن العاص , فإذا كانت الجمعة الرابعة ركب الخليفة إلى الجامع العتيق بمصر , فينال الناس من هذه الجمع رسوم وهبات , فاذا مر الخليفة من أي طريق يسلكه ينفق الأموال والصدقات على الفقراء والمسحرين والأئمة والقضاة[(5)] .

---

(1) أبن المأمون , أخبار مصر, ص 83 ؛ لمقريزي , الخطط , ج2 , ص 353 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 212 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 83 ؛ المقريزي , المقفى الكبير , ج6 , ص 495 .

(4) المقريزي ,اتعاظ , ج2 , ص 83 ؛ المقريزي , المقفى الكبير , ج6 , ص 495 .

(5) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 510-512 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 93.

2- الاحتفال بعيد الفطر

كانت الاحتفالات بعيد الفطر لها طابع مميز في الدولة الفاطمية , فكان يطلق عليه الموسم الكبير أو عيد الحلل , لأن الحلل فيه تعم على الجماعة , فتوزع الكسوات على جميع موظفي الدولة كبيرهم وصغيرهم[1] .

وقد بدأ الفاطميون الأحتفال بهذا العيد منذ قدوم الخليفة المعز لدين الله إلى مصر , فيذكر المقريزي أن الخليفة ركب "يوم الفطر لصلاة العيد إلى مصلى القاهرة التي بناها القائد جوهر يقع شرقي القصر الكبير بجوار باب النصر"[2] . وجرت العادة أن يصلي الخلفاء الفاطميون في هذا المسجد , حيث ذكر المسبحي في حوادث 380هـ/990م " أن الخليفة العزيز بالله خرج في موكب لصلاة عيد الفطر إلى هذا المصلى , وأقيمت المصاطب على الطريق الذي يسلكه الخليفة بين المصلى والقصر ووضع عليها المؤذنون , ويجلس على كل مصطبة جماعة من رجالات الدولة الفاطمية , تخرج أسماؤهم من قاضي القضاة فيجلس هؤلاء على المصاطب حسب ترتيب أسمائهم , فكان التكبير والابتهالات تبدأ من القصر إلى المصلى , متصلا بين المؤذنين الذين على المصاطب والخليفة يسلك هذا الطريق في موكبه الضخم , والذي يضم طوائف العسكر في أبهى الزينة , وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح، والزراقة، وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر، وبيده قضيب جده عليه السلام ، فصلى على رسمه وانصرف"[3] .

وأهتم الخلفاء باقامة الموائد الضخمة ومد الأسمطة الفاخرة التي تحتوي على أصناف كثيرة من الحلوى والأطعمة الشهية , فقد كان يقام في القصر سماطان كبيران بمناسبة عيد الفطر , فالسماط الأول كان يقام بعد صلاة الفجر , يباح للناس وعامة موظفي القصر من أرباب الوظائف الصغيرة , فكان يبدأ في إعداد هذا السماط من ليلة العيد في الإيوان الكبير المطل على شباك الخليفة , ويحتوي هذا السماط على الأطعمة والحلوى التي صنعت في دار الفطرة , والتي انشئت لهذا الغرض , فإذا صلى الخليفة صلاة الفجر جلس في الشباك المطل على الإيوان وحضر اليه الوزير وأمر بان يسمح للناس بالطعام , فيقبل الجميع على السماط فياكلون كفايتهم , ويسمح لهم بحمل ما يستطيعون حمله حتى أن بعضهم كان يبيع هذه الحلوى ما لا حاجة له بها , فقد بلغ طول السماط ثلاثمائة ذراع وعرضه سبعة أذرع[4] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 66, 355 .

(2) المصدر نفسه , ج2 , ص 257- 258 .

(3) المسبحي , نصوص ضائعة من أخبار مصر , ص 13 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 113 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة . ج4 , ص 101 .

أما السماط الثاني فكان يقام في قاعة الذهب بالقصر بعد عودة الخليفة من صلاة العيد , ويقام لكبار رجال الدولة , فينصب أمام سرير الملك مائدة من فضة يقال لها المدورة عليها الأطعمة في أواني ذهب , وهي خاصة بالخليفة , ثم يمد على طول القاعة مائدة أخرى ضخمة واطئة أشبه بالدكة المنخفضة عليها الأطعمة الفاخرة من الخراف المشوية والدجاج والفراريخ وفراخ الحمام واصنافٌ من الحلوى ويزين السماط بالزهور , ويحتوي هذا السماط على ما يزيد عن خمسمئة صحن , ينصب على رأس السماط قصران كبيران من الحلوى قد صنعت لهذه المناسبة في دار الفطرة , مدهونة بأوراق الذهب , وبها تماثيل من السكر في غاية الدقة , مصنوعة في قوالب , وهذا السماط مخصص لكبار رجالات الدولة[1] .

ويبدأ السماط بدخول الخليفة إلى القاعة والجلوس على السرير الذي عليه المدورة ويقف على رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحنكين لخدمته , وأربعة من خواص الفراشين , ثم يستدعي الوزير وكبار رجال الدولة من الأمراء والكتاب فيأخذون أماكنهم على المائدة الكبيرة ويباح الطعام للجميع فيأكلون ويحملون منه ما يستطيعون حمله على سبيل البركة , ويعم أهل القاهرة والفسطاط من طعام هذه المائدة , ويستمر وضع المائدة إلى قرب الظهر , ومتولي خزائن الإنفاق يحمل حقيبة مملوءة بالدنانير ليوزع منها الخليفة عندما يشاء على الحضور على سبيل الصدقة في هذه المناسبة[2] .

كانت نفقات أسمطة عيد الفطر تختلف من عهد خليفة إلى آخر حسب أوضاع الدولة المالية , ولكن في الأغلب تتراوح بين أربعة آلاف[3] وعشرة آلاف دينار في السنة[4] أما تكاليف كسوة العيد فكانت حوالي عشرين ألف دينار[5] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 214 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 113-114 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 101-102 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 215-216 ؛ أبن المامون , أخبار مصر, ص 88 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 213-214 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 102 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 514

(3) أبن طوير , نزهة , ص 115 .

(4) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 126 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 83 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 259 .

3-الاحتفال بعيد النحر (الاضحى)

تبدأ الاحتفالات بعيد النحر في الدولة الفاطمية منذ اليوم الأول من ذي الحجة , فتعقد مجالس الشعراء في القصر بدار الوزارة فيتبارى الشعراء في مدح الخليفة والوزير والتهنئة بهذه المناسبة, كما يجري توزيع أموال الصدقة على الأطفال الأيتام والفقراء من أهل القاهرة والفسطاط[1] .

وكان اليوم التاسع من ذي الحجة يسمى يوم الهناء بعيد النحر , فيجلس الوزير في داره عند أذان الصبح , ويجيء الناس لخدمته بالهناء على طبقاتهم من أرباب السيوف والأقلام ثم الأمراء والأستاذيون المحنكون والشعراء بعدهم , ثم يتوجه الوزير إلى القصر ليقدم التهاني للخليفة وكبار رجال الدولة[2] .

وكانت المراسم المتبعة في موكب صلاة عيد الأضحى لا تختلف كثيرا عن مثيلتها في عيد الفطر , إلا أن الخليفة كان يرتدي في هذه المناسبة حلى من اللون الأحمر وتكون مظلته حمراء اللون , بينما كانت ملابسه في عيد الفطر بيضاء اللون , ويبدو أن اللون الأحمر يرمز إلى دم الأضاحي[3] .

وقد جرت العادة أن يخرج الخليفة من القصر بعد صلاة العيد من باب الفرج , أحد أبواب القصر الكبير فيجد الوزير راكبا على باب القصر , ويمشي الوزير في خدمته وهو في طريقه إلى المنحر الذي يقع في فضاء واسعاً لا بناء فيه , بجوار القصر الكبير , وخلفه المؤذنون يجهرون للتكبير , ويرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيئا , وتكون الحربة في يد قاضي القضاة وهو بجانب الخليفة ليناولها له إذا نحر[4] .

وكان الخليفة يخرج إلى المنحر طيلة أيام العيد , ينحر أعدادا ضخمة من الأبقار والكباش والنوق , وليس هناك احصائية ثابته حول عدد الأضاحي , لكنها تختلف من خليفة إلى آخر , فالخليفة الحاكم بأمر الله نحر في سنة 395هـ/ 1004م في المصلى ثلاث نوق , وفي المنحر احدى وعشرون ناقة , وواصل النحر اياما[5] , اما الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله , فقد نحر في المصلى سنة 415هـ/1024م ناقة ثم رجع إلى قصره , ثم مشى بعد صلاة العيد من قصره إلى المنحر , فنحر في اليوم الاول تسع نوق , وفي اليوم الثاني نحر ثلاثة عشر ناقة , أما في اليوم الثالث نحر خمسون ناقة وفرقها على الناس في الطريق[6] .

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 95 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 236-237 .

(3) أبن طوير , نزهة , ص 182-183 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 515 ؛ سلطان , المجتمع المصري , ص 145-146 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 184 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 224 ؛ القلقشندي , صبح الاعشى , ج3 , ص 515 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 59 .

(6) المسبحي , أخبار مصر , ج1 , ص 80-81 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 167 .

أما الخليفة الآمر بأحكام الله فقد نحر سنة 515هـ/ 1121م الفين وخمسمائة وواحد وستين رأسا تفصيلية , منها مئة وسبعة عشر رأسا من النوق , ومن البقر أربعة وعشرون رأساً , ومن الجاموس عشرون رأساً , والباقي من الكباش , هذا الذي نحره الخليفة في الأيام الثلاثة من أيام العيد في المصلى والمنحر , أما ما ذبحه الجزارون من الكباش فكان ألفين وأربعمائة رأس , ثم أمر الخليفة بتفريق كسوة العيد في نفس السنة على أولياء الدولة فبلغت ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعين ديناراً برسم العيد[1] .

وبلغ جملة ما نحره الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 516هـ/ 1122م ألف وتسعمائة وستة واربعين رأساً منها : النوق مئة وثلاثة عشر رأساً , وثمانية عشر من البقر , وخمسة عشر رأساً من الجاموس , ومن الكباش ألف وثلاثمائة رأس , فكانت تحمل النوق المنحورة إلى الوزراء وأصحاب الحواشي ويفرق منها على الفقراء , أما نفقات كسوة العيد التي فرقت على أولياء الدولة فبلغت سبعة عشر وثمانمائة ألف دينار برسم القصور[2] .

أما عن سماط العيد فكان يقام بعدة عودة الخليفة من المنحر في اليوم الأول للعيد , حيث يستمر هذا السماط لمدة ثلاثة أيام بالإضافة إلى ما يقدم من أسمطة خاصة بالحريم في دار الوزير فكانت تقدم على هذه الموائد أنواع فاخرة من الأطعمة وقصور الحلوى المصنوعة في دار الفطرة , فبلغت نفقات الأسمطة ألفاً وثلاثمائة وستة وعشرين ديناراً , ومن السكر ثمانية وأربعون قنطاراً برسم قصور الحلوى[3] .

---

(1) أبن المامون , أخبار مصر , ص 25 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 224-225 .

(2) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 42 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 95 .

(3) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 42 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 95-96 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 225 .

4-الاحتفال بعيد الغدير (خم)[(1)]

يعتبر هذا العيد من الأعياد المذهبية الفاطمية , حيث بدأ الاحتفال به في مصر منذ دخول الخليفة المعز لدين الله إليها سنة 362هـ/972م , فتجمع عدد كبير من أهل مصر والمغاربة المؤيدين للمذهب الإسماعيلي للدعاء والأحتفال به , فاتبعهم الخليفة بذلك , فقد كان هذا الاحتفال بسيطا ثم أصبح بعد ذلك من الأحتفالات الكبيرة التي تناسب عظمة هذا اليوم[(2)] .

ويصادف الأحتفال بهذا العيد في الثامن عشر من ذي الحجة , حيث تنفق الأموال في الأحتفال , ويقومون بالصلاة في تلك الليلة ويستمرون في الاحتفال إلى ما قبل زوال الشمس , ويلبسون فيه الملابس الجديدة , ويكثرون من عمل البر ونحر الذبائح وعتق العبيد وتزويج الأيامى , وكانت الدولة تقدم سماطا للطعام في قاعة الذهب يحضرها كبار رجال الدولة فيتم توزيع الكسوة على أرباب السيوف والأقلام , وينفق لهم مبلغ من العين سبعمائة وتسعون ديناراً , ومن الكسوات مائة وأربعة وأربعون قطعة , والهيئة المختصة بهذا العيد برسم كبراء الدولة وشيوخها وأمرائها وضيوفها والأستاذين المحنكين المميزين , ويفرق من مال الوزير بعد الخلع عليه الفان وخمسمائة دينار وثمانون ديناراً , فأصبح هذا العيد يترقبه كل غني وفقير[(3)] .

---

(1) خم : هو اسم موضع يطلق عليه غدير خم , يقع بين مكة والمدينة وحوله شجر كثيف , كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عند عودته من مكة بعد حجة الوداع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة 10هـ/ 632م نزل فيه وآخى بينه وبين الأمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه , وأن أصل هذا العيد ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ما وري عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بشأن الإمام علي من كتب مولاه فعلي مولاه , اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه , فيعتبر الفاطميون هذا الحديث أحد الأدلة على نص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه , وأول من أحتفل بهذا العيد الأمير معز الدولة بن بويه حيث أقام أحتفالا في العراق في هذه المناسبة من سنة 352هـ/ 963م , واتخذ بعد ذلك عيدا رسميا , واول من عمل به في مصر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ؛ أبن حنبل , أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني , (ت 241هـ/ 855م) , مسند الإمام أحمد بن حنبل , تحقيق شعيب الأرنؤوط , ط1 , مؤسسة الرسالة , بيروت , 2001م , ج30 , ص 430 . وسيشار له لاحقا : أبن حنبل , مسند ؛ المسبحي , أخبار مصر , ج1 , ص 84-85 ؛ أبن المامون , أخبار مصر , ص 68 ؛ أبن طوير , نزهة , ص 189 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 117 ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 289 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 117 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 142 .

(3) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 42-43 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 119-120 .

كما كانت تنحر في هذا العيد الكثير من الذبائح , فيذكر المقريزي أن جملة من ينحر في عيد الغدير ألفان وخمسمائة وواحد وستون رأسا , منها مائة ناقة , وتسعة عشر رأسا من البقر , وأربعة وعشرون رأسا من الجاموس , والباقي من الكباش[1] , وفي العشرة الأخيرة من ذي الحجة كان الخليفة يأمر بضرب دنانير رباعية ودراهم عليها تاريخ السنة التي ركب بها الخليفة , حيث يتم توزيعها على أرباب الأقلام والسيوف , فينفق على كل واحد منهم من عشرة دنانير إلى دينار واحد فيقبلونها تبركا بهذا اليوم , فيحمل للوزير منها الشيء الكثير إلى أولاده وأقاربه[2] .

5- الاحتفال بليالي الوقود الاربعة

وهي أربع ليالي , أول رجب ونصفه وأول شعبان ونصفه[3] , وهي من أبهج الليالي وأهمها , يعود أصل ليالي الوقود حسب ما أورده المقريزي خلال خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه , كان أهل مكة يوقدون النار ليلة محرم حتى يوضحوا الطريق لحجيج بيت الله[4].

فقد سميت بليالي الوقود لأنه كان يزداد فيها الوقيد من الشموع والقناديل في المساجد والجوامع , حيث يحشر الناس لمشاهدتها من كل صوب , وكانت المساجد والجوامع الأزهر والأقمر والأنوار بالقاهرة والطولوني والعتيق في الفسطاط , وجامع القرافة تضاء بالأنوار بعد غروب الشمس , وكان يحضر هذه الليالي بجامع الأزهر قاضي القضاة وعلماء الدين والمؤذنون , فكان يرسم لهم الرسم المقرر من الأطعمة والحلوى والبخور والخبز والصدقات , يصرف لهم عشرة دناير برسم الصدقات , وكانت الدولة تصرف للجامع العتيق أحد عشر قنطاراً ونصفاً من الزيت الطيب , وثمانية عشر ألف فتيلة , وفي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله صدرت أوامر بالإنفاق على هذه الليالي الأربعة , فأمر متولي بيت المال بإطلاق خمسين ديناراً من بيت المال لأبتياع الشمع برسم ليالي الوقود الأربعة[5] .

---

(1)أبن المأمون , أخبار مصر, ص43-44 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 227 .

(2) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , 95 .

(3) أبن المامون , أخبار مصر , ص 36 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 501 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 291 .

(5) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 36 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 292-294 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 502.

6- الاحتفال بالمواليد الستة[1]

كان الخليفة الفاطمي يجلس بالمنظرة يحتفل بالمواليد الستة في تواريخ مختلفه , نذكر الاحتفال بالمولد النبوي , فقد كان يجري امر الاحتفال بالمواليد الخمسة الباقية على هذا النظام من غير زيادة ولا نقص[2] .

كانت الخلافة الفاطمية اذا حل الثاني عشر من ربيع الأول من كل سنة تأمر بعمل عشرين قنطاراً من السكر اليابس حلوى يابسة في دار الفطرة , فتعبأ في ثلاثمائة صينية من النحاس فتفرق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب , وكانت كل صينية في قوارة[3] , توزع من اول النهار بعد صلاة الظهر, حيث تبدأ بأرباب رسوم قاضي القضاة ثم داعي الدعاة ثم قراء الحضرة والخطباء والمتصدرين بالجوامع في القاهرة , وقومة المشاهد , فإذا أنتهت صلاة الظهر ركب قاضي القضاة والشهود جميعا إلى جامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصواني , فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة , ثم يستدعي قاضي القضاة ومن معه فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر الطريق , ورشت الطرقات بالماء الخفيف وفرشت تحت المنظرة الرمل الاصفر , ثم يستدعي صاحب الباب من دار الوزارة ووالي القاهرة ماضٍ وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام عن نظر الخليفة فيجتمعون تحت المنظرة لرؤية الخليفة[4] .

وكان ينفق في هذا اليوم الأموال الكبيرة , فقد أطلق من مال النجوى سنة 517هـ /1123م ستة آلاف درهم , وأربعون صينية فطرة , وأربعمائة رطل حلاوة , وألف رطل خبز[5] .

وكانت الخلافة الفاطمية تقيم أحتفالاً بمولد الخليفة الحاضر , فيذكر ابن المأمون في أحداث 516هـ/ 1122م, أحتفلت الدولة بمولد الخليفة الآمر بأحكام الله فعمل أربعين صينية خشكنانج[6] وحلوى وكعك, وخمسمائة رطل حلوى فرقت على المتصدرين والفقراء والقراء , فحضر الأحتفال قاضي القضاة والداعي والشهود والقراء , فجلس الخليفة وسلموا عليه ثم أخرج متولي بيت المال بصندوق مختوم ضمنه عينا مئة دينار , وألفاً وثلاثمائة وعشرين درهماً[7] .

---

(1) المواليد الستة : وهي مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم , والامام علي بن ابي طالب , وفاطمة الزهراء , والحسن والحسين عليهم السلام , ومولد الخليفة الحاضر ؛ أبن طوير , نزهة , ص 217 ؛ المقريزي ,الخطط , ج2 , ص 217 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 217-219 .

(3) قوارة : ما قور من الثوب وغيره , أو يخص بالأديم , وما قطعت من جوانب الشيء , والشيء ألذ قطع من جوانبه ؛ الفيروزابادي , القاموس المحيط , ص 467 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 217-219 .

(5) أبن المامون , أخبار مصر , ص 62.

(6) خشكنانج : نوع من انواع الحلوى مصنوعة من الرقاق على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها باللوز والسكر ؛ أبن المأمون , أخبار مصر , ص 35 .

(7) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 35-36 .

وما صرف من دار الفطرة بمناسبة مولد الآمري عام 517هـ/1123م خمسة قناطير حلوى وألف رطل دقيق وفرق المال على المتقدمين[1] .

7- الاحتفال برأس السنة الهجرية

تبدأ الخلافة الفاطمية الأستعداد لهذا الأحتفال منذ العشرة الأواخر من ذي الحجة من السنة[2] , حيث يتم إخراج الأسلحة والنفائس والخيول في موكب كبير يخرج صبيحة يوم الأحتفال , حيث يخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله الجند وصبيان الركاب المحيطين بالخليفة الأسلحة المختلفة المحلاة بالذهب والفضة والجوهر , وكذلك تخرج من خزائن التجميل برسم الوزير والأمراء وأرباب الخدم والألوية والبنود والعماريات , من الأصطبلات مئة فرس مسومة برسم ركب الخليفة وكبار رجال الحاشية , ويخرج من خزائن السروج مئة سرج بالذهب والفضة ومرصع بعضها بالجواهر ومن أعناق الخيول أطواق الذهب وقلائد العنبر , وفي أرجلها خلاخل الفضة , تبلغ قيمة كل فرس وما عليها من العدة ألف دينار يدفع الوزير منها عشرة بعدتها برسم ركوب أخصائه [3] .

وفي صبيحة يوم الأحتفال ألاول من محرم يخرج الخليفة في موكب عظيم فيخرج معه الوزير وكبار رجال الدولة فيسير الموكب إلى شوارع القاهرة , فأول الموكب فروع الأمراء وأولادهم وأخلاط بعض العسكر والأستاذين المحنكين , ثم يأتي الخليفة وخواصه من الصبيان الركاب عددهم أكثر من ألف رجل بكامل عدتهم وزينتهم , ثم يأتي الوزير بكامل هيئته ورجاله وحراسه البالغ عددهم خمسمائة رجل[4] .

وجرت العادة في هذا اليوم أن تضرب وتفرق الدنانير الغرة[5] , ومبلغ ما ينفق من هذه الدناير ثلاثة آلاف دينار في السنة , منها ثلاثون ديناراً لخطيب جامع العتيق والمشارف والمؤذنين, ثم يحمل إلى الوزير ثلاثمائة وستون ديناراً, والى أولاده وأخوته كل وأحد منهم خمسون دينار,

---

(1) المصدر نفسه , ص 60 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 147 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 503 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 83 .

(3) أبن طوير ,نزهة , ص 149 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص504 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 162-165 ؛ المقريزي, الخطط , ج2 , ص 347 .

(5) الدنانير الغرة : هي الدنانير التي يتم ضربها في العشر الأواخر من ذي الحجة بتاريخ السنة التي يركب بها الخليفة , وهي جملة من الدنانير الرباعية والدراهم المدورة ؛ أبن طوير , نزهة , ص 167 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 255 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 95 .

ثم يوزع منها إلى أرباب الرتب والسيوف والأقلام من عشرة دنانير إلى دينار واحد, وكانوا يقبلون ذلك على حكم البركة من قبل الخليفة[1] .

وكان يعمل بمطبخ القصر الأسمطة والحلويات تقدم إلى أرباب الرتب وأصحاب الدواوين وأرباب السيوف والأقلام , فيعم ذلك سائر الناس من خواص الخليفة والناس من أهل القاهرة والفسطاط[2] .

8-الاحتفال بيوم عاشوراء

أتخذ الفاطميون العاشر من محرم سنة 61هـ/ 683م يوم أستشهاد الحسين بن علي عليه السلام ومن معه في كربلاء[3] إحياء لذكراه[4] , فيذكر المقريزي أن الخليفة المعز لدين الله أول من أحدث أحتفالاً بتلك الذكرى في مصر سنة 363هـ/973م ذلك بخروج جماعة كبيرة من معتنقي المذهب الإسماعيلي المتشددين إلى الطرقات في حراسة من جنود المغاربة , يتصايحون بالبكاء والنواح على الحسين عليه السلام , ويوجهون السباب إلى من ينفق في هذا اليوم , والى من يتجرأ على فتح حانوته [5] .

وكان الخلفاء الفاطميون يحتجبون في ذكرى مقتل الحسين عليه السلام عن الظهور تعبيراً عن حزنهم , فتعطل الأسواق وتقف حركة البيع , فقد أصدر الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 404هـ/ 1013م أمرا بإغلاق الدواوين وجميع الأماكن التي تباع فيها الغلة والفواكه وغيرها لمدة ثلاثة أيام من آخر عاشوراء باستثناء حوانيت الخبازين [6] .

ويذكر أبن طوير أنه إذا حل العاشر من محرم من كل سنة ركب قاضي القضاة والشهود فيغيروا زينتهم حتى يصيروا عند المشهد الحسيني[7] , فجلسوا ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع , وجاء الوزير فجلس صدرا والقاضي والداعي من جانبيه والقراء يقرأون بنوبة بنوبة ,

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 167 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 255-256 ؛ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 95-96.

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 347-348 .

(3) كربلاء : هو موضع الذي استشهد به الحسين بن علي عليه السلام في طريق البرية عند الكوفة ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 445 .

(4) أبو حنيفة , أحمد بن داود الدينوري , (ت 282هـ/ 895م) , الأخبار الطوال , تحقيق عبدالمنعم عامر , مراجعة جمال الدين سلمان , مطبة الإدارة العامة للثقافة , وزارة الثقافة المصرية , مصر , ص 251-261 . وسيشار له لاحقا : أبو حنيفة , الأخبار الطوال .

(5) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 212 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 100 .

(7) المشهد الحسيني : هي من الأضرحة الشريفة في القاهرة يقع ضمن القصر الكبير , دفن به الفاطميون رأس الامام الحسين عليه السلام الذي حملوه من عسقلان ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 204 .

وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يرثون به أهل البيت عليهم السلام , وتنصب المصاطب في الأماكن الخالية , ثم تفرش وسط القاعة الحصر المقلوبة ثم يفرش عليها سماط الحزن , مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والأجبان والألبان والأعسال النحل والفطير والخبز المغير لونه , فإذا قرب الظهر أدخل صاحب الباب الناس للأكل منه فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير , فإذا فرغ القوم انفصلوا إلى أماكنهم وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم ثم يفتح الناس حوانيتهم بعد ذلك[1] .

ومن العادات المتبعة في هذه المناسبة ان تقوم الدولة بنحر عدد من الإبل والبقر والغنم عند قبر الحسين , وتوزيع لحمها على الناس , فيذكر المقريزي انهم كانوا ينحرون في يوم عاشوراء عند القبر , أي عند المشهد الحسيني , الإبل والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء[2] .

9-الاحتفال بوفاء النيل

كان الأحتفال بوفاء النيل ومراقبة زيادته ونقصانه تقليدا قديما و يتبعه المصرون منذ أقدم العصور , واستمر هذا التقليد قائما في العصور الإسلامية , بعد أن ادخل عليه المسلمون التعديلات ما يتناسب مع تعاليم الدين الاسلامي , فقد حرص الفاطميون على إقامة الأحتفال في كل عام بحضور الخليفة في موكب عظيم[3] .

جرت العادة إذا أوفى النيل ستة عشر ذراعا وهو المعبر عنه بوفاء النيل , كسر خليج القاهرة , وهو يوم مشهود وموسم معدود ليس له نظير في الدنيا , ومنه تكتب البشارات بوفاء النيل إلى سائر أقطار المملكة[4] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 223-224 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 204 .

(3) سلطان , المجتمع المصري , ص 83 .

(4) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 293-294 .

ويكثر في هذا الاحتفال توزيع الكسوة والأموال والأطعمة على أرباب الدولة[1] , وجرت العادة في ليلة وفاء النيل ان يبيت في المقياس[2] بأمر الخليفة قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر وما يجري مجراهم لختم القرآن , ويكون هذا في جامع المقياس , فتوقد الشموع وتمد لهم الاسمطة الفاخرة في المطابخ , مكونة من عشرة قناطير من الخبز السميذ , وعشرة من الخراف المشوية , وعشرة شمعات[3] , احتفالا بوفاء النيل , ويخرج الخليفة في موكب عظيم مكون من عشرة آلاف فارس يمتطون الخيل , ويلبسون الدروع المحلاة بالذهب والأحجار الكريمة , وتسير كذلك جمال كثيرة عليها الهوادج مزينة وبغال عماريتها كلها مرصعة بالذهب والجوهر وموشاة باللؤلؤ[4] .

وأقامت الدولة الفاطمية أحتفالاً عام 516هـ/ 1122م عندما بلغ النيل ستة عشر ذراعا فنصبت الخيم الأفضلية في عهد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي وسماها خميه القاتول[5] , وهي أعظم خيمة بلغت مساحتها ألف ألف ذراع وأربعمائة ذراع , وارتفاعها خمسون ذراعاً , وصرف عليها عشرة آلاف دينار , ومدحها الشعراء لعظمتها[6] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 356 .

(2) المقياس : هو موضع عامود رخام مثمن الشكل في موضع ينحصر به الماء عند انسيابه اليه , وهذا العامود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً , كل ذراع مفصل على أربع وعشرين قسماً متساوية , تعرف بالأصابع , ما عدا اثني عشر ذراعا الأولى فإنها مفصلة كل ذراع ثمان وعشرون أصبعاً , المقريزي , الخطط , ج1 , ص 174 .

(3) أبن طوير , نزهة , ص 190-192 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 356 .

(4) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 93-94 .

(5) خيمة القاتول : سميت ايضا خيمة الفرح أو الفرخ , اطلق عليها القاتول لانها كل ما نصبت يموت تحتها واحد أو اثنان من الفراشين ؛ أبن الميسر , المنتقى , ص 85-86 ؛ أبو سعيد , أبو الحسن علي بن موسى المغربي , (ت685هـ/ 1286) , النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة , تحقيق حسين نصار , مطبعة دار الكتب , مصر , 1970م , ص 239 . وسيشار له لاحقا : أبو سعيد , النجوم الزاهرة .

(6) أبن المامون , أخبار مصر , ص 55-56 ؛ أبن الميسر , أخبار مصر , ج1 , ص 85-86 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 303 .

10- الاحتفال بعيد نيروز[1]

وهي من الأعياد القديمة التي أحتفلت بها الكثير من الشعوب على أختلاف أجناسهم وعقائدهم , فكان القبط يحتفلون به في أول توت[2] .

وقف الخلفاء الفاطميون موقفاً متشدداً من الاحتفال بيوم نيروز , فقد جرى الاحتفال بهذا اليوم أن تعطل الأسواق , وتوقد النار في الطرقات , وتشرب الخمور , وتصب الماء في الطرقات أيضا , فأصدر الخليفة المعز لدين الله سنة 363هـ/ 973م أمراً يمنع فيه الاحتفال بيوم نيروز , فلم يمتثل لأمر الخليفة فزاد اللعب في الماء وزاد وقود النار وشرب الخمر في الطرقات , وطاف أهل الأسواق وخرجوا إلى القاهرة بعيلهم ولعبوا لثلاثة أيام , فأمر الخليفة عامر 364هـ/ 974م بالكف عن هذه الأعمال فأخذ قوماً وحبسهم , فطاف بهم على الجمال لعدم التزامهم بالأمر[3] .

ويبدوا أن الاحتفال بعيد نيروز كان له رسوم معينة في الدولة الفاطمية , فلم تذكر المصادر الرسوم المتبعة في هذا العيد إلا في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله , فقد أورد أبن المأمون في أحداث عام 517هـ/ 1123م " وحل موسم النوروز في التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة فوصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز وثغر الإسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والحريري والسوارج , وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية العين والورق وجميع الأصناف المختصة بالموسم على أختلافها بتفصيلها وأسماء أربابها , واصناف النوروز : البطيخ والرمان وعناقيد الموز وأقفاص التمر وأقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بكلة , مع خبز بر مارق [4] .

---

(1) النوروز : هو عيد رأس السنة القبطية , يقع في مستهل شهر توت , أول من شهر أيلول , فقد لقي عناية خاصة في زمن الخلافة الفاطمية , وخاصة خلال خلافة الآمر بأحكام الله , وكانت تعطل فيه الأسواق , ويقل فيه سفر الناس في الطراقات , وتفرق فيه الكسوة لرجال الدولة واولادهم ونسائهم ؛ أبن المامون , أخبار مصر , ص 65 ؛ المسبحي , أخبار مصر , ج1 , ص 9 ؛ أبن ميسر , المنتقى , ص 92 , 166 ؛ المقريزي و الخطط , ج2 , ص 356 .

(2) أبن ميسر , المنتقى , ص 92 ؛ أبن المأمون , أخبار مصر , ص 65 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ج2 , ص 358 ؛ سلطان , المجتمع المصري , ص 68 .

(3) أبن ميسر , المنتقى , ص 166 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 356 -357 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 214 , 224 .

(4) أبن المامون , أخبار مصر , ص 65 .

فقد بلغت نفقات ذلك العيد أربعة آلاف دينار ذهبا , وخمسة عشر ألف درهم فضة , وكانت الأموال والكسوات تخص حاشية القصر ودار الوزارة , ولم يكن للأمراء على اختلاف درجاتهم فيه نصيب , أما الأصناف البطيخ والرمان والموز والسفرجل وغيرها فكانت تشمل جميع الأرباب ممن له جاه ورسم في الدولة[1] .

من خلال ذلك نرى أن الدولة الفاطمية اتخذت من الأعياد والمناسبات والأسمطة دعاية لكسب واستمالة قلوب الناس , وكسب ولائهم ومحبتهم وإعجابهم بالخلافة الفاطمية .

خامسا : نفقات الهبات والعطايا

بالغ الخلفاء الفاطميون في منح العطايا والهبات لكبار رجال الدولة وولاة الأقاليم والفقهاء والعلماء والوعاظ والشعراء وعامة الناس , وذلك لكسب ولائهم المطلق للدولة , نظير الخدمات الجليلة التي يقدموها , كما اعتاد الخلفاء الفاطميون إرسال الهدايا لأباطرة الروم , لإظهار عظمة الدولة وكسب نوع من المودة بين الجانبين , سنتحدث عن الهبات والعطايا على النحو الآتي :

1- هبات وعطايا الخلفاء لكبار موظفي الدولة في مصر :

حرص الخلفاء الفاطميون على أن تظل روح المحبة قائمة بينهم وبين موظفي الدولة لكسب ولائهم ووفائهم وأخلاصهم للخلافة الفاطمية , فالخليفة المعز لدين الله خلع[2] سنة 361هـ/ 971م على القائد جوهر الصقلي خلعة مذهبة وعمامة سوداء , وقلده سيفا مذهبا , ومنحه عشرين فرساً مسرجة وملجمة , وثمانين تختاً من الثياب , ومنحه نقدا خمسين ألف دينار ومائتي ألف درهم[3] , وعندما مرض القائد جوهر سنة 381هـ/991م ركب إليه الخليفة العزيز بالله وبعث له خمسة آلاف دينار , وكذلك بعث إليه ابنه المنصور ابن العزيز خمسة آلاف دينار أيضا , وعندما توفي كفن بتسعين ثوبا , وخلع على ابنه الحسين خلعة وجعله في رتبه أبيه[4] .

---

(1) أبن المأمون , أخبار مصر, ص 65 ؛ المقريزي ,الخطط , ج2 , ص 357 .

(2) الخلع : جمع خلعة وهي ما تخلعه من الثياب , يقال خلع عليه خلعة , أي أعطاه وألبسه إياه , وهي حلة من حلل السلطان أو الخليفة يلبسها ويخلعها من يريد تشريفه ؛ أبن منظور , لسان العرب , ج8 , ص 76 ؛ إبراهم , المعجم الوسيط , ص 250 ؛ جناحة , رحاب السيد , حكام الاقاليم المصرية في العصر الفاطمي , ط1 , الافاق العربية , القاهرة , 2014م , ص 181 . وسيشار له لاحقا : جناحة , حكام الأقاليم .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 139 .

(4) المصدر نفسه , ج1 , ص 272 .

وخلع الخليفة المعز لدين الله سنة 364هـ/ 974م على متولي مقياس النيل الخلع السنية والجوائز بمناسبة وفاء النيل[1] .

وكان الخلفاء الفاطميون يشاركون رجال دولتهم أفراحهم ومناسباتهم السعيدة , فعندما رزق الوزير يعقوب بن كلس مولودا سنة 369هـ/979م منحه الخليفة العزيز بالله مهدا من صندل مرصعا , وثلاثمائة ثوب , وعشرة آلاف دينار , وخمسة عشر فرسا بسروجها ولجمها , منها اثنان ذهب , وطيباً كثيراً , فكان مجموع ما منحه إياه الخليفة مائة ألف دينار[2] , وعندما عزله الخليفة سنة 373هـ/983م ثم أعيد إلى الوزارة بعد سنة , وهب له مالا كثيرا وجعل في خدمته ألفا وخمسمائة غلام[3] .

كذلك بعث الخليفة العزيز بالله إلى القائد علي بن القائد بن الفضل بن صالح[4] عندما رزق بمولود سنة 381هـ/991م ثلاثين ثوباً فاخراً , وعشرة أردية , وعشر عمائم , وثوبا مثقلا، ومنديلا طوله مائة ذراع ، ومنديلا دونه ، وخمسمائة دينار ، كما حملت إليه السيدة العزيزة زوجة الخليفة العزيز بالله مائة ثوبا صحاحا من كل فن ، وثلاثمائة دينار ، ومهدين ، أحدهما أبنوس محلى بذهب ، والآخر صندل محلى بفضة مخرقة، ومخاد وثياباً وفرشاً مثقلة[5] .

وعندما قلد الخليفة الحاكم بأمر الله أمين الدولة أبا محمد الحسن بن عمار[6] الوزارة سنة 386هـ/ 996م منحه أموالا كثيرة جرايات وقال له أنت أمين دولتي[7] , وبعد مقتله سنة 390 هـ/ 999م أستعان الخليفة الحاكم بأبي العلا فهد برجوان الخادم لمساعدته في إدارة شؤون الدولة , وحمل إليه إحدى عشرين ثوباً وهدية قوامها عشرة آلاف دينار ,

---

(1) المصدر نفسة , ج1 , ص 224 .

(2) المقريزي , اتعاظ, ج1 , ص 252 .

(3) النويري , نهاية الارب , ج28 , ص 99 .

(4) الفضل بن صالح : هو أبو القاسم علي بن القائد الفضل بن صالح العزيزي , أحد قواد الدولة الفاطمية , كان والده من أعيان الدولة الفاطمية بمصر ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 271 , ج2 , ص 176 ؛ أبن الصيرفي , الاشارة , ص 25 ؛ الزركلي , الأعلام , ج5 , ص 149 .

(5) المقريزي , اتعاظ . ج1 , ص271 .

(6) أبو محمد الحسين بن عمار : هو أبو محمد الحسن بن عمار بن علي الكلبي , من كبار شيوخ كتامة وعقلائها , تولى في عهد الخليفة الحاكم بامر الله امور الوزارة سنة 386هـ/ 996م واعتزل بعد سنة ثم قتل في القاهرة عام 390 هـ/ 999م ؛ أبن الصيرفي , الاشارة , ص 26 ؛ مبارك , علي باشا , الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة , ط1 , المطبعة الاميرية , بولاق , 1888م , ج2 , ص 93 . وسيشار له لاحقا : مبارك , الخطط .

(7) أبن الصيرفي , الاشارة , ص 26 ؛ مبارك , الخطط , ج2 , ص 94 .

وسفطاً فيه حلة دبيقية مذهبة لم ير مثلها، ودرجاً فيه جوهر وخواتم وطيب ، وأسفاطاً كثيرة فيها البز الرفيع، وخزانة مدهونة , وخمسين رأسا من الخيل والبغال[1] . وفي نفس السنة خلع الخليفة على القائد الحسن بن جوهر الصقلي ثوب ديباج أحمر ومنديلاً أزرق مذهباً , وقلده سيفا مذهباً , وحمل على فرس ولجام ذهب وبين يديه ثلاثة أفراس بمراكبها وخمسين ثوباً من كل فن [2] .

كما أنفذ الحاكم لأبي الحسن علي بن إبراهيم النرسي[3] سنة 391هـ/1000م ألف دينار وأربعة وعشرين قطعة ثياب مختارة , وسومح بمبلغ ثلاثة آلاف دينار كانت بذمته[4] .

ورغم انشغال الخلفاء الفاطميين بأمور الدولة فهذا لم يمنعهم من زيارة موظفي الدولة أثناء مرضهم , فعندما مرض احد قادة الجند يدعى غين الخادم[5] سنة 402هـ/1011 ركب إليه الخليفة الحاكم بأمر الله وسير إليه خمسة ألاف دينار , وخمسة وعشرين فرساً مسرجة ملجمة , وقلده الشرطة والحسبة بمصر والقاهرة[6] .

كما بعث الخليفة الحاكم بأمر الله إلى ابن عمه عبدالرحيم بن إلياس[7] عندما رزق بمولود سنة 403هـ/ 1012م ثلاثة أفراس مسرجة وملجمة , ومئة قطعة من الثياب , وخمسة آلاف دينار[8] , ثم بعث له عشرة آلاف دينار في أكياس مكتوب عليها لأبن عمنا وأعز الخلق علينا عبد الرحيم بن إلياس أحمد سلمه الله وبلغه منه ما نؤمله[9] .

---

(1) أبن الصيرفي , الاشارة , ص 28 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 29 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 29 .

(3) أبو الحسن علي بن إبراهيم النرسي : كان نقيب الطالبيين في الدولة الفاطمية توفي سنة 401هـ/ 1010م عن عمر السبعين عاماً ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 88 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 40 .

(5) غين الخادم : هو الذي قلده الخليفة الحاكم بأمر الله وظيفة الشرطة والحسبة ولقبه بقائد القواد سنة 402هـ/ 1011م , وعزله سنة 404هـ/ 1013م ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 91-100 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 91 .

(7) عبدالرحيم بن إلياس : هو عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي , قلده الخليفة الحاكم بأمر الله ولاية العهد , لكن بعد مقتل الخليفة سنة 411هـ/ 1020م عزل وقتل في نفس السنة بتدبير من أخت الخليفة الحاكم ست الملك ؛ أبن القلانسي , ذيل تاريخ دمشق , ص 113-114 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 99,116 .

(8) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 97-98 .

(9) المصدر نفسة, ج2 , ص 99 .

وعندما مرض ابن فلاح الكتامي[1] سنة 406هـ/ 1015م زاره الخليفة في داره وحمل إليه مرتبة ديباج , وخمسة آلاف دينار , وكانت هذه عادة الخلفاء إذا زار أحد كثرت عطاياه [2] .

كما دفع الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 522هـ/ 1128م لمملوكين من مماليكه يدعى أحدهما هزار المنعوت بالأفضل , والآخر يدعى برغش المنعوت بالعادل وكانا من أخص غلمان الخليفة وأقربهم إليه , وأشرفهم منزله عنده , لكل واحد مائة ألف دينار , وأقطع كل واحد منهما ما مقدار ارتفاعه (حاصله) في السنة مائة ألف دينار , مضافا إلى ما معهما بأسمائهما من الجواري والرسوم المستقرة ورواتب مطبخهم والمستخدمين برسمهم[3] .

فإذا أتينا إلى الخليفة الظاهر بالله فإننا نجده كثير السخاء والعطايا لرجال دولته , ففي عام 548هـ/1153م أرسل الخليفة الظاهر إلى نصر بن عباس[4] عشرين صينية فضة فيها عشرون ألف دينار , ثم أغفله أياما وبعث إليه كسوة من كل نوع , ثم أغفله اياما وبعث اليه خمسين صينية فضة فيها خمسون ألف دينار , وبعث اليه ثلاثين بغل رحلاً , وأربعين جملاً بعددها وغرائرها وحبالها[5] .

ثم أستدعى الخليفة الظاهر لدين الله ناصر الدولة نصر بن عباس سنة 549هـ/1154م وأخرج له صينية من ذهب فيها ألف حبة ما بين لؤلؤ وياقوت أحمر وأصفر وزمرد أخضر , وأمر له من بيت المال بعشرة آلاف دينار[6] .

---

(1) أبن فلاح : هو أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح , من أجواد الكتاميين وأجلهم قدراً , كان من أوجه الأمراء في الدولة الفاطمية خلال فترة الخليفة الحاكم بأمر الله , تقلد عدداً من الوظائف في الدولة الفاطمية , استوزره الخليفة الحاكم بأمر الله الوزارة سنة 408هـ/ 1017م , قتل بعد سنة ؛ أبن الصيرفي , الإشارة , ص 30-32 .

(2) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 31 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 23 ؛ أبن ظافر , جمال الدين علي الأسدي , (ت 622هـ/ 1225م) , أخبار الدول المنقطعة , القسم الخاص بالفاطميين , تحقيق أندريه فريه , مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية , القاهرة , 1972م , ص 89-90 .

(4) نصر بن عباس : هو نصر بن عباس الصنهاجي , أبن الوزير عباس الصنهاجي , كان من المقربين من الخليفة الظاهر ويأنس له الخليفة , قتل الخليفة سنة 549هـ / 1145م ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 204-209 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج1 , ص 237 ؛ ج3 , ص 491 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 206 .

(6) المصدر نفسة, ج3 , ص 208 .

2- عطايا وهدايا الخلفاء للروم

فقد أظهر الخلفاء الفاطميون عظمتهم وترفهم لحكام البلاد الأخرى من خلال إرسال الأموال والهدايا إليهم , فقد قام الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 402هـ/ 1012م بإرسال سبعة آلاف دينار إلى ملك الروم باسيل الثاني[1] , وفي العام التالي أرسل الخليفة هدية ثمينة إلى ملك الروم لتقوية العلاقات بين مصر وبلاد الروم , وخلع على الرسولين الذين رافقا رسول الروم ألفاً وخمسمائة دينار لكل واحد , وعشرة قطع ثياب لكل واحد[2] .

أما خلال عهد الخليفة الحافظ لدين الله فقد شهدت العلاقات بين مصر وصقلية زمن الخلافة الفاطمية بالمودة , فقد أرسل ملك صقلية هدية إلى الخليفة الحافظ لدين الله ويطلب منه إطلاق أسرى النورمان , فبادله الخليفة الهدايا وأطلق سراح الأسرى[3] .

3-عطايا وهدايا الخلفاء لولاة اقاليم الدولة

سار الخلفاء الفاطميون على خطى الخلفاء الأمويين والعباسيين في تكريم أكابر دولتهم ووفودهم , فإن منح الخلع والتكريم تدل على إعلاء شأنهم , كما أنها تدل على علامة رضى الخليفة عن الشخص الذي تخلع عليه الخلعة , فقد أصبحت القاهرة محطاً لأستقبال الوفود القادمة من مختلف البلدان لتحقيق أهداف معينة , فقد تنوعت تقديم الهدايا والعطايا وانحصرت ما بين تقديم الولاء للخليفة أو لكسب المعارضين أو لإظهار المجاملة للمرسل وإظهار الاحترام له .

---

(1) المصدر نفسه , ج2 , ص 99 .

(2) المصدر نفسة , ج1 , ص 101 .

(3) حمادة , الوثائق السياسية , ص 47 .

وقد بالغ الخلفاء الفاطميون بالعطاء الوفير لولاة الدولة, لكسب ولائهم وطاعتهم , فقد أنعم الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 390هـ/ 999م على والي إفريقية تموصلت بن بكار الأسود[1] بعد عزله قصرا في القاهرة يتكون من خمسة وثلاثين حجيرة , في كل حجرة آلاتها وفرشها , فبلغت النفقة على هذه الدار خمسة آلاف دينار[2] , وفي عام 391هـ/ 1000م قلده إمارة الشام وحمل له عشرة أفراس بمراتبها[3] ,

أما في عهد الخليفة العزيز بالله فقد جهزت هدية إلى المنصور بن زيري[4] سنة 384هـ/ 924م وفيها فيل ومائة فرس مسرجة ملجمة وبغال نوق وثلاثون قبة مثقلة وأحمال محزومة في بز وكسوة , وبلور , وعشر خلع مذهبة بمناديلها , وعشر أفراس من خاص الخليفة بمراكب ذهب[5] .

وأرسل الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 391هـ/ 1000م إلى والي افريقية أبو مناد باديس[6] هدية مكونة من ثلاثمائة فرس بجلال , وعشرة مراكب , وخمسة وأربعين بغلا تحمل السلاح والكسوة , وعشرين بغلا تحمل صناديق الذهب[7]

---

(1) تموصلت بن بكار : هو تموصلت بن بكار الأسود العبد أبن الزيري , يقال له أيضا طزملة بن بكار البربري , كان واليا على إفريقية , فجار على أهلها وظلمهم وانتفضوا عليه وهرب إلى مصر خوفا من أهلها , ثم عين واليا على الشام إلى ان توفي سنة 394هـ/1003م ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 95 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 35-36 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 35-36 .

(3) المصدر نفسه , ج2 , ص 43 .

(4) المنصور بن زيري : هو المنصور بن بلكين (يوسف) بن زيري بن مناد الصنهاجي , صاحب افريقية , تولى أمر المغرب بعد وفاة أبيه أبو الفتوح يوسف سنة 374هـ/984م حتى وفاته سنة 386هـ/996م ؛ الغرناطي , لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله , (ت776هت/1374م) , أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام , تحقيق : ليفي بروفنسال , ط2 , دار الكشوف , بيروت , 1956م , ص 228 . وسيشار له لاحقا : الغرناطي , الأعلام ؛ أبن عذاري , البيان المغرب , ج1 , ص 239 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج7 , ص 3 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 282-283 .

(6) أبو مناد باديس :هو أبو مناد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري الصنهاجي , ووالد المعز بن باديس , تولى أمر المغرب بعد وفاة أبيه أبو الفتح المنصور سنة 386هـ/996م إلى أن توفي سنة 406هـ/ 1016 ؛ الغرناطي , الأعلام , ص 229 ؛ أبن عذاري , البيان المغرب , ج1 , ص 247 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج1 , ص 265 .

(7) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص43 .

, اما الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله فقد كان دائما يوجه عنايته لولاة افريقية منطلق دولة أجداده , ففي سنة 413هـ/1022م أرسل الخليفة لوالي افريقية المعز بن باديس[1] ثلاث أفراس بسروج ثقيلة وخلعة ومنجوقات قد نسجا بالذهب على قصبة من الفضة , وعشرين بندا مذهبة وسجل لقبه فيه بشرف الدولة وعضدها[2].

كذلك كانت الشام وولاتها محط أنظار الخلفاء الفاطميين باعتبارها امتدادا حيويا لمصر وقاعدة انطلاق للقضاء على خصومهم , فكانوا يقربون ولاتها ويكثرون من العطايا لهم لكسب ودهم وولاهم للخلفاء الفاطميين في مصر , ففي عهد الخليفة العزيز بالله قدم على مصر حسان أبن دغفل الطائي امير الرملة [3] سنة 368هـ/ 978م فخلع عليه الخليفة , وحمل على خمسة روؤس من الخيل , وقاد إليه خمسة أحمال وأنزله داراً[4] , ثم قام الخليفة العزيز بالله بتقديم الخلع والهدايا لأحد شيوخ القبائل سنة 381هـ/ 991م وأمره بالمسيرالى منجوتكين التركي[5] للمسير إلى الشام وخلع عليه الأموال , وخلع على منجوتكين عشرة أحمال فيها مائة ألف دينار , ومئة قطعة من الثياب الملونة على أيدي خمسة وعشرين غلاماً , وعشرة قباب بأغشية , ومناطق مثقلة , وخمسين بندا من الفروش , فإن من مجمل ما أنفقه الخليفة العزيز بالله لمنجوتكين التركي بلغ ألف ألف دينار[6] .

---

(1) المعز بن باديس : هو المعز بن باديس بن المنصور الصنهاجي من ملوك الدولة الصنهاجية بافريقية , تولى امر افريقية بعد وفاة ابيه سنة 406هـ/ 1016 , فأقره الخليفة الحاكم ولقبه بشرف الدولة , كان ملكا جليلا محبا للعلم وكثير العطاء , وكان يميل إلى الخلافة العباسية في بغداد , وفي سنة 440هـ/ 1049م قطع خطبته للفاطميين وجعلها للعباسيين , فوجه إليه المستنصر بالله أعراباً من الحجاز فأحتلوا القيروان وغلبوه وأودعوه السجن إلى ان توفي سنة 454هـ/ 1062م ؛ أبن عذارى , البيان المغرب , ج1 , ص 267-278 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج5 , ص 233 -343 ؛ الزركلي , الأعلام , ج7 , ص 269-270 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 132 .

(3) حسان بن دغفل : هو حسان بن مفرج بن دغفل بن جراح الطائي , صاحب الرملة , خلف أباه على الإمارة بعد وفاته سنة 404هـ/ 1013م ثم ملك أكثر مدن الشام وعظم صيته لدى الخلفاء الفاطميين , فكان بينه وبينهم معزة واستقامة ؛ أبن خلدون , العبر , ج6 , ص 10 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 118 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج3 , ص 407 ؛ الزركلي , الأعلام , ج2 , ص 177 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 246 .

(5) منجوتكين : ويقال ينجوتكين التركي العزيزي مولى العزيز بالله , إمرة جيوشه الشامية بدمشق سنة 381هـ/991م بعد منير الخادم , عزله الخليفة سنة 387هـ/ 997م بعد أن أساء وأرسل عوضه سليمان بن جعفر ؛ أبن عساكر , تاريخ دمشق , ج60 , ص 278 ؛ الصفدي , صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله , (ت 764هـ/ 1363م , الوافي بالوفيات , تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى , دار إحياء التراث , بيروت , 2000م , ج29 , ص 29 . وسيشار له لاحقا : الصفدي , الوافي بالوفيات .

(6) أبن ميسر , المنتقى , ص 170 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 272 .

وسير الخليفة العزيز بالله سنة 385هـ/ 995م إلى ابن الجراح خمسون ألف دينار , ولمنجوتكين التركي مائة وخمسون ألف دينار[1] .

وعلى الرغم من أن دمشق قد انتزعها السلاجقة من أيدي الفاطميين سنة 468هـ /1075م , وقطعت الخطبة على منابرها عن الفاطميين في مصر وإعلانها للعباسيين في بغداد[2] هذا لم يمنع الخلفاء الفاطميين من تقديم الخلع والهدايا لولاة دمشق , لتقيم العلاقات الودية مع حكامها , لكسب دعمهم ضد الروم والأفرنج , ففي سنة 526هـ/1131م أرسل الخليفة الحافظ لدين الله إلى صاحب دمشق شمس الملوك[3] الخلع السنية واسفاط الثياب والخيل المسومة ومالا وفيرا[4] , وفي سنة 542هـ/1147م أرسل لوالي دمشق ظهر الدولة[5] الهدايا والخلع والأموال والتحف الثمينة من الخلافة الفاطمية[6] .

أما بالنسبة إلى الحجاز فانها خضعت للخلافة الفاطمية في الفترة الواقعة ما بين (358-542هـ/ 968-1147م) حيث توجهت أنظار الفاطميين إلى الحجاز لبسط سلطانهم على الأماكن المقدسة , فقد بذلوا الجهود للقضاء على النفوذ العباسي فيها , بهدف تزعم العالم الإسلامي وإثبات شرعية خلافتهم وأحقيتهم في رعاية هذه الأماكن , فقد كانت هناك أسباب جعلت إعلان الحجاز تبعيتها إلى الخلافة الفاطمية وهي ضعف مواردها الاقتصادية والبشرية , مما يجعل الحجاز تبحث عن مساندة خارجية تسد النقص في مواردها الاقتصادية , فوجدوا ذلك في الخلافة الفاطمية في مصر , حيث أستغل الخلفاء الفاطميون هذا العامل بإرسال الأموال والغلال لولاة الحجاز لكسب ولاءهم وطاعتهم[7] .

---

(1) أبن ميسر , المنتقى, ص 172 .

(2) أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 410 .

(3) شمس الملك : هو شمس الملك أبو الفتح إسماعيل بن بوري بن أتابك بلتكين التركي , صاحب دمشق , تولى امارة دمشق بعد وفاة أبيه سنة 526هـ/ 1131م اتصف بالشجاعة والكرم , قتل سنة 529هـ/1134م ؛ الذهبي , سير أعلام النبلاء ,ج18 , ص 395 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 372 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 147 .

(5) ظهر الدولة : هو العادل المؤيد المظفر المنصور ظهر الدين عضد الإسلام تاج الدولة صاحب دمشق , تولى الإمارة سنة 540هـ/1164م ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 443 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 182 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 459 .

(7) محمد , صبحي عبد المنعم , العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين , العربي للنشر والتوزيع , القاهرة , د.ت ,ص 81 . وسيشار له لاحقا : محمد , العلاقات ؛ سلمان , معن , العلاقات الخارجية للخلافة الفاطمية في المرحلتين المغربية والمصرية (297-567هـ/ 909-1171م) , أطروحة دكتوراة , جامعة دمشق , 2006م , ص 298 . وسيشار له لاحقا : سلمان , العلاقات .

ففي سنة 364هـ/ 975م وفد على الخليفة المعز لدين الله وفد من الحجاز فأطلق لهم الخليفة أربعمائة ألف درهم[1] , وفي نفس السنة وفد على الخليفة المعز لدين الله وفود من الأحساء[2] فخلع عليهم الخليفة الأموال[3] .

كانت الخلافة الفاطمية ترسل أموالاً وغلالاً إلى الحجاز في مواسم الحج رغم أنهم لم يخرجوا للحج , فقد ذكر المقريزي "إن المنفق على الموسم كان في كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار منها ثمن الطيب ، والحلواء والشمع راتبا في كل سنة عشرة آلاف دينار، ومنها نفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة: أربعون ألف دينار، ومنها في ثمن الحمايات، والصدقات، وأجرة الجمال، ومعونة من يسير من العسكرية، وكبير الموسم، وخدم القافلة، وحفر الآبار، وغير ذلك: ستون ألف دينار، وإن النفقة كانت في أيام الوزير البازوري: قد زادت في كل سنة، وبلغت إلى مائتي ألف دينار، ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول"[4]

وفي سنة 368هـ/978م توجهت قافلة الحج من مصر إلى الحجاز وفيها صلات لأشراف الحجاز , فضلا عن القمح والشعير والدقيق وسائر الحبوب والزيت ومحاريب من ذهب وكسوة للكعبة[5] , كانت الأموال التي تنفق على كسوة الكعبة ضخمة , والدليل على ذلك حين أمر الخليفة المعز لدين الله عمل كسوة للكعبة فيذكر ابن ميسر " وكانت هذه الكسوة مربعة الشكل من ديباج أحمر , سقفها مائة وأربعة وأربعون شبراً , وكانت حافتها أثني عشر هلالا ذهبيا , وفي كل هلال أترجة ذهب مشبك , وفي داخل كل منها خمسون درة تشبه بيض الحمام في الحجم , كما كان فيها الياقوت الأحمر والأزرق والأصفر , ونقش في حافتها قوله تعالى (قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[6] , وقوله تعالى (وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[7] ,

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 216 .

(2) الأحساء : مدينة بالبحرين عامرة , كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر سلمان الجناني , وفيها بركة ونبع وآبار ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص 112 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 223 .

(4) المقريزي و الخطط , ج2 , ص 354 . المقريزي , الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك , تحقيق : جمال الدين الشيال , ط1 , مكتبة الثقافة الدينية , بور سعيد , 2000م , ص 14 . وسيشار له لاحقا : المقريزي , الذهب المسبوك .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص246 .

(6) سورة آل عمران , الآية :95 .

(7) سورة التوبة , الآية : 3

ونقشت الأحرف بالزمرد الأخضر وزينت هذه الكتابة بالجواهر الثمينة , وكانت هذه الكسوة معطرة بمسحوق المسك , وكانت موضوعة في القصر بحيث يراها جميع الناس من داخل القصر أو من خارجها لعلو موضعها[1] .

وفي السنة التالية جهز الحجاج وجهزت كسوة للكعبة وصلات الأشراف والطيب والشمع والزيت , فبلغ مصروف هذه الحملة مائة ألف دينار[2] , ثم سارت قافلة للحجاج سنة 382هـ/992م للحج فأنفق الخليفة العزيز بالله على الكسوة والصلاة مبلغاً قدره ثمانمائة ألف دينار[3] كما بلغت تكاليف كسوة الكعبة والصلات عام 383هـ/993م ثلاثمئة ألف دينار[4] .

وأصبحت الخلافة الفاطمية محط استقبال الوفود من الحجاز وإكرامهم من قبل الخلافة الفاطمية , ففي سنة 384هـ/ 994م استقبل الخليفة العزيز بالله عيسى بن جعفر الحسيني[5] أمير مكة وأكرمه وخلع عليه الهدايا وعاد إلى مكة محملاً بالهدايا والخلع[6] .

عندما أصاب الحجاز القحط سنة 440هـ/ 1048م أمر الخليفة المستنصر بالله بمنع الحجاج من السفر إلى مكة في هذا العام خوفا عليهم من القحط وقطاع الطرق , لكن الخليفة قام بإرسال ما كان يرسله كل سنة من الكسوة وأجور الخدم والحاشية وأموال لأمراء مكة في المدينة ومكة , وقد كانت ثلاثة ألاف دينار في الشهر , وكانت ترسل الخيول والخلع مرتين في السنة[7] . إضافة إلى كسوة خمسة وثلاثين ألفا من أهل الحجاز الذين هاجروا إلى مصر بعد أن أصابهم القحط , وأجرى عليهم الرزق والصلاة لعام كامل[8] .

---

(1) أبن ميسر , المنتقى , ص 161-162 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 252 .

(3) أبن ميسر , المنتقى , ص 171.

(4) المقريزي , اتعاظ , ج1 , 279 .

(5) عيسى بن جعفر: هو عيسى بن جعفر بن محمد الحسين بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه , تولى إمارة مكة بعد وفاة أبيه سنة 384هـ/ 994 , خطب والده للفاطميين سنة 358هـ/ 969م , بدل العباسيين , حين قام الفاطميون بفتح بمصر ؛ الفاسي , تقي الدين محمد بن أحمد , (ت832هـ/ 1429م) , العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين , تحقيق أيمن فؤاد السيد , مؤسسة الرسالة , القاهرة , 1958م , ج1 , ص 170 ؛ ج5 , ص 423 . وسيشار له لاحقا : الفاسي , العقد الثمين , أبن حزم الأندلسي , أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري , (ت456هـ/ 1064م) , جمهرة أنساب العرب , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 1983م , ص 47 . وسيشار له لاحقا : أبن حزم , جمهرة الأنساب ؛ محمد , العلاقات , ص 73-74 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 282 .

(7) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 112 .

(8) المصدر نفسه , ص 112.

وفي سنة 516هـ/1122م سيرت إلى أمير مكة الهدايا من تخوت وثياب وبخور , ومن الغلة ثمانية آلاف وتسعمائة وأربعون اردبا من القمح[1] .كما سير الوزير طلائع بن رزيك خمسة عشر ألف دينار إلى أمير الحرمين برسم إطلاق الحاج [2] .

كان ولاء الحجاز للفاطميين مرتبطاً بالناحية الاقتصادية , فلما أصابت مصر الشدة وانقطعت الأموال عن الحجاز , سارع الأشراف إلى خلع الطاعة عن الخلافة الفاطمية والخطبة على منابر الحجاز للخلافة العباسية في بغداد وذلك سنة 462هـ/ 1069[3] .

ولم يقتصر الخلفاء الفاطميون على إرسال الأموال والهدايا إلى الشام والحجاز وإفريقية بل تعدى ذلك إلى إرسال الهدايا لأمراء اليمن التي كانت تخضع للخلافة الفاطمية , ففي سنة 517هـ/ 1132م سير الخليفة الآمر بأحكام الله إلى الملكة الحرة الصلحية [4] رسولاً وبصحبته برسمها من التشريف مما لبسه الخليفة وما زج عرقه من الحلل المذهبات وملاءات الشرب المذهبة والشقق النفوسي والمغربي المقصور

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 80 .

(2) عمار اليمني , النكت العصرية , ص 53 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج2 , 304 .

(4) الملكة الحرة : هي أروى بن أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي , السيدة نعتت بالحرة الأكملة وبلقيس الصغرى , كان يدعى لها على منابر اليمن , فخطب أولاً للمستنصر الفاطمي , ثم للصليحي زوجها , ثم للحرة , كانت شديدة الذكاء ومدبرة الحروب , توفيت سنة 532هـ/ 1137م وهي آخر ملوك الصلحيين ؛ عمارة , تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها , تحقيق : محمد بن علي الاكوع , لجنة البيان , القاهرة , 1979م , ص 112-113 . وسيشار له لاحقا : عمارة , تاريخ اليمن ؛ بول , استانلي لين , طبقات سلاطين الإسلام , ترجمة مكي طاهر, تحقيق : علي البصر , دار البصري , بغداد , 1961م , ص 90 . وسيشار له لاحقا : بول , طبقات .

والإسكندراني المطرز جملة كثيرة في تخوت مدهونة مبطنة، وسلال مملوءة من لحم الناقة التي نحرت بالمصلى، واثنى عشر مجلسا من المساطير التي تقرأ كل خميس وعليها علامة الخليفة، وكثير من النحاس القضيب والمرجان[1] .

4- عطايا وهبات الخلفاء للشعراء والوعاظ والادباء

حرص الخلفاء الفاطميون على تشجيع العلوم والفنون سواءاً كانوا شعراء أو أطباء أو وعاظ , فكانوا يجزلون لهم العطايا في المناسبات المختلفة , فقد ترى الفاطميون يولون الشعراء عنايتهم لأن الشعراء لسان من الألسن التي تمجدهم , وتدافع عنهم أمام الأعداء , فإغداق النعم الفاطمية على الشعراء كان من أشد الأسباب التي جعلت الشعراء يحرصون على إتقان الشعر مع الإكثار من الإنشاد , فكثر الشعراء وكثر إنتاجهم[2] .

لذى نجد الشاعر أبن هانئ الأندلسي[3] يمدح الخليفة المعز لدين الله ويصف حجم الأموال والهدايا التي كان ينفقها على الناس :

ياخير ملتحف بالمجد والكرم   وأفضل الناس من عرب وعجم

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 103 .

(2) سلام , محمد زغلول , الادب في العصر الفاطمي , منشأة المعارف , الإسكندرية , د.ت , ص 11 . وسيشار له لاحقا : سلام , الأدب .

(3) أبن هانئ الأندلسي : هو محمد بن هانئ أبو القاسم الأسدي الأندلسي , أديب شاعر مفلق ، أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة ، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق , ولد بأشبيلية ونشأ بها , كان حافظا لأشعار العرب وأخبارهم , وهو من الشعراء المقربين لدى الخليفة المعز لدين الله , أكرمة وأحسن إليه ؛ ياقوت الحموي , معجم الأدباء , تحقيق : إحسان عباس , ط1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1992م , ج6 , ص 2667 . وسيشار له لاحقا : ياقوت الحموي , معجم الأدباء .

يا خير لك الجد منها بالك الخبر والعلى   وتبقى لنا منها الحلويه والــدر

لقد جدت حتى ليس لـلمـال طـالـب   وانفقت حتى ما لنفســه قدر[1] .

كما مدح ابن هانئ جوهراً فأعطاه مائتي دينار , ومدح ابن جعفر بن فلاح فأعطاه مثلهما[2].

لقد شارك الشعراء الخلفاء الفاطميين أفراحهم وأحزانهم , ففي سنة 385هـ/995م توفيت زوجة الخليفة العزيز بالله فرثاها الشعراء فاجيزوا , فاجيز لكل واحد فيهم خمسمائة دينار , كما أقامت ابنتها على قبرها عزاء لمدة شهر ففرقت على الشعراء ألفي دينار[3].

وانشد بعض الشعراء الخليفة الحاكم بامر الله سنة 387هـ/ 997م فكان ينعم على الشعراء بقدر استحقاقهم[4] , وفي عهد الخليفة المستنصر بالله حظيت إحدى المغنيات التي كانت تنشد تحت قصر الخليفة شعرا عندما استولى البساسيري على بغداد سنة 451هـ/ 1059م بهدية عبارة عن أرض تسمى أرض الطبالة [5] .

كذلك منح الخليفة الشاعر إبراهيم بن محمد[6] خمسة آلاف دينار لقاء القصيدة التي أنشدها :

---

(1) أبن هانئ الأندلسي , محمد بن هانئ , (ت 362هـ/972م) , ديوان أبن هاني , دار بيروت للطباعة , لبنان , 1980 م , ص 138,335 .

وسيشار له لاحقا : أبن هانئ , ديوان .

(2) المقريزي , المقفى , ج3 , ص 50.

(3) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 288-289 .

(4) المصدر نفسة, ج2 , ص 14-15 .

(5) أبن ميسر , المنتقى , ص 18 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , 254 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 14 .

(6) إبراهيم بن محمد :هو أبو علي النحوي إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي الهاشمي الحسيني الشريف , له معرفة حسنة بالنحو واللغة والآداب ، وحظ من قرض الشعر جيد من مثله. سافر إلى الشام ومصر ، فأقام بها مدة ، ثم رجع إلى وطنه بالكوفة إلى أن مات في شوال سنة 466هـ/1073م . السيوطي , عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين , (ت 911هـ/1505م) , بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة , تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبة العصرية , لبنان , 1964م , ج1 , ص 430 . وسيشار له لاحقا : السيوطي , بغية .

فإن تسأليني كيف أنت فإنني ... تنكرت دهري والمعاهد الصحبـا

وأصبحت في مصر كما لا يسرني ... يدا من الأوطان منتزحا غـربا

وإني فيها كامرئ القيس مرة .... وصاحبه لما بكى ورأى الدربـا

فإن أنجو من بابي زويلا فتوبة .... إلى الله أن لا مس خفي لها تربا[1] .

كما منح أمير الجيوش بدر الجمالي سنة 487هـ/ 1094م للشاعر علقمة الغلمي [2] سبعون بغلا , وأمر له بعشرة آلاف دينار[3] .

كما حظي الشعراء في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله بالعطايا والأموال , فعندما بنى بركة الحبش امتدحها الشعراء فامر لهم لكل واحد منهم صرة مختومة فيها خمسون ديناراً[4] .

وكان من أكثر الشعراء له حضوة عند الخلفاء الفاطميين هو الفقيه الشاعر عمارة اليماني الذي قدم إلى القاهرة سنة 550هـ/ 1155م وحضر إلى مجلس الخليفة الفائز ابن الظافر (549-555هـ/ 1154-1160م) , وأنشد قصيدة :

الحمد للعيس بعد العزم والهـممِ   حمدا يقوم بما أولتْ من النّعـمِ

لا أجحدُ الحقَّ عندي للركاب يـدٌ   تمنّتِ اللخمُ فيها رتبةَ الخـطمِ

قربنَ بُعدَ مزار العزّ من نـظري   حتى رأيتُ إمامَ العصر من أممِ

ورحنَ من كعبةِ البطحاء والحرمِ   وفدا إلى كعبة المعروف والكرمِ

فهل درى البيتُ أني بعد فرقـته   ما سرتُ من حرمٍ إلا إلى حـرمِ

حيث الخلافةُ مضروب سرادقُـها   بين النقيضينِ من عفوٍ ومن نقمِ

لاقت هذه القصيدة استحسان من الخليفة ووزيره الصالح , فخلع عليه الخلع الموشحة بالذهب ودفع إليه الوزير الصالح خمسمائة دينار ,

---

(1) السيوطي , بغية , ج1 , ص 430-431 .

(2) علقمة : علقمة بن عبد الرزاق الغلمي شاعرا في عهد الخليفة المستنصر بالله ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 497 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 330 ؛ أبن خلكان , فيات الأعيان , ج2 , ص 449 .

(3) أبن المسير , المنتقى , ص 53-54 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 497 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 330 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 339 .

وقدمت له السيدة الشريفة أخت الخليفة خمسمائة دينار , غير ما قدم له في دار الضيافة عندما رحل أنشد قصيدة فأعطاه الخليفة خمسمائة دينار , والسيدة الشريفة مبلغاً مثله , وأعطاه الوزير مئتي دينار , وكتب له إلى صاحب عدن[1] بإسقاط ديونه البالغة ثلاثة آلاف دينار في ذمته , وكتب له مائة أردب قمح يحملها من مال ديوان مكة[2]

أما عن الهبات والهدايا للفقهاء والوعاظ , فقد كانت محط اهتمام الخلفاء الفاطميين , وذلك لأن سياسة الفاطميين الدينية تقتضي نشر المذهب الإسماعيلي وشرح أصول المذهب , ولكسب دخول الناس في هذه الدعوة الاسماعيلية , فكان يصرف لخدمة أهل العلم ألف دينار[3] , وبعث الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 410هـ/ 1019م دعاته محملين بالأموال إلى خراسان لنشر الدعوة الإسماعيلية , فقد بلغ عدد دعاته في خراسان وبلاد ما وراء النهر مئة وثلاثة وثلاثين داعياً , وأنعم عليهم الأموال الكثيرة[4] .

وفي سنة 516هـ/ 1122م قدم إلى القاهرة الشيخ يوسف بن احمد الأندلسي[5] فأكرم ومنح كسوة شتوية ورسوم وعيدية , وأقطع دارا بالقاهرة[6] , ومنح الخليفة العاضد لدين الله سنة 559هـ/ 1163م الواعظ زين الدين الأنصاري[7] عشرون ألف دينار[8] .

---

(1) عدن : هي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن رديئة لا ماء بها ولا مرعى , وشربهم يكن من عين , وهو مرفأ مراكب الهند والتجار ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 89 .

(2) عمارة , النكت العصرية , ص 32-38 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 224-228 .

(3) متز , الحضارة الإسلامية , ج1 , ص 330-331 .

(4) المرجع نفسه , ج2 , ص 73 , 117 .

(5) الشيخ يوسف بن أحمد : هو أبو جعفر يوف بن أحمد بن حسدية بن يوسف الاسرائيلي الاصل , قدم من الاندلس وصار ضيفا على الدولة الفاطمية ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 94 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 94 .

(7) زين الدين الأنصاري : هو زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الدمشقي الحنبلي , ولد بدمشق سنة 580هـ/1115م , سمع من علي بن أحمد المالكي , وابن الشيخ ابي الفرج عبد الواحد الحنبلي , نزل في القاهرة قبل وفاته وأوعظ في جامع القرافة , توفي سنة 599هـ/ 1203م ؛ الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج15 , ص 471 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج2 , ص 530 .

(8) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 265 .

كذلك اعتاد الخلفاء الفاطميون على اغداق الهدايا والنعم على الأطباء , حيث جاء تكريم الأطباء من جملة الأعمال التي أرادوا من ورائها الثواب المعنوي , فقد كرم الخليفة الحاكم بأمر الله الطبيب ابن مقشر[1] وخلع عليه ثلاث بغلات مسرجة ملجمة , وحمل معه عشرين سفطاً من أنواع الثياب الملونة , وأخرج له الخدم الخاصة وجعلهم تحت تصرفه , ولقب بالحقير النافع بعد أن داواه فمنحه ألف دينار وجعله من الأطباء الخاصين , وعندما توفي أطلق لأهله مالاً كثيراً[2] , كما خلع الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 394هـ/ 1004م على طبيبه ابن نسطاس[3] بغله وأقتيدت خلفه بغلتان ومعه ثياب كثيرة , وأنعم عليه أيضا دارا بالقاهرة , وفرشت له وألزم له الخدم تحت إمرته[4] , كما خلع الخليفة على طبيبه الخاص صقر اليهودي[5] سنة 389هـ/ 998م , وأجرى له العطاء , ومنحه ثلاثة بغلات بسروجها ولجمها , وعشرون سفط ثياب , وفرش له دار , فحصل في ساعة واحدة عشرة آلاف دينار[6] , وفي عام 399هـ/ 1008م أصاب الخليفة الحاكم مرضاً وأشتد عليه وعندما شفي منه منح طبيبه عشرة الاف دينار[7] .

---

(1) أبن مقشر : هو منصور بن سهلان بن مشقر أبو الفتح النصراني , هو من الاطباء المتقدمين بالدولة الفاطمية بالديار المصرية , وله منزلة بين أصحاب القصر , ولا سيما في أيام العزيز , أصبح طبيب الخاص بالحاكم بعد وفاة أبن نسطانس ؛ القفطي , جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني , (ت646هـ / 1248م) , أخبار العلماء وأخبار الحكماء , تحقيق إبراهيم شمس الدين , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 2005م , ص 249 , 320 . وسيشار له لاحقا : القفطي , أخبار العلماء ؛ أبن ابي صيبعة , أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزوجي , (ت 668هـ/1269م) , عيون الأنباء في طبقات الأطباء , تحقيق : نزار رضا , دار مكتبة الحياة , بيروت , د.ت , ص 549 . وسيشار له لاحقا : أبن أبي أصيبعة , عيون الأنباء.

(2) القفطي , أخبار العلماء, ص 249 ؛ أبن ابي صيبعة , عيون الانباء , ص 549 ؛ أبن سعيد , النجوم الزاهرة , ص 62 .

(3) أبن نسطاس : هو يعقوب اسحق بن إبراهيم بن جريح نسطاس النصراني , فاضل في صناعة الطب , وأصبح طبيب الحاكم , كان عارفا بأمور الطب , فانفرد بخدمة الحاكم وأثري بأموال من الخليفة , وعندما توفي ترك عشرين ألف دينار عينا من غير الثياب ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 70 ؛ أبن أبي أصيبعة , عيون الأنباء , ص 544 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 48 .

(5) صقر اليهودي , هو الطبيب الخاص بالخليفة الحاكم بأمر الله , عين بعد وفاة أبن نسطاس , توفي سنة 400هـ/ 1009م ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 73 , 83 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 73 .

(7) النويري , نهاية الارب , ج28 , ص 116 .

كما منح الخليفة الحافظ لدين الله إلى الشيخ السديد[1] خمسين ألف دينار وأواني ذهب وفضة وأنعاماً , عندما طهر ولد الخليفة , كذلك حصل الشيخ على ثلاثين ألف دينار من الخليفة لمعالجة أحد أقرباء الخليفة [2] , فعندما مرض الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي سنة 512هـ/1118م بحمى حادة , عالجه أحد اطباء القصر , فمنحه ثلاثمائة دينار بعد شفائه[3] .

وبذلك عاش الأطباء حياة الثراء والبذخ في مصر داخل القصر الفاطمي , فكان للقصر أطباء خاصون يتقاضون راتباً قدره ثلاثون ديناراً[4] .

5- العطايا وهبات الخلفاء للعامة

أعتاد الخلفاء الفاطميون على إنفاق الأموال على العامة في مختلف الأعياد والمناسبات , وقد ساعدهم توفر الأموال لدى الخلفاء على بذل الصدقات على الفقراء , فقد أخرج القائد جوهر الصقلي سنة 359هـ/ 969م بأمر من الخليفة المعز لدين الله مائة وخمسين ألف درهم , وأمر بتفريقها على الفقراء والضعفاء والمساكين من العامة[5], كذلك تصدق الخليفة العزيز بالله سنة 381هـ/ 991م على الفقراء والمساكين بعشرة آلاف دينار , عندما مرض ولده المنصور[6] .

كذلك تصدق الخليفة العزيز بالله سنة 385هـ/ 995م بعد وفاة زوجته العزيزية بألفي دينار على الفقراء والمساكين [7] .

كما تصدق الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله سنة 417هـ/1026م على إثر نجاته من الموت بعد سقوطه من على الخيل بمائة ألف دينار , فحمل إلى الحجاز أربعين ألف دينار , وإلى الشام عشرين ألف دينار , وإلى بلاد المغرب عشرين ألف دينار ,

---

(1) الشيخ السديد : هو القاضي الأجل السديد أبو منصور عبدالله بن الشيخ السديد أبو الحسن علي , كان عالما بصناعة الطب , خبيرا بأصوله وفرعه , خدم الخلفاء الفاطميين , حظي ونال من جهتهم الأموال الوافرة والنعم ما لم ينله غيره من سائر الأطباء الذين كانوا في زمانه ؛ أبن أبي أصيبعة , عيون الأطباء , ص 572 .

(2) أبن أبي أصيبعة , عيون الأطباء , ص 572 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 59 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 188

(5) عماد الدين , إدريس الداعي , (ت872هـ/1488م) , عيون الأخبار وفنون الآثار السبع السادس من أخبار الدولة الفاطمية , تحقيق : مصطفى غالب , ط2 , دار الأندلس , بيروت , 1984م , ص 169 . وسيشار له لاحقا , عماد الدين , عيون الأخبار .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 272 .

(7) المصدر نفسه , ج1 , ص 289 .

ووزعت في مصر عشرون ألف دينار[1] . أما الخليفة الآمر بأحكام الله فقد اطلق سنة 516هـ/ 1122م عشرة آلاف دينار برسم الصدقات توزع على الفقراء , وكذلك اطلق من الأهراءات ألفي أردب من القمح , وأشترى العديد من الجواري وأعتقهن[2] .

(1) المصدر نفسه, ج2 , ص 175 .
(2) المصدر نفسه , ج3 , 83 .

الفصل الثالث

النفقات الإدارية والعسكرية

أولا : نفقات الوزارة

ثانيا : نفقات الدواوين

ثالثا : نفقات ولاة الأقاليم

رابعا : نفقات الوظائف الدينية

1- نفقات الدعوة

2- نفقات القضاء

3-نفقات الحسبة

4-نفقات الشرطة

خامسا : نفقات موظفي قصور الخلافة

سادسا : النفقات العسكرية

1- مكونات الجيش

2- إدارة الجند ورواتبه

3- نفقات الأسطول

4- نفقات الحملات العسكرية

- **نفقات فتح مصر وقمع الاضطرابات الداخلية فيها**
- **نفقات التوسع الفاطمي في الشام وقمع الثورات الداخلية**
- **نفقات قتال الإفرنج والروم**
- **نفقات الصراع مع العباسيين**

الفصل الثالث

النفقات الإدارية والعسكرية

أولا : نفقات الوزارة :

كلمة وزارة مشتق من ثلاثة أوجه , الأول أنه مأخوذ من الوزر , اي الثقل , لأنه يحمل عن الملك أثقاله , والثاني مأخوذ من الوزر وهو الملجأ , ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر)[1] , أي لا ملجأ أو لا نجاة , فسمي بذلك لأن الملك يلجأ إليه ليأخذ بمشورته , اما الثالث فهو مأخوذ من الإزر وهو الظهر , لأن الملك يقوي بوزيره كقوة البدن بالظهر[2] , ومنه قوله تعالى (الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ)[3] .

أما تعريف الوزارة في الاصطلاح فقد عرفها ابن خلدون " هي أم الخطط السلطانية , والرتب المملوكية , لأن أسمها يدل على مطلق الإعانة , فإن الوزير إما مأخوذ من الموازرة وهي المعاونة , أو من الوزر وهو الثقل , كأنه يحمل مع مفاعله أوزارهم , وأثقالهم , وهو راجع إلى المعاونة المطلقة" [4] .

فقد جاء في القران على لسان موسى (اجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي , هَارُونَ أَخِي , اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي , وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)[5] , أي عونا , فالوزير المتحدث للملك في أمر مملكته , أي وسيط بين الملك والرعية[6].

---

(1) سورة القيامة : الآية 11 .

(2) الطبري , محمد بن جرير بن يزيد , (ت 310هـ/922م) , جامع البيان عن تأويل أي قران , تحقيق : عبدالله التركي , ط1 , دار هجر للطباعة والنشر , مصر , 2001م , مج23 , ص 484 . وسيشار له لاحقا : الطبري , جامع البيان ؛ الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 53 ؛ الماوردي , قوانين الوزارة وسياسة الملك , تحقيق : فؤاد عبد المنعم واخرون , ط2 , مؤسسة شباب الجامعة , مصر , 1987م , ص 25 . وسيشار له لاحقا : الماوردي , قوانين الوزارة , أبن الطقطقي , محمد بن طبطبا , (ت709هـ/1309م) , الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية , تحقيق : عبد القادر محمد , ط1 , دار القلم العربي , بيروت , 1997م , ص 150 . وسيشار له لاحقا : أبن الطقطقي , الفخري . القلقشندي , صبح الأعشى, ج5 , ص 448 . أبن منظور , لسان العرب , ج5 , ص 282 .

(3) سورة الشرح : الآية 3 .

(4) أبن خلدون , العبر ,ج1 , ص 294 .

(5) سورة طه : الآية 29-30-31-32 .

(6) الطبري , جامع البيان , مج 16 , ص 54 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج5 , ص 448 ؛ أبن الطقطقي , الفخري , ص 149 .

فقد أعتاد المؤرخون في الدول الاسلامية بما فيها الدولة الفاطمية إلى تقسيم الوزارة إلى قسمين وهما :

1- وزارة التفويض : يقصد بها أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه الأمور برأيه , وامضاءها على أجتهاده , حيث تنعقد وزارته بقول الخليفة أو الإمام لمن ينتدبه قلدتك وزارتي والنيابة عني في جميع مالي من ولاية الرعية , فيقول الوزير قبلت وتقلدت[1] .

غالبا ما يكون وزير التفويض يجمع بين كفايتي السيف والقلم , حيث يجري تبني هذا النمط من الوزارة عند فترات ضعف الخليفة , بسبب الظروف المحيطة بهم , أو لكون الخليفة مغلوبا على أمره [2] .

يشترط في تقلد وزارة التفويض أربع شروط وهي الاسلام , والحرية , العلم بأحكام الشريعة , والمعرفة بأمور الحرب والخراج[3] .

يجوز لهذا الوزير أن يحكم بنفسه , وأن يقلد الولاة , وأن ينظر في المظالم , كما يحق له تولي الجهاد بنفسه , وأن يقلد من يتولاها , ويتصرف في أموال بيت المال بقبض ما يستحق له , ويدفع ما يجب له[4] .

2-وزارة التنفيذ : أما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف وشروطها أقل , لأن النظر فيها مقصور على رأي الخليفة وتدبيره , حيث يكون الوزير وسيطاً بينه وبين الرعية والولاة , يؤدي عمله ما يأمر به الخليفة فينفذه , ويمضي ما حكم , وينجز بتقليد الولاة , وتجهيز الجيوش , ويعرض عليه ما ورد منهم , فهو المعين على تنفيذ الأمور , وليس بوال عليها ولا مقلد لها , ولا يحتاج الوزير إلى تقليد , وانما يراعي فيها مجرد الإذن , ولا يعتبر في تعيين الوزير على المؤهل والحرية ولا العلم , لأنه ليس له الحق في الأنفراد بالقرار , وإنما هو منفذ لقرار الخليفة[5] .

---

(1) الثعالبي , أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل , (ت 429هـ/1038م) , تحفة الوزراء , تحقيق : سعد أبودية , ط1 , دار البشير , عمان , 1994م , ص 53 . وسيشار له لاحقا : الثعالبي , تحفة ؛ الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 50-52 .

(2) دخيل , محمد حسن , الدولة الفاطمية الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية , ط1 , مؤسسة الانتشار العربي , بيروت , 2009 م , ص 27 . وسيشار له لاحقا : دخيل , الدولة الفاطمية .

(3) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 59 .

(4) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 57-58 ؛ دخيل , الدولة الفاطمية , ص 28 .

(5) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 56 .

أما الوزارة في مصر خلال العصر الفاطمي فهي من أرفع الوظائف وأعلاها رتبة , تأتي بعد الخليفة , حيث كانت الوزارة في الدولة الفاطمية تارة من أرباب السيوف , وتارة من أرباب الأقلام , وفي كلا الجانبين تارة تعلو فتكون وزارة تفويض تضاهي السلطة , أو قريبة منها ويعبر عنها حينئذ بالوزارة , وتارة تنحط دون ذلك ويعبر عنها بالوساطة[1] .

لم يعرف الفاطميون في المرحلة الإفريقية نظام الوزارة , حتى بعد أنتقالهم إلى مصر , فإن الخليفة المعز لدين الله لم يتخذ وزراء له , وعلى الرغم من أن الوزارة عرفت في مصر منذ العهد الطولوني[2] , وأول من أطلق عليه لقب الوزير في الدولة الفاطمية هو يعقوب بن كلس , وزير الخليفة العزيز بالله سنة 368هـ/979م فلما مات ابن كلس لم يستوزر العزيز بالله بعده أحد , وإنما كان يولي الوساطة , لأنه يتوسط بين الخليفة والرعية فالقرار الأخير يعود للخليفة[3]

كانت الوزارة في مصر في النصف الأول من العصر الفاطمي وزارة تنفيذ , حيث كان الوزراء من أرباب الأقلام , أما الوزارة في النصف الثاني من العصر الفاطمي فهي وزارة تفويض , منذ أن تولى بدر الجمالي الوزارة سنة 466هـ/1074م كانوا جميعا من أرباب السيوف , أي من رجال الجيوش[4] .

تفرد بعض وزراء التنفيذ في السلطة , حيث أنه أصبح يمارس سلطة وزارة التفويض , ومنهم الوزير الجرجاني , الذي ولي الوزارة للخليفة الظاهر سنة 418هـ/ 1027م حيث تفرد بالوزارة مع أخت الخليفة الحاكم , حيث فوض إليه الخليفة أمر الوزارة وجعله وسطاً بينه وبين أوليائه , وأناط به أزمة الحل والعقد والإبرام , والنقض والقبض والبسط والإثبات والتصرف تفويضا تاما[5] .

---

(1) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 482-483 .

(2) أبن طوير , نزهة , مقدمة المحقق , ص 40 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 232 .

(3) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 56 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 95 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 483 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 232 .

(4) أبن طوير , نزهة , مقدمة المحقق , ص 41-43 ؛ المناوي , محمد حمدي , الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي , دار المعارف , مصر , د.ت , ص 36 . وسيشار له لاحقا : المناوي , الوزارة ؛ دخيل , الدولة الفاطمية , ص 28 .

(5) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 35-36 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 131 ؛ الصاوي , أحمد السيد , مجاعات مصر الفاطمية اسباب ونتائج , ط1 , دار التضامن , بيروت , 1988م , ص 86 . وسيشار له لاحقاً : الصاوي , مجاعات ؛ المناوي , الوزارة , ص 36 ؛ دخيل , الدولة الفاطمية , ص 29 .

أما نفقات الوزراء في مصر خلال العصر الفاطمي فقد بالغ الخلفاء الفاطميون في أنفاقها لإظهار مظاهر البذخ والفخامة والأبهة بقصد إظهار عظمة دولتهم , حيث يذكر المقريزي عن الخلع التي تقدم إلى الوزراء بقوله " وكانت خلعهم الثياب الديبقية والعمائم القصب بالطراز الذهب , وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار , ويخلع على أكابر الأمراء الأطواق الذهب والأسورة والسيوف المحلاة , وكان يخلع على الوزير عوضاً عن الطوق عقد جوهر"(1).

عندما تقلد يعقوب بن كلس الوزارة سنة 368هـ/979م خلع عليه الخليفة العزيز بالله الخلع , ثم عزله سنة 473هـ/ 1080م , وأعيد إلى الوزارة في العام التالي وحمله على الخيل بالسروج واللجم الثقال , ووهبه خمسمائة من الناشئة , وألف غلام لا رجعة فيهم(2) .

وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله خلع على الحسن بن عمار الوساطة سنة 386هـ/996م وقلده سيفاً من سيوف العزيز, وحمل على فرس بسرج من ذهب , ولقبه بأمين الدولة , فقال له أنت أمين دولتي وقاد بين الخيل , وعمل له خمسين ثوبا ملوناً من البز الرفيع , ومضى في موكب عظيم إلى داره(3) .

فقد خلع الخليفة المستنصر بالله على أبي محمد اليازوري سنة 443هـ/1051م الوزارة ووهبه خلعا فاخرة كانت غلاله قصبا وطاقا وقميصاً ديبقياً وطيلساناً , وعمامة قصبا , وحمله على فرس بمركب من ذهب وزنه ألف مثقال , وقاد بين يديه خمسة وعشرين فرساً وبغلا بمراكب ذهب وفضة , وحمل معه خمسين سفطاً من الثياب أصنافا وزاد في نعوته وألقابه(4) .

ثم خلع الخليفة المستنصر بالله سنة 466هـ/1073م على أمير الجيوش بدر الجمالي الوزارة بعد ان ضبط أمور البلاد , خلع عليه عقداً منظوماً جوهر مكان الطوق , وزيد له الحنك نظراً لقصور أموال الخلافة , جعل عوض العقد الجوهر الذي كان للوزير ويفك بخمسة آلاف مثقال ذهب قلادة عنبر مغشوش(5) .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 234 .

(2) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 21-22 .

(3) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 26-27 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 5 .

(4) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 40 - 41 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 137 .

(5) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 55-56 ؛ أبن ميسر , المنتقى , ص 40 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 234 .

بعد مرض بدر الجمالي سنة 478هـ/ 1085م قلد الخليفة المستنصر بالله الأفضل بن بدر الجمالي الوزارة , فخلع عليه قلادة من الجوهر الفاخر والسيف والطيلسان المقور[1] .

وخلع الخليفة الآمر بأحكام الله بعد مقتل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي سنة 515هـ/ 1121 م على ابن فاتك البطائحي خلعتين الأولى كانت في مستهل ذي القعدة مكونة من بدلة مذهبة بشدة الخليفة الداعية , وحلت المنطقة من وسطه , ولوالده وإخوته مثله , أما الخلعة الثانية في مستهل ذي الحجة من نفس العام مكونة من ملابس شريفية في مجلس العيد , وطوق بطوق مذهب مرصع , وسيف من ذهب , وأطلقت له الهبات[2] .

أما الخليفة الفائز فقد خلع على الوزير طلائع بن رزيك سنة 549هـ/1154م خلعة موشحة , وعقد جوهر , وخلع على اخيه وحاشيته , واجرى له مجرى الأفضل بالطيلسان المقرر ونعت بالملك الصالح[3] .

اما الخليفة العاضد لدين الله فقد خلع على الوزير صلاح الدين عندما قلده الوزارة سنة 564هـ/ 1198م خلعة الوزارة وهي عمامة بيضاء تنيسي بطرز ذهب وثوب دبيقي بطراز ذهب وجبة تحتها سقلاطون بطرازي ذهب وطيلسان ديبقي بطراز دقيق ذهب وعقد جوهر قيمته عشرة آلاف دينار, وسيف محلى بجوهر قيمته خمسة آلاف دينار , وفرس حجر صفراء من مراكب العاضد قيمتها ثمانية آلاف دينار لم يكن بالديار المصرية اسبق منها وطوق وتخت وسرفسار ذهب مجوهر وفي رقبة الحجر مشدة بيضاء وفي رأسها مئتا حبة جوهر وفي اربع قوائم الفرس أربعة عقود جوهر , وقصبة ذهب في رأسها طلعة مجوهرة وفي رأسها مشدة بيضاء بأعلام ذهب ومع الخلعة عدة بقج وعدة من الخيل وأشياء أخرى ومنشور الوزارة ملفوف في ثوب أطلس أبيض[4] .كانت هذه الخلع تكلف أموالاً طائلة شكلت في بعض الأحيان العبء على بيت المال .

---

(1) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 56-59 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 234 .

(2) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 63 ؛ أبن المأمون , أخبار مصر , ص 20 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 234-235 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 218 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 218 .

(4) أبو شامة , الروضتين , ج2 , ص 115-116 .

أما عن رواتب الوزراء فقد شكلت رواتبهم النصيب الأكبر من بين رواتب موظفي الدولة خلال العصر الفاطمي , حيث اشتملت رواتبهم مقررات عينية ونقدية , إضافة إلى منح الإقطاعات وكسوات الوزراء وأولادهم في الصيف والشتاء والعيدين وأول العام وموسم عيد الغدير وفتح الخليج(1) .

فقد كانت الرواتب النقدية للوزير خمسة آلاف دينار في الشهر , ولكل فرد من إخوانه وأولاده من ثلاثمائة إلى مئتي دينار , ولحواشي الوزير من خمسمائة إلى ثلاثمائة دينار , خارج عن الإقطاعات, الإ أن هذا يتناقص في بعض الأحيان , فقد كان يصل إلى ثلاثة آلاف دينار , وتفصيلها ما هو على حكم النيابة ألف دينار , وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار , وما هو عن مائة غلام برسم مجلسه وخدمته لكل غلام خمسة دنانير , هذا كان في زمن المأمون(2) .

إضافة إلى الجرايات التي تمنح لمطابخ الوزراء , فقد كان يصرف لأبن الدولة الحسن بن عمار في عهد الخليفة العزيز بالله والخليفة الحاكم بالله خمسمائة دينار للحم والحيوان والتوابل والفاكهة , مع ما كان يقام له خاصاً من الفواكه وهو سلة في كل يوم بدينار , وعشرة أرطال شمعا كل يوم , وحمل ثلج كل يومين(3) .

كما كان يصرف إلى الوزير المأمون البطائحي في السنة عشرون ألف أردب قمحاً وشعيراً , ومن الغنم برسم مطابخه ساقة من المراحات ثمانية ألف رأس سنوياً , وأما الحيوان والأحطاب وجميع التوابل العال منها والدون فمنه ما استدعاه متولي المطابخ يطلق من دار أفتكين وشون الأحطاب وغير ذلك(4) .

كما حظي الوزراء بإقطاعات من الخلفاء إلى جانب رواتبهم , فقد أقطع الخليفة العزيز بالله وزيره يعقوب بن كلس إقطاعا بلغ قيمته ثلاثمائة ألف دينار في السنة(5) , أما الوزير جعفر بن فلاح فكان إقطاعه في السنة خمسين ألف دينار(6) , وكان للمأمون البطائحي إقطاعا بلغ الخمسين ألف دينار في السنة أيضا(7) .

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 239 .
(2) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 81 ؛ أبن طوير , نزهة , ص 83 .
(3) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 26 .
(4) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 81 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 239 .
(5) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 269 .
(6) المصدر نفسه , ج1 , ص 169 .
(7) المقريزي , الخطط , ج2 , ص239 .

ثانيا : نفقات الدواوين [1] .

ظهرت الدواوين كبقية المؤسسات الإدارية الأخرى , نتيجة لحاجة الدولة إلى التنظيم المالي والعسكري والإداري , وضبط أمورها [2] .

فقد نشأت الدواوين في الدولة الإسلامية في أوقات متباعدة ومتفاوتة , فالبعض انشيء في فترة الخلافة الراشدة , والبعض أنشئ في مصر فترة الخلافة الأموية , والبعض أستحدث في عصر الخلافتين العباسية والفاطمية[3] .

أهتمت الخلافة الفاطمية منذ انتقالها إلى مصر سنة 358هـ/968م بتنظيم الدواوين , ووضع نظم إدارية ليسهل عليها إدارة البلاد , حيث ان الدواوين الفاطمية كانت في قصر الخليفة المعز لدين الله عندما قدم إلى مصر , فلما توفي الخليفة المعز لدين الله , قلد الخليفة العزيز بالله الوزارة ليعقوب بن كلس , فنقل الدواوين إلى داره , فلما توفي يعقوب بن كلس نقلها الخليفة العزيز بالله إلى القصر , بقيت في قصر الخلافة حتى تولى الأفضل بن بدر الجمالي , فعمر دار الملك في مصر فنقل إليها الدواوين , فلما قتل الأفضل نقلت إلى القصر مرة اخرى, هذا دليل على أهتمام الفاطميين بالمحافظة على الدواوين بأعتبارها عماداً للدوله وأسس تنظيمها, حيث بقيت في القصر حتى زوال الخلافة الفاطمية [4] .

بلغت عناية الفاطميين منذ قدومهم إلى مصر بموظفي الدواوين حدا كبيرا من الاهتمام , مما جعل هؤلاء الموظفين يتمتعون بمكانة اقتصادية عالية بفضل ما كانوا يحصلون عليه من رواتب ومنح وأعطيات , مما كان له الأثر الأكبر في أرتقاء ثرائهم وأتساع أحوالهم ,

---

(1) الدواوين : مفردها ديوان , وهو موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنه من الأعمال والأموال , ومن يقوم بها من الجيوش والعمال . الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 297 .

(2) الدوري , عبد العزيز , النظم الإسلامية , بيت الحكمة , جامعة بغداد , 1988م , ص 139 . وسيشار له لاحقا : الدوري , النظم الإسلامية . رباح , إسحاق , وسليمان أبو سويلم , الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون , ط2 , كنوز المعرفة , عمان , 2010م , ص 71 . وسيشار له لاحقا : رباح , الحضارة .

(3) السامرائي , حسام الدين , المؤسسات الادارية في الدولة العباسية , دار الفكر العربي , 1990م , ص 193 . وسيشار له لاحقا : السامرائي , المؤسسات .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 74 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 137 .

حيث كانت الخلافة الفاطمية تمنحهم كسوة خاصة , إضافة إلى كسوة الشتاء والصيف عند تعيينهم وهي الدراريع[1] والعمائم , وتقدم لهم الهدايا , إضافة إلى مرتبة عظيمة للجلوس بالمخاد والمسند بين يدي الخليفة[2] .

فقد كان يعقوب بن كلس يتولى ديوان الخراج والجوالي والمواريث والأحباس في عهد الخليفة المعز لدين الله , وكان يتمتع بمكانة أقتصادية كبيرة , فلما تولى الخلافة العزيز بالله قلده الوزارة سنة 368هـ/ 978م , وكان له من الخليفة إقطاع يبلغ ثلاثمائة ألف دينار في السنة , ووهبه خمسمائة من الناشئة , وألف غلام من المغاربة , وحمله على الخيل والسروج واللجم الثقال , وعندما توفي وجد له أربعة آلاف ألف دينار , ومن العبيد أربعة آلاف غلام , ومن الجوهر ما قيمته أربعمائة ألف دينار[3] .

أما الحسين بن جوهر فقد كان يتولى ديوان الإنشاء في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله فحمل بين يديه الكثير من الثياب والخيل , وخلع عليه الخليفة سنة 390هـ/ 1000م عندما ولاه تدبير المملكة ثوب أحمور , ومنديلاً أزرق مذهباً , وسيف عليه ذهب , وحمل على فرس بسرج ولجام ذهب , وبين يديه ثلاث أفراس بمراكبها , وخمسون ثوباً من كل فن[4] , وعندما قتل سنة 399هـ/1009م وجد له سبعة آلاف مبطنة حرير , وتسع مثارد صيني أسود فنصوري مملوء حب كافوري فنصوري , وزن كل حبه ثلاثة مثاقيل[5] .

كما خلع الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 390هـ/ 1000م على أبي العلاء فهد بن إبراهيم الذي كان يتولى ديوان الإنشاء عند توليته خلفا لبرجوان الخادم خلعة , وحمل له هدية منها , ثلاثون بغلا بألوان من الأجلة , وعشرون فرسا منها عشرة مسرجة وعشرة بجلال ملونة , وعشرون ألف دينار , وسفط فيه حلة ديبقية مذهبة لم يرَ مثلها , ودرج فيه جوهر , وأسفاط كثيرة فيها البز الرفيع وخزانة مدهونة[6] .

---

(1) الدراريع : هي ثياب قصار مفتوحة من الأمام ولها أزرار من ذهب أو لؤلؤ . المقريزي , الخطط , ج2 , ص 233 . القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 490 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 233 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 343 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 490 . العزام , الدولة الفاطمية , ص 36 . سلمان , الدواوين , ص 23 .

(3) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 21 ,23 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 144 , 269 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 6 , 29 .

(5) الزبير ,الذخائر والتحف , ص 232 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج2 , 26 , 29 .

شكلت هذه الأعطيات لدى موظفي الدواوين مكانة اقتصادية عالية , هذا غير الرواتب العينية والنقدية , حيث ذكر ابن طوير مقادير ما يتقاضاه موظفو الدواوين وفي مقدمتهم يأتي متولي ديوان الإنشاء , حيث كان راتبه مائة وخمسين ديناراً شهرياً , وكان له جراية في الشهر مائة وعشرون ديناراً , حيث كان يبيت عند الخليفة ليالي , ولكل من كتابه ثلاثون ديناراً[1] .

ثم يأتي راتب صاحب المجلس ومتولي مجالسة الخليفة مائة دينار , ولكل واحد من كتابه ثلاثون دينار , أما راتب متولي ديوان النظر سبعون ديناراً , وراتب ديوان التحقيق خمسون ديناراً , وديوان المجلس أربعون ديناراً , وصاحب دفتر المجلس ثلاثون ديناراً , وديوان الجيوش أربعون ديناراً , وصاحب ديوان الخزائن الكسوة عشرون ديناراً , وديوان الطراز عشرون ديناراً , وصاحب ديوان الرواتب عشرون ديناراً , وصاحب ديوان الأحباس عشرون ديناراً , وديوان الصعيد عشرون ديناراً , وصاحب ديوان الثغور عشرون ديناراً , وصاحب ديوان الجهاد عشرون دينار , أما مستخدمي الدواوين من الموظفين والكتاب فتتراوح رواتبهم ما بين العشر والخمس دنانير كلا حسب منصبه[2] .

كذلك خصصت الخلافة الفاطمية رواتب عينية إلى اصحاب الدواوين إلى جانب الرواتب النقدية , تستخرج لهم من المطابخ فتشمل نصف دينار برسم البقولات والتوابل , ومن الضأن رأس واحد , ومن الحيوانات ثلاثة أطيار , ومن الحطب حمل واحد , ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلاً , ومن الفاكهة ثمرة وشمامة [3] , إضافة إلى شرف حضور الأسمطة التي تقام في القصر بقاعة الذهب كل يوم اثنين وخميس في الأعياد والمناسبات العامة والخاصة , وحضور كل يوم أحد وأربعاء لتناول الأسمطة في الدار المأمونية , وفي كل يوم سبت وثلاثاء من أسمطة الركوبات خروف مشوي وجام حلوى , وخمسة وعشرون رغيفا خبز والسميد , إضافة إلى طبق غرة رمضان في كل عام[4] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 84 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 147 , 149 .

(2) أبن طوير , نزهة, ص 84-85 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 147 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 340-342 .

(3) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 66 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 142 .

(4) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 79 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 142 -143 و 351 .

اما أهم الدواوين المالية في مصر في العصر الفاطمي فيمكن إجمالها كما يلي :

1- ديوان المجلس : يعتبر ديوان المجلس من أهم الدواوين في العصر الفاطمي , حيث وصفه أبن طوير بانه أصل الدواوين , وفيه علوم الدولة بأجمعها[1] , فهو المسؤول عن الإدارة المالية للدولة [2] , يدير هذا الديوان مجموعة من الموظفين يتصدره صاحب الديوان , فهو المتحدث عن الإقطاعات , وتحت إمرته عدة كتاب , لكل واحد منهم مجلس منفرد , يساعده معين أو معينان , يتصدرهم دفتر المجلس[3] , يكون صاحبه من الأستاذين المحنكين , يشترط من يتولى رئاسة الديوان أن يكون من أجل كتاب الدولة[4] .

يشمل الديوان على كل ما يتصل بالخليفة من أمور تنظيم البلاط , وتنظيم الأعياد والمناسبات , وإدارة النفقات , ومنح الإقتطاعات والإنعام والكسوات للأولاد والأقارب , وأرباب الرتب على أختلاف طبقاتهم , إضافة إلى تسجيل ما يرد من الملوك والأمراء من التحف والهداية , وما يرسل إليهم من الهدايا والملاطفات , ثم يقوم بضبط ما ينفق على الدولة , ليعلم ما أنفق في كل سنة , فالصرة المنعم بها في أول العام من الدنانير الرباعية تكلف ثلاثة آلاف دينار , وثمن الضحايا يكلف ألفي دينار في السنة , وما ينفق على دار الفطرة الذي يفرق على الناس عشرة آلاف دينار , وما ينفق في فتح الخليج ألفا دينار , وما ينفق في شهر رمضان في سماطة ثلاثة آلاف دينار , وما ينفق على سماطي الفطر والنحر أربعة آلاف دينار , حيث تختلف النفقات من عام لاخر[5] .

أما مهام الديوان عمل الاستيمار[6] في نهاية كل ذي الحجة من كل عام , يجتمعون مع كتاب ديوان الرواتب لمناقشة الاستيمار , وهي أشبه بالميزانية في عصرنا هذا ,

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 74 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 138 .

(3) الدفتر : عبارة عن جرائد مسطوحات يحصي فيها ما يدخل ويخرج من خزانه الدولة . أبن طوير , نزهة , ص 139 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 74-75 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 138 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 493-494 .

(5) أبن طوير , نزهة , ص 138-139 .

(6) الاستيمار : هو سجل حكومي يحمل أسماء المرتزقين من ذوي الأقلام وغيرهم , ويسجل مقدار رواتبهم سواء أكانت عينا أو نقدا . أبن طوير , نزهة , ص 76 .

حيث يقوم صاحب الديوان بتحرير قوائم بأسماء المرتزقين في الدولة , والمبالغ المرادة لهم سواء أكانت عينا أو نقدا , ثم يقوم بعرضه على الخليفة للمصادقة عليه , فقد تولى ابن طوير ديوان المجلس , وذكر ان الاستيمار انعقد عند توليه هذا المجلس على ما مبلغه نيف ومائة ألف دينار أو ما يقرب من مئتي ألف دينار نقدا , ومن العين عشرة آلاف أردب قمح[1] .

كان الاستيمار يعرض على الخليفة للمصادقة عليه فيذكر المقريزي أن الاستيمار عرض على الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 416هـ/1025م باسم المتفقهين والقراء والمؤذنين بالقاهرة ومصر , كانت الجملة في كل سنة إحدى وسبعون ألف دينار وسبعمائة وثلاثة وثلاثون دينار وثلث دينار , فأمضى في جميع ذلك[2] .

ويذكر ابن المأمون " أنه عرض روزنامج سنة 517هـ/1123م فكان جملة ما أنفق عينا من بيت المال في مدة أولها محرم سنة سبع وعشرة وخمسمائة ، وآخرها ذي الحجة منها في العساكر المسيرة لجهاد الإفرنج برا ، والأساطيل بحرا ، والمنفق في أرباب النفقات من الحجرية والسودان على اختلاف قبوضهم ، وما ينصرف برسم خزانة القصور الزاهرة ، وما يبتاع من الحيوان برسم المطابخ ، وما هو برسم منديل الكم الشريف في كل سنة ، مائة دينار، والمطلق في الأعياد والمواسم ، وما ينعم به عند الركوبات من الرسوم والصدقات ، وعند العود منها ، وثمن الأمتعة المبتاعة من التجار على أيدي الوكلاء والمطلق برسم الرسل ، والضيوف ، ومن يصل دار الطراز ، ودار الديباج ، والمطلق برسم الصلاة والصدقات ، ومن يهتدي للإسلام ، وما ينعم به على الولاة عند استخدامهم في الخدمة ، ونفقات بيت المال، والعمائر وهو من العين : أربعمائة ألف وثمانية وستون ألفا ، وسبعمائة وسبعة وتسعون دينارا ونصف من جملة : خمسمائة ألف وسبعة وستين وألفا ، ومائة وأربعين دينارا ونصف ، يكون الحاصل بعد ذلك مما يحمل إلى الصناديق الخاص برسم المهمات لما يتجدد من تسفير العساكر، وما يحمل إلى الثغور عند نفاد ما بها: ثمانية وتسعين ألفا، ومائة وسبعة وتسعين دينارا وربعا وسدسا، ولم يكن يكتب من بيت المال وصول ، ولا مجرى ولا عرف، وذلك خارج عما يحمل مشاهرة برسم الديوان المأموني ، والأجلاء إخوته، وأولاده، وما أنعم به على ما تضمنت اسمه مشاهرة من الأصحاب، والحواشي، وأرباب الخدم، والكتاب، والأطباء ، والشعراء ، والفراشين الخاص والجوق ، والمؤدبين ، والخياطين ، والرفائين ، وصبيان بيت المال ، ونواب الباب ،

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 76-79 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 141 .

ونقباء الرسائل ، وأرباب الرواتب المستقرة من ذوي النسب ، والبيوتات والضعفاء ، والصعاليك من الرجال والنساء عن مشاهرتهم، ستة عشر ألفا، وستمائة واثنان وثمانون دينارا وثلثا دينار يكون في السنة : مائتي ألف ومائة دينار ، فتكون الجملة سبعمائة ألف وسبعة وستين ألفا ومائتين وأربعة وتسعين دينارا ونصفا "[1] .

2- ديوان النظر : وهو من أجل الدواوين , يقوم بمراقبة سير الدواوين , وصاحب الديوان له الحق في الولاية والعزل , وإليه عرض الأرزاق في أوقات معروفة على الخليفة أو الوزير , ويشترط على من يقوم بهذه الوظيفة أن يكون مسلماً , وله الجلوس في المرتبة والمسند , وبين يديه حاجب من أمراء الدولة , ولم يتوصل إليه الإ بالضمان , فله الحق في الاعتقال بكل ما يتعلق بنواب الدولة فيما تثبت عدم كفاءته , وهو أشبه بديوان مواقبة الأموال في الوقت الحالي , تخضع له جميع الدواوين , تخرج له الداوة من خزانة الخليفة بغير كرسي , وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الأموال , ومطالبة أرباب الضمانات , ولا يعترض فيما يقصده أحد من الدولة[2] .

3- ديوان التحقيق : مهمته مراجعة عمل الدواوين المالية , وهو يرتبط بديوان النظر ويتفقان في كثير من اختصاصهما , وهي مراجعة أعمال الدواوين الأخرى , وتحقيق التوازن بين موارد الدولة ومصاريفها , فكل منهما مكمل للآخر , يجتمعان تحت إمرة شخص واحد , لا يتولى هذا الديوان إلا أن يكون كاتبا خبيراً , وله الخلع والمرتبة يجلس عليها , والحاجب بين يديه يلجأ إليه في كثير من الأوقات[3] .

4-ديوان الاقطاع : يختص هذا الديوان على ما يقطعه للاجناد من أراضٍ , يقتصر عمله على حفظ السجلات المتعلقة بالإقطاع , دون تدخل في تغير هذه الإقطاعات الممنوحة للأجناد , يشرف عليها ديوان المجلس , فهو يختص بتوزيع هذه الإقطاعات , لقاء مبالغ يدفعونها لقاء القطيعة , يكون خراجها لأربع سنين , سنتين لقاء رخائها , وسنتين لغاية جدبها بالتنقيب عن ذلك , فإذا اجتمع ذلك اخذ ريعها [4] .

---

(1) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 70-71 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 79-81 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 145 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 493 .

(3) أبن طوير , نزهة , ص 81 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 145 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 493 ؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج1 , ص 112 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 86 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 493 .

5- ديوان الخراج : هو المكان الذي تحفظ فيه سجلات يدون فيه تقديرات الخراج على مناطق الدولة المختلفة , وأنواع الأراضي , وطرق سقيها , ومن مهامه تنظيم جباية الخراج المفروضة على الأراضي الزراعية , فقد بلغ هذا الديوان درجة كبيرة من الاهتمام , لأنه يمثل العنصر الأساسي من واردات الدولة , فقد كان يرسل سنويا عددا من الكتاب العدول وكاتب من النصارى القبط لمسح أراضي الدولة كافة , لمعرفة الأراضي التي غمرتها مياه الفيضان غمرا تاما , أو جزئيا , أو عجز الماء من الوصول إليها[1] .

يقوم بتدوين الأراضي الخراجية على حسب نوع الارض وطرق ريها , ونوع المحصول[2] , كما يقوم الديوان بتضمين أراضي الدولة لمن يدفع اكثر بطريقة المزايدة , حيث يعرف بنظام الألتزام[3] .

يتبع هذا الديوان ديوانان آخران وهما ديوان الصعيد الأعلى , وديوان الصعيد الأسفل , فيه عدة كتاب , يقومون بعمل تذاكر بطلب ما تأخذ من الحساب[4] .

6- ديوان الجوالي : يختص هذا الديوان بجباية الجزية المفروضة على أهل الذمة من النصارى واليهود القاطنين في مصر , وتكون موعد الجباية مرة واحدة في كل سنة , تتفاوت تغيرات الجباية حسب قدرة أهل الذمة من حيث الغني والفقير , إلا أنه يتم أعفاء النساء والأطفال والرهبان ومن دخل الإسلام من دفع الجزية , فكان لا يتولى أمر هذا الديوان إلا عدل وفيه جماعة من الكتاب[5] .

7- ديوان الهلالي : يختص هذا الديوان بجباية المكوس من الأقاليم الواقعة بها الثغور , وهي دمياط , وتنيس , والفرما , وعيذاب , وأسوان , والإسكندرية , وكان لكل من هذه الثغور مشارف وهو المسؤول أمام الديوان[6] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 157 ؛ العزام , الدولة الفاطمية , ص 49 . سلمان , الدواوين , ص 47.

(2) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 189؛ النويري , نهاية الأرب , ج8 , ص 180 .

(3) العزام , الدولة الفاطمية , ص 49 .

(4) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 495 .

(5) أبن الموصلايا . العلاء بن وهب أمين الدولة أبو سعد الكاتب البغدادي , (ت 497هـ/1104م) , رسائل أمين الدولة , أبن الموصلاية , تحقيق : عصام مصطفى الهزايمة , ط1 , مركز زايد للتراث والتاريخ , الإمارات العربية المتحدة , 2003م , ج2 , ص 168 . وسيشار له لاحقا : أبن الموصلايا , رسائل ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 496 .

(6) القلشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 95-96 .

8- ديوان الأحباس : هو من أوفر الدواوين مباشرة , يختص هذا الديوان على إدارة الأموال المتحصلة من الممتلكات الموقوفة على جهات البر لتشمل المساجد والجوامع والمدارس والزواية الأخرى , منها على سبيل الصدقة لأناس معنيين [1] , ولا يخدم فيه إلا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين , بحكم أنها معاملة دينية , وفيها عدة مدبرين ينوبون عن أرباب هذه الخدم في إيجاب أرزاقهم في ديوان الرواتب[2] , يشرف على هذا الديوان قاضي القضاة[3] .

9- ديوان المفرد : هو ديوان أحدثه الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 400هـ/ 1009م برسم من يقبض ماله من المتولين أو يسخط عليهم الخليفة ممن أساءوا استخدام سلطتهم[4] .

10-ديوان المواريث الحشرية : مهمة هذا الديوان هو إدارة أموال التي يموت أصحابها من دون وآرث شرعي , فتكون حقوقها لبيت المال[5], حيث شكلت المواريث الحشرية مورداً هاماً من موارد بيت المال في مصر خلال العصر الفاطمي , وخاصة في الأزمات الاقتصادية التي تنتشر فيها الأوبئة , فيهلك الناس دون أن يجد لهم وريث فتنتقل هذه الأموال إلى بيت المال[6].

11- ديوان النفقات : مهمته الاساسية هي إنفاق الأموال على الجيش والأسطول وألبسته ورواتبه , وكذلك يشرف على جميع نفقات الدولة الإدارية والمركزية , والإشراف على أحتياجات القصور وما يلزمها من غذاء وبناء وإصلاح , إضافة إلى العطايا والمنح للأدباء والشعراء , والأنفاق على إصلاح المرافق العامة كالجسور وتعبيد الطرق , وتأمين البريد , والأشراف على أنشاء المساجد والمقابر , ونفقات أستقبال رسل الدول الأخرى , حيث يقوم بتسجيل كل ما يتعلق بالآنفاق على مرافق الدولة من أموال صادرة من بيت المال[7].

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 100 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج9 , ص 100 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج4 , ص 38 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 100-101 .

(3) أبن حجر , رفع الإصر , ص 110 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2, ص 398 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2, ص 81 .

(5) أبن الموصلايا , رسائل , ج2 , ص 89 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 464 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 89 ؛ أبن مماتي , قوانين , ص 319 ؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج1 , ص 121 ؛ سيد , الدولة الفاطمية , ص 354

(7) الجهشياري , أبو عبدالله محمد بن عبدوس , (ت310هـ/922م) , كتاب الوزراء والكتاب , تحقيق : مصطفى السقا واخرون , ط1 , مطبعة مصطفى البابي وأولاده , القاهرة , 1938م , ص 3 . وسيشار له لاحقا : الجهشياري , الوزراء والكتاب ؛ أبن الصيرفي , الإشارة , ص 35 ؛ العزام , الدولة الفاطمية , ص 52 ؛ مشرفة , نظم الحكم , ص 127-128 ؛ سلمان , الدواوين , ص 85 .

12- ديوان بيت المال : هو أصل الدواوين , ومرجعهن اليه[1], ويطلق عليه الديوان السامي , والمقصود به الخزائن التي توضع فيها أموال الدولة بعد تقيدها في السجلات ثم الإنفاق منها بحساب[2], وهو شبيه بالبنك المركزي في الوقت الحالي , ويكون مقره في مركز الخلافة لكي يكون تحت أنظار الخليفة[3], كذلك يتولى جباية بعض الضرائب كالزكاة والفطرة وخمس الغنائم والشب والنطورن , وكل الكنوز التي توجد في باطن الأرض , ويثبت فيه كل أموال الدولة[4] .

من واجبات هذا الديوان هو حل المشاكل والمخالفات المالية التي تحصل بين متولي بيت المال وبين مختلف الجهات , سواء كانت دواوين أصول أو نفقات[5] , وهدفه محاسبة المسؤول عن بيت المال على ما يرد إليه من الأموال في حال تأخره في رفع الختومات مشتملا على ما يرفع إلى دواوين الخراج والضياع من الحمول وسائر الورود , وكان المتولي لها جامع النظر في الآمرين ومحاسباً على الأصول والنفقات , وأن يخرج كتب الحمول وهي الأموال التي تحمل إلى بيت المال من جميع النواحي قبل أخراجها إلى دواوينها ليثبته فيه[6] .

يقسم ديوان بيت المال إلى قسمين , الأول ما كان بيت المال حرزا فإن أستحقاقه معتبر الوجود , فإن كان المال موجوداً فيه كان صرفه في جهاته مستحقا , وعدمه مسقط لأستحقاقه , أما الثاني : هو أن يكون بيت المال له مستحقا , وهو على ضربين , أحداهما أن يكون مصرفه مستحقا على وجه البدل , مثل أرزاق الجند وثمن الكراع والسلاح , فإن أستحقاقه غير معتبر بالوجود , وهو من الحقوق اللازمة مع الوجود والعدم , اما الثاني أن يكون مصرفه مستحقا على وجه المصلحة والإرفاق دون البدل , فإن استحقاقه معتبر بالوجود دون العدم , فإن كان موجوداً في بيت المال وجب فيه وسقط عرضه من المسلمين[7] .

---

(1) الدوري , النظم الإسلامية , ص 154 .

(2) الشريف , أحمد إبراهيم , دراسات في الحضارة الإسلامية , ط2 , دار الفكر العربي , 1981م , ص 250 . وسيشار له لاحقا : الشريف , دراسات ؛ متز , الحضارة الإسلامية , ج1 , ص 149 ؛ الدوري , النظم الإسلامية , ص 154 .

(3) صالح , خولة عيسى , الرقابة الإدارية والمالية للدولة العربية الإسلامية , ط1 , بيت الحكمة , بغداد , 2001م , ص 229 . وسيشار له لاحقا : صالح , الرقابة الإدارية .

(4) النابلسي , عثمان بن إبراهيم , (ت 632هـ/1234م) , لمع الدواوين المضيئة في دواوين الديار المصرية , مكتبة الثقافة الدينية , مصر , 1990م , ص 29 . وسيشار له لاحقا : النابلسي , لمع الدواوين . السامرائي , المؤسسات الإدارية , ص 244 ؛ العزام , الدولة الفاطمية , ص 52 .

(5) الزهراني , النفقات , ص 131 .

(6) قدامة بن جعفر , (ت 337هـ/948م) , الخراج وصناعة الكتابة , تحقيق : محمد حسين الزبيدي , دار الحرية للطباعة , بغداد , 1981م , ص 36 . وسيشار له لاحقا : قدامة بن جعفر , الخراج .

(7) الماوردي, الأحكام السلطانية , ص 349 .

13- ديوان الكراع : اختص هذا الديوان بشؤون الإسطبلات , ما فيها من الدواب الخاصة بالقصر من البغال والحمير والجمال والفيلة والزرافات , من مهامه توفير الأعلاف وما تحتاج إليها الدواب من آلات وسروج[1] .

14- ديوان الرواتب : هو من الدواوين المالية المهمة , يحتوي على أسماء كل مرتزق في الدولة الفاطمية , حيث يختص بالنظر في الأرزاق والجرايات , ويسجل أسماء موظفي الدولة , وتحديد مقدار رواتبهم الشهرية , سواءا أكانت نقدية أو رواتب عينية كالقمح والشعير , يتولى العمل في هذا الديوان كاتب أصيل بطراحه , يعاونه عشرة آخرون , يقومون بإعداد كشوف المرتبات , وأثبات من هو مستمر في الخدمة , مباشرة من استجد , وتدون من مات لتستوجب دفع أستحقاقاتهم[2] .

يقوم موظفو الديوان بإعداد أستمارة بأسماء الأجناد وعرضها على صاحب الديوان , فيقوم صاحب الديوان بعرض الأستمارة على الخليفة في كل سنة , فيزيد من يزيد , وينقص من ينقص [3] .

أما موظفو الدواوين فهم على النحو الاتي :-

1- الناظر : هو من ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها , ويرفع إليه حسابها لينظر فيها , حيث يتولى أمر الديوان أو المشرف على أعماله , وليس لأحد من مستخدميه أن ينفرد عنه بشيء , وأن يكون عمله محوطا بضبطه , محفوظا بخطه , وان كان ناظر مشارف كتب خطه على ما يرفع من الحساب , ويخرج من الوصلات , وهو المسؤول عن أي خلل[4] .

1- متولي الديوان : هو ثاني رتبة بعد الناظر في المراجعة , فهو المشرف على تنفيذ تعليمات الناظر بصدد الإيرادات والمصروفات بالديوان , وأن يكون على علم بأمور الدواوين , ولا يخلو أمر تولية الديوان إلى ثلاثة أوجه , وهي إما أن يكون قد ولي بالأمانة , وإما ولي ببدل , وإما ولي بالضمان[5] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 93-94 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 496 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 83 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 146 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 493 .

(3) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 495 .

(4) أبن مماتي , قوانين , ص 298 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج5 , ص 465 .

(5) أبن مماتي , قوانين , ص 298 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج5 , ص 496 .

3- الشاهد : من لوازمه أن يضبط كل شيء مما هو شاهدا فيه , وأن يكتب الحساب الموافق لتعليقه [1] .

4- المستوفي : هو كاتب في الديوان , يطالب المستخدمين بما يجب عليهم رفعه من الحساب في أوقاته , وينبه متولي الديوان على ما يجب أستخراجه من المال في حينه , ويقيم الجرايد , ويقابل بكل ما يرد عليه من حساب ويستوفيه , ويخرج ما يجب تخريجه فيه , ويعمل المطالبات في أوقاتها , وأن ظهر أنه لم ينبه على وجوب مال أو آخر تقديمه أو أهمل ما يتعين تخريجه كان عليه إدراك ذلك , ولا يؤاخذ بشيء عمل من مجلس خدمته ما لم يكن خطه عليه[2] .

5- المعين : كاتب بين يدي المستوفي لمساعدته في أعماله[3] .

6- الناسخ : هو كاتب يستخدم بنسخ التوقيعات والمكاتبات الصادرة والواردة [4] .

7- المشارف : أمره جار على أمر الناظر , وهو يزيد على الناظر بأن يكون الحاصل من المستخرج تحت أشرافه , بعد أن يكون مختوما عليه , وغالبا ما تجرى العادة أن يودع المستخرج في مجلس الحق[5] .

8- العامل : هو الذي يتولى تنظيم الحسابات ورفعها إلى رئيس الديوان للكتابة على ما يرفعها بالصحة والموافقة[6] .

9- الكاتب : هو موظف يجري مجرى العامل بكل ما يتعلق به من المعاملات إذا لم يكن معه عامل[7] .

10- الجهبذ : كاتب برسم استخراج المال وقبضه , وكتب وصولات به , وعليه عمل مخازيم الروزنمجات والختمات وتواليها , ويطالب بما يقبضه ويخرج ما يرفه من الحساب اللازم له[8].

---

(1) أبن مماتي , قوانين , ص 304 .

(2) المصدر نفسه, ص 301 .

(3) المصدر نفسه , ص 301 .

(4) المصدر نفسه , ص 302 .

(5) المصدر نفسه , ص 302-303 .

(6)أبن مماتي , قوانين, ص 303 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج5 , ص 466 .

(7) أبن مماتي , قوانين , ص 303 .

(8) المصدر نفسه , ص 304 .

11- النائب : يستخدم نائبا عن الديوان مع مستخدمين , وليس لديه الحق في رفع الحسابات , ولا الكتابة عليها , إلا أن يطلب منه ذلك[1] .

12- الأمين : هو يجري مجرى النائب , أو في بعض الحالات يجري مجرى الشاهد[2] .

13- الماسح : يقوم بقياس الأراضي الزراعية ومسحها وحساب التكلفة[3] .

14- الدليل : يقوم بعمل سجلات التحضير يدون فيه المساحة وأصناف المزوعات وقطائعه وأماكنها , وأسماء المزارعين , ثم يكتب ذلك بخط يده بأنه المسؤول على ذلك[4] .

15- الحايز : كاتب يكتب على الأجران , فيكون ضابطا كما يحمل من القت ويحصد , ومن لوازمه ان يختم على الأجران كل ليلة , ويمنع المزارعين من التصرف فيها[5] .

16- الخازن : كاتب يتولى حفظ الغلات لخزنها , وإخراجها , ويطالب بما ينقصه , ولا يخرج شيء من المخزن إلا بتصريح من الناظر أو الكاتب , ويقوم بتدوين ما يخرج منه [6] .

17- الحاشر : هو موظف يختص في جباية الجزية من أهل الذمة , حيث يقوم بتدوين القيمة التي جبت , كما يستثني من مات أو اهتدى , وإيجاد الحساب النهائي[7] .

ثالثا : نفقات ولاة الأقاليم

يقصد به الوالي الذي يتولى حكم إقليم أو منطقة[8] , حيث تعتبر هذه الوظيفة من الوظائف الادارية المهمة في الدولة الإسلامية بشكل عام , والدولة الفاطمية بشكل خاص , يتمتع صاحب هذه الوظيفة بمنزلة رفيعة لدى الخلفاء الفاطميين , كونه يمثل الخليفة في الأقاليم المصرية ,

---

(1) المصدر نفسه , ص 404 .

(2) المصدر نفسه , ص 305 .

(3) أبن مماتي , قوانين , ص 305 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج5 , ص 466 .

(4) أبن مماتي , قوانين , ص 305 .

(5) المصدر نفسه , ص 305-306 .

(6) المصدر نفسه , ص 306 .

(7) المخزومي , المنتقى , ص 36 ؛ أبن مماتي , قوانين , ص 306 .

(8) مصطفى , وآخرون , المعجم الوسيط , ج2 , ص 1057.

فضلاً عن أتصاله بالرعية والإشراف على شؤون الموظفين داخل ذلك الإقليم , فهو يرأس الجهاز الاداري داخل الإقليم واليه ترجع كل صغيرة وكبيرة[1] .

كانت مصر خلال العصر الفاطمي مقسمة إلى ولايات كبرى , وولايات مدن , أما الولايات الكبرى فيمكن إجمالها على النحو الاتي :

1- ولآية قوص : هي من أعظم ولايات الديار المصرية , وواليها يحكم جميع بلاد الصعيد , ويتولى الأشمونيين إلى جانبها .

2- ولاية الشرقية : تلي هذه الولاية ولاية قوص في الرتبة , وكان متوليها يحكم بلبيس وقيلوب وأشوم .

3- ولاية الغربية : تلي هذه الولاية ولاية الشرقية من حيث الرتبة , حيث يحكم متوليها منطقة المحلة , وعمل منوف، وعمل أبيار .

3- ولاية الإسكندرية : وهي تلي ولاية الغربية في الرتبة ، وكان متوليها يحكم على أعمال البحيرة أجمعها [2].

اما ولايات المدن فأهمها ولايتا مصر والقاهرة اللتان تتصفان بالأهمية , ولأصحابهما الرتبة الجليلة عند الخليفة , ويركبان في موكبه في الأعياد والمناسبات , كذلك كانت هناك مدن الثغور وهي مستقلة عن الولايات الكبرى وهي دمياط , والفرما , وتنيس , ورشيد , لكل منهما وآلِ[3]

أما الصفات التي يجب أن يتحلى بها من يرشح لولاية الإقليم فقد ذكرها أبن الأثير " وقد علمت أنه لا يصلح لتدبير الأقاليم إلا رجل قد تكاملت فيه خصال أربع : حزم يتقي به عند موارد الأمور حقائق مصادرها، وعلم يحجزه عن التهور، والتغرير في الأشياء إلا مع إمكان فرصتها، وشجاعة لا تفضها الملمات مع تواتر حوائجها، وجود يهون تبذير الأموال عند سؤالها، وسرعة مكافأة الإحسان إلى صالح الأعوان، وثقل الوطأة على أهل الزيغ والعدوان، والاستعداد للحوادث , إذ لا تؤمن حوادث الزمان . وأما الاثنتان فإسقاط الحجاب عن الرعية، والحكم بين القوي والضعيف بالسوية. وأما الواحدة فالتيقظ للأمور، وقد اخترت لهم رجلا من موالي أحدهم شديد الشكيمة، ماضي العزيمة،

---

(1) جناحة , حكام الأقاليم , ص 105 .

(2) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 497-498 .

(3) العزام , الدولة الفاطمية و ص 55.

لا تبطره السراء، ولا تدهشه الضراء، ولا يهاب ما وراءه، ولا يهوله ما يلقاه، فهو كَالْحَرِيشِ في أصل الإسلام , إن حرك حمل، وإن نهش قتل، عدته عتيدة، ونعمته شديدة، يلقى الجيش في النفر القليل العديد، بقلب أشد من الحديد، طالب للثأر لا تفله العساكر، باسل البأس، ومقتضب الأنفاس، لا يعوزه ما طلب، ولا يفوته من هرب، واري الزناد مضطلع العماد، لا تشرهه الرغائب، ولا تعجزه النوائب، وإن ولي كفى، وإن قال وفى , وإن نازل بطل، وإن قال فعل ; ظله لوليه ظليل ، وبأسه في الهياج عليه دليل، يفوق من ساماه، ويعجز من ناواه، ويتعب من جاراه، وينعش من والاه"[1].

اعتمد الخلفاء الفاطميون على ولاة أقوياء لإدارة الولاية , فكلما كانت الولاية تبعد عن مركز الخلافة أفرد اليها وال حازم وقوي مخلص للخلافة[2] , يكون من أرباب السيوف [3], وأولياء الدولة وأنصارها , وان تتوفر فيه الكفاءة والعدل والنزاهة[4] .

وقد جرت العادة عندما يستقر الأمر على تقليد والٍ على إقليم معين تجري مراسيم تقليده بإصدار مرسوم من ديوان الإنشاء يحمل توقيع الخليفة أو الوزير لتعيين الوالي , ويعمم على كافة أنحاء الولايات[5] , فيخلع عليه من خزانة الكسوة بدنة , وهو ثوب يلبسه الخليفة في فتح الخليج وتبلغ قيمته خمسة آلاف دينار[6]. وخلعة اخرى ثمينة تبلغ قيمتها خمسمائة دينار ذهب , إضافة إلى خلع الأطواق والأساور الذهب مع سيف محلى بالذهب , كسوة الشتاء والصيف [7].

أما مقدار الرواتب الذي يتقاضاه ولاة الأقاليم فبلغت خمسون ديناراً في الشهر حسب ما أورده أبن طوير في ديوان الرواتب[8] . إلا أن هناك بعض الحالات بلغ فيها راتب متولي الأقليم خمسمائة دينار , فلم توجد إشارات لهذه ألا حالة واحدة سجلها لنا المقريزي في أحداث سنة 517هـ/1127م عندما ولي الخليفة الآمر بأحكام الله ولاية الإسكندرية لأخ المأمون[9] .

---

(1) أبن الأثير , الكامل , ج6 , ص 200-201.

(2) الصغير , أجفان , المؤسسات الإدارية في الخلافة الفاطمية , أطروحة دكتوراة غير منشورة , جامعة دمشق , 2002م , ص 212 . وسيشار له لاحقا : الصغير , المؤسسات .

(3) أبن طوير , نزهة , 124.

(4) القلقشندي , صبح الأعشى , ج6 , ص 51.

(5) القلقشندي , صبح الأعشى , ج13 , ص 157 ؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج1 , ص 144؛ جناحه , حكام الاقاليم , ص 182.

(6) أبن طوير , نزهة , ص 124-125 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 498 ؛ المقريزي , الخطط , ج1 , ص 499.

(7) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 343 .

(8) أبن طوير . نزهة , ص 85 .

(9) المقريزي , اتعاظ , ج3, ص 95.

إضافة إلى الخلع والرواتب كانت هناك منح يقدمها الخليفة لولاة الأقاليم وهي مراكب تعرف بالعشاريات حيث يذكر ابن طوير " تشتمل على مراكب تزيد على خمسين عشاريا ، منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليج وغيرها وبقية العشاريات برسم ولاة الأعمال المميزة " [1].

رابعا : نفقات الوظائف الدينية

1- نفقات الدعوة : اهتمت الخلافة الفاطمية منذ نشأتها بنشر الدعوة الإسماعيلية سواء كانت داخل الدولة أو خارجها , يشرف على هذه الدعوة موظف يعرف بداعي الدعاة , وهي من أرباب الوظائف الدينية , حيث وظيفته تلي وظيفة قاضي القضاة في الرتبة , ويشترط في داعي الدعاة ان يكون عالما باصول المذهب الإسماعيلي , ومتفقها في علوم الدين . ويعمل بين يديه اثنا عشر نقيبا , وله نواب في سائر الأقاليم التي تنشأ فيها الدعوة[2] .

كانت مجالس الدعوة تعقد في القصر , وفي المساجد , وفي دار العلم , يرأسها داعي الدعاة أو من ينوب عنه , حيث يتلو على الحضور تعاليم المذهب الإسماعيلي , وعلوم آل البيت , ويأخذ العهد على من يعتنق الإسماعيلية , ثم يقوم بجمع أموال النجوى ومقدارها ثلاثة دراهم ونصف تحمل إلى الخليفة[3] .

يحضر داعي الدعاة إلى قصر الخليفة يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع ليقدم إلى الخليفة سجلاً يتضمن آراء الفقهاء في دار الحكمة , فيتلوه على الخليفة ليأخذ خطه عليه , ثم يجلس في القصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين , المكان الأول مخصص للرجال وهو في الإيوان الكبير , أما الثاني فهو مخصص للنساء في مجلس داعي الدعاة , فلما يفرغ من قراءة السجل يحضر إليه الموجودون لتقبيل يديه فيمسح على رؤوسهم [4].

كان القائم بالدعوة مثل غيره من أرباب المناصب يخضع للسلطة العليا , فكان الخليفة يفوض منصب داعي الدعاة إلى شخص تتوفر فيه شروط الدعوة , أما بعد قدوم بدر الجمالي إلى مصر اصبح هو من يفوض سلطة الدعاة , حيث يخرج كتاب التولية من ديوان الإنشاء يحمل توقيع الخليفة أو الوزير , فيخلع عليه الخلع عند التولية[5] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 94-95.
(2) المصدر نفسه , ص 110 .
(3) أبن طوير , نزهة , ص 111-112 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 276 .
(4) أبن طوير , نزهة , ص 110-111 ؛ المقريزي, الخطط , ج2 , ص 115 .
(5) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 167 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج9 , ص 20-21 ؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج1 , ص 183 .

بالغ الخلفاء الفاطميون في أهتمامهم بنشر الدعوة من خلال إرسال الدعاة والأموال إلى الأقاليم البعيدة عن نفوذ دولتهم من أجل نشر المذهب الإسماعيلي وشرح أصولها والدعوة لآل البيت , حيث كانت الخلافة الفاطمية تخصص ألف دينار لخدمات أهل العلم في السنة[1] . إضافة إلى إرسال الدعاة ومدهم بالأموال إلى مختلف الأقاليم , فقد بعث الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 410هـ/1019م دعاة محملين بالأموال إلى خراسان لنشر الدعوة الإسماعيلية , فبلغ عددهم مائة وثلاثة وثلاثين داعياً , وأنعم عليهم الأموال الكثيرة[2].

وفي سنة 448هـ/1059م سير الخليفة المستنصر بالله الأموال إلى بغداد لنشر الدعوة ودعم حركة أبي الحارث البساسيري عن طريق داعي الدعاة المؤيد بالله الشيرازي فبلغت جملة الأموال ألفا ألف وثلاثمائة ألف دينار نقداً , ومن العين ألف ألف وسبعمائة ألف دينار[3].

أهتمت الخلافة الفاطمية منذ نشأتها بداعي الدعاة وتوفير الحياة الكريمة له فقد كانت الخلافة الفاطمية تخصص مبلغاً شهرياً له مقداره مائة دينار[4] .

2- نفقات القضاء : القضاء في اللغة : مشتق من قضي قضاء فهو قاض , إذا حكم وفصل , وقضاء الشيء : أحكامه وإمضاؤه والفراغ منه , فيكون بمعنى الخلق , وقال الزهري القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه , وكل ما أحكم عمله أو اتم ختم أوادي أداء أو وجب أو علم أو أنفذ او أمضى فقد قضى[5] .

أما القضاء اصطلاحا : فقد عرفه ابن خلدون بأنه الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع , بأحكام الشريعة المتلقاة من الكتاب والسنة[6] , أي فصل الأمور بين المتداعين في الأحكام الشرعية[7] , لحل جميع المشكلات والخلافات بين الناس ويعيد الحقوق إلى اصحابها[8] .

---

(1) متز , الحضارة الإسلامية , ج1 , ص 331 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 73 , 117.

(3) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 232 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 14 ؛ أبن ميسر , المنتقى , ص 15 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 84 .

(5) أبن منظور , لسان العرب , ج15 , ص186 ؛ القاضي النعمان ,محمد بن حيون , (ت 363هـ/973م) , المجالس والمسايرات , تحقيق : الحبيب الفقهي وآخرون , ط1 , دار المنتظر , بيروت , 1996م , ص 159 . وسيشار له لاحقا : القاضي النعمان , المجالس والمسايرات .

(6) أبن خلدون , العبر , ج1 , ص 275 .

(7) القلقشندي , صبح الأعشى , ج5 , ص 451 .

(8) محاسنة , القضاء في مصر في خلافة الحاكم بامر الله الفاطمي , مؤتة للبحوث والدراسات , ع3 , مج 19 , 2004م , ص 154 . وسيشار له لاحقا : محاسنة , القضاء .

فقد وردت القضاء في القران الكريم بمعانٍ كثيرة , ومنها قوله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل)[1] , أي أعلمناهم بذلك , وقوله تعالى (وإذا قضى أمراً)[2] , أي حكم أمرا وحسمه , وقوله تعالى (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)[3] , أي الفصل الحكم فيه بين عباده , ويأمركم بذلك , وأصل كل قضاء أمر الأحكام والفراغ منه[4] .

يعتبر القضاء عند الفاطميين من أجل الوظائف الدينية وأرفعها شأناً , ورتبته من أجل رتب أرباب العمائم وأرباب الأقلام[5] .حيث جرت العادة على تقليد القضاء في مصر خلال العصر الفاطمي بواسطة الخليفة اذا كان الوزير من أرباب الأقلام , فلما صارت الوزارة إلى أرباب السيوف كان الوزير يقلد القضاة نيابة عن الخليفة[6] .

كان للفاطميين تشريع خاص بهم يستند إلى عقائد المذهب الإسماعيلي , لذلك أسندوا مهمات القضاء في الغالب إلى رجال من أصحاب المذهب الإسماعيلي , أو ممن ألموا بعقائد المذهب , فكان القاضي لا يخالف الإمام , أو الحكم بأمر لا يرضون عنه[7] , حيث كان يشترط على القضاة ألا يحكموا إلا على المذهب الإسماعيلي[8] .

اما صلاحيات القضاة فهي تشمل على النظر في الأحكام الشرعية , والإشراف على دور الضرب في كل أقاليم الدولة , إضافة إلى النظر في أحباس الجوامع والمساجد ووجوه البر , وتعيين النواب عنهم في الأقاليم[9] .

---

(1) سورة الإسراء : الآية 4 .
(2) سورة البقرة : الآية 117 .
(3) سورة الإسراء : الآية 23 .
(4) الطبري , جامع البيان , مج 2 ,ص 466 .
(5) أبن طوير , نزهة , ص 107 ؛ المقريزي , الخطط , ج 2 , ص 152 .
(6) أبن طوير , نزهة , ص 107 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 152 .
(7) القاضي النعمان , المجالس والمسايرات , ص 53 و 96 ؛ محاسنة , القضاء , ص 154 .
(8) أبن ميسر , المنتقى , ص 131 .
(9) أبن طوير , نزهة , ص 108 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 152 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , 108-109 .

وقد جرت العادة عند تقليد القضاة أن يخرج له موكباً للأحتفال , ويقدم له من الأصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء , وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة , وعليها خزائن السروج مركب ثقيل برادفين من الفضة , ومكان الجلد حرير , ويخصص له كرسي الداوة . وهي داوة محلاة بالفضة تحمل إليه من خزائن القصور[1] .

فقد قرب الخلفاء الفاطميون القضاة , حيث كانوا يقدمون إليهم في المواسم والأعياد الرسمية هدايا , حيث ذكر المقريزي " وتأتيه في المواسم الأطواق , ويخلع عليه الخلع المذهبة بلا طبل ولا بوق "[2] , إضافة إلى ذلك كان الخليفة يأمر أن يحمل إلى القاضي بدلة مميزة للخطبة , وبعد انتهاء الخطبة يهديه الخليفة خمسين دينار[3] .

وكان الخلفاء الفاطميون عندما يولون القضاة يخلعون عليهم الخلع , فعندما تولى القضاء أبي الحسين[4] سنة 366هـ/976م خلع عليه الخليفة العزيز بالله سيفاً من ذهب وطوقاً ذهبيا , وحمل على مركب بمحمل ذهب , وسبعة عشر منديلا[5] .

أما الخليفة الحاكم بأمر الله فعندما ولي أبو عبدالله الحسين بن علي[6] القضاء سنة 389هـ/999م خلع عليه ثيابا بيضاء ورداء محشياً وعمامة مذهبة , وقلده سيفا , وحمل على بغلة , وقاد بين يديه بغلتين بسروجها ولجامها , وحمل معه ثيابا كثيرة , وضاعف من اقطاعه وشرط له ان لا يتعرض لاموال الرعية[7] .

ثم ولي الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 394هـ/1004م القضاء لعبدالعزيز[8] , وخلع عليه سيفا محلى بالذهب , وحمل على بغلة وبين يديه سفط ثياب[9] ,

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 107-108 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 336 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 152 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 152 .

(3) أبن طوير , نزهة , ص 35 .

(4) هو أبو الحسن علي بن النعمان بن محمد بن حيون بن المنصور بن أحمد , أبن القاضي النعمان بن محمد تولى قضاء مصر في عهد الخليفة العزيز بالله سنة 366هـ/976م . الكندي , الولاة , ص 354 .

(5) الدوداري , الدرر المضيئة , ص 174 ؛ أبن حجر , رفع الإصر , ص 281 .

(6) أبو عبدالله الحسين بن علي بن النعمان بن حيون , تولى القضاء في مصر بعد عمه محمد بن النعمان سنة 389هـ/998م استمر في القضاء لاربع سنوات . الكندي , الولاة , ص 356 ؛ أبن حجر , رفع الإصر , ص 71 .

(7) الدوداري , الدرر المضيئة , ص 264 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 23 ؛ أبن حجر , رفع الإصر , ص 140-141 .

(8) عبد العزيز بن محمد بن النعمان , وهو أبن عم الحسين , تولى القضاء سنة 394هـ/1004م في أيام الخليفة الحاكم إلى ان قتل عام 398هـ/1008م . الكندي , الولاة , ص 356 .

(9) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 50 .

كما خلع الخليفة الحكام على أبي العباس أحمد[1] , عندما ولاه القضاء سنة 405هـ/ 1014م غلالة وقميصاً ديبقياً معلماً مذهباً , وأركبه على بغلة مسرجة بلجام فضي مذهب , وقيدت بين يديه بغلة أخرى مسرجة ملجمة[2] , وفي سنة 398هـ/ 1008 م خلع الخليفة الحاكم على أبي الحسن مالك[3] عند تقليده القضاء قميصاً مصمتاً , وغلالة مذهبة وعمامة مذهبة وطيلساناً مذهباً , وقلده سيفاً مذهباً وبين يديه بدنة ثياب كثيرة , وبغلة مسرجة , وبين يديه بغلتان[4] .

هذه كانت عادة الخلفاء الفاطميين عندما يولون القضاة يخلعون عليهم الخلع والهدايا , أما رواتب القضاة فقد عني الخلفاء الفاطميون على منح قضاتهم رواتب نقدية شهرية إضافة إلى الإقطاعات والجرايات العينية إلى جانب الرواتب , حتى لا يتعرضوا لأموال الرعية بغير حق.

فذكر أبن طوير أن قاضي القضاة كان يتقاضى راتبا شهريا قدره مائة دينار في الشهر , يخصص له من ديوان الرواتب[5] , إلا أن هذه الرواتب لم تكن مستقرة , حيث ذكر ناصر خسرو عندما زار مصر بين سنتي 439-444هـ/1047-1052م أن راتب قاضي القضاة بلغ ألفي دينار حتى لا يطمع القضاة في اموال الناس أو يظلمونهم [6], بينما يذكر أبن ميسر ان راتب القاضي أربعون ديناراً , يبدو ان هذا الراتب كان لقضاة النواحي[7] .

---

(1) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي العوام , تولى قضاء مصر في عهد الخليفة الحاكم عام 405هـ/ 1041م . الكندي , الولاة , ص 357 .

(2) الكندي , الولاة , ص 357 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 109 .

(3) هو الحسن بن مالك بن مالك الفارقي , تولى القضاء في مصر في عهد الخليفة الحاكم عام 398هـ/1008م وظل في القضاء إلى أن قتل عام 405هـ/1014م , الكندي , الولاة , ص 356 . أبن حجر , رفع الإصر , 316 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 71 ؛ أبن حجر , رفع الإصر , ص 316 .

(5) أبن طوير , نزهة , ص 84 .

(6) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 109 .

(7) أبن ميسر , المنتقى , ص 132 .

كما حظي القضاة إلى جانب الرواتب بإقطاعات إضافية للحد من الرشوة , فقد أقطع الخليفة الحاكم بأمر الله القاضي مالك بن سعيد دارا عظيمة بجميع ما فيها من الأمتعة وغيرها[1] , واقطعه قرية برنشت[2] والمحرقة[3] , واقطع الخليفة الحاكم ناحية تلبانة[4] إلى القاضي أبن أبي العوام سنة 405هـ/1014م[5] , وكان للقاضي عبدالحاكم بن سعيد[6] إقطاع يدخل عليه في السنة عشرين ألف دينار[7] .

كما أهتمت الخلافة الفاطمية بالقضاة من خلال تأمين الحياة الكريمة لهم حتى بعد أن تعزلهم من وظيفة القضاة , حيث ذكر ابن حجر " كان القاضي إذا عزل بسبب من الأسباب يقرر له على مال الجوالي في الشهر عشرة دنانير , وما يكفيه وعياله من القمح في كل سنة"[8] , فعندما صرف مسلم بن علي[9] من القضاء سنة 513هـ/1119م كانت ولايته ثلاث سنوات فقرر له راتبا في كل شهر[10] .

3- نفقات الحسبة : الحسبة في اللغة هي مشتقة من الاحتساب , ويقال فلان حسن الحسبة , اي حسن التدبير والنظر فيه[11] .

أما في الاصطلاح فتعني الامر بالمعروف وإن ظهر تركه , والنهي عن المنكر اذا ظهر منعه[12] .

تعتبر الحسبة من الوظائف الدينية المهمة التي وجدت في الدولة الفاطمية , أساسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[13] , يتولاها موظف يباشر ويشرف على أمور المسلمين[14] يطلق عليه المحتسب[15] , ينصبه الخليفة أو الإمام للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم[16] .

---

(1) أبن حجر , رفع الإصر , ص 318 .

(2) رنشت : هي مدينة من أعمال الجيزة . أبن مماتي , قوانين , ص 117 .

(3) المسبحي , نصوص ضائعة من أخبار مصر , ص 25 . أبن حجر , رفع الإصر , ص 319 .

(4) تلبانة : هي ضيعة معروفة بمصر . أبن حجر , رفع الإصر , ص 74 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 110 ؛ أبن حجر , رفع الإصر , ص 74 .

(6) هو أبو الفتح عبدالحاكم بن سعيد بن سعيد الفارقي , تولى القضاء بمصر سنة 419هـ/1028م في أيام الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله . الكندي , الولاة , ص 357 .

(7) أبن حجر , رفع الإصر , ص208 .

(8) المصدر نفسه , ص 486 .

(9) هو مسلم بن علي بن عبدالله أبو الفتح الرسعني , يلقب ثقة الملك , تولى قضاء مصر سنة 513هـ/1119م في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله , فعزل سنة 516هـ/1122م وكانت ولايته ثلاث سنوات . أبن حجر , رفع الإصر , ص 435 .

(10) أبن حجر , رفع الإصر , ص 475 .

(11) أبن منظور , لسان العرب , ج1 , ص 314 ؛ الزبيدي , محمد بن محمد بن عبدالرزاق , (ت 1205هـ/1790م) , تاج العروس من جواهر القاموس , تحقيق : مجموعة من المحققين , دار الهداية , مصر , د.ت , ص 275 . وسيشار له لاحقا : الزبيدي , تاج العروس.

(12) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 315 .

(13) أبن خلدون , العبر , ج1 , ص 280-281.

(14) مصطفى , واخرون , المعجم الوسيط , ج1 , ص 171.

(15) القلقشندي , صبح الأعشى ,ج10 , ص 358 .

(16) أبن الاخوة , محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد , (ت 729هـ/ 1329م) , معالم القربه في طلب الحسبة , دار الفنون , كمبردج , د.ت , ص 7 . وسيشار له لاحقا : أبن الاخوة , معالم القربة .

نظرا لاهمية هذه الوظيفة وما يقوم به صاحبها من اعمال لا بد لمن يتولاها ان تتوفر فيه شروط أهمها : ألا يكون إلا من وجوه المسلمين وأعيان المعتدلين[1] , وأن يكون حراً عدلاً ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين , وذا علم بالمنكرات الظاهرة , وعالما من أهل الاجتهاد في الدين , وان يكون عارفا بأطوار الناس وطبقاتهم وخيارهم وأشرارهم , عارفاً بأصناف المهن والحرف , وعارفا في أمور الكيل والموازين لمنع الغش والتدليس[2] .

أما مهام المحتسب فقد أوردها ابن خلدون بقوله " يبحث عن المنكرات ويعزّر ويؤدّب على قدرها ويحمل النّاس على المصالح العامّة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطّرقات ومنع الحمّالين وأهل السّفن من الإكثار في الحمل والحكم على أهل المباني المتداعية للسّقوط بهدمها وإزالة ما يتوقّع من ضررها على السّابلة , والضّرب على أيدي المعلّمين في المكاتب في الإبلاغ في ضربهم للصّبيان المتعلّمين ولا يتوقّف حكمه على تنازع أو استعداء بل له النّظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك ويرفع إليه وليس له إمضاء الحكم في الدّعاوي مطلقا بل فيما يتعلّق بالغشّ والتّدليس في المعايش وغيرها في المكاييل والموازين "[3] .

اذن مهام المحتسب تتلخص بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء كان الأمر مرتبطاً بحقوق الله تعالى , أو حقوق العباد , أم الحقوق المشتركة بين الله تعالى وعباده , حيث بين الماوردي اختصاص والي الحسبة في الأحكام السلطانية وتشمل فصلين : أولها الأمر بالمعروف وثانيها النهي عن المنكر . أما الأمر بالمعروف فيقسم إلى ثلاثة اقسام إحداها ما يتعلق بحقوق الله تعالى , والثاني ما يتعلق بحقوق العباد , والثالث ما يكون مشتركاً بين الله تعالى والعباد . أما ما يتعلق بحقوق الله تعالى فهي ضربان : إحداهما يلزم الأمر به في الجماعة دون الأنفراد كترك الجمعة في وطن مسكون , وأما الآخر ما يأمر به آحاد الناس وأفرادهم كتأخير الصلاة حتى يخرج وقتها فيذكر بها ويأمر بفعلها ويراعي جوابه عنها[4] .

وما يتعلق بحقوق العباد من الأمر بالمعروف منها عام ومنها خاص , أما العام فإذا يعطل في البلاد شربه أو أستهدم سوره فإنه يلزم بيت المال بإصلاح ما تهدم أو تضرر , أما الخاص كالحقوق إذا مطلت ، والديون إذا أخرت ، فللمحتسب أن يأمر بالخروج منها مع المكنة إذا أستدعاه أصحاب الحقوق ، وليس له أن يحبس بها , لأن الحبس حكم ، وله أن يلازم عليها[5] .

---

(1) أبن خلدون , العبر , ج1 , ص 280-281.

(2) المصدر نفسه , ج1 , ص 280-281.

(3) المصدر نفسه, ج1 , ص 280-281.

(4) الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 318-320 ..

(5) المصدر نفسه , ص 321-322.

وأما الأمر بالمعروف فيما كان مشتركا بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد ، فيأخذ الأولياء بنكاح الأيامى والصالحين أكفاءهن إذا طلبن، وإلزام النساء أحكام العدد إذا فورقن ، وله تأديب من خالف في العدة من النساء ، وليس له تأديب من امتنع من الأولياء ومن نفى ولدا قد ثبت فراش أمه ولحوق نسبه أخذه بأحكام الآباء جبرا , وعزره عن النفي أدبا، ويأخذ السادة بحقوق العبيد والإماء ، وأن لا يكلفوا من الأعمال ما لا يطيقون ، وكذلك أرباب البهائم يأخذهم بعلوفتها إذا قصروا، وأن لا يستعملوها فيما لا تطيق[1] .

وفيما يتعلق بالنهي عن المنكرات فيقسم إلى ثلاثة أقسام , الأولى ما كان من حقوق الله تعالى , والثاني ما كان من حقوق العباد , أما الثالث فما كان مشتركاً ما بين حق الله تعالى وحق العباد . فأما ما كان من حقوق الله فتقسم إلى ثلاثة أقسام: أولاً العبادات , والثاني ما يتعلق بالمحظورات , والثالث ما يتعلق بالمعاملات[2] .

فأما المتعلق بالعبادات: فالقاصد مخالفة هيئاتها المشروعة، والمتعمد تغيير أوصافها المسنونة مثل: من يقصد الجهر في صلاة الإسرار ، والإسرار في صلاة الجهر ، أو يزيد في الصلاة ، أو في الأذان أذكارا غير مسنونة ، للمحتسب إنكارها ، وتأديب المعاند فيها إذا لم يقل بما ارتكبه إمام متبوع ، وكذلك إذا أخل بتطهير جسده ، أو ثوبه ، أو موضع صلاته أنكره عليه إذا تحقق ذلك منه , ومن رآه يأكل في شهر رمضان فإن أكل بغير عذر أدبه , وإن رأى رجلاً يتعرض لمسألة الناس في طلب الصدقة وعلم أنه غني أدبه , وإذا تعرض بعض المفسرين لكتاب الله تعالى بتأويل عدل فيه ظاهر التنزيل إلى باطن بدعه تنفر منها النفوس , أو يفسر بها التأويل كان على المحتسب إنكار ذلك والمنع منه[3] .

وأما ما تعلق بالمحظورات فهو أن يمنع الناس من مواقف الريب ومظان التهمة ، فاذا راى رجلاً وامرأة واقفين في مكان خال أنكر عليهم دون تأديب , خوفا أن تكون محرماً , وأذا جاهر رجل بإظهار الخمر وكان مسلماً أراقه عليه وأدبه , وإن كان ذمي أدبه لإشهاره الخمر[4] .

---

(1) الماوردي , الأحكام السلطانية, ص 323.

(2) المصدر نفسه, ص 324 .

(3) المصدر نفسه , ص 324.

(4) المصدر نفسه , ص326 .

وأما المعاملات المنكرة كالزنا والبيوع الفاسدة، وما منع الشرع منه مع تراضي المتعاقدين به إذا كان متفقا على حظره، فعلى والي الحسبة إنكاره والمنع منه، والزجر عليه، وأمره في التأديب مختلف بحسب الأحوال وشدة الحظر , وأما ما يتعلق بالمعاملات وغش المبيعات وتدليس الأثمان ، فينكره ويمنع منه ، ويؤدب عليه بحسب الحال فيه[1] .

وأما ما ينكر من حقوق العباد ، فمثل أن يتعدى رجل في حد لجاره ، أو في حريم لداره ، أو في وضع أجذاع على جداره، فلا أعتراض للمحتسب فيه ما لم يستعده الجار , لأنه يخصه ، فينصح منه العفو عنه والمطالبة به ، فإن خاصمه فيه كان للمحتسب النظر فيه إن لم يكن بينهما تنازع وتناكل ، وأخذ المتعدي بإزالة تعديه، فإن تنازعا كان الحاكم بالنظر فيه أحق، ولو أن الجار أقر جاره على تعديه وعفا عن مطالبته بهدم ما تعدى فيه ، ثم عاد مطالباً بعد ذلك كان له ذلك، وأخذ المتعدي بعد العفو عنه بهدم ما بناه؛ ولو كان قد ابتدأ البناء ووضع الأجذاع بإذن الجار، ثم رجع في إذنه لم يؤخذ الثاني بهدمه[2].

وأما ما ينكر من الحقوق المشتركة بين حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين، فكالمنع من الإشراف على منازل الناس، ولا يلزم من علا بناؤه أن يستر سطحه، وإنما يلزم أن لا يشرف على غيره، ويمنع أهل الذمة من تعلية أبنيتهم على أبنية المسلمين، فإن ملكوا أبنية عالية أقروا عليها، ومنعوا من الإشراف منها على المسلمين , وإذا كان في أئمة المساجد السابلة والجوامع من يطيل الصلاة حتى يعجز عنها الضعفاء ، وينقطع بها ذوو الحاجات ، أنكر ذلك عليه , فإن أقام على الإطالة ولم يمتنع منها لم يجز أن يؤدبه عليها ، ولكن يستبدل به من يخففها , وإذا كان في القضاء من يجيب الخصوم إذا قصدوه ، ويمتنع من النظر بينهم إذا تحاكموا إليه حتى تقف الأحكام ويستضر الخصوم ، فللمحتسب أن يأخذه مع ارتفاع الأعذار بما ندب له من النظر بين المتحاكمين ، وفصل القضاء بين المتنازعين، ولا يمنع علو رتبته من إنكار ما قصر فيه[3].

نظرا لاتساع الأسواق وزيادة السكان في مصر خلال العصر الفاطمي أزدادت مسؤوليات المحتسب , فلم يكن في وسعه الاطلاع على جميع حالات الغش والتلاعب في الأسواق , لذلك أستعان المحتسب بنواب عنه في القاهرة والفسطاط وجميع أعمال الدولة كنواب عنه , ويشترط فيهم العفة ,

---

(1) الماوردي , الأحكام السلطانية, ص 328-331 .

(2) المصدر نفسه, ص 332 .

(3) المصدر نفسه , ص 333-335.

والصيانه , والشهامة , ومعرفتهم بامور الكيل والموازين , يطوفون يوميا على ارباب الحرف والمعايش , ويأمرهم المحتسب بالختم على قدور الهراسين , ونظر لحمهم ومعرفة جزاره , وكذلك مراقبة الطباخين لمنع حالات الغش , ويطوفون في الطرقات لمنع المضايقات , ويلزمون رؤساء المراكب ان لا يحملوا أكثر من طاقتها , ومراقبة ما يجلب إلى الأسواق من بضائع وتحديد أسعارها وإخراج الغلال من مخازن الدولة إلى الأسواق للحد من الغلاء , والنظر في المكاييل والموازين من خلال إجبار أصحاب المهن بجلب موازينهم إلى دار العيار الذي يشرف عليه المحتسب لإصلاح ما أفسد أو أستبداله , ومحاسبة المخالفين من تثبت مخالفتهم وضربهم بالأسواط[1].

تتم تولية المحتسب وفق مراسيم من خلال إصدار سجل من ديوان الإنشاء يحمل توقيع الخليفة , أو الوزير بعد تقليد بدر الجمالي لزمام السلطة في الدولة , يقرأ السجل على منابر القاهرة والفسطاط , والولاة تشهد عليه , ثم يخلع عليه الخلع , ويحمل على بغلة ويطوف به في شوارع القاهرة بالطبول والبنود[2] .

ففي سنة 364هـ/ 974م قلد الخليفة المعز لدين الله أبا الحسن محمد[3] الحسبة وكتب له سجلاً وحمل على بغله ومعه ثلاثة عشر تختاً وستة آلاف درهم[4] , كما خلع الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 390هـ/1000م الحسبة على جابر بن منصور[5] وخلع عليه بسيف مذهب , وجبة مثقلة ومنديل ذهب , وحمل بين يديه ثياباً كثيرة [6] , ثم أنفذ الخليفة سنة 402هـ/1011م الحسبة إلى غبن الخادم وسير إليه خمسة آلاف دينار, وخمسة وعشرين فرساً مسرجة وملجمة وكتب له سجلاً بالجامع العتيق[7] .

---

(1) أبن الاخوة , معالم القربة , ص 220-221 ؛ أبن طوير , نزهة , ص 116-117 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 487 ؛ العزام , عيسى , اسعار المواد الغذائية في مصر خلال العصر الفاطمي (358هـ/968م -567هـ/1167م) , المجلة العربية للعلوم الإنسانية , الكويت , ع 72 , 2001م , ص 53 . وسيشار له لاحقا : العزام , الأسعار .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 117 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 217 , 276 .

(3) هو أبو الحسن محمد بن محمد بن عبدالله بن الحسن الحسيني الكوفي , اصله من العراق , تولى الحسبة في عهد الخليفة المعز لدين الله . المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 217.

(4) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 217 .

(5) لم أجد له ترجمة .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 31 .

(7) المصدر نفسه , ج2 , ص 91.

ونظرا لأهمية هذا المنصب فقد حرصت الخلافة الفاطمية على توفير الحياة الكريمة لصاحب هذه الوظيفة حتى يكون عفيفا عن أموال الناس , ولا تفسده الرشوة , لذلك خصصت الخلافة راتبا شهريا للمحتسب بلغ ثلاثين ديناراً[1] .

4- نفقات الشرطة : الشرطة : هم مجموعة من الجند يعتمد عليهم الخليفة ونائبه في حفظ الأمن الداخلي , واخماد الفتن والإضطرابات , ومعاقبة المفسدين , والمحافظة على أرواح الناس وممتلكاتهم , وحراسة الأقاليم الحدودية للدولة[2] .

عرفت مصر الإسلامية وظيفة الشرطة منذ الفتح الإسلامي , فقد كان مقرها في مدينة الفسطاط , يطلق عليها دار الشرطة السفلى , فعندما أنشأت مدينة العسكر أنشأت فيها دارا أخرى أطلق عليها الشرطة العليا[3] . فلما فتح القائد جوهر الصقلي مصر وأنشأ مدينة القاهرة نقل اليها الشرطة العليا[4] .

تعتبر الشرطة من الوظائف المهمة في التنظيم الاداري في العصر الفاطمي , فهي وظيفة دينية منذ نشأتها , حيث ترتبط بالقضاء , لانها تساعد القاضي في تنفيذ الأحكام ومعاقبة المفسدين , إضافة إلى تنفيذ أوامر الولاة وملاحقة المتهمين وتقديمهم إلى القضاء[5] .

نظرا لأهمية هذه الوظيفة فقد أولاها الفاطميون أهتماماً كبيراً , فقد كان لأصحاب هذه الوظيفة حقوق مثل حقوق أصحاب الوظائف الكبرى , تبدأ بأحقيته في إصدار مرسوم سجل تقليد من ديوان الإنشاء يحمل توقيع الخليفة أو الوزير[6] , وتوهب له الخلع , وتقرع له الطبول[7] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 117.

(2) أبن خلدون , العبر , ج1 , ص 311-312 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 15 ؛ جابر , عبدالله جاسم , النظم الإدارية والمالية والقضائية والعسكرية وتطورها في عهد الخليفة المعز لدين الله (341-365هـ/952-975م) , رسالة ماجستير غير منشورة , معهد الآداب الشرقية , بيروت , 1997م , ص 47 . وسيشار له لاحقا : جابر , النظم الإدارية .

(3) حسن , الدولة الفاطمية , ص 95 ؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج1 , ص 174 ؛ مشرفة , نظم الحكم , ص 166 .

(4) حسن , الدولة الفاطمية , ص 296 ؛ مشرفة , نظم الحكم , ص 166 .

(5) أبن خلدون , العبر , ج1 , ص 311 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج10 , ص 39-40 .

(6) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 31 ؛ المسبحي , أخبار مصر , ص 244؛ العزام , الدولة الفاطمية , ص 58 . جناحه , حكام الأقاليم , ص 127 .

(7) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 36.

أما عن الرواتب والخلع التي كانت توهب لصاحب الشرطة وأفراد عناصر الأمن فإن المصادر لم تسعفنا إلا من خلال بعض الإشارات عن الخلع والعطايا لصاحب الشرطة , ففي سنة 488هـ/ 998م خلع الخليفة الحاكم بأمر الله على خوذ الصقلبي[1] عندما قلده الشرطة السفلى سيفاً وحمل , وقيد بين يديه فرس , وحملت إليه الثياب[2] .

ثم قلد الخليفة غين الخادم الشرطه العليا سنة 402هـ/1012م وسير إليه خمسة آلاف دينار , وخمسة وعشرين فرساً بسروجها ولجمها[3] .

خامسا : نفقات موظفي قصور الخلافة

وهي مجموعة من العناصر التي تقوم بخدمة قصور الخلافة ومصاحبة الخليفة خلال ركوبه في الأعياد والمناسبات العامة والخاصة , وتقسم إلى عدة أقسام , ومنها :

أولا : الأستاذون : وهم المعروفون بالخدام , ولهم مكانة جليلة في الدولة الفاطمية , فهم أرباب وظائف الخاصة بالخليفة , حيث يوجد في البلاط الفاطمي كما في جميع دول العصور الوسطى فرقة من العبيد البيض والسود والخصيان وغير الخصيان , أغلبها من العناصر الأجنبية تقوم بخدمة القصر الفاطمي , حيث يطلق عليها تسمية الأستاذون[4] , أما عن عددهم حيث ذكر ناصر خسرو ان عدد الأستاذين بلغ ثلاثون ألف أستاذ في مختلف المراتب أيام الخليفة المستنصر[5] , ونظرا لكثرة العدد كان هناك تمايز بين أفراد هذه الطبقة فقد قسمت إلى قسمين وهما :

1- الأستاذون المحنكون : وهي الطبقة العليا من طبقة الأستاذين , فقد سموا بالأستاذين المحنكين لأنهم كانوا يديرون العمامة على أحناكهم , كما يفعل العرب المغاربة الآن , وهم الأقرب إلى الخليفة وأخصهم منزلة [6] , وكان من طريقتهم أنه متى ترشح أستاذ للحنك وحنك , حمل إليه بدلة كاملة وثياباً وسيفاً وفرساً , فإذا حضر إلى الخليفة حضر بصمت ووقار , وكانوا يتمتعون بمكانة جليلة من الخليفة , لأنهم خاصته وأقرب الناس اليه, فيبلغ عدتهم نحو الألف محنك[7] , تتراوح رواتبهم ما بين المائة دينار والعشر دنانير , كل حسب منصبه[8] .

---

(1) لم أجد له ترجمة.

(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 17 .

(3) المصدر نفسه, ج2 , ص 91.

(4) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 570 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 481؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج2 , ص 11 .

(5) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 94 .

(6) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 481 .

(7) أبن طوير , نزهة , ص 210 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 481 .

(8) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 147 .

وقد جرت العادة أن يصاحب الأستاذون المحنكون الخلفاء في المواكب الرسمية , كركوبه أول العام , وعيد الغدير , وصلاة العيدين , والجمع الثلاث من شهر رمضان [1] , ونظرا لمكانتهم الهامة أسند اليهم العديد من الوظائف ومنها :-

أ- شدة التاج أو شاد التاج : هو الذي يتولى شد التاج للخليفة الذي يلبسه في المواكب الرسمية , يعلو رأس الخليفة , حيث يعبر عن هذه الشدة بشدة الوفاء[2] وراتبه مائة دينار[3].

ب- صاحب المجلس : هو الذي يتولى أمر المجلس الذي يجلس فيه الخليفة الجلوس العام في المواكب , ويخرج إلى الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة على سرير الملك ليعلمهم بذلك وينعت بامين الملك[4] وراتبه مائة دينار[5].

ج- صاحب الرسالة : هو الذي يخرج برسالة الخليفة إلى رجال دولته من وزير وولاة وغيره , ليبلغهم رسائل الخليفة , ويصف بانه من كبار الأستاذين المحنكين وأفصحهم عقلا وعلما[6] , وراتبه مائة دينار[7] .

د- متولي زمام القصر : هو المشرف على شؤون القصر , وخاصة نساء القصر , وظيفته تشابه وظيفة زمام الدار في العصر المملوكي[8] , وراتبه مائة دينار[9] .

ه- صاحب بيت المال : هو المشرف على أموال الدولة والأموال المتعلقة ببيت المال[10] , وراتبه مائة دينار[11] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 208-213 , 220 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 253 , 266 .
(2) القلقشندي, صبح الأعشى , ج3 , 484 ؛ مشرفة , نظم الحكم , ص 108 .
(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 147 .
(4) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 485 .
(5) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 147 .
(6) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 485 ؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج2 , ص 31 ؛ مشرفة , نظم الحكم , ص 108 .
(7) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 147 .
(8) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , 485 . ماجد , نظم الفاطميين , ج2 , ص 32 .
(9) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 147 .
(10) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 485
(11) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 147 .

و- صاحب الدفتر : المعروف بدفتر المجلس , وهو المتحدث على الدواوين الجامعة لامور الخلافة [1] , وراتبة مائة دينار[2].

ز- حامل الداوة : هو الذي يحمل داوة الخليفة امامه على السرج ويسير بها في المواكب[3] , وراتبه تسعون دينار[4] .

ح- متولي زمام الأقارب : هو الذي يشرف على شؤون أقارب الخليفة من الأشراف , وكلمته نافذة فيهم[5] , وراتبه مائة دينار[6].

ط- زم الرجال : هو متولي أمر طعام الخليفة كأستادار الصحبة[7] وراتبه ثمانون دينار[8].

2- الأستاذون غير المحنكين : وهم الذين لا يمررون طرف عمامتهم تحت الحنك , ويعرفون بالأستاذين فقط , وهم أقل درجة من الأستاذين المحنكين , يعملون في كل وظائف البلاط , ولهم وظيفتان هما[9] :

أ- نقابة الطالبيين العلويين : وهو المشرف على مصالح الأشراف من نسل علي بن ابي طالب رضي الله عنه , وهم أقل درجة من أقارب الخليفة المباشرين , حيث ينظر هذا في أمورهم , ويسعى في حوائجهم , يمنع من يدخل فيهم من الأدعياء , ولا يقطع أمراً من الأمور إلا بموافقة شيوخهم[10] وراتبه مائة دينار [11].

ب- صاحب الباب : وهي ثاني رتبة بعد الوزارة , وصاحبها من الأمراء المطوقين , ويطلق عليها أيضا الوزارة الصغرى , وينعت أيضا بالمعظم , ومن وظائفه النظر في المطالب إذا لم يكن الوزير صاحب سيف[12] , إضافة إلى تلقي الرسل الواصلة من الدول إلى الخلافة الفاطمية ,

---

(1) المصدر نفسه , ج3 , ص 485 .

(2) المصدر نفسه , ج2 , ص 147 .

(3) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 485 .

(4) المصدر نفسه , ج2 , ص 147 .

(5) المصدر نفسه , ج3 , ص 485 .

(6) المصدر نفسه , ج2 , ص 147 .

(7) المصدر نفسه , ج3 , ص 485 .

(8) المصدر نفسه , ج2 , ص 147 .

(9) ماجد , نظم الفاطميين , ج2 , ص 12 .

(10) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 485-486 .

(11) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 147 .

(12) أبن طوير , نزهة , ص 122 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص483 .

معه نواب في خدمته , ويحفظهم وينزلهم في الأماكن المعدة لهم , ويقدمهم للسلام على الخليفة أو الوزير , ثم يشرف على ضيافتهم وتفقدهم , ولا يمكن التقصير في حقوقهم وأجتماع الناس بهم , ولا الأطلاع على ما جاء فيه الرسل , وينقل الأخبار إلى الرسل[1] وراتبه مائة دينار[2].

كما أحتوى القصر على عدة موظفين ومنهم طبيبي الخاص , ومن دونهم من الأطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير[3] , وشعراء القصر وعددهم كثير لكل واحد منهم راتب يتراوح بين العشرين والعشرة دنانير, كما أحتوى القصر على فراشين برسم خدمتها وتنظيفها خارجاً وداخلاً وخدمة المناظر خارج القصور , ومنهم برسم خدمة الخليفة خمسة عشر، منهم صاحب المائدة وحامي المطابخ , وجاريهم من ثلاثين دينارا إلى ما حولها سوى الرسوم , ويليهم الرشاشون ونحوهم، وعدتهم ثلاثمائة , وجاري كل منهم من خمسة دنانير إلى عشرة [4].

سادسا : النفقات العسكرية

1- مكونات الجيش الفاطمي

أولى خلفاء الدولة الفاطمية منذ نشأتها فائق عنايتهم وجل اهتمامهم لأعداد جيش قوي , وبخاصة أنهم كانوا يهدفون إلى القضاء على الخلافة العباسية والسيطرة على ممتلكاتها , فقامت ببناء جيش ضخم يتكون من العناصر الآتية :

أ- المغاربة : وهم من أبناء القبائل المغربية التي خرجت من المغرب إلى مصر مع القائد جوهر الصقلي سنة 358هـ / 968 م واتخذوا من القاهرة مقرا لهم , فبلغ عدد الجنود الذين شاركوا في الحملة على مصر مائة ألف مقاتل [5] , والدليل على ضخامة هذا الجيش وصف بجمع يوم عرفه[6] ,

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 151 .

(2) المصدر نفسه, ج2 , ص 147 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 147 ؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج2 , ص 35 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 148 .

(5) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 76 ؛ المقريزي , المقفى الكبير , ج3 , ص 87 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 77 .

(6) المقريزي , اتعاظ , ج 1 , ص 107 .

وينطوي تحت اسم المغاربة أبناء قبائل مغربية بربرية متعددة مثل كتامة , والمصامدة , وزويلة , والباتليين ولواتة [1] . ومن أبرز القبائل المغربية في الجيش :-

كتامة : وهي بطن من بطون البرانس , ومن أشد قبائل البربر المغربية قوة , وأشدهم بائسا , وأطولهم باعاً في الملك , بفضلهم استطاع الفاطميون تأسيس دولتهم في المغرب[2] , وقد شكلت قبيلة كتامة أساس البنية البشرية للجيش الفاطمي في المغرب [3] .

وكان لكتامة دور كبير في التصدي للثورات المناهضة للوجود الفاطمي في المغرب , حتى أطلق عليهم المقريزي لقب أهل الدولة لدورهم في خدمة الفاطميين , فلم يقتصر دورهم في المغرب فقط , بل أستمر دورهم العسكري بعد أنتقال الفاطميين إلى مصر مع القائد جوهر الصقلي , حيث وقع عليها العبء الأكبر في قتال الجيش الإخشيدي أثناء فتح مصر[4] .

كذلك شارك الكتاميون في فتح الشام بقيادة أبرز قادة الكتاميين جعفر بن فلاح[5] , أما عددهم فقد ذكر ناصر خسرو عدد الكتاميين في الجيش الذي قدم إلى مصر بلغ عشرين ألف فارس[6] , أسكنهم الخليفة المعز لدين الله في حارة أسماها بأسمهم حارة كتامة [7] .

---

(1) المقريزي , البيان والإعراب عما بأرض مصر من الاعراب , تحقيق : فردناد واسطون ميلر , جوتنجن , المانيا , 1847م , ص 31 . وسيشار له لاحقا : المقريزي , البيان ؛ حسين , محسن محمد , الجيش الايوبي في عهد صلاح الدين , دار ئاراس للطباعة والنشر , اربيل , 2003 م , ص 47 . وسيشار له لاحقا : حسين , الجيش الأيوبي .

(2) أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 195 .

(3) النعمان , إفتتاح الدعوة , ص 73 ؛ أبن عذاري , البيان المغرب , ج1 , ص 125 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 450 ؛ حسن , الفاطميون في مصر , ص 54-55 ؛ العمايرة , الجيش الفاطمي ؛ ص 65 .

(4) المقريزي , المقفى الكبير , ج3 , ص 96 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 106-107 ؛ المقريزي , الخطط , ج 2 , ص 388 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 297 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج 4 , ص 31-32 ؛ الدشراوي , الخلافة الفاطمية , ص 537 .

(5) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 310 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 84 ؛ العزام , بلاد الشام , ص 28 .

(6) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 94 .

(7) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 388 ؛ الدودري , الدرر المضيئة , ص 140 .

المصامدة : هم بطن من بطون البربر في المغرب , يقال لهم بنو مصمودة بن برنس بن بربر وهم أكبر قبائل البربر وأوفرهم عدداً وأوسعهم شعوبا , ومنهم الموحدون أصحاب دولة المهدي , وهم إحدى قبائل البرانس البربر [1] , شاركت هذه القبيلة في الفتح الفاطمي لمصر , وشكلوا جزءا كبيرا من المغاربة الذين كان لهم الدور في فتح بلاد الشام , إلى جانب قبائل كتامة[2] , أما عن عددهم فبلغ عشرين ألف رجل[3] , ونتيجة لعظم قوتهم , وكثرة عددهم اختط لهم حارة نسبت إليهم , حيث أختطت هذه الحارة خلال وزارة المأمون البطائحي , أيام الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 516هـ/1122م[4] .

البرقية:هي طائفة من أهل برقة قدموا مع الخليفة المعز لدين لله إلى مصر سنة 392هـ/972م , فأختط لهم حارة داخل القاهرة شرقي القصر الكبير عرفت بأسمهم[5] , ولم تذكر المصادر عدد البرقيين في الجيش , وقد أنشأ الوزير الصالح طلائع بن رزيك فرقة من أمراء برقة عرفوا بأمراء برقية , ومن أشهر أمرائهم الأمير نجم الدين أبو الفتح[6], الذي تولى الوزارة زمن الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله سنة 544هـ/ 1149م وقتل في نفس السنة[7] .

زويلة : وهم من قبائل البربر السودان من أهل برقة في المغرب , تقع ضمن نواحي المهدية الواصلين بصحبة القائد جوهر الصقلي ضمن حملة الفاطميين لفتح مصر , المنسوب إليهم باب زُويلة ، وحارة زويلة بالقاهرة[8].

---

(1) السمعاني , عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي , (ت 562هـ/1167م) , الأنساب , تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى , ط1 , مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد , 1962م , ج12 , ص 285 . وسيشار له لاحقا : السمعاني , الأنساب . القلقشندي , قلائد الجمان في تعريف بقبائل العرب الزمان , تحقيق : إبراهيم الأيباري , ط2 , دار الكتب المصرية , مصر , 1982م , ص 169 . وسيشار له لاحقا : القلقشندي , قلائد ؛ القلقشندي , نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب , تحقيق : إبراهيم إلايباري , ط2 ,دار الكتاب اللبناني , بيروت , 1980م , ص 137 . وسيشار له لاحقا : القلقشندي , نهاية الأرب ؛ أبن حزم , أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي , (ت 456هـ/1063م) , جمهرة الأنساب العرب , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 1982 م , ص 495 . وسيشار له لاحقا : أبن حزم , جمهرة الأنساب .

(2) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 174-175 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 398 ؛ العمايرة , الجيش الفاطمي , ص 101 .

(3) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 94 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 408.

(5) الدوداري , الدرر المضيئة , ص 140 ؛ أبن دقماق , ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي , (ت 809هـ/1407م) , الانتصار لواسطة عقد الامصار , المكتب التجاري للنشر والتوزيع , بيروت , د.ت , ق1 , ص 37 . وسيشار له لاحقا : أبن دقماق , الانتصار ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 319 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى ج3 , 356 .

(6) نجم الدين أبو الفتح : هو الأمير نجم الدين أبو الفتح سليم بن محمد بن مصال , أحد أمراء الدولة , تولى الوزارة سنة 544هـ/1149م في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله , إلا أنه قتل بعد خمسين يوماً من توليه الوزارة على يد أبن السلار . أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج3, ص 416 .

(7) أبن طوير , نزهة , ص 55 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , 391 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج3 , ص 416 .

(8) أبن خلدون , العبر , ج2 , ص 14, ج6 , ص 239 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 375 ؛ القلقشندي , قلائد , ص 33 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 357.

الباطنية : هي طائفة بناحية المغرب , لقبوا بهذا اللقب لدعواهم بظواهر الآيات من القرآن يراد بها باطن , فكانوا يفسرون ما ارادوه بالبواطن[1] ، فلم تذكر المصادر أصولهم , وقيل إن جماعة قدموا إلى الخليفة المعز لدين الله عندما قسم الخليفة العطاء في الناس فقدمت جماعة إلى الخليفة يسألونه العطاء الذين لم يبق شيء منه لأنهم لم يأتوا في الموعد المحدد , فقالوا الحق باطن , فسموا بالباطنية , فلم تذكر المصادر عددهم , فاختطت لهم حارة حملت أسمهم [2] .

الباتليين : هم طائفة من المغرب دخلوا مصر مع القائد جوهر الصقلي , فكان عددهم خمسة عشر ألف فارس حسب ما ذكره ناصر خسرو[3] , فلم تذكر المصادر أصل هذه الفرقة , ولم يذكر لهم حارة .

صنهاجة : قبيلة بربرية في المغرب من قبائل البرنس من بني حمير[4] , لعبت قبيلة صنهاجة دوراً مهماً في قيام الدولة الفاطمية في المغرب , وكانت القوة الضاربة في الجيش الفاطمي في المغرب , على الرغم من ذلك لم يكن لهم دور بارز في مصر , ويبدو أن نفوذهم بقي في المغرب [5].

ب- المشارقة : بعد الفتح الفاطمي لمصر والشام عمدت الدولة الفاطمية إلى الحد من نفوذ المغاربة بإدخال عناصر جديدة للجيش, وأطلقت المصادر التاريخية على هذه الفئات مصطلح المشارقة , وان سبب هذه التسمية على حد قول ناصر خسرو أن أصلهم ليس عربياً , بل ترك وعجم , على الرغم من أن أكثرهم قد ولد في مصر , حيث تميزوا بضخامة أجسامهم وشجاعتهم في القتال , فقد بلغ عددهم عشرة آلاف مقاتل[6] , ويمكن إجمالهم على النحو الآتي :

الترك : يرجع ظهور الترك في البلاد الواقعة جنوب نهر جيحون إلى زمن أبعد من أستيلائهم العسكري على تلك البلاد , فهم شعوب بدوية كثيرة غلب عليها طابع الخشونة وإمتهان القتال , فقد تدفق معظمها إلى العالم الإسلامي في العصور الوسطى[7] .

---

(1) السمعاني , الأنساب , ج2 , ص 42 , ج5 , ص 104.

(2) أبن دقماق , الانتصار , ق2 , ص 37 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , 383 .

(3) ناصر خسرو ,سفر نامة , ص 94 .

(4) السمعاني , الأنساب , ج8 , ص 337 . القلقشندي , نهاية الأرب , ص 95.

(5) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 56 ؛ العزام , أضواء على نفقات الخلافة الفاطمية العسكرية (358-567هـ/968-1072م) , مجلة كان التاريخية , ع 29 , 2015م , ص 34. وسيشار له لاحقا : العزام , أضواء. ؛ العمايرة , الجيش الفاطمي ,ص 104 -105 ؛ حسن , النظم المالية , ص 190 .

(6) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 94 ؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج1 , ص 196 ؛ العزام , أضواء , ص 26 .

(7) بارتولد , و , تاريخ الترك في آسيا الصغرى , ترجمة أحمد سليمان , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , 1996م , ص 117 . وسيشار له لاحقا : بارتولد , تاريخ الترك .

ويعود السبب إلى الأعتماد على العنصر التركي في الجيش الفاطمي هي كفايتهم الحربية وشجاعتهم في ساحات القتال وولائهم المطلق وإخلاصهم للخليفة , حتى وصفهم الجاحظ بقوله " وإن شد منهم ألف فارس فرموا رشقا واحدا صرعوا ألف فارس، فما بقاء جيش على هذا النوع من الشدة "(1) .

بدأت الدولة الفاطمية أستخدام الأتراك في الجيش خلال عهد الخليفة العزيز بالله(2) , بسبب إعجاب الخليفة بشجاعتهم وقوتهم , فيذكر ابن الأثير " فرأى العزيز من شجاعة الفتكين ما أعجبه ، فأرسل إليه (في تلك الحال) يدعوه إلى طاعته، ويبذل له الرغائب والولايات، وأن يجعله مقدم عسكره ، والمرجوع إليه في دولته"(3) .

فلما قبض الخليفة على أفتكين دخل به القاهرة , فأختط لهم حارة وسميت بحارة الأتراك , فأكرمهم الخليفة وحمل لهم التحف والأموال لم يرَ مثلها (4) .

الديلم : هم أقوام من بلاد فارس , كانوا يستخدمون جنوداً مرتزقة في الحروب , كما كانوا يدينون بالوثنية حتى الفتح الإسلامي , فالديلم اسم يطلق على الأقاليم التي كان يسكنها هولاء الأقوام ويجاورون أذربيجان من الغرب , وطبرستان وجيلان من الجنوب , فقد أشاد بهم بعض المؤرخين بشجاعتهم وبسالتهم في الحروب التي يخوضونها , حيث أثبتوا جدارتهم كجنود مشاة وخيالة(5) .

ويعود السبب إلى إدخال الديالمة إلى الجيش الفاطمي على حد قول بعض المؤرخين أنهم جند لم يدرك مثلهم , فيهم صفة الطاعة وفضل عند الناس , وعفاف نفوس وفروج , وكف عن الفساد وذل للولاة لا توجد هذه الصفة عند غيرهم (6) .

---

(1) الجاحظ , عمرو بن بحر بن محبوب الكناني , (ت 255هـ/868م) , الرسائل السياسية , ط1 , دار الهلال , بيروت , 1987م , ص 496 . وسيشار له لاحقا : الجاحظ , الرسائل .

(2) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 271 .

(3) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 357 .

(4) أبن الأثير , الكامل , ج7 , 257؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص387 .

(5) ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 544 ؛ أبن شداد , عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم الانصاري , (ت 684هـ / 1285م) , الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة , تحقيق : يحيى عيادة , مطبعة وزارة الارشاد القومي , سوريا , 1978م , ج3 , ق2 , ص 863-864 . وسيشار له لاحقا : أبن شداد , الأعلاق ؛ نظام الملك , الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي , (ت 485هـ/1093م) , سير الملوك , تحقيق : يوسف حسين بكار , ط2 , دار الثقافة , قطر , 1986م , ص 131 . وسيشار له لاحقا : نظام الملك , سير الملوك .

(6) أبن المقنع , أبو محمد عبدالله المقنع , (ت 143هـ/760م) , آثار أبن المقنع , ط1, دار الكتب العلمية , بيروت , 1989م , ص 311 . وسيشار له لاحقا : أبن المقنع , آثار أبن المقنع ؛ زنيبر , محمد , الدولة الإسلامية في ظل الخلافة العباسية عصر الخلفاء الكبار , دار المغربية للنشر , المغرب , 1984م , ص 132 . وسيشار له لاحقا : زنيبر , الدولة الإسلامية .

بدأت الدولة في استخدام الديلم في الجيش الفاطمي خلال فترة الخليفة العزيز بالله[1] , فعلى إثر أسر الخليفة العزيز بالله أفتكين التركي كان معظم جيشه من الأتراك والديالمة , فقدموا مع أفتكين إلى مصر , وأسكنهم الخليفة في حارة أختطت لهم وسميت باسمهم حارة الديالمة[2] , حيث لم تذكر المصادر عددهم .

الأرمن : بدأ الوجود الفعلي للأرمن في الجيش الفاطمي بقدوم أمير الجيوش بدر الجمالي من الشام إلى مصر , عندما استدعاه الخليفة المستنصر بالله سنة 466هـ/ 1073م إلى مصر للقضاء على الفتنة بين عناصر الجيش الفاطمي في مصر , وإصلاح أحوال الدولة بعد أن توارت المحن , فأشترط على الخليفة المستنصر ان يحضر معه من يختار من عساكر بلاد الشام , فوافق الخليفة على ذلك[3] .

ومما يؤكد أن الأرمن لم يدخلوا الجيش الفاطمي قبل قدوم بدر الجمالي هو أن الرحالة ناصر خسرو عندما زار مصر سنة 442هـ/ 1050م لم يذكر لنا وجودهم ضمن تشكيلات الجيش الفاطمي[4] , حيث سكن الأرمن حارة الحسينية , فقد ذكر المقريزي عدد الأرمن الذين سكنوا حارة الحسينية سبعة آلاف أرمني من فرسان ورجال[5] .

ج- الرقيق : ضم الجيش الفاطمي نوعين من الرقيق , منهم من كان من البيض فأطلق عليه الصقالبة أو الروم , ومنهم من كان من السود أطلق عليه السودان , حيث سنتناول كل فئة على حدة

الصقالبة : دخل الصقالبة ضمن تشكيلات الجيش الإسلامي قبل قدوم الفاطميين إلى مصر[6] , فقد ذكر بعض المؤرخين انه قدم مع عمرو بن العاص قوم من العجم يقال لهم الحمراء والفارسيون , وأما الحمراء فقوم من الروم فيهم بنو الأزرق , فأنزل الروم الحمراء[7] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 271 .

(2) المصدر نفسه , ج2 , ص 384 .

(3) أبن ميسر , المنتقى , ص 39-40 .

(4) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 94 .

(5) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 411 .

(6) فروخ , عمر , العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط منذ الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 1958م , ص 70 . وسيشار له لاحقا : فروخ , العرب والاسلام ؛ قمر , محمود أحمد محمد , الجيش المصري في عهد الدولة الطولونية (254-292هـ/868-905م) , ط1 , عين للدراسات والبحوث الانسانية , مصر , 2011م , ص 51 . وسيشار له لاحقا : قمر , الجيش المصري .

(7) أبن عبد الحكم , عبدالرحمن بن عبدالله , (ت 257هـ/870م) , فتوح مصر والمغرب , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , 1994 م , ص 156-157 . وسيشار له لاحقا : أبن عبد الحكم , فتوح مصر .

وبرز في الجيش الفاطمي خلال الفترة المغربية الصقالبة , يدل على ذلك أن أفضل وأقرب القواد إلى الخلفاء الفاطميين خلال الفترتين المغربية والمصرية هو القائد جوهر الصقلي الذي فتح مصر سنة 358هـ/ 968م , فقد اختط للروم حارتين , حارة الروم الحالية , وأخرى حارة الروم الجوانية , ويقال لها أيضا الحارة السفلى , والثانية يقال لها العليا[1] .

السودان : لم يكن العنصر السوداني غريبا على مصر الاسلامية , فقد عرفته مصر منذ الفتح الإسلامي لها[2] , وقد كثر أستخدامهم كجنود مرتزقة في عهد أحمد بن طولون , فبلغ عددهم أثني عشر ألف[3] , أما الأسدي فقد ذكر أن عدد السودان في جيش أحمد بن طولون بلغ اربعين ألفا[4] , ثم أتبعهم الإخشيد على ذلك إلى نهاية دولتهم[5].

اما في عهد الخلافة الفاطمية فيعتبر الخليفة الحاكم بأمر الله , أول خليفة فاطمي أستعان بالسودان[6] , وسار الخليفة الظاهر لإغزاز دين الله على نهجه في الإكثار من السودان , وضاعف في الأعتماد عليهم حتى أنه قد تزوج سودانية , أنجبت منه المستنصر بالله الذي تقلد الخلافة من بعده , وبالغت وآلدته السودانية في تجنيد العبيد , حتى بلغ عددهم خمسين ألفا في الجيش[7] .

يعود سبب كثرة العبيد في عهد الخليفة المستنصر بالله أن والدته المسيطرة على شؤون الدولة حاولت الحد من نفوذ الأتراك في الجيش بالاستعانة بالعبيد , فبلغت منزلتهم منزلة عظيمة حتى أن المقريزي وصفهم بقوله " صار العبد بمصر يحكم حكم الولاة , وشرعت أم المستنصر تغضب من الأتراك وتظهر كراهتهم وانتقاصهم "[8].

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 384 ؛ أبن دقماق , الانتصار , ص 37 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 357 .

(2) قمر , الجيش المصري , ص 44 .

(3) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 471 .

(4) الأسدي , محمد بن محمد بن خليل , (ت 658هـ/ 1260م) , التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والأختيار , تحقيق : عبدالقادر الطليمان , دار الفكر العربي , القاهرة , 1968 م ,ص 67 . وسيشار له لاحقا : الأسدي , التيسير والاعتبار .

(5) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 471 .

(6) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 184 .

(7) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 94 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 84 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 42 , 372 .

(8) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 267 .

د- العرب : أشرك الخلفاء الفاطميون جماعات من أبناء القبائل العربية في مصر , أو من أبناء العرب القادمين من خارج مصر في الجيش الفاطمي , ولا سيما المتعاطفين معهم [1] , حيث يذكر ناصر خسرو أن فرقة تسمى البدو وهم من أهل الحجاز يقال لهم الرماة , بلغ عدتهم خمسين ألف فارس[2] .

ومن ضمن عناصر الجيش كانت هناك طوائف من الجند تنتسب منهم إلى الخلفاء والوزراء الآمرية والحافظية : وهي طائفتان من الجند ينتسبان إلى الخلفاء الفاطميين , فالطائفة الأولى تنتسب إلى الخليفة الآمر بأحكام الله , وأما الطائفة الثانية فتنتسب إلى الخليفة الحافظ لدين الله [3].

وكان لهاتين الطائفتين الدور في القضاء على بعض التمردات الداخلية في مصر ضد الخلافة , إذ سير الخليفة الحافظ لدين الله سنة 534هـ/ 1139م الطائفتان لقتال الأفضل بن ولخشي[4] الذي تمرد على الخلافة الفاطمية , واستطاعت أسره وقتله , حيث بلغ تعداد هاتين الطائفتين خمسة عشر ألف فارس[5] .

الوزيرية : تنتسب هذه الطائفة إلى الوزير يعقوب بن كلس[6] , حيث يعود تأسيس هذه الطائفة إلى ما بعد أعتقال الخليفة العزيز بالله وزيره يعقوب بن كلس سنة 373هـ/983م بتهمة سم القائد أفتكين التركي , ثم أطلق سراحه ووهبه خمسمائة غلام من الناشئة , وألف غلام من المغاربة وملكه رقابهم[7] , ولم يتوقف إلى هذا الحد بل أكثر من أغتنام الغلمان , فذكر أبن الصيرفي ان عدد غلمان بن كلس وصل بعد وفاته إلى أربعة آلاف غلام[8] .

كانت هذه الطائفة تسكن في حارة اطلق عليها الوزيرية , فقد انفق على مساكنهم خمسة عشر ألف دينار[9] , وظلت هذه الطائفة قائمة بعد وفاة الوزير يعقوب بن كلس , فقد أقر الخليفة العزيز بالله هذه الطائفة على حالها وقال هؤلاء صنائعي وأجرى لهم الأرزاق , واستمرت وجودهم حتى نهاية الخلافة الفاطمية[10] .

---

(1) حسين , الجيش الأيوبي , ص 50 .

(2) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 94 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 151 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 482 .

(4) رضوان بن ولخشي : هو أبو الفتح رضوان بن ولخشي , كان مقدم الأمراء , تولى الوزارة عام 531هـ/1137م في عهد الخليفة الحافظ لدين الله , نعته الخليفة بالملك الأفضل , وبذلك أصبح أول وزير ينعت بالملك , استمر بالوزارة إلى ان قتله الخليفة سنة 534هـ/ 1139م ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 159-161, 173 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج1 , ص 416 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 169-171-173 .

(6) الدواداري , الدرة المضيئة , ص 141 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 377 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 482 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 و ص 51 .

(7) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 21-22 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 378 ,

(8) أبن الصيرفي , الإشارة , ص 23 .

(9) أبن الصيرفي , الإشارة, ص 23 , المقريزي , الخطط , ج2 , ص 277 .

(10) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 382-383 .

الجيوشية : تنتسب هذه الطائفة إلى أمير الجيوش بدر الجمالي الذي قدم من الشام إلى مصر سنة 465هـ/ 1072م بأمر من الخليفة المستنصر بالله على اثر الشدة العظمى (459-465هـ/ 1067-1072م) التي ضربت مصر[1] .

كانت هذه الطائفة تشكل جزءاً هاماً من الجيش الفاطمي , حيث أستعان بها الوزير أمير الجيوش للقضاء على تمردات عرب لواته في صعيد مصر , وعرب جهينة والثعالبة فغنم أموالهم[2] .

صبيان الخاص : وهم أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة , فكان الرجل اذا مات وله أولاد حملوا إلى حضرة الخلافة , ويودعون في أماكن مخصوصة , يؤخذ في تعليمهم الفروسية ويقال لهؤلاء الأولاد صبيان الخاص[3] .

جرت العادة أن يشارك صبيان الخاص الأحتفال بقدوم شهر رمضان , حيث تقوم هذه الفئة بحمل الساح حول الخليفة أثناء مسيرته من القصر إلى المسجد[4] .

ولم يقتصر مشاركة الصبيان في الأعياد , بل شاركت فئة منهم ضمن تشكيلات الجيش الفاطمي , حيث تم الأستعانة بها للقضاء على تمرد رضوان بن ولخشي الذي خرج عن طاعة الخليفة الحافظ سنة 534هـ/1139م[5] .

وبلغ عدد الصبيان في الدولة الفاطمية خمسمائة نفر[6] , فقد تخلص منهم الوزير أبن السلار سنة 544هـ/ 1149م , لما بلغه عنهم أنهم تعاقدوا على التخلص منه بتدبير من الخليفة الظافر , فقتل أكثرهم , وبعث من تبقى إلى مناطق الثغور[7] .

صبيان الحجر : وهي فئة من الجيش الفاطمي , الواحد منهم يعلم فنا من أنواع الحرف والعلوم التي تحتاج الدولة إليها من الشجاعة والفروسية وغير ذلك , فكان الصبي إذا كبر سلم إليه سلاح كامل يكون عنده متى جرد ولا يكون له عائق[8] .

---

(1) أبن ميسر , المنقى , ص 39-40 ؛ أبن الصيرفي , الإشارة , ص 56 .

(2) أبن ميسر , المنقى , ص 41-42 .

(3) المصدر نفسه , ص 143 .

(4) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 510 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 143

(6) القلقشندي , صبح الأعشى و ج3 و ص 481 .

(7) أبن ميسر , المنتقى , ص 143 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 198-199 .

(8) أبن طوير , نزهة , ص 57 .

ويعود سبب تسميتهم بالصبيان الحجرية نسبة إلى الحجرات التي كان يتعلم فيها الغلمان المختصون بالخلفاء فنون القتال , التي تقع بجانب دار الوزارة[1] , فقد حرص الخلفاء الفاطميون منذ أنتقالهم إلى مصر على إعداد فئه مدربة , فيذكر المقريزي أن الخليفة المعز لدين الله شرط على ولاة الأعمال عرض أولاد الناس بأعمالهم , فمن كان ذا شهامة وحسن خلقه أرسله ليخدم في الركاب , فسيروا إليه عالما من أولاد الناس فأقر لهم دورا سماها الحجر[2] .

كذلك حرص الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله على الأهتمام بهذه الفئة , حيث أتخذ حجرات لمماليكه وعلمهم أنواع العلوم وسائر فنون الحرب[3] , ولم يقتصر أهتمام الخلفاء الفاطميين بهذه الفئة بل عمل بعض الوزراء على تنمية هذه الطائفة وأستمالتهم في الحروب , وتدريبهم على مبادئ القتال , فيذكر ابن طوير أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أنشأ سبع حجرات لتعليم الصبيان وتأسيس جيش قوي , حيث أختار من أولاد الأجناد ثلاثة آلاف وقسمهم في الحجر , وجعل لكل مائة فرداً زماماً ونقيباً , وزم الكل بأمير يقال له الموفق , وأطلق لهم ما يحتاجون إليه من خيل وسلاح ومؤن وغيره , بعدما فشل في استرجاع المدن الساحلية من الإفرنجة[4] , فقد بلغ عدد الصبيان خلال العصر الفاطمي خمسة آلاف نفر موزعين على حجر منفردة لكل حجرة أسم يخصها[5] .

وضمن عناصر الجيش كانت هناك عناصر من الجند ملازمون للخليفة في قصره ومواكبه , ومكلفون بأعمال خاصة ومحددة يقومون بها , وهم على النحو الآتي :

1. حامل سيف الخليفة : هو المكلف بحمل سيف الخليفة في المواكب[6] , وسمي أيضا صاحب السيف[7] , يتقاضى راتبا مقداره سبعون ديناراً[8] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 239 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 240 ؛ العمايرة , الجيش الفاطمي , ص 155 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 41 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 504 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 240 .

(5) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 481 .

(6) أبن طوير , نزهة , ص 123 .

(7) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 483 .

(8) أبن طوير , نزهة , ص 84 .

2. حامل الرمح : صاحب هذه الوظيفة يحمل رمح الخليفة في المواكب التي يحمل فيها المظلة , وهو رمح صغير يحمل مع الخليفة[1] . وراتبه في الشهر سبعون ديناراً[2].

3. حامل المظلة : هو الذي يحمل المظلة فوق رأس الخليفة في المواكب والمجالس , عند ركوبه في رأس العام ونحوه , وهي من الوظائف العظام , وهو أمير جليل وله عندهم التقدم والرفعة يحمل ما يعلو على رأس الخليفة[3] , وراتبه خمسون ديناراً[4] .

4. حاملو لوائي الحمد المختصون بالخليفة : وهما أميران من حاشية الخليفة المقربين , يحملان رمحين طويلين ملبسين بمثل أنابيب عمود المظلة , نقشتهما من الحرير الأبيض المرموق بالذهب , ملفوفين على جسم الرمحين يخرجا بخروج المظلة أثناء الموكب[5] , وراتبه في الشهر خمسون ديناراً[6] .

5. حاملو السلاح الصغير : وهم طائفة من العبيد الأقوياء السودان الشباب , يقال لهم أرباب السلاح الصغير , وعددهم ثلاثمائة عبد , لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنين في شرابه , وثلاثمائة درقة كوابج فضة , يستلم ذلك عرفاؤهم , فيسلمونه للعبيد , لكل واحد حربتان[7] .

6. حاملو الرايات : وهم المكلفون بحمل الرايات وعددهم واحد وعشرون رجلاً من فرسان صبيان الخاص , يحملون إحدى وعشرين راية مصنوعة من الحرير , ملونة بكتابات مختلفة إحداهما عن الأخرى , يبلغ طول كل راية ذراعين , وعرضها ذراع ونصف , وفي كل واحدة ثلاثة طرازات , وكان يصرف لكل واحد من هؤلاء عشرون ديناراً[8] .

7. صبيان الركاب الخاص : هم الذين يحملون السلاح حول الخليفة في المواكب , وأصحاب هذه الوظيفة يعبر عنهم لزينتهم بالركابية , أو بصبيان الركاب الخاص أيضا ,

---

(1) أبن طوير , نزهة ,ص 123 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 483 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص84 .

(3) أبن طوير , نزهة , ص 183 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 483 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص84 .

(5) المصدر نفسه , ص 158 .

(6) المصدر نفسه ,ص 84 .

(7) المصدر نفسه , ص 148-149 .

(8) أبن طوير , نزهة , ص 158 .

وعددهم يزيد عن ألفي رجل , ولهم أثنا عشر مقدما , وهم أصحاب ركاب الخليفة , ولهم نقباء موكلون في معرفتهم , والأكابر من هؤلاء الركابية يندب في الأشغال السلطانية , وإذا دخلوا عملا كان لهم فيه الصيت المرتفع[1] , يبلغ عدتهم ألفي رجل , تقاضوا راتبا يتراوح ما بين الخمسين والعشرة دنانير في الشهر[2] .

2- إدارة الجند ورواتبه

عني الفاطميون منذ قدومهم إلى مصر بإدراة الجيش والإشراف على شؤونه, لذلك أوكلت الخلافة قيادة الجيش لأجناد لمتابعة شؤون طوائف الجند وقيادته ويمكن إجمالهم على النحو الآتي:

الأسفهسلار : هو من ألقاب أرباب السيوف , وظيفته تلي وظيفة صاحب الباب وهو قائد الجيش ومقدمه , وصاحبه زمام كل زمام , وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم , وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على أختلاف طبقاتهم , كذلك يحضر الأسفهسلار مجالس النظر في المظالم مع الوزير وصاحب الباب , وله شرف مصاحبة الخليفة عند خروجه في مواكبه مع كبار موظفي الدولة[3] يتقاضى راتباً شهريا مقداره مائة دينار[4] .

الأمراء : مفردها أمير , وهو زعيم الجيش ونحو ذلك ممن يولّيه الخليفة , سمّي بذلك لأن قومه أو من له الإمرة عليهم من الجنود فيمتثلون لأوامره[5] , وهو على ثلاث مراتب , المرتبة الأولى الأمراء المطوقين وهي أعلى مراتب الأمراء في الدولة , وسموا بالمطوقين لأن الخليفة يقلدهم أطواق الذهب في أعناقهم[6] , أما المرتبة الثانية أمراء أرباب القضب وهم أقل مكانة من الأمراء المطوقين , وسموا بأرباب القضب لأنهم يحملون أقضاب الفضة في المواكب[7] , والمرتبة الثالثة وهم دون الأمراء وهم ممن وصلوا إلى الآمرة , لكن لم يحضوا بما حظي به الأمراء السابقين لحداثة وصولهم إلى الآمرة[8] , تتراوح رواتبهم ما بين ثلاثمئة إلى خمسمائة دينار , أما إذا وصل الأمير إلى مرتبة وزير فإن راتبه يصل إلى الخمسة آلاف دينار[9] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 124 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص484 .
(2) أبن طوير , نزهة , ص 84.
(3) أبن طوير , نزهة , ص 123 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 151 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 483 .
(4) أبن طوير , نزهة , ص 83 .
(5) القلقشندي , صبح الأعشى , ج5 , ص 449 .
(6) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 480 .
(7) المصدر نفسه , ج5 , ص 480 .
(8) المصدر نفسه , ج3 , ص 480 .
(9) أبن طوير , نزهة , ص 83 .

زم الرجال : وهم المشرفون على شؤون الجنود في طوائف الجيش الفاطمي , كزم صبيان الحجر , وزم الطائفة الآمرية , والطائفة الحافظية , زم السودان , وهو بمثابة مقدم المماليك في العصر المملوكي[1] , يتقاضى هوؤلاء راتباً شهرياً مقداره تسعون دينار[2] .

أمير سلاح : وهو لقب يطلق على الذي يتولّى أمر سلاح السلطان أو الأمير. ويجمع على أمراء سلاح[3] , وهو يتقاضى راتبا شهريا مقداره تسعون ديناراً[4] .

نقيب الجيش : وهو الذي يتكفّل بإحضار من يطلبه الخليفة من الأمراء وأجناد[5] , ومهمته تشبه مهمة ضابط الاتصال في عصرنا الحديث , يتقاضى تسعون ديناراً في الشهر[6] .

عني الخلفاء الفاطميون بإدارة الجيش , فكان يتم عن طريق ديوان يعرف بديوان الجيش , وهو من أهم الدواوين في الدولة الفاطمية[7] , تتلخص مهمة هذا الديوان بمعرفة أحوال الأجناد , وإعدادهم , وتقدير أعطياتهم , وإقطاعاتهم , بموجب سجلات خاصة بذلك [8] .

يتولى إدارة هذا الديوان موظفون يطلق على أوله المستوفي[9] , والثاني الكاتب , مهمتهم النظر والإشراف وحق التصرف فيما يرد عليه من أمور الأجناد , من العرض والحلي والثياب , من حيث تسجيل الأجناد وخيولهم , وأختيار الخيول الجيد منها للركوب , إذ كان لا يثبت في هذا الديوان إلا الفرس الجيدة من ذكور الخيول وإناثها[10] .

---

(1) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 486 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 84 .

(3) القلقشندي , صبح الأعشى , ج5 , ص 456 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 84 .

(5) القلقشندي , صبح الأعشى , ج5 , ص 456 .

(6) أبن طوير , نزهة , ص 84 .

(7) الخوارزمي , مفاتيح العلوم , ص 41 ؛ سليمان , سمير عبدالله , الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر, 2006 م , ص 123 . وسيشار له لاحقا : سليمان, الدواوين .

(8) أبن طوير , نزهة , ص28 , 83 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 146 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 492 .

(9) المستوفي : هو صاحب مجلس الديوان , يطالب المستخدمين بما يجب عليهم رفعه من الحساب في أوقاته , وينبه متولي الديوان على ما يجب استخراجه من الأموال في اوقاته , ويقوم بإعداد الجرايد منظمة الحسابات , ويستوفي ما يرد عليه ؛ أبن مماتي , قوانين , ص 82-83 .

(10) أبن طوير , نزهة , ص 82-83 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 146 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 492 .

ويشترط على من يتولى إدارة هذا الديوان أن يكون مسلما , فيذكر أبن طوير " وفيه مستوف أصيل ولا يكون إلا مسلما، وله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس، وله الطراحة ، والمسند، وبين يديه الحاجب، وترد عليه أمور الأجناد ، له العرض والحلي والثياب"[1] .

كما يجب أن يكون عادلا ومن أعيان الكتاب , فهو المسؤول عن عرض الأجناد وخيولهم , ويساعده في ذلك نقباء الأمراء , حيث يبلغونه باحوال الاجناد من الحياة والموت والمرض والصحة [2] , ثم يشترط عليه معرفة الحساب ومعرفة ما يتصل بالخيول من أوصاف وعيوب , ومعرفة بكافة أنواع الأسلحة وآلات القتال , لأن الخيول والأسلحة تعرض مع الأجناد في هذا الديوان وإثباته في السجلات , كما على كاتب الجيش أن يتأكد من عدم أستبدال الخيول والأسلحة بأسوأ منها , وتحلي كاتب الجيش بالأخلاق الحميدة التي تسهل عمله كحسن المداراة والتعفف عن الطمع , مع الحزم وعزة النفس , ولهذا الديوان خازنان برسم رفع الشواهد وترتيب الجرايات [3] .

أما رواتب الجند فكانت تدفع بطريقة منتظمة عن طريق ديوان يعرف بديوان الرواتب , ومهمته إعداد السجلات الخاصة برواتب مرتزقة الدولة , وتحديد جرايات موظفي الدولة , وتحديد رواتبهم الشهرية , فقد دونت أسماؤهم في سجل فيه أسماء الجند ومقدار العطاء , فكانت ارزاقهم تتم نقدا , وعينا من القمح والشعير , ويتولى العمل بالديوان كاتب أصيل بطراحة , وتحت إمرته عشرون موظفاً يساعدونه في إعداد كشوف المرتبات وإثبات من هو مستمر في الخدمة , ومباشرة من استجد , وتدوين من مات , ليستوجب دفع استحقاقاتهم[4] .

---

(1) المصدر نفسه , ص 82 .

(2) المصدر نفسه , ص 82-83 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 146 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 492 .

(3) الكاتب , علي بن خلف , (ت437هـ/1045م) , مواد البيان , تحقيق : حسين عبداللطيف , مطبعة جامعة الفاتح , ليبيا , 1982 م , ص 81-82 ؛ أبن طوير , نزهة , ص 82-83 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 146 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 492 ؛ العمايرة , الجيش الفاطمي , ص 218 .

(4) أبن طوير , نزهة , ص 83 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 146 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 493 .

ويقوم موظفو الديوان بإعداد استيمار بأسماء الأجناد وعرضها على صاحب الديوان , ويقوم صاحب الديوان بعرض هذا الاستيمار على الخليفة في كل سنة , فيزيد من يزيد وينقص من ينقص , فيذكر القلقشندي أنه عرض على الخليفة المستنصر بالله الأستيمار فلم يعترض أحد من المرتبين بنقص , ووقع على ظاهر الاستيمار بخطه الفقر مر المذاق ، والحاجة تذل الأعناق ، وحراسة النعم بإدرار الأرزاق ، فليجروا على رسومهم في الإطلاق ، ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق وأمر كاتب الإنشاء بإمضاء ذلك[1] .

وكانت الرواتب تدفع للجيش بشكل منتظم كل حسب رتبته ومنصبه , فيذكر ناصر خسرو أن العطاء كان يدفع (20) ديناراً لكل جندي خلال عهد الخليفة المستنصر بالله[2] .

وحرص الخلفاء الفاطميون على صرف الرواتب لمستخدميهم في أوقاتها دون أي تأخير , حيث يذكر أبن طوير أنه انعقد مرة وهو يتولى ديوان الرواتب لذلك الوقت استيمار على مبلغ نيف ومائة ألف دينار أو قربت من مائتي ألف دينار , ومن القمح والشعير عشرة آلاف أردب , وحمل إلى صاحب الديوان لينظر فيه , ويرجعه إلى صاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة في شهر محرم , فقد عمل هذا أيام الخليفة المستنصر , كما عرض استيمار الرواتب خلال عهد الحافظ لدين الله فأقرها دون زيادة أو نقص[3] .

وقد حرص الخلفاء الفاطميون على صرف رواتب الجند في أوقاتها , الا أن هناك ظروفاً سياسية واقتصادية ساهمت في أنخفاض وأرتفاع رواتب الجند , فقد زاد ابو محمد الحسن بن عمار رواتب كتامة سنة 387هـ/997م وأجرى لهم العطاء بعد أن خرجت عليه طائفة من أهل كتامة سنة 386هـ/996م يطالبوه أن يطلق عليهم الرزق مقدار ثمانية طلقات في السنة , وأن يكون لكل واحد ثمانية دنانير , فأحضر المال بحضور الخليفة وأطلق لهم عشرون ديناراً لكل واحد منهم[4].

ولم يقف الحد عند الكتاميين في المطالبة بزيادة أرزاقهم , بل تعدى ذلك إلى الأتراك الذين تعاظم نفوذهم في عهد الخليفة المستنصر بالله , فطالبوا بزيادة مخصصاتهم على الرغم من تردي الاوضاع الاقتصادية وإفلاس الخزينة , في ذلك يقول أبن الأثير "

---

(1) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 495 .

(2) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 95 .

(3) أبن طوير , نزهة , ص 78-79 .

(4) أبن ميسر , المنتقى , ص 181 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 4 .

فلما خلت الدولة للأتراك طمعوا في المستنصر، وقل ناموسه عندهم، وطلبوا الأموال ، فخلت الخزائن، فلم يبق فيها شيء البتة، واختل ارتفاع الأعمال، وهم يطالبون، واعتذر المستنصر بعدم الأموال عنده، فطلب ناصر الدولة العروض، فأخرجت إليهم، وقومت بالثمن البخس ، وصرفت إلى الجند، قيل إن واجب الأتراك كان في الشهر عشرين ألف دينار، فصار الآن في الشهر أربعمائة ألف دينار"[1] . ولم يكتفوا بذلك , بل قاموا بنهب خزائن القصر , فنهبوا من خزائن السلاح ما يعادل العشرين ألف دينار , ومن خزائن البنود والفرش الشيء الكثير , ونهبوا من خزائن أم المستنصر أربعة آلاف دينار , وآلات فضية وزنها ثلاثمائة ألف وأربعون ألف درهم قيمة كل ستة دراهم دينار , وأخرج من القصر اقفاص مملوءة بالذهب وعدتها أربعمائة قفص , وأخرجت من القصر ستة وثلاثون ألف قطعة بلور , حيث بلغت قيمة المسروقات من الجوهر والثياب والفرش والسلاح ما يقارب ألوف ألوف دينار[2] .

وأخرج ما على سرير الملك الكبير من الذهب الخالص فكان مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال , كما أخرجت الستور فيها من الذهب ثلاثون ألف مثقال , وأخرجت الشمسية الكبيرة وكان فيها ثلاثون ألف مثقال ذهب وعشرون ألف درهم فضة وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر , وأخرج من خزانة الكتب ثمانية عشر ألف كتاب , وألفان وأربعمائة ختمة محلاة بالذهب والفضة , وأخرج من القصر من العين أثنان وعشرون ألف دينار وستمائة وست وستون ديناراً[3] .

أما في عهد الخليفة العاضد لدين الله فقام وزيره شاور بن مجير[4] سنة 558هـ/1162م عند توليه الوزارة بإقرار الزيادات للأجناد والعرب وحواشي القصر نظير مالهم عشر مرات[5].

---

(1) أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 398-399 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 282-293 .

(3) المصدر نفسه , ج2 , ص 294-295 .

(4) شاور بن مجير : هو أبو الشجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشائر بن شاس بن مغيث , تولى الوزارة خلال زمن الخليفة العاضد صاحب مصر سنة 558هـ/1162م صاحب خبرة وكفاءة , استطاع استمالة الرعية من العرب وغيرهم لتثبيت وجوده , حيث تلقب بأمير الجيوش إلى أن قتل سنة 564هـ/1169م ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج2 , ص 439-445 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 260 .

3- نفقات الأسطول

أهتمت الخلافة الفاطمية بانشاء أسطول قوي منذ نشأة دولتهم في المغرب سنة 297هـ/909م , وبخاصة أنهم ورثوا عن الأغالبة أسطولهم في رقادة , وعمد الفاطميون إلى بناء العديد من المدن المحصنة كالمهدية , وعملوا على إصلاح دار السفن القديمة في إفريقية , وعمل الخليفة المعز لدين الله على تجديد مدينة سوسة[1] التي يحيط بها بحر الروم من ثلاث جهات , فأصبحت قاعدة ثابته للأسطول الفاطمي في المغرب[2] .

وبعد الفتح الفاطمي لمصر والشام عني الخلفاء الفاطميون في مصر بالأساطيل وحفظ الثغور , وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية, كالإسكندرية, ودمياط , وعكا[3] , وعسقلان[4] , وصور[5] , وعيذاب[6] .

ويتضح لنا أهتمام الخلفاء الفاطميين بالأسطول البحري من خلال عدد جند الأسطول الذي أورده بعض المؤرخين , فيذكر أبن طوير أن عدد المقاتلين بلغ خمسة آلاف مقاتل[7] , وبلغ حوالي عشرة آلاف مقاتل في أواخر عهد الدولة الفاطمية نظراً لشدة صراع الخلافة مع الإفرنج خلال الحروب الصليبية[8] .

وكانت الدولة الفاطمية تدفع رواتب شهرية لجند الأسطول بصورة منتظمة تتراوح ما بين العشرين ديناراً إلى خمسة عشر ديناراً إلى عشرة دنانير إلى ثمانية دنانير إلى دينارين , تدفع بصورة متفاوته على حسب رتبهم , ومن بين رتبهم الأمير ,

---

(1) سوسة : هي مدينة ساحلية في المغرب , يحيط بها البحر من ثلاث جهات من الشمال والجنوب والشرق , تبعد عن القيروان ستاً وثلاثين ميلا . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 282 .

(2) ماجد , نظم الفاطميين , ج1 , ص 219 ؛ العزام , أضواء , ص 27 ؛ محمد , هيفاء عاصم , البحرية المصرية في العصر الفاطمي , مجلة كلية التربية , الجامعة المستنصرية , ع4 , 2009م , ص 499 ؛وسيشار له لاحقا : محمد , البحرية ؛ التواني , أبو بكر , الاسطول الفاطمي , مجلة التراث العربي , سوريا , مج7 , ع25-26 , 1987 م , ص 159 . وسيشار له لاحقا : التواني , الأسطول الفاطمي ؛ النقيب , أحلام حسن , الأسطول الفاطمي نموذج للتفوق البحري الاسلامي , (212-365هـ/827-976م) , مجلة ابحاث كلية التربية الأساسية , جامعة الموصل , مج4 , ع3 , 2006م , ص 213-214 . وسيشار له لاحقا : النقيب , الأسطول الفاطمي .

(3) عكا : وهي مدينة ساحلية من مدن بلاد الشام , تبعد عن صور أثني عشر ميلا , وبين عكا وطبرية أربعة وعشرون ميلا , المهلبي , الحسن بن أحمد العزيزي , (ت380هـ/990م) , المسالك والممالك , تعليق : تيسير خلف , دار التكوين , دمشق , 2006م , ص 101 . وسيشار له لاحقا : المهلبي , المسالك والممالك . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 141 .

(4) عسقلان : وهي من المدن الشامية الساحلية , بينها وبين غزة اثنا عشر ميلا , وبينها وبين الرملة ثمانية عشر ميلا ؛ المهلبي , المسالك والممالك , ص 100 .

(5) صور : وهي من أعالي الأردن من المدن الساحلية الشامية , بينها وبين عكا ست فراسخ , وتبعد عن طبرية من البحر غربا يوما ؛ المهلبي , المسالك والممالك , ص 101 ؛ أبن حوقل , صورة الأرض , ص 37 ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 433 .

(6) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 523-524 .

(7) أبن طوير , نزهة , ص 95 .

(8) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 272 .

وهو من أعيان الأمراء , وأقواهم جأشا يساعده مجموعة من النقباء[1] .

وكانت الدولة الفاطمية تقيم أحتفالاً ضخماً قبيل أنطلاق الأسطول للجهاد وتنفق الأموال الضخمة عند توديع الأسطول بحضور الخليفة وكبار موظفي الدولة[2] , وفي ذلك يقول أبن طوير " فإذا تكملت النفقة، وتجهزت المراكب، وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير إلى ساحل المقس، وكان هناك على شاطىء البحر بالجامع، منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداعه يعني الأسطول، ولقائه إذا عاد، فإذا جلس هو والوزير للوداع، جاءت القواد بالمراكب من مصر إلى هناك للحركات في البحر بين يديه وهي مزينة بأسلحتها ، ولبوسها ، وفيها المنجنيقات تلعب فتنحدر وتقلع بالمجاذيف ... ويحضر بين يدي الخليفة المقدم والرئيس ... ويعطي المقدم مائة دينار، والرئيس : عشرين دينارا"[3] .

حيث ذكر ابن المأمون أن مقدار ما حمل في صناديق الخاصة برسم المهمات لما يتجدد من تسفير العساكر وما يحمل إلى الثغور عند نفاذ ما بها من مؤن بلغت سنة 517هـ/1123م ثمانية وتسعين ألف ومائة وسبعين ديناراً وربعاً وسدساً[4] .

كما حرص الخلفاء على تشجيع أسطولهم إلى الخروج للحملات , فإذا وقع لهم مركب وغنموه لا يسألون عما فيه سواهم , فيأخذ الخليفة الأسرى , وما يتبقى منه فإنه من نصيب رجال الأسطول [5] .

وكان يشرف على الأسطول ديوان الجهاد أو العمائر , محله بدار الصناعة بمصر , يختص بالإشراف على الأسطول وتزويد المراكب بالغلات والأسلحة , والإنفاق على رجال الأسطول وإقطاعاته[6] , أما عدد سفن الأسطول الفاطمي فقد بلغ خلال خلافة المعز لدين الله عند الفتح الفاطمي لمصر ثلاثة آلاف شيني وغراب[7] , أما في عهد الخليفة المستنصر بالله فقد بلغ عدد الأسطول ألف سفينة[8] . وهذا العدد دليل على عظمة الأسطول من خلال أعتناء الخلفاء الفاطميون به , ومن أبرز أنواع السفن الفاطمية هي :-

---

(1) القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 523 ؛ العزام , أضواء , ص 27 .

(2) العزام , أضواء , ص 26 .

(3) أبن طوير , نزهة , ص 97-98 .

(4) ابن المأمون , أخبار مصر , ص 71 .

(5) أبن طوير , نزهة , ص 98؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 524 .

(6) أبن طوير , نزهة , ص 97-100؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج3 , ص 523-524 .

(7) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 89 .

(8) ناصر خسرو , سفر نامة , 79 .

1. **الشواني : وهي جمع شيني أو شونة , من أعظم قطع الأسطول وأطولها , تفرعت منها سفن أخرى كالغراب , والطريدة , والجفنة , والحراقة , تجذف بمائة وأربعين مجذاف , تحمل مائة وخمسون مقاتلاً , محملة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم , وتحتوي على أهراء لخزن القمح وصهاريخ المياه , وفيها مدافع لقذف النار على السفن المعادية [1] .**
2. **الطرائد : مفردها طريدة , وهي سفن معدة لحمل الخيول والسلاح والغلال , تبلغ حمولتها أربعين فرساً[2] .**
3. **الحمالة : وهي المراكب الكبيرة تستخدم لنقل الغلات والرجال والخيول , وقد بلغ عدد هذه السفن في العصر الفاطمي عشر حمالات[3] .**
4. **العشاريات : جمع عشيري وهي من السفن النيلية الضخمة , تستخدم في الحروب , وتستخدم لنزهة الخلفاء , وكانت تستخدم في أغلب الأحيان لأستقبال الاسطول العائد من الحرب وفتح الخليج , حيث بلغ عددها خمسين عشارية [4] .**
5. **الحراقات : وهي جمع حراقة , وهي من المراكب الحربية محملة بمدافع قادرة على حرق السفن المعادية , تجذف بمائة مجذاف[5] .**
6. **البطسة أو البطشة : وهي من المراكب الكبيرة تحتوي على عدة طوابق مزودة بعدد كبير من الأشرعة قد يصل إلى اربعين شراعاً , تستخدم في نقل المقاتلين الذين تتراوح أعدادهم ما بين الثلاثمائة والسبعمائة رجل , ومزودة بالأسلحة والذخيرة ومعدات الحرب والحصار , وتحتوي على أبراج ضخمة أشبه بالقلاع[6] .**

---

(1) أبن مماتي , قوانين , ص 340 ؛ أبن واصل, محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم ,(ت697هـ/1298م) , مفرج الكروب في أخبار بني ايوب , تحقيق : جمال الدين الشيال , جار الكتب الوثائقية القومية , القاهرة , 1957م , ج2 , ص 13 . وسيشار له لاحقا : أبن واصل , مفرج الكروب ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 89 هامش 3 ؛ النخيلي , درويش , السفن الإسلامية على حروف العجم , دار المعارف , مصر , 1979م , ص 83 . وسيشار له لاحقا : النخيلي , السفن ؛ محمد , البحرية , ص 503 .

(2) أبن مماتي , قوانين , ص 339-340 ؛ أبن واصل , مفرج الكروب , ج2 , ص 813 .

(3) أبن مماتي , قوانين , ص 340 ؛ القلقشندي . صبح الأعشى , ج3 , ص 523 ؛ النخيلي , السفن , ص 41.

(4) أبن طوير , نزهة , ص 94 ؛ النخيلي , السفن , ص 95-97 ؛ ماهر , سعاد , البحرية في مصر الإسلامية واثارها الباقية , المجع العلمي , جدة , 1979م , ص 99 . وسيشار له لاحقا : ماهر , البحرية ؛ محمد , البحرية , ص 505 .

(5) أبن مماتي , قوانين , ص 340 ؛ ماجد , نظم الفاطميين , ج1 , ص 222 ؛ النخيلي , السفن , ص 32 .

(6) الاصبهاني , أبو عبدالله محمد بن محمد بن صفي الدين , (ت 597هـ/1201م) , الفتح القسي في الفتح القدسي , ط1 , دار المنار , الاردن , 2004م , ص 256 . وسيشار له لاحقا : الاصبهاي , الفتح القسي ؛ ماهر , البحرية , ص 231 ؛ العمايرة , الجيش الفاطمي , ص 19 .

7. الشلنديات : جمع شلندي وهي من المراكب الحربية الضخمة تمتاز باتساع سطحها والمجذفون يكونون تحتها , قادرة على حمل السلاح والغلات والمؤن والرجال , وهي من أكثر السفن التي صنعت بدور الأسطول الفاطمي[1] .

4- نفقات الحملات العسكرية

أنفقت الخلافة الفاطمية أموالا كثيرة على الحملات العسكرية , سواء كانت حملات توسعية لزيادة رقعة أراضيها , أو حملات ضد الحركات الإنفصالية التي قامت داخل أطار حدود الخلافة الفاطمية , أو الحملات لمواجهة الأخطار الخارجية المتمثلة بالقرامطة والروم والإفرنج والخلافة العباسية , وكما كانت الدولة الفاطمية تقوم بدعم الحركات الإنفصالية ضد الخلافة العباسية , وسوف نتحدث عن هذه الحملات ومقدار تكلفتها , مع العلم ان بعض الحملات لم تذكر المصادر مقدار الأموال التي أنفقت عليها , لكن على الأغلب قد كلفت الخلافة الفاطمية أموالاً كثيرة .

نفقات فتح مصر وقمع الاضطرابات الداخلية فيها

وجه الفاطميون أولى عنايتهم لفتح مصر بعد أستقرار دولتهم في بلاد المغرب , وأنفقوا أموالاً كثيرة لأمتلاكها , ذلك لكثرة ثرواتها , وموقعها الجغرافي المهم سياسيا وحربيا , ولمد نفوذهم إلى بلاد المشرق العربي والقضاء على الخلافة العباسية في بغداد [2] .

وجه الفاطميون أربع حملات لفتح مصر , الأولى سنة 302هـ/914م , حيث ملكت الإسكندريه والفيوم[3] , وسيطروا على خراجها , إلا أن هذا الحملة لم تأت بثمارها , حيث سير العباسيين حملة فتصدت لهم وأجبرهم على العودة إلى إفريقية , أما الثانية كانت سنة 307هـ / 919م , حيث دخلوا الإسكندرية , إلا أن الجيش العباسي أوقع فيهم الخسائر الفادحة , وأصابهم الغلاء والوباء , فرجع من بقي منهم إلى إفريقية[4] , أما الحملة الثالثة فكانت زمن الخليفة القائم بأمر الله (322-334هـ/ 934-945م) , سنة 323هـ/ 934م , فدخلوا الإسكندرية فتصدى لهم الإخشيد فهزمهم فرجعوا إلى المغرب , حيث كلفت هذه الحملات الخلافة أموالا طائلة [5] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 95 ؛ أبن مماتي , قواين , ص 340 ؛ ماهر , البحرية , ص 352 .

(2) العزام , أضواء , ص 26 .

(3) الفيوم : هي ولاية غربية في مصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام ؛ الإصطخري , أبو إسحق إبراهيم بن محمد ,(ت346هـ/957م), المسالك والممالك , دار صادر , بيروت , 2004 م , ص 50 . وسيشار له لاحقا : الإصطخري, المسالك والممالك . ياقوت الحموي, معجم البلدان , ج4 , ص 286 .

(4) النعمان , افتتاح الدعوة , ص 274 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج5 , ص 19-20 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج6 , ص 483 , 501 ؛ المقريزي , اتعاظ ,ج1, ص 69 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 48-49.

(5) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 100 ؛ المقريزي , اتعاظ ,ج1 , ص 74 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4, ص 52 .

أما الحملة الرابعة فكانت في عهد الخليفة المعز لدين الله سنة 358هـ/968م , فقد سير الخليفة القائد جوهر الصقلي على رأس جيش كثيف لفتح مصر[1] , وكان أغلب الجند من الكتاميين والبربر , ووضع لهم العطاء غير الرواتب الشهرية , وحشد من إفريقية الكتاميين والزويليين والجند والبربر , وبذل لكل من شارك في الحملة مبلغاً يتراوح ما بين ألالف دينار إلى عشرين ديناراً على حسب رتبهم ومنازلهم حتى عم العطاء الجميع[2] .

وبلغ عدد الجند الذين شاركوا في حملة فتح مصر مائة ألف مقاتل حتى وصف المؤرخون هذا العدد أشبه بيوم عرفة لكثافة حجمه [3] , وسير الخليفة مع القائد جوهر الصقلي ألف ومائتي حمل[4] من المال , ومن السلاح والكراع ما لا يوصف[5] .

ولما وردت الأخبار إلى مصر بقدوم القائد جوهر على رأس جيش كثيف أضطرب المصريون أضطراباً شديداً , فوقع أتفاق على مراسلة القائد جوهر في الصلح وطلب الأمان , فأجابهم على ذلك من خلال نص الإمان[6] .

وأجهت المفاوضات معارضة من بعض رجالات الإخشيد والكافوريين حول الصلح الذي أعطاه جوهر للمصريين , فكلف جوهر جعفر بن فلاح للتصدي لهم , فجرت معركة أوقعت الخسائر بين الطرفين , نتجت عنها هزيمة الإخشيد وهروبه إلى الشام[7] , فبعد الهزيمة سارع وجوه الدولة إلى طلب الصلح مرة أخرى من جوهر فأجابهم على ذلك[8] .

---

(1) أبن الأثير , الكامل , ح7 , ص 309 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 76 ؛ أبن الجوزي , أبو فرج عبدالرحمن بن علي بن محمد , (ت597هـ/1201م) , المنتظم في تاريخ الملوك والامم , تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , 1992م , ج14 , ص 197 . وسيشار له لاحقا : أبن الجوزي , المنتظم .

(2) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 76 ؛ المقريزي , المقفى , ج3 , ص 87 .

(3) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 76 ؛ المقريزي , المقفى , ج3 , ص 87 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 107 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 77 .

(4) الحمل : يساوي 250 كغم ؛ هنتس , المكاييل الإسلامية , ص 27 .

(5) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 76 .

(6) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 76 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص102-106 ؛ المقريزي , المقفى , ج3 , ص 87 .

(7) المقريزي , المقفى , ج3 , ص 96 .

(8) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 80 .

دخل جوهر مدينة مصر نهاية شعبان سنة 358هـ/968م وبين يديه الأموال الكثيرة , فأستقبله المصريون وهنأوه بالنصر , وأقام الخطبة للخليفة المعز لدين الله في مساجد مصر وجوامعها , ثم كتب جوهر إلى أهل الريف والصعيد الأمان على انفسهم وأولادهم وأموالهم , ثم شرع ببناء مدينة القاهرة لتقهر الدنيا , ولعل المقصود بها الخلافة العباسية في بغداد , فبلغ تكاليف الحملة على مصر وبناء القاهرة أربعة وعشرين ألف ألف دينار[1] .

بعد أن أستتب الأمر في مصر وأقيمت الخطبة للفاطميين , كتب القائد جوهر إلى الخليفة المعز لدين الله يحثه على القدوم إلى مصر [2] , فأستجاب الخليفة إلى دعوة جوهر فخرج من المغرب سنة 361هـ/971م , فأصطحب معه أمواله وأهل بيته وعماله , وحمل معه إلى مصر توابيت آبائه , وكان معه خمسة عشر ألف رجل , تحمل صناديق الأموال والسلاح , ومائة جمل تحمل الذهب , وثلاثة آلاف جمل على كل جمل صندوقان , والف بختي[3] محملة , وثلاثمائة جمل تحمل الخركات , وجملان يحملان الاكسير الذي يصنع به الكيمياء , وثلاثة آلاف شيني وغراب في البحر تحمل الموجود , ومن الرجال المقاتلة من قبيلة كتامة مائة ألف , ومن البربر أربعون ألفاً , ومن الرموح ستون ألفاً , وغير ذلك من قبائل العرب والمغاربة , فاقام بسردينية أربعة شهور , ثم ارتحل منها نحو الإسكندرية , فوصل سنة 362هـ/971م وسلم على أعيان البلاد , ووزع الأموال على الناس , وبذلك أصبحت مصر دار الخلافة الفاطمية[4] .

وقد وأجهت الخلافة الفاطمية في مصر العديد من الاضطرابات الداخلية المتمثلة بالصراعات بين طوائف الجند أو الوزراء , إضافة إلى التمردات والحركات الإنفصالية , الأمر الذي أدى إلى أنفاق الأموال الكثيرة, وإفلاس خزينة الدولة أحياناً ,

---

(1) الصنهاجي , محمد بن علي بن حماد بن عيسى , (ت 628هـ/ 1231م) , أخبار ملوك بني ايوب , تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس , دار الصحوة , القاهرة , د.ت , ص 84 . وسيشار له لاحقا : الصنهاجي , أخبار ملوك ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 80-83 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 35 ؛ الدوداري , الدرر المضيئة , ص 121 .

(2) أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج5 , ص 226 .

(3) بختي : هي الابل الخراسانية . النويري , نهاية الأرب , ج25 , ص 152 .

(4) أبن عذاري , البيان المغرب , ج1 , ص 228 ؛ الصنهاجي , أخبار ملوك , ص 88 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 86-89 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 161 .

لمواجهة هذه الصراعات والقضاء عليها , ومن أبرز هذه الحركات حركة ابو ركوة [1] التي قام بها الوليد بن هشام في عهد الخليفة الحاكم بامر الله ما بين (394-397هـ/1003-1006م) بمساندة بعض القبائل المغربية كقبيلة بنو قرة[2] ولواتة وزناتة[3] , بعد أن جردهم الخليفة من إقطاعاتهم بسبب تمردهم عليه , فقد أرسل الخليفة الحاكم إلى جماعة من بني قرة يستدعيهم إلى القاهرة , فخافوا منه وأمتنعوا , فتركهم مدة من الوقت حتى سنة 394هـ/1003م وكتب إليهم أماناً , فقدمت طائفة منهم إلى الإسكندرية ليقفوا على ما يأمرهم به , لكن الخليفة أمر بقتلهم جميعاً[4] .

الأمر الذي زاد من عداوة قبائل بنو قرة من الخلافة الفاطمية , حيث أستغل أبو ركوة ذلك ليأخذ البيعة من القبائل العربية والبربرية للثورة ضد الخلافة الفاطمية , حيث شكلت ثورة أبي ركوة خطورة كبيرة على الخلافة ,فقد استهدفت اسقاط الخليفة الحاكم بأمر الله , وأتخذت مكاناً قريبا من مركز الخلافة الفاطمية وهو إقليم برقة[5] وكان أول صدام بين أبي ركوة والجيش الفاطمي سنة 394هـ/1003م عندما أعد أبو ركوة جيشاً من البربر والعرب ونزل به إلى برقة وحاصرها , فكان أميرها صندل يدين الولاء للخلافة الفاطمية , فأشتد الحصار على برقة , فأقتحمها أبي ركوة وقتل عدداً كبيراً من الجيش الفاطمي , أما صندل فقد أستطاع الفرار إلى القاهرة ومعه عدد كبير من شيوخ المدينة , وظفر ابو ركوة بالأموال والسلاح من الجيش الفاطمي[6] .

---

(1) أبو ركوة : هو الوليد بن هشام بن عبدالملك بن عبد الرحمن الداخل حاكم الاندلس , تلقب بالثائر بامر الله , والمنتقم من اعداء الله , ولد في الاندلس ونشأ بها ثم خرج منها زمن الوزير بن أبي عامر وجاء إلى مصر , كانت بداية ظهوره سنة 394هـ/1003م ثائرا على الخلافة الفاطمية , قتل سنة 397هـ/ 1006م ؛ الصنهاجي , أخبار ملوك , ص 103 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 133-115 ؛ أبن خلدون , العبر , ج 4 , ص 73 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 60 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 179 .

(2) بنو قرة : هم من بنو عمرو بن ربيعة بن عبد المناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان , وهم من القبائل العدنانية , عظمت احوالهم أيام الخلافة الفاطمية ؛ المقريزي , البيان والاعراب ؛ ص 9-15 .

(3) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 113-115 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 73 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 60-63 .

(4) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 113 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 51 ؛ أبو سعيد , النجوم الزاهرة , ص 71 ؛ العزام , أضواء , ص28 . محاسنة , محمد حسين , ثورة أبي ركوة ضد الخلافة الفاطمية , مجلة كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية , مصر , مج3 , ع 23 , 2000م , ص 245 . وسيشار له لاحقا : محاسنة , أبو ركوة .

(5) برقة : هي مدينة تقع بين إفريقية والإسكندرية , تبعد عن مصر 20 مرحلة , وتبعد عن طرابلس مثلها ؛ الإصطخري , المسالك والممالك , ص 46 ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص 388 .

(6) الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 261 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 43 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 113-115 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 62 ؛ محاسنة , أبو ركوة , ص 246 ؛ العزام , أضواء , ص 28 .

وكلفت هذه الثورة الخلافة الفاطمية الكثير من الأموال , حتى أنها أنهكت أقتصاد الخلافة الفاطمية لكثرة الحملات التي أرسلتها للقضاء عليها , ففي سنة 395هـ/1004م سير الخليفة الحاكم بأمر الله جيشاً من خمسة آلاف مقاتل , وأسند بقيادته إلى غلام تركي يدعى ينال الطويل[1] , وألتقوا بعيون النظر[2] فواقعه أبو ركوة وقتل ينال مع معظم جيشه , ووقع كثير من الجند أسرى , وغنم أبو ركوة الكثير من الغنائم ومائة ألف دينار كانت مع ينال , فقوي أمر أبي ركوة أكثر مما كان عليه[3] .

ثم سير الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 396هـ/1005م جيشاً آخر لقتال أبي ركوة وأوكل قيادته لغلام اسمه قابل الأرمني[4] , فالتقى الجيشان بذات الحمام[5] , وهي مدينة من أعمال الإسكندرية , فقتل قابل والكثير من اصحابة , وأستولى أبو ركوة على أموال وسلاح الجيش الفاطمي[6] .

ونتيجة للهزائم المتكررة التي مني بها الجيش الفاطمي , بدأ الخليفة الحاكم يحس بخطورة الموقف الذي أصبح يهدد عرش الخلافة الفاطمية , فصار من الضرورة إيقاف تقدم أبي ركوة الذي يحقق الأنتصارات الواحدة تلو الأخرى , لذلك جهز الخليفة الحاكم بأمر الله جيشاً في نفس السنة , وأولى قيادته إلى أبي الفتوح الفضل بن صالح , وأستدعى كثير من العساكر من الشام , وأجرى لهم الأرزاق , وفرق عليهم الأموال والدواب والسلاح , فكون جيشا كبيرا جمع فيه جل رجال الدولة من المشارقة والمغاربة , فبلغ تعداد هذا الجيش حوالي أثني عشر الفا ما بين فارس وراجل , فألتقيا في موضع يقال له بتروجه[7] غير أن القتال أنتهى لصالح أبي ركوة , فدخل الفيوم ونهب ما فيها , إضافة إلى الأموال والأسلحة التي غنمها من الجيش الفاطمي[8].

---

(1) لم اجد له ترجمة في المصادر سوى انه احد قادة الأتراك في الجيش الفاطمي . النويري , نهاية الأرب , ص 114 .

(2) عيون النظر : هي من أعمال مدينة برقة ؛ الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 261 .

(3) الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 261-262 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 43 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 61 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 217 . النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 114 .

(4) لم اجد له ترجمة .

(5) ذات الحمام :بلد بين الإسكندرية وإفريقية , وهو أقرب إلى إفريقية ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 299 .

(6) الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 264 .

(7) بتروجه : هي قرية بمصر من كور البحيرة من أعمال الإسكندرية ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج 2 , ص 27 .

(8) الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 265-266 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 44 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , 61-62 .

ثم جهز الخليفة عسكرا آخر وامده بالمال والسلاح سنة 396هـ/1005م , فبلغ تعداده أربعة آلاف فارس , وأوكل قيادته إلى الحسن بن فلاح , وأنفق على العساكر المشاركة في القتال أموالاً ضخمة , فأعطى لكل مشارك في الحملة خمسين ديناراً غير الرواتب , وكان لقاء العساكر مع قوات أبي ركوة في الجيزة[1] , فحدث قتال شديد أنتهى بهزيمة الجيش الفاطمي , وقتل عدداً كبيراً من الجند , وغرق عدد آخر في النيل , فاستولى أبو ركوة على أموالهم وسلاحهم وعادوا إلى الفيوم[2] .

وكلفت هذه الحملة أموالاً كثيرة , فلو فرضنا أن عدد المشاركين في الحملة أربعة آلاف مقاتل , ولكل مقاتل خمسون ديناراً غير الراتب , فإن مجموع ما أنفق من الأموال مئتا ألف دينار نقداً , أما رواتب الجند فقد ذكر المقريزي أن رواتب الجند المشاركة في الحملة بلغ أربعة وعشرين ديناراً , فإن مجموع ما أنفق على الرواتب تسع وستون ألف دينار , دون الأسلحة والإرزاق , وما أنفق على الحملة دون السلاح والأموال بلغ مئتين وستاً وتسعين ألف دينار[3] .

ولم يكن أمام الخليفة الحاكم بأمر الله سوى أن يعد حملات اخرى لمواجهة ثورة أبي ركوة , بعد أن أصبح على مشارف القاهرة , فجهز الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 396هـ/ 1006م جيشا آخر وأوكل قيادته إلى الفضل بن صالح وزوده بالمال والسلاح , حيث زوده بأكياس ممتلئة بالذهب بلغ وزنها خمسة وعشرين قنطاراً , وإن جملة ما أنفق على هذه الحملة بلغ ألف ألف دينار[4] .

وكان اللقاء بين الجيش الفاطمي وأبي ركوة في الفيوم وأنتهى القتال بهزيمة أبي ركوة وقتل عدد كبير من جنده , وسارت العساكر في طلب أبي ركوة , فأسرت من جنده ستة آلاف ومائة أسير, فطيف بهما البلد, فقتل الأسرى بالسيوف , ثم أسر أبو ركوة وقتل سنة 397هـ/1006م , وبذلك أنتهت ثورة أبي ركوة بمقتله , والتي تعد من أخطر الثورات التي تعرضت لها الخلافة الفاطمية[5] .

---

(1) الجيزة : هي كورة من كور مصر , تقع غربي مدينة الفسطاط ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 200 .

(2) الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 265-266 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 45 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 62-63 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 62-63 .

(4) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 115 .

(5) الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 266-267 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 45-47 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 115-116 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 74 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 163-165 ؛ أبن تغري بردي, النجوم الزاهرة , ج4, ص 217-218 .

أما في عهد الخليفة المستنصر بالله فقد تعرضت الخلافة لما يعرف بالشدة العظمى , وكان سببها المباشر هو الصراع بين طوائف الجند , وخاصة الأتراك بقيادة ناصر بن حمدان[1] من جهة , والعبيد ولواته بدعم من أم المستنصر من جهة أخرى , حيث حاولت أم المستنصر الأنفراد بالسلطة دون أمراء الجند , من خلال الحد من نفوذ الأتراك وقادتهم , لذا أستكثرت من شراء العبيد حتى بلغ عددهم خمسين ألفاً ما بين فارس وراجل[2] , وزودتهم بالمال والسلاح , وبسطت لهم الرزق , وأمطرت عليهم النعم حتى أصبح العبد يحكم حكم الولاة[3] , لذا حرصت أم المستنصر على الإيقاع بالأتراك مما أدى إلى نشوب حرب قاسية أستمرت قرابة السبع سنوات , أستنزفت تلك الحرب موارد الدولة وأدت إلى إفلاسها[4] .

بدأت تلك الحرب سنة 459هـ/1067م , حيث بعثت أم المستنصر إلى قواد العبيد تغريهم بالأموال , وتحثهم على الإيقاع بالأتراك ومحاربتهم وإخراجهم من مصر , فحشد العبيد طوائفهم وساروا إلى الجيزة , فخرج عليهم الأتراك , فالتقى الفريقان , وأنتهت الحرب بكسر شوكة العبيد وهزيمتهم إلى الصعيد , وكلفت هذه الحرب خزينة الدولة ما يقارب ألالف ألف دينار[5] .

ثم خرج ناصر الدولة بن حمدان على رأس جيش من الأتراك سنة 460هـ/1067م إلى الصعيد لقتال العبيد المتجمعين هناك , فبلغ قيمة الأنفاق على هذه الحملة ألف ألف دينار , وأستطاع هزيمتهم[6] .

بعد هزيمة العبيد تزايد نفوذ الأتراك وقويت شوكتهم , فكلما زادت قوتهم زادت معها مطالبتهم بزيادة الأموال من الخليفة , على الرغم من إفلاس الخزينة إلا أنهم أرغموا الخليفة على زيادة رواتبهم الشهرية , من ثمانية وعشرين ألف دينار , إلى أربعمائة ألف دينار[7] ,

---

(1) ناصر الدولة بن حمدان : هو ناصر الدين الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن عبد الله أبي الهيجاء بن حمدان بن حمدون التغلبي , من اسرة الحمدانيين حكام حلب , اعلن تمرده على الخلافة في عهد الخليفة المستنصر , قتل سنة 465هـ/ 1071م ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 309 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص273 ؛ العزام , الدولة الفاطمية , ص 106 . العزام , أضواء , ص 28 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 267 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 273 .

(5) المصدر نفسه , ج2 , ص 273 .

(6) المقريزي , اتعاظ, ج2 , ص 276 .

(7) أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 398-399 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 145 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 275 .

فأجبروه على بيع دخائر قصور الخلافة لدفع أرزاقهم[1] , وبلغ حجم ما أنفق على الأتراك خلال خمسة عشر شهرا ثلاثين ألف ألف دينار , أخِذت غلبة وقهراً بغير أستحقاق[2] , ونهب قادة الجند الأتراك خزائن قصور الخلافة , فبلغ قيمة ما أخرج من خزائن القصور من السيوف والتحف والثياب والفرش والكتب والجوهر وغيرها ما يزيد عن عشرين ألف ألف دينار[3] .

وأخذ تمرد أبن حمدان بعداً خطيراً , فقد عزم على خلع الخليفة المستنصر بالله على إثر محاولة الخليفة قتله[4] , وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي (422-467هـ/1031-1075م) , وقطع الخطبة عن الخلافة الفاطمية من المناطق التي تحت نفوذه وهي الإسكندرية , ودمياط وجميع الوجه البحري , مما دفع الخليفة إلى إرسال ثلاث حملات كبيرة لقتاله , فكانت الغلبة لصالح ناصر الدولة , وقوي شأنه , وامتلأت أيدي أصحابة بما غنموه , فقطع الأرزاق عن القاهرة ومصر ونهبت أكثر الوجه البحري , فإزداد الغلاء والجوع[5] .

وبالغ أبن حمدان في إذلال الخليفة المستنصر بعد أن فشلت محاولات الخليفة من القضاء عليه , فأصاب مصر شدة , حتى وصف المؤرخون أن الخليفة المستنصر بالله لم يبقى لديه سوى ثلاثة خدم[6] , حيث أرسل ناصر الدولة رسولا إلى الخليفة المستنصر يطلب منه الأموال , فرأى الرسول الخليفة جالساً على حصير , وليس حوله سوى ثلاث من الخدم , فلما أدى الرسول الرسالة أجابه الخليفة قائلا : إلا يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير , فبكى الرسول وعاد إلى ناصر الدولة وأخبره , فأجرى ناصر الدولة للخليفة كل يوم مائة دينار[7] .

ودخل ناصر الدولة سنة 465هـ/ 1071م القاهرة , وبالغ في إهانه الخليفة وفرق عنه أهله وعامة أصحابه, فقبض على أم المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار ,

---

(1) أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 399 ؛ المقريزي , اتعاظ , 2 , ص 275 .
(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 277 .
(3) المصدر نفسه , ج2 , 283 .
(4) العزام , الدولة الفاطمية , ص 113 .
(5) أبن ميسر , المنتقى , ص 36 .
(6) أبن ميسر , المنتقى , ص 38 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 400 .
(7) أبن ميسر , المنتقى, ص 38 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج28 , ص 400 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 148 .

وتفرق عن الخليفة المستنصر أولاده, والكثير من أهله إلى المغرب , فكان ناصر الدولة يختار من أصحاب الخليفة ويوكل له عملاً من أعمال مصر , ويسيره اليها , فعندما يصل لا يمكنه العمل , ولا يسمح له بالرجوع , ثم أخذ بإقامة الخطبة للعباسيين بدل من الفاطميين , لكن سرعان ما وقعت الفتنة بين الأتراك أنفسهم , فأحد قادة الأتراك يدعى الدكز أنشق عن ناصر الدولة ونجح في قتله[1] .

بعد مقتل ابن حمدان ضيق الدكز والأتراك وبلدكوز[2] على الخليفة المستنصر بالله , الأمر الذي دفع الخليفة إلى مكاتبة أمير الجيوش بدر الجمالي سنة 466هـ/1073م في الشام وطلب منه القدوم إلى مصر , للقضاء على الفتن وتمرد الجند , فأجابه على ذلك , وأشترط عليه أستخدام عساكره والقبض على بلدكوز , فأجابه الخليفة إلى ذلك , فقدم الأمير بدر الجمالي إلى القاهرة , وخلع عليه الخليفة الوزارة , وفوضه إدارة شؤون مصر , فباشر بالقضاء على رؤوس الفتنه , وأخذ في القبض على الأتراك ، فأقام له جنداً وعسكراً من الأرمن , فقويت شوكته وأشتدت وطأته وعظم أمره , فسار إلى الوجه البحري وأخضع قبائل لواته , ثم سار إلى دمياط فقتل المفسدين , وبعدها سار إلى الصعيد وأخضع قبائل الجهينين وقضى على فلول السودان , وأعاد للبلاد وحدتها , وبتولي أمير الجيوش بدر الجمالي الوزارة أصبحت وزارة تفويض , فكان هذه بداية عصر جديد من تاريخ الخلافة الفاطمية في مصر , عصر تحكم فيه الوزراء أرباب السيوف , وصار وزير السيف هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد , وإليه الحكم في الكافة من الأمراء والأجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية , فهو الذي يولي أرباب المناصب الدنيوية والدينية [3] وأدت هذه الثورات وغيرها إلى ضعف الخلافة الفاطمية وإفلاس خزينة الدولة .

وبعد وفاة الخليفة المستنصر بالله سنة 487هـ/ 1094م حدث صراع على السلطة في الدولة الفاطمية , فالوزير الأفضل بن بدر الجمالي بايع الخليفة المستعلي بالله , وبعث إلى أولاد المستنصر لمبايعة الخليفة الجديد , إلا أن نزار بن المستنصر بالله رفض ذلك , لأنه كان أكبر سنا , ويرى أنه أحق بالخلافة من المستعلي , وأن أباه أوصى له بالخلافة , فمضى إلى الإسكندرية , وقد بايعه أفتكين التركي أحد مماليك أمير الجيوش على ولاية الإسكندرية ثم بايعه أهل الإسكندرية والقضاة هناك ,

---

(1) أبن ميسر , المنتقى , ص 38-39 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 400- 401 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 148 .

(2) بلدكوز : هو أحد قادة الجند التركي الذين شاركوا في قتل ناصر الدولة بن حمدان وضيقوا على الخليفة المستنصر بالله , سجنه الخليفة بعد قدوم بدر الجمالي إلى مصر سنة 466هـ/1073م . المقريزي , اتعاظ , ج3 , 311.

(3) أبن ميسر , المنتقى ' ص 39-40 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 ,ص 401 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 150-151 . المقريزي , الخطط , ج2 , ص 233 . المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 311-313 . العزام . الدولة الفاطمية , ص 125 . سيد , الدولة الفاطمية , ص 210-214 .

لذلك عمل الوزير الأفضل على تجهيز الجند لقتاله , فسار في سنة 488هـ / 1095م من القاهرة إلى الإسكندرية , لمحاربة نزار وأفتكين , فخرجوا إليه بجيش كبير وحارباه , فأنتصر نزار ورجع الأفضل إلى القاهرة , ونهب نزار بمن معه من العرب أكثر بلاد الوجه البحري[1] .

ثم شرع الوزير الأفضل بتجهيز حملة أخرى , وراسل أنصار نزار ووعدهم بالإقطاعات والأموال الكبيرة , لأستمالتهم إلى جانبة , فنجح في ذلك , الأمر الذي أدى إلى هزيمة نزار وأخذ أسيراً إلى القاهرة , وسجن إلى أن مات[2] .

وفي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله , ورد من المغرب إلى الإسكندرية سنة 517هـ/ 1123م طائفة من لواته فأفسدوا في أعمالها , فسير الوزير المأمون البطائحي قوات لقتالهم فكسرهم , وقتل الكثير منهم , وأستولى على أموالهم وخيولهم[3] .

وخلال خلافة الحافظ لدين الله وقعت الكثير من الفتن في الدولة , ففي سنة 522هـ/ 1133م وقعت حرب بين الخليفة الحافظ لدين الله وأبنه الحسن , لأن الخليفة جعل أبنه حيدره ولياً للعهد , فلم يرضِ الحسن بذلك , فوقعت الحرب بينهما , فضيق الحسن على أبيه , فأصدر الخليفة منشوراً بعزل حيدره وتعيين حسن ولياً للعهد من بعده , وتمكن حسن من الدولة والتصرف فيها حسب رأيه , ولم يبق للحافظ حكم معه , وكانت نتيجة الحرب هو قتل نحو عشرة آلاف من كلا الطرفين[4] .

ولما أستقر الأمر في ولاية العهد والوزارة للحسن , استبد بالأمر فقبض على جماعة من الأمراء وقتلهم , فخافه الباقون , وأجتمعوا سنة 529هـ/ 1135م على خلع أبيه من الخلافة , وولده الحسن من الوزارة , فأرسلوا إلى الخليفة فأعلموه بما اجتمعوا عليه فأستعطفهم الحافظ وأعتذر اليهم , وهرب إليه حسن , فقبض عليه وقتله[5] , وأن مثل هذه المؤامرات كانت تكلف الدولة الخسارة في العسكر والأموال .

كما تمرد على الخليفة الحافظ لدين الله سنة 534هـ/1129م أحد أمراء الدولة يدعى رضوان بن ولخشي , فجهز الخليفة جيشاً بلغ تعداده خمسة عشر ألفاً من العساكر لقمع هذه التمرد , فوقع رضوان أسيراً بيد جند الخلافة , وأنفق على هذه الحملة الأموال الكثيرة[6] .

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 11-14 .

(2) المقريزي , اتعاظ, ج3 , ص 14 .

(3) أبن ميسر , المنتقى , ص 93 .

(4) أبن ميسر , المنتقى, 119-120 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 149 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 195 .

(5) أبن ميسر , المنتقى , ص 121-122 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 195 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 153 .

(6) ابن ميسر , المنتقى , ص 123؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 173.

ثم خرج على الخليفة الحافظ لدين الله سنة 541هـ/1146م أمير من المماليك يعرف بختيار يطلب الوزارة بأرض الصعيد , وسير الخليفة إليه العسكر وتمكن من قتله وهزيمته[1] .

كما وجه الخليفة سنة 542هـ/1147م حملة للقضاء على التمرد الذي قام به رضوان بن ولخشي بعد هروبه من السجن , فأنفق على هذه الحملة عشرون ألف دينار[2] .

ثم ثارت قبيلة لواتة المغربية على الخليفة الحافظ لدين الله سنة 543هـ/ 1148م على إثر مناصرتهم لرجل قدم من المغرب أدعى أنه أبن نزار بن المستنصر بالله فوجه اليهم حملة للقضاء على تمردهم , إلا أن عسكر الخلافة انهزم في المعركة , ثم سير الخليفة الحافظ حملة ثانية , ودس الأموال لمقدمي لواتة ووعدهم بالإقطاعات ليتخلوا عن مناصرة أبن نزار , وفعلا كسب ولاءهم وأنقلبوا على أبن نزار وقتلوه وبعثوا رأسه إلى الخليفة الحافظ لدين الله[3] .

أما في عهد الخليفة العاضد لدين الله , أستفحل الصراع على السلطة بين كبار رجال الدولة , في الوقت الذي كانت فيه الدولة الفاطمية تتعرض للخطر الإفرنجي , بحيث أصبحت الكوارث الداخلية داخل الدولة الفاطمية تشغلها عن مواجهة الخطر الإفرنجي , الذي كان يتربص بها ويريد الأنقضاض عليها , فبعد مقتل الوزير الصالح طلائع , خلفه في منصب الوزارة أبنه الملك العادل سنة 556هـ/ 1161م , أوصاه أبوه قبل أن يموت بأن لا يعزل شاور , ولا يغير عليه حتى لا يخرج عليه ويتمكن منه , وأنه قد ندم في حياته على ثلاثة , أحدها تولية شاور الصعيد , والثاني بناء الجامع بباب زويلة , والثالث هو خروجه إلى بلبيس[4] وتأخره في قتال الإفرنج , و قد أنفق على هذه العساكر مائتي ألف دينار[5] .

---

(1) أبن ميسر , المنتقى , ص 137 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 181 .

(2) أبن ميسر , المنتقى , ص 138 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 183 .

(3) أبن ميسر , المنتقى , ص 139 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 186 .

(4) بلبيس : هي مدينة جليلة بين الشرق والشمال من مصر , بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام ؛ابن خرذدابة , المسالك والممالك , ص 220 ؛ البكري , أبو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد , (ت487هـ/ 1094م) , المسالك والممالك , دار الغرب الاسلامي , بيروت , 1992 م , ج2 , ص 621 . وسيشار له لاحقا : البكري , المسالك والممالك ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص 479 .

(5) أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج2 , ص 439-440 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 254 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 216 ؛ ماجد , ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها في مصر , ط4 , دار الفكر العربي , القاهرة , 1994 , ص 361 ؛ العزام , أضواء , ص 29 .

لكن عندما أستقرت الأمور للعادل في الوزارة , أشار عليه المقربون منه بعزل شاور عن ولاية قوص , فذكرهم بوصية أبيه , إلا أنهم أصروا على ذلك , فكتب العادل إلى شاور يستدعيه إلى القاهرة , فرفض الأخير ذلك وذكره بوصية والده , وأنه أحق بولاية قوص منهم , فأحضر العادل أحد اقاربه يدعى نصير الدولة وخلع عليه وسلمه قرار العزل , ألا أن شاور رفض تسليم قوص, فرجع نصير الدولة إلى القاهرة , وأعلن شاور العصيان أواخر سنة 557هـ/1162م[1] .

وجهز الجند في 558هـ/1162م لقتال العادل وحشد إلى جانبه عدد من القبائل والجند , وتوجه نحو القاهرة , وأنفق الأموال الكثيرة على هذه الحملة , فدخل شاور القاهرة بعد هزيمة العادل وأسره وسجنه , وتقلد الوزارة وتلقب بأمير الجيوش , وصادر أموال بني رزيك , فبلغت الأموال المصادرة نيف وخمسمائة ألف دينار , سوى الكراع والسلاح , فأنفق هذه الأموال على العربان الذين ساندوه , حتى أنه كال لهم الدنانير والدراهم كيلاً[2] .

لما أستقر الأمر لشاور في الوزارة ساءت سيرته بين الأمراء فأرادوا الخروج عليه واخراج العادل من السجن وإعاده للوزارة , لذلك لجأ أبن شاور الى قتل العادل دون علم والده , فغضب الأمراء فخرجوا عليه , هرب شاور إلى الشام وتولى ضرغام [3] الوزارة ولقبه الخليفة العاضد بالملك المنصور[4] .

وبعد فرار شاور إلى الشام أستنجد بالسلطان نور الدين زنكي[5], فتعهد لنور الدين إن أعاده إلى منصبه والقضاء على ضرغام , يدفع له ثلث خراج مصر , وإقطاعات للعسكر , ووعده بإقامة جند الشام بمصر , وأن يكون تابعا له[6] .

---

(1) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 217 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 256 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج2 , ص 443 .

(2) أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج2 , ص 444 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 259 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 217 .

(3) ضرغام : هو أحد الأمراء الذين ثاروا على شاور بعد أن قتل العادل بن ارزيك , فتقلد الوزارة سنة 558هـ/1162م ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 460 .

(4) أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 460 النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 216 .

(5) نور الدين : هو أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي الملقب بالملك العادل نور الدين , مؤسس الدولة الأتابكية في الشام (541-569هـ/ 1146-1174م) , تملك حلب والموصل وحماة وبعلبك ودمشق , كان حسن السير , خطب له بالحرمين , وكسر شوكة الإفرنج في الشام ؛ الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج15 , ص 233-234 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج5 , ص 184 ؛ أبن الأثير , التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل , تحقيق : عبد القادر أحمد , دار الكتب الحديثة , القاهرة , 1963م , ص 161 .وسيشار له لاحقا : أبن الأثير , الباهر .

(6) أبن الأثير , الباهر , ص 120 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 465 ؛ أبن واصل , محمد بن سالم بن نصر الله , (ت 697هـ/1298م) , مفرج الكروب في أخبار بني ايوب , تحقيق : جمال الدين الشيال , المطبعة الاميرية , القاهرة , 1957م , ج1 , ص 138 . وسيشار له لاحقا : أبن واصل , مفرج الكروب ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 264 ؛ المقريزي , الخطط , ج1 , ص 932 .

وافق السلطان نور الدين زنكي على نجدة شاور بعد تردد كبير خوفاً من مهاجمة الإفرنج لعسكره , فسير العساكر بقيادة أسد الدين شيركوه[1] إلى مصر سنة 559هـ/1164م فوصل الجيش إلى بلبيس , وخرج إليهم ناصر الدين أخو ضرغام بعسكر المصريين فأنهزم ناصر الدين وعاد إلى القاهرة , فوصل أسد الدين إلى القاهرة وقتل ضرغام وأعاد شاور إلى الوزارة للمرة الثانية[2] , ولجوء شاور إلى الاستعانة بأعداء الدولة الفاطمية هي مؤشر لنهاية الدولة , فقد كشفت هذه المؤامرات حجم ضعف الخلافة الفاطمية .

وعندما أستقرت الأمور لشاور بدأ بالتضييق على أسد الدين شيركوه ونقض وعده للسلطان نور الدين زنكي , فأرسل أسد الدين إلى نور الدين ليعلمه ما يخطط له شاور , فاجابه نور الدين بالإنسحاب من مصر , فأمتنع عن ذلك , فما كان من شاور إلا أن تحالف مع الإفرنج ضذ شيركوه , ودفع لهم أربعمائة ألف دينار , وفعلا قدم الإفرنج إلى مصر وأنضموا لشاور ونازلوا أسد الدين شيركوه في بلبيس لمدة ثلاثة أشهر , وفعلاً أجبر على الأنسحاب من مصر , وبذلك دخل شاور إلى القاهرة , وأستمر في مصر من غير منازع حتى سنة 564هـ/ 1168م[3].

إلا أن سياسة شاور وتحالفاته أثقلت كاهن الدولة من الناحية السياسية والمالية , فيذكر المقريزي " وكانت وزارة شاور هذه كثيرة الوقائع والنوازل فإنه أطمع الغز والإفرنج في البلاد وجرهم إليها "[4] .

وتعرضت مصر سنة 564هـ/ 1168م للغزو الإفرنجي , حيث كان الغزو مرتباً قبل ذلك الحين , حيث أنهم لما توجهوا سنة 562هـ/ 1168م إلى القاهرة لنجدة شاور من أسد الدين شيركوه , تركوا جماعة من أبطالهم وشجعانهم بحجه حمايتها من أي خطر يأتي إليها من الشام , فلما رأوا خلوا مصر من الأجناد راسلوا ملكهم وأستدعوه لأمتلاك مصر , إلا أنه في البداية رفض ذلك خوفاً من أن يسلم المصريون البلاد إلى نور الدين , ويجعل فيها أسد الدين فهو هلاك للإفرنج , كذلك إن الأموال التي تحمل إليهم تساعدهم على قتال نور الدين , فألحوا عليه وأقنعوه بذلك , فجهز الإفرنج حمله وساروا حتى وصلوا مدينة بلبيس فملكوها عنوة , وقتلوا الكثير من أهلها , وعاثوا فيها ,

---

(1) اسد الدين : هو الحارث شيركوه بن شاوي بن مروان الملقب باسد الدين , عم السلطان صلاح الدين , سير على رأس جند الشام إلى مصر سنة 559هـ/1164م , وتقلد الوزارة بمصر خلال عهد الخليفة العاضد سنة 564هـ/ 1168م , وتوفي في نفس السنة وكانت مدة وزارته شهران وخمسة أيام ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج2 , ص 479-480 .

(2) أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 466 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 219 -220 ؛ أبو شامة , الروضتين , ج1 , ص 403-408 ؛ أبو واصل , مفرج الكروب , ج1 , ص 139 .

(3) المقريزي , اتعاظ , ج9 , ص 466 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 220 ؛ أبو شامة , الروضتين , ج1 , ص 408 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 272 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 301 .

ثم توجهوا صوب القاهرة وحاصروها , فخاف الناس ان يحل بهم ما حل بأهل بلبيس , فاستعدوا للقتال , فلما قرب الإفرنج من القاهرة أمر شاور بنهب الفسطاط وإحراقها , وأمر أهلها بالأنتقال إلى القاهرة , فأحرقت الفسطاط حتى لا يتسنى للإفرنج الأستيلاء عليها , فكان من بين ما حرق الأسطول الفاطمي , حيث بعث شاور إلى الفسطاط عشرين ألف قارورة نفط , وعشرة آلاف مشعل نار , حيث استمر الحريق أربعة وخمسين يوماً[1] .

وكلف حريق الفسطاط الخلافة أموالاً كثيرة لا يمكن أحصائها , بالإضافة إلى توغل الإفرنج داخل مصر , ومن المعروف بأن الإفرنج ليس لهم أمان , فلو تحالف شاور مع نور الدين كان ذلك يصب في مصلحة الأمة , بينما نرى تحالفه مع الإفرنج أفقد الدولة هيبتها , وأن جنود الإفرنج الذين أستعان بهم شاور هم من ساهموا في تعرض مصر للأحتلال الإفرنجي .

وعندما أحس شاور بحرج موقفه وعجزه عن مقاومة الإفرنج لجأ مرة أخرى إلى مراسلتهم والتأكيد عليهم بخطورة السلطان نور الدين زنكي أن سلمت مصر له , وطلب عقد صلح يدفع بمقتضاها لهم ألف ألف دينار , يعجل مائة ألف دينار , فرأى الإفرنج أن المصلحة قبول ذلك حتى لا يتدارك نور الدين البلاد ويأخذها[2] .

ولم يكن من شاور في طلب الصلح إلا المماطلة وكسب الوقت حتى لا يدخل الإفرنج إلى القاهرة , فكتب الخليفة العاضد ووزيره شاور الكتب إلى نور الدين زنكي , يستنجدونه من الغزو الإفرنجي , ووعدوه بثلث خراج مصر , فسير إلى مصر حملة , وأوكل قيادتها إلى أسد الدين شيركوه , وأمده بمائتي ألف دينار , بالإضافة إلى الأسلحة والثياب , وأذن له أن يختار ألف فارس ,

---

(1) أبن واصل , مفرج الكروب , ج1 , ص 156-157 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 223-224 ؛ أبو شامة , الروضتين , ج2 , ص 46-47 ؛ المقريزي , الخطط , ج1 , ص 934 و ج3 , ص 17 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص291 .

(2) أبو شامة , الروضتين , ج2 , ص 48 ؛ أبو واصل , مفرج الكروب ,ج1 , ص 158 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 224 ؛ابن الأثير , الكامل , ج10 , ص 13 .

فأجرى العطاء على الجنود المشاركين في الحملة لكل مشارك منهم عشرون ديناراً غير الرواتب , فسار أسد الدين إلى مصر بستة آلاف فارس , فلما وصل الخبر إلى الإفرنج بقدوم أسد الدين صوب القاهرة أنسحبوا إلى فلسطين , وبذلك دخل أسد الدين إلى القاهرة وخلع عليه العاضد الخلع[1] .

بعد أنسحاب الإفرنج من مصر أخذ شاور بالمماطلة عن دفع استحقاقات الجند الشامي , وأخذ بحياكة المؤامرات لقتل أسد الدين , إلا أن محاولته كشفت , فأمر الخليفة العاضد بقتل شاور وتقليد أسد الدين الوزارة , ولقبه بأمير الجيوش الملك المنصور564هـ/ 1168م [2] .

نفقات التوسع الفاطمي في الشام وقمع الثورات الداخلية :

دعت الضرورة السياسية والعسكرية بعد الفتح الفاطمي لمصر , التوجه صوب بلاد الشام , التي تعد خط الدفاع الأول عن مصر, ولوقوعها على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب , فضلا عما تمثله الشام من طريق مباشر إلى إسقاط بغداد حاضرة الخلافة العباسية[3].

سير القائد جوهر الصقلي حملة كبيرة بلغت عشرين ألف فارس إلى الشام سنة 358هـ/968م , بعد ان أستقرت له أمور مصر وعهد بقيادة هذه الحملة إلى جعفر بن فلاح , حيث كان على الشام الحسين بن عبدالله الإخشيدي[4] , فلما بلغ جعفر الرملة[5] , أصطدم مع الحسين فغلبه , فوقع الحسين أسيراً , مع عدد من قادته فسيرهم جعفر إلى مصر , ثم سار جعفر إلى طبرية وملكها دون قتال , فلما وصلت الأخبار إلى أهل دمشق نبأ أستيلاء جعفر على طبرية ,

---

(1) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 224-226 ؛ أبو شامة , الروضتين , ج2 , ص 49-50 ؛ أبن واصل , مفرج الكروب , ج2 , ص 158-163 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج10 , ص 13-15 .

(2) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 224-226 ؛ أبو شامة , الروضتين , ج2 , ص 49-50 ؛ أبن واصل , مفرج الكروب , ج2 , ص 158-163 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج10 , ص 13-15 .

(3) العزام , أضواء , ص 30 . سرور , النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس للهجري , دار الفكر العربي , القاهرة , 1957م , ص 17 . وسيشار له لاحقا : سرور , النفوذ الفاطمي ؛ الجواري , رياض حميد واخرون , جهود المعز لدين الله الفاطمي السياسية والعسكرية (341-365هـ/ 951-975م) , مجلة كلية الإسلامية الجامعة , العراق , مج3 , ع8 , 2009م , ص 26 . وسيشار له لاحقا : الجواري , جهود المعز ؛ الجالودي , قواعد الحكم في سلطة آل سلجوق من خلال كتاب سياست نامة للوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي , المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية , عمان , مج5 , ع1 , 2009م , ص 221 . وسيشار له لاحقا : الجالودي , قواعد الحكم .

(4) الحسين بن عبدالله : هو أبو محمد الحسين بن عبدالله بن طغج الاخشيد , أمير الرملة , قبض عليه الوزير جعفر بن فلاح عند فتح الشام سنة 358هـ/ 968م فسير إلى مصر فاكرم وأحسن إليه ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج1 , ص 376 .

(5) الرملة : هي مدينة عظيمة بفلسطين , كانت قصبتها قد خربت ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 69 .

خشوا على أنفسهم فسار وفداً من مشايخ أهلها إلى طبرية للتفاوض مع جعفر بن فلاح لطلب الأمان , فلقوا جعفراً وعادوا إلى دمشق وهم غير شاكرين من سوء المعاملة , حتى أستوحش أهل دمشق من الفاطميين , ودارت الحرب بين الجانبين أنتهت بدخول الجيش الفاطمي دمشق في أواخر سنة 359هـ/ 969م , فأقام جعفر بن فلاح الخطبة للخلافة الفاطمية[1] , ولم تذكر المصادر حجم الأموال التي تم أنفقتها الخلافة على هذه الحملة .

بعد أن تمكن الفاطميون من بسط نفوذهم على معظم الشام ظنوا أن الأمور قد أستقرت لهم فيها , إلا أنهم سرعان ما واجهوا العديد من الحركات المناهضة لنفوذهم , بسبب التصرفات التي قام بها العسكر الفاطمي من نهب وقتل وانتهاك الاعراض , فعاثوا في البلاد فسادا , فضلا عن الصراع المذهبي الرافض للوجود الفاطمي , وقاموا بالكثير من الثورات المناهضة لهم , كما تعرضت بلاد الشام خلال تلك الفترة للغزو من قبل القرامطة بزعامة الحسن بن أحمد القرمطي[2] , فقد كلفت تلك الحروب الخلافة نفقات كثيرة[3] .

فقد شن القرامطة القادمين من البحرين هجوماً عنيفاً سنة 360هـ/ 968م على بلاد الشام[4] لإنقطاع الأموال التي كانت تصلهم من الإخشيديين والبالغة ثلاثمائة ألف دينار , وتمكنوا من هزيمة الجيش الفاطمي في دمشق , وقتل جعفر بن فلاح , ثم ساروا إلى الرملة وأستولوا عليها , وبذلك أصبحت معظم بلاد الشام تحت حكم القرامطة , أما ما تبقى من الجيش الفاطمي فقد تحصن في يافا[5] , محاصرا من قبل القرامطة[6] .

---

(1) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 310 -311 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 84 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 123-124 ؛ المقريزي , المنتقى , ج3 , ص 50-52 , أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 61 .

(2) الحسن بن أحمد : هو الحسن بن أحمد بن أبي سعد الجنابي القرمطي , أصله فارسي , ولد في الأحساء سنة 287هـ/ 911م ملك اغلب الشام سنة 357هـ/ 967م , ثم عاد إلى الأحساء , ثم خرج إلى الشام سنة 360هـ/ 970م بعد ان قتل قائد الجيش الفاطمي جعفر بن فلاح , ثم توجه إلى القاهرة ولم يتمكن منها , توفي سنة 366هـ/976م ؛ أبن عساكر , تاريخ دمشق , ج13 , 7 .

(3) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 311 ؛ المقريزي , المقفى , ج3 , ص 53 ؛ العزام , بلاد الشام , ص 32 .

(4) البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند , بين البصرة وعمان , وتمتد على مسافة شهر على الخليج العربي؛ ياقوت الحموي, معجم البلدان , ج1 , ص 347 ؛ أبن خلدون . العبر , ج4 , ص 92 .

(5) يافا : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين , تقع بين قيسارية وعكا ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج5 , ص 426 .

(6) الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 146 ؛ الدواداري , الدرر المضيئة , ص 134 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 1-6 ؛ أبن عساكر , تاريخ دمشق , ج13 , ص 6 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 326 ؛ المقريزي , المقفى , ج3 , ص 57 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 188-189 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 84-85 .

لذلك سارعت الخلافة الفاطمية إلى إرسال أسطول لنجدة الجيش الفاطمي في يافا , وبلغت عدد قطع الأسطول خمسة عشر مركباً , مجهزاً بالسلاح والرجال , غير أن القرامطة تصدوا لهذا الأسطول ودمروه بأستثناء مركبين غنمتهما مراكب الروم[1] . وقد كلف الحملة الخلافة أموالاً كثيرة .

ثم سير القرامطة أسطولاً للسيطرة على مصر فوصل تنيس , إلا أن الأسطول الفاطمي تمكن من إلحاق الهزيمة به[2] .

وحاول القرامطة تجديد حملتهم إلى مصر لانتزاعها من الخلافة الفاطمية , فقد وجهوا حملة سنة 363هـ/ 973م إلى مصر متحالفين مع بعض القبائل العربية مثل بني الجراح في فلسطين بزعامة حسان بن الجراح الطائي[3] , أمير العرب بالشام , فلما وجد الخليفة المعز لدين الله صعوبة التصدي للجيش القرمطي , شاور أهل الرأي فأجابوه إلى تفريق صفوفهم , فراسل الخليفة المعز لدين الله حسان بن الجراح , وبذل له من الأموال مائة ألف دينار , لقاء تخليه عن القرامطة , فأجابه إلى ذلك , ومني القرامطة بهزيمة كبرى , وعادوا إلى البحرين , بينما أستطاع الفاطميون أستعادة نفوذهم في بلاد الشام[4] .

بعد وفاة الخليفة المعز لدين الله سنة 365هـ/ 976 م انشغل ابنه الخليفة العزيز بالله بتوطيد حكمه , في الوقت الذي كان فيه والي دمشق أفتكين التركي يوطد نفوذه في الشام وتمرد على الخلافة الفاطمية , فكتب إليه الخليفة العزيز بالله طالبا منه العودة إلى طاعة الخلافة , إلا أن أفتكين رفض ذلك , وأجابه إن البلاد أخذتها بالسيف ولا أدين لأحد[5] .

---

(1) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 327 ؛ أبن أبي الهيجاء , الأمير عز الدين محمد , (ت 700هـ/ 1301م) , تاريج أبن أبي الهيجاء , تحقيق : صبحي عبد المنعم , ط1 , مطبعة رياض الصالحين , القاهرة , 1993م , ص 51-52 . وسيشار له لاحقا : أبن أبي الهجاء , تاريخه .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 188-189 ؛ العمايرة , الجيش الفاطمي , ص 198 .

(3) حسان بن الجراح : هو حسان بن علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي , أمير العرب في الشام , قدم إلى مصر مع عساكر القرامطة , إلا أنه تخلى عنهم بعد أن راسله المعز لدين الله , واغراه بالمال ؛ أبن أبي الهيجاء , تاريخه , ص 52 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 343 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 205 و 241 .

(4) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 5-7 ؛ الصنهاجي , أخبار ملوك بني عبيد , ص 90 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 343 -344 ؛ أبن أبي الهيجاء , تاريخه , ص 52 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 205 .

(5) الهمذاني , محمد بن عبدالملك بن إبراهيم , (ت521هـ/ 1127م) , تكملة تاريخ الطبري , تحقيق : البرت يوسف كنعان , ط1 , المطبعة الكاثوليكية , بيروت , 1958م , ص 225 . سيشار له لاحقا : الهمذاني , تكملة ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 29 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 96 .

لذلك عمل الخليفة العزيز بالله على تجهيز حملة عسكرية لقتال أفتكين التركي وأستعادة بلاد الشام , وبلغ عدد جند الحملة عشرين ألف مقاتل ما بين فارس وراجل , إلا أنه لم يظفر بشيء من أرض الشام , بسبب تحالف أفتكين مع القرامطة , وعاد الجيش إلى مصر بعد أن نفذت أمواله وخزائنه[1] .

ثم جهز الخليفة العزيز بالله سنة 368هـ/979م جيشاً آخر قوامه سبعون ألف مقاتل , وسار به إلى بلاد الشام بنفسه , وجعل جوهراً على مقدمة هذا الجيش , وأصطحب الخليفة معه الخزائن والذخائر والسلاح , وتوابيت آبائه , فلما سمع أفتكين بقدوم العزيز بالله إلى بلاد الشام توجه نحو الرملة لمواجهة الجيش الفاطمي , إلا أن الجيش الفاطمي أستطاع من الأيقاع بقواته وهزيمته , وبخاصة أن حلفاءه من آل جراح قد تخلوا عنه لمكاتبة الفاطميين لهم وإغداق الأموال عليهم , وسرعان ما نجح حسان بن الجراح زعيم الطائيين من أسر أفتكين التركي وتسليمه للخليفة العزيز بالله مقابل مائة ألف دينار , أما القرامطة فقد عقد الخليفة العزيز بالله صلحاً معهم على مبلغ قدره ثلاثون ألف دينار في السنة , إضافة إلى الثياب والخلع مقابل أنسحابهم من الشام وعودتهم إلى البحرين , وبذلك أصبحت بلاد الشام تحت حكم الفاطميين [2] .

ثم ثار على الخلافة الفاطمية منير الخادم[3] , والي دمشق سنة 381هـ/ 991م , وأخذ يكاتب الخلافة العباسية , فجهز الخليفة العزيز بالله حملة وأوكل قيادتها إلى القائد منجوتكين التركي , وسير معه خمسة عشر ألف مقاتل , فخلع عليه الخلع , وحمل إليه مائة ألف دينار , ومائة قطعة من الثياب الملونه على أيدي خمسة وعشرين غلاماً , وعشرة قباب بأغشية ,

---

(1) الهمذاني , تكملة التاريخ , ص 226 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 30-31 ؛ أبن أبي الهيجاء , تاريخه , ص 61 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 97 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 239-240 ؛ خرابشة , سليمان عبد , حركة أفتكين التركي ضد الحكم في بلاد الشام (364-368هـ/ 975-978م) , مؤتة للبحوث والدراسات والعلوم الإنسانية والأجتماعية , الأردن , مج14 , ع 3 , 1999م , ص 121 . وسيشار له لاحقا : خرابشة , حركة أفتكين .

(2) الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 181-182 ؛ الهمذاني , تكملة التاريخ , ص 226-227 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 34-35 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 96-97 .

(3) منير الخادم : هو منير الخادم الصقلي , غلام الوزير يعقوب بن كلس , ولي الشام سنة 378هـ/ 988م من قبل مصر , الا انه تمرد على الخلافة حتى عام 381هـ/ 991 واعتقل على يد منجوتكين , وسيره إلى القاهرة , وعفا عنه الخليفة العزيز ؛ أبن عساكر , تاريخ دمشق , ج60 , ص 382 .

وخمسين بنداً من الفروش , فإن مجمل ما أنفق على هذه الحملة ألف الف دينار , فإستطاع منجوكتين من هزمية منير الخادم , وقلده الخليفة ولاية دمشق[1] , ثم أخذ الخليفة بإرسال الأموال إلى منجوتكين التركي للسيطرة على حلب , فبلغت الأموال المرسلة إليه مائة وخمسين ألف دينار[2] .

غير أن منجوتكين التركي سرعان ما ساءت سيرته مع سكان دمشق , لذلك سير إليه الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 387هـ/997م حملة عسكرية وأوكل قيادتها إلى سلمان بن جعفر[3] , فبلغ تعداد هذه الحملة ثمانية آلاف مقاتل , بلغت تكاليف الحملة أربعمائة ألف دينار , وسبعمائة ألف درهم محملة على ثمانية وستين بغلاً , وستة وأربعين حملاً من السلاح , وعشرة جمازات عليها دروع , فلما بلغ منجوتكين خروج سلمان بن جعفر إلى الشام سار إلى الرملة لكي يستعد لقتاله , فألتقيا في رفح[4] , فإنهزم أصحاب منجوتكين , وتم القبض عليه[5] .

وشهدت بلاد الشام في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله تمرداً خطيراً من قبل حسان بن الجراح زعيم قبيلة طيء في فلسطين ما بين سنة 401-403هـ/1011-1013م , فنزل في الرملة وعاث في البلاد فساداً , فبعث إليه الخليفة الحاكم بأمر الله جيشا ضخماً فأضطر حسان إلى الهرب نحو دمشق وأحسن إلى أهلها , فأجتمعوا حوله , وسير الحاكم إليه جيشا آخر , فلقاه حسان في عسقلان , فانهزم الجيش الفاطمي ونهبت النواحي , وكثرت أتباع بني الجراح[6] .

---

(1) أبن ميسر , المنتقى , ص 170 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 69 ؛ أبن أبي الهيجاء , تاريخه , ص 72 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 269 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 87 .

(3) سليمان بن جعفر :هو أبو تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي , أبن جعفر بن فلاح الكتامي قائد الجند الذي فتح الشام , تولى أمر دمشق بعد أن استبد منجوتكين في الحكم سنة 387هـ/997م في عهد الخليفة الحاكم بامر الله ؛ الصفدي , تحفة ذوي الألباب فيما حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب , تحقيق : إحسان بنت سعيد زهير حمدان , دار إحياء التراث العربي , دمشق , 1992م , ص5 . وسيشار له لاحقا الصفدي , تحفة .

(4) رفح : هي مدينة تقع في طريق مصر بعد الداروم , بينها وبين عسقلان يومان للقاصد مصر , وتبعد عن غزة ثمانية عشر ميلا , المهلبي , المسالك والممالك , ص 93 ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 54 .

(5) أبن أبي الهيجاء , تاريخه , ص 74 ؛ الصفدي , تحفة , ص14 ؛ الأنطاكي , تاريخ الأنطاكي , ص 239 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 270 , ج2 , 8-11 ؛ العزام , أضواء , ص 30 .

(6) أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 72 .

وعمل حسان بن الجراح على مراسلة واستدعاء أمير مكة ابي الفتوح ابن جعفر الحسيني إلى فلسطين وبايعه بالخلافة , وأقيمت الخطبة له ولقب نفسه بالراشد بالله , وقطع خطبة الخليفة الحكام بأمر الله , فلما وصل الخبر إلى الخليفة الحاكم بأمر الله نبأ خروج ابو الفتوح أمير مكة , ومبايعة بني الجراح له , بعث حملة عسكرية إلى الشام لقمع هذا التمرد , إلا أن الحملة منيت بالهزيمة , فعمد الخليفة الحاكم بأمر الله إلى إستخدام أساليب آبائه في كسب ولاء بني الجراح , فبذل لهم الأموال الضخمة , والأقمشة والجواري , فأعطى لكل واحد من وجهاء بني الجراح خمسين ألف دينار عيناً , وأستمالهم إلى جانبه , لذلك تخلوا عن أبي الفتوح وعادوا إلى حضن الخلافة الفاطمية , أما أبو الفتوح فقد بعث له الخليفة أمانا وأعاده إلى الأمارة في مكة سنة 403هـ/ 1013م , حيث كلف هذا التمرد الخلافة الفاطمية أموالاً طائلة , فاقت تكاليف تمرد ابي ركوة[1] , حيث يذكر أبن ظافر أنه لم ينفق بعد ذلك مثلما أنفق على عصيان آل جراح بدعمهم لأبي الفتوح[2] .

وفي عهد الخليفة المستنصر بالله شهدت الشام حركات عصيان وتمرد قام بها الأحداث[3] , الأمر الذي دعا الخليفة المستنصر بالله ان يولي بدر الجمالي الشام بأسره , فخرج بدر الجمالي اليها سنة 458هـ/ 1066م وسير إليه الأموال , فبلغت الأموال المسيرة إلى بدر الجمالي ألف ألف دينار , من أجل بسط الأمن في بلاد الشام[4] .

---

(1) أبن خلدون , العبر, ج3 , ص 550 , ج4 , ص 72-73 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 117-118 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص ص 95 ؛ العزام , أضواء , ص 30 . سرور , النفوذ الفاطمي , ص 46 .

(2) أبن ظافر , أخبار الدول , ص 48-50.

(3) الأحداث : في اللغة جمع حدث وهو الفتي السن , ورجل حدث اي شاب , وتطلق اصطلاحا على مؤسسة الأحداث التي ظهرت بشكل بارز في مدن الشام والجزء الأعلى من بلاد الرافدين . أبن منظور , لسان العرب , ج2 , ص 132-133 . العزام , بلاد الشام , ص 108 ؛ العزام , أضواء , ص 36 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 272 .

ثم سير الخليفة المستنصر بالله سنة 460هـ/ 1067م عسكراً من الأتراك إلى الرملة لبسط السيطرة عليها بعد أن قتل أميرها شهاب الدولة[1] , فأنفق الخليفة على هذه الحملة مبلغاً قدره ألف ألف دينار[2].

فقد سير أمير الجيش بدر الجمالي حملة عسكرية على صور سنة 486هـ/ 1093م عندما خرج نائب صور عن طاعته , فلم يتعرض للحملة , وفرض على أهلها ستين ألف دينار , فمن الطبيعي أن التجهيز لهذه الحملة كلف الخلافة الفاطمية أموالاً كثيرة[3] .

نفقات قتال الإفرنج والروم

أدى التنافس بين الفاطميين والسلاجقة على نشر نفوذهم في بلاد الشام إلى عدم أستقرار الأمور في هذه البلاد , ترتب على ذلك ضعف الجبهة الإسلامية أمام الغزو الإفرنجي , حيث سادت البلاد الإسلامية قبيل الغزو الإفرنجي أضطراب داخلي , ففي الشرق الخلافة العباسية التي تخضع لسيطرة السلاجقة , وفي مصر الخلافة الفاطمية , وأصبحت بلاد الشام يتجاذبها السلاجقة والفاطميون , أتاحت هذه الظروف الفرصة للإفرنج لكي يمتد توسعهم نحو بلاد الشام مستغلين من العداء والأنقسام بين مراكز القوى بين بغداد ومصر , إضافة إلى ذلك ترحيب الخلافة الفاطمية في بادئ الأمر بوجود الإفرنج وتمركزهم في البلاد , لكي يشكل سداً بينهم وبين السلاجقة , فعقدوا معهم معاهدات تنص باقتسام البلاد التي تخضع للسلاجقة , إلا أن موقف الخلافة الفاطمية سرعان ما تغير بعد نقض الإفرنج للمعاهدة بأستيلائهم على بيت المقدس[4].

---

(1) شهاب الدولة : هو دري بن عبدالله المستنصري , الملقب بشهاب الدولة , ولي إمرة دمشق في أيام الخليفة المستنصر بالله سنة 456هـ/ 1064م , وانصرف عنها في العام نفسه وولي الرملة إلى أن قتل سنة 460هـ/ 1067م ؛ أبن عساكر , تاريخ دمشق , ج7 , ص 243-244 ؛ الصفدي , الوافي بالوفيات , ج14 , ص 7 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 275

(3) أبن ميسر , المنتقى , ص 51 .

(4) العزام , أضواء , ص 30 ؛ المعاضيدي , خاشع , الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي , دار الحرية للطباعة , بغداد , 1976م , ص 111 . وسيشار له لاحقا : المعاضيدي , الحياة السياسية . ؛ الجالودي , الإقطاع العسكري في عصر السلاطين السلاجقة الكبار ودور نظام الملك الطوسي في نشأته وتطوره (429-486هـ/1037-1092م) , المجلة الاردنية للآثار والتاريخ , مج2 , ع1 , 2008م , ص 49 . وسيشار له لاحقا : الجالودي , الإقطاع العسكري ؛ الجالودي , قواعد الحكم , ص 221 .

عندما هاجم الإفرنج إنطاكية التي كانت تابعة للسلاجقة سنة 490هـ/1097م وحاصرها تسعة أشهر[1] , أثناء الحصار أرسلت الخلافة الفاطمية سفارة إلى الإفرنج المحاصرين لإنطاكية يحملون إليهم رجاءهم في أن يستمروا في حصارها , وأن الخلافة سوف تمدهم بالجند والذخيرة على أن يعقدوا معاهدة صلح بين الطرفين[2] . وتضمنت المعاهدة تقسيم أملاك السلاجقة بينهم , بحيث ينفرد الإفرنج بإنطاكية وما حولها من الشمال الشامي , بينما تكون القدس وما حولها من الجنوب الشامي نصيب الفاطميين , وأن الخلافة الفاطمية تتعهد بالسماح للإفرنج بزيارة الاماكن المقدسة في فلسطين , وأن تكون لهم الحرية الكاملة في أداء شعائرهم الدينية شرط أن لا تزيد فترة أقامتهم شهراً , وأن يدخلوها دون أسلحتهم[3] .

أراد الإفرنج الأستفادة من السفارة الفاطمية , فلم يظهروا نواياهم الحقيقية حتى لا يتحالف الفاطميون مع السلاجقة ضدهم , فأرسلوا سفارة ترافق السفارة الفاطمية عند عودتها إلى القاهرة مصطحبين معهم الهدايا النفيسة إلى الخليفة الفاطمي ووزيره الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي لأستكمال التحالف هناك[4] .

يبدو أن الفاطميين كانوا يعلقون آمالاً كبيرة على مهاجمة الإفرنج للقوات السلجوقية , لإعتقادهم أن أطماع الإفرنج سوف تتوقف عند أنطاكية , فتنفرد هي بالقدس , هذا ما أوضحه ابن الأثير عن سبب أرسال السفارة هو التعاون للقضاء على السلاجقة بعد أن أستحوذوا على أملاك الفاطميين في بلاد الشام فيقول " إن أصحاب مصر لما رأوا قوة الدولة السلجوقية ،

---

(1) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 220 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 13 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 150؛ أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 85.

(2) الصوري , وليم , الحروب الصليبية , ترجمة حسن حبشي , مؤسسة الاسراء , القاهرة , 1998م , ج1 , ص 305 . وسيشار له لاحقا : الصوري , الحروب الصليبية .

(3) جيل , ريمون , تاريخ الإفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس (منشورة ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية لسهيل زكار , دار الفكر , دمشق , 1993 م , ج6 , ص 256 . وسيشار له لاحقا : جيل , تاريخ الإفرنجة ؛ سرور , سياسة الفاطميين الخارجية , دار الفكر العربي , مصر , 1994م , ص 157 . وسيشار له لاحقا : سرور , سياسة الفاطميين ؛ المعاضيدي , الحالة السياسية , ص 120 . العوفي , محمد سالم بن شديد , الحركة الصليبية وأثرها على تطور العلاقات بين مصر والشام (490-554هـ/ 1096-1159م) , مجلة كلية العلوم الاجتماعية , جامعة الإمام محمد بن سعود , السعودية , ع4, 1984م , ص 19 . وسيشار له لاحقا : العوفي , الحركة الصليبية .

(4) الصوري , الحروب الصليبية , ج2 , ص 56 ؛ طاعة , أمجد حافظ حسين , العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبين في مصر وبلاد الشام (491-570هـ/ 1098-1173م) , رسالة ماجستير غير منشورة , غزة , 2012م , ص 98-99 . وسيشار له لاحقا : طاعة , العلاقات السياسية .

وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة ، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ، ودخول أقسيس[1] إلى مصر وحصرها , خافوا، وأرسلوا إلى الإفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين المسلمين "[2] .

سيطر الإفرنج على أنطاكية سنة 491هـ/1097م[3] , وبعد إحتلالها أظهر الإفرنج نواياهم وهي السيطرة على بلاد الشام , فالطريق لبيت المقدس قد أصبح مفتوحا أمامهم , باعتبار أن أنطاكية هي المفتاح لبلاد الشام , فلم يبق أمامهم سوى الأستمرار في الزحف للإستيلاء على بيت المقدس وباقي مدن الشام , فسارت جموع الإفرنج نحو بيت المقدس , فبدأوا بمهاجمة البارة[4] في ذى الحجة سنة 492هـ/1098م وحاصروها , فأخذها الإفرنج بالأمان بعد ان نفذت إمكانياتهم ومؤنهم , إلا أن الإفرنج لم يلتزموا بالأمان فأخذوا أموالهم وقتلوا أهلها[5] , ثم توجوا نحو معرة النعمان[6] فحاصروها عشرين يوماً , إلا أنهم تمكنوا منها وقتلوا ما يزيد عن مائة ألف من أهلها , وأقاموا بها اربعين يوماً[7] .

ثم سلك الإفرنج الطريق الداخلي لبلاد الشام للتوجه نحو بيت المقدس بدلا من الطريق الساحلي , لكي يتجنبوا المدن الساحلية الحصينة حتى لا تستنفذ قواتهم في مواجهة هذه المدن , مع الأقتراب بين الحين والآخر من السواحل للحصول على الإمدادات عن طريق البحر[8] , فمروا بمصياف[9] فعاهدهم أميرها , ثم توجهوا نحو بعرين[10] وأستولوا عليها , ثم توجهوا نحو حصن الأكراد[11] وأحكموا عليه الحصار حتى سقط بأيديهم في الثاني من ربيع الأول سنة 492هـ/1099م[12] .

---

(1) اقسيس : هو اسم يذكر عند الشاميين , فهو بالأصل اتسز بن اوق الخوارزمي التركي صاحب دمشق . ابن خلكان , وفيات الاعيان , ج1 , ص 295 ؛ ابن الاثير , الكامل , ج8 , ص 260.

(2) أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 13-14.

(3) المصدر نفسه , ج9 , ص 13 .

(4) البارة : هي بلدة وكورة من نواحي حلب . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج 1 , ص 320 .

(5) أبن العديم , زبدة حلب , ص 244 ؛ الشارتري , فوشيه , الاستيطان الصليبي في فلسطين , ترجمة قاسم عبده قاسم , ط1 , دار الشرق , مصر , 2001م , ص 128 . وسيشار له لاحقا : الشارتري , الاستيطان الصليبي .

(6) معرة النعمان : هي مدينة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج5 , ص 156 .

(7) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 22 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 16 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 164 ؛ الشارتري , الاستيطان الصليبي , ص 128 .

(8) عاشور , فايد حماد محمد , جهاد المسلمين في الحروب الصليبية , مؤسسة الرسالة , بيروت , 1981م , ص 108 . وسيشار له لاحقا : عاشور , جهاد المسلمين .

(9) مصياف : يقال له ايضا مصياب , وهو حصن مشهور في الساحل الشامي قرب طرابلس . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج5 , ص 144 .

(10) بعرين : بليد بين حمص والساحل . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص 452 .

(11) حصن الأكراد : هو حصن حصين منيع على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 264 .

(12) عاشور , سعيد عبد الفتاح , الحركة الصليبية , ط2 , مكتبة الأنجلوا , القاهرة , 1971م , 2ج , ج1 , ص 230 . عاشور , جهاد المسلمين , ص 108 ؛ طاعة , العلاقات السياسية , ص 110 .

ثم سار الإفرنج نحو عرقة[1] فحاصروها أربعة شهور , فلم يتمكنوا منها , فتوجهوا نحو حمص , فأخذوها صلحاً , كذلك ساروا نحو عكا , فلم يظفروا منها شيئاً[2] , ثم حاصروا جبلة[3] التي كانت خاضعة للنفوذ الفاطمي في مصر , فعرض واليها على الإفرنج ستة آلاف قطعة من الذهب إلى جانب الهدايا الثمينة وتقديم السلاح لهم والخيل لقاء رفع الحصار , فانتهى الحصار بعقد هدنة بين الطرفين [4] .

ثم سار الإفرنج نحو طرابلس في التاسع عشر من جماد الاخرى سنة 492هـ/1099م فعقدوا صلحاً مع أميرها مقابل تسليم ثلاثمائة من الأسرى كانوا محتجزين لديه , إضافة إلى خمسة عشر ألف قطعة ذهبية وخمسة عشر قطعة هدايا ثمينة , وتزويدهم بالأسلحة والخيل والأدلاء , وعرض عليهم ان يكون تابعا لهم وتحت تصرفهم في حالة هزيمة الجيش الفاطمي والسيطرة على مدينة القدس[5] .

سار الإفرنج من طرابلس متوجهين نحو بيروت , فعاهدهم واليها بتقديم المال والمؤن لقاء عدم التعرض للمحاصيل الزراعية والأشجار[6] , ومضوا في مسيرهم حتى وصلوا مدينة الرملة , فهاجموها في الحادي عشر من رجب سنة 492هـ/1099م واستولوا عليها , وبأمتلاك الرملة أصبح الطريق مهيئا للإفرنج نحو بيت المقدس[7] .

قبل أن يتوجه الإفرنج نحو بيت المقدس وصلت السفارة الفاطمية إليهم فعرضوا عليهم السماح لهم بالحج وزيارة الأماكن المقدسة في بيت المقدس على شكل مجموعات لا تتجاوز الثلاثمائة رجل شرط أن يدخلوها دون أسلحتهم , وأن تكون فترة إقامتهم شهراً ثم يعودوا إلى بلادهم , وإيقاف زحفهم باتجاه الجنوب الشامي[8] , إلا أن الإفرنج رفضوا عرض الخلافة الفاطمية , وأكدوا للسفارة الفاطمية بأنهم سوف يدخلون بيت المقدس بجيوشهم وأمتلاكها وليس عن طريق جماعات صغيرة , كذلك هددوا بأحتلال الخلافة الفاطمية بعقر دارهم والسيطرة على مصر[9] .

---

(1) عرقة : هي بلدة شرقي طرابلس بينهما أربعون فرسخاً , وهي من أعمال دمشق ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 109 .

(2) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 165 . المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 23 .

(3) جبلة : قلعه مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب , بالقرب من اللاذقية . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 105 .

(4) مجهول , يوميات صاحب أعمال الإفرنجة (منشورة ضمن الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية لسهيل زكار , دار الفكر , دمشق , 1995م , ج6) , ص 164 . وسيشار له لاحقا : مجهول , أعمال الإفرنجة ؛ الشاتري , تاريخ الحملة , ص 129؛ الصوري , الحروب الصليبية , ج2 , ص 51-52.

(5) جيل , تاريخ الإفرنجة , ص 257 ؛ مجهول أعمال الإفرنجة , ص 165 .

(6) الصوري , الحروب الصليبية , ج2 , ص63 .

(7) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 23 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 222 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 165؛ المعاضيدي , عاشور , جهاد المسلمين , ص 112 .

(8) جيل , تاريخ الإفرنجة , ص 256 ؛ مجهول , أعمال الإفرنجة , ص 163 ؛ الصوري , الحروب الصليبية , ج2 , ص 56-57 ؛ سليمان , العلاقات الخارجية , ص 502.

(9) الصوري , الحروب الصليبية , ج2 , ص 57 ؛ جيل , تاريخ الإفرنجة , ص 281 .

بعد أحتلال الرملة شق الإفرنج طريقهم نحو بيت المقدس في الرابع عشر من رجب سنة 492هـ/1099م فتمكنوا من الأستيلاء على قرية عمواس[1] , وفي تلك الأثناء جاءتهم رسل من نصارى بيت لحم[2] يستنجدونهم من الخلافة الفاطمية , فسارت حامية من الإفرنج نحو بيت لحم فأستقبلهم النصارى هناك[3] .

وفي الخامس عشر من رجب سنة 492هـ/1099م سير الإفرنج حملة عسكرية مكونة من أربعين ألفا من الفرسان والمشاة نحو بيت المقدس الخاضعة للسلطة الفاطمية في مصر , فحاصروها من جميع أتجاهاتها أربعين يوماً , بعد أن أتخذ حاكم بيت المقدس التحصينات اللازمة لمواجهة خطر الإفرنج , إلا أن الإفرنج تمكنوا من دخول المدينة في الثاني والعشرين من شعبان سنة 492هـ/1099م , فقتلوا ما يزيد عن سبعين ألفاً من المسلمين , ونهبو البلاد , فبلغ ما حصل عليه الإفرنج من بيت المقدس أربعين قنديلا من الفضة , زنة كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم , وأخذوا مائة وخمسين قنديلاً من الذهب , ومن الأموال ما لا يحصى عدده[4] .

ولما وصلت أنباء سقوط بيت المقدس في أيدي الإفرنج إلى الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي أصابه الأسف الشديد لتحالفه مع الإفرنج ضد السلاجقة , وفي ذلك يقول ابن ظافر " ولما ملك الإفرنج القدس ندم الأفضل حيث لم ينفعه الندم , لأنه كان أحب نزولهم الساحل ليكونوا مانعين من نفوذ الأتراك إلى ديار مصر "[5] .

وباحتلال بيت المقدس أيقن الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي نوايا الإفرنج بأنها لم تقف عند أنطاكية والأجزاء الشمالية من بلاد الشام , وإنما تعدت نواياهم إلى السيطرة على بلاد الشام كافة , ولم تتوقف عند ذلك بل وصلت بهم إلى التهديد باحتلال مصر , حيث اعتبر الأفضل احتلال بيت المقدس نقضاً للمعاهدة التي نصت على اقتسام أملاك السلاجقة في بلاد الشام .

---

(1) عمواس : هي كورة من فلسطين , على طريق بيت المقدس , تبعد عن الرملة ستة أميال . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 157 .

(2) بيت لحم : بلدة قريبة من بيت المقدس , تبعد عنه أربعة أميال . المهلبي , المسالك والممالك , ص 79 . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص 521 .

(3) الصوري , الحروب الصليبية , ج2 , ص 70 ؛ الشاتري , تاريخ الحملة , ص 130.

(4) أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 19 ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 222 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 165-166 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 161 ؛ الشارتري , تاريخ الحملة , ص 134-137 ؛ جيل , تاريخ الإفرنجة , ص 282-285 ؛ الصوري , الحروب الصليبية , ج2 , ص 94 .

(5) أبن ظافر , أخبار مصر , ص 92.

على إثر أحتلال الإفرنج لبيت المقدس , قام الأفضل بن بدر الجمالي بجمع الجيوش والعساكر لنجدتها , فجهز الحملة بالمال والسلاح وسار به نحو عسقلان , فراسل الإفرنج ينكر عليهم ما فعلوه ويتوعدهم , فما كان من الإفرنج إلا أن يسيروا خلف الرسل نحو عسقلان , فلم يكن الجيش الفاطمي على الاستعداد عندما باغته الإفرنج عند غرة[1], فتمكنوا من هزيمة الجيش الفاطمي , فقتلوا من قتلوا , ونهبوا وغنموا مافي العسكر من سلاح وأموال وخيول وغير ذلك , فتراجع الأفضل نحو عسقلان , فضايقه الإفرنج , ثم رجع بعدها نحو مصر , بقي الإفرنج محاصرين لعسقلان , إلا أن أهل عسقلان بذلوا للإفرنج عشرين ألف دينار مقابل رجوعهم لبيت المقدس فتم ذلك[2] .

ثم جهز الأفضل بن بدر الجمالي سنة 494هـ/1100م جيشا كثيفا لغزو الإفرنج , وأوكل قيادته إلى سعد الدولة[3] فسار إلى عسقلان فأقام بها شهرين , ثم التقى مع الإفرنج في ذي الحجة , وتقاتلا قتالا شديدا انتهت بهزيمة الإفرنج , وغنم الجيش الفاطمي الشيء الكثير وأسروا عدداً منهم[4] .

وكان رد الإفرنج على اثر الهزيمة التي مني بها من الجيش الفاطمي هو أحتلال يافا سنة 494هـ/1100م , فقتلوا أهلها , ثم توجهوا في نفس السنة نحو نحو حيفا[5] وملكوها عنوه , وملكوا أرسوف[6] بأمان وأخرجوا أهلها منها , ثم ملكوا مدينة سروج[7] , فقتلوا أهلها , وسبوا نساءهم ونهبوا أموالهم , فلم يسلم منهم إلا من هرب[8] .

---

(1) غرة : مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر , بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل , وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان ؛ المهلبي , المسالك والممالك , ص 102 .

(2) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 223 ؛ أبن طوير , نزهة , ص 3-5 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 21 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 166 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 24 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 149 .

(3) سعد الدولة : ذكر في بعض المصادر سعد الدولة الطواشي أو سعد الدولة القراسي , وهو احد مماليك بدر الجمالي , سيره الأفضل على رأس حملة لغزو الإفرنج سنة 494هـ/1100م إلى بلاد الشام , قتل عام 496هـ/ 1102م في أحد حملات الإفرنج ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 227 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 87 ؛ المقريزي , اتاعظ , ج3 , ص 32 .

(4) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 227 ؛ أبن خلدون , العبر , ج4 , ص 87 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 26 .

(5) حيفا: هي مدينة على ساحل بحر الشام , تقع بالقرب من عكا ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 ؛ ص 167.

(6) أرسوف : هي مدينة على ساحل بحر الشام ما بين قيسارية ويافا ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص 151 .

(7) سروج : هي بلدة قريبة من حران من ديار مضر ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 216 .

(8) أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 43 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 167 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 26 .

تجددت حملات الفاطميين نحو بلاد الشام , حيث جهز الأفضل عسكرا وأمده بالمال والسلاح سنة 495هـ/1101م بقيادة سعد الدولة , فالتقى مع عسكر الإفرنج في بيازور[1] وانتهى القتال بهزيمة سعد الدولة [2] , ثم أرسل الأفضل حملة أخرى سنة 496هـ/1102م بقيادة سعد الدولة لقتال الإفرنج في فلسطين , فكان اللقاء قرب تبنا[3], انتهت بهزيمة الجند الفاطمي ومقتل قائدها , فغم الإفرنج خيمته وغيرها من الأموال[4] , فلما بلغ ذلك للأفضل جرد في أول رمضان من العام نفسه عسكراً وقدم عليه ابنه شرف المعالي , فأجتمعت العساكر في يازور من بلاد الرملة , فخرج إليهم الإفرنج , وتمكن شرف المعالي من إلحاق هزيمة بالإفرنج , فنزل شرف المعالي على قصر بناه الإفرنج قريبا من الرملة فيه سبعمائة من الإفرنج , فاستطاع من إلحاق الهزيمة بهم , فقتل أربعمائة وسير ثلاثمائة إلى مصر[5] .

واصل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي جهوده في التصدي للخطر الإفرنجي , حيث قام بتجهيز حملة سنة 498هـ/1105م , وأنفق عليها أموالاً جمة , فبلغ تعداد الحملة عشرة آلاف ما بين فارس وراجل , وعهد عليهم أبنه شرف المعالي, وسيرها إلى الشام , فكتب شرف المعالي إلى صاحب دمشق ظهير الدين طغتكين[6] لنجدته , فسير ظهير الدين عسكراً إلى جند مصر , فاجتمعا بظاهر عسقلان , فالتقوا بالإفرنج بين يافا وعسقلان , فحمل الإفرنج على المسلمين وانكسروا , وقتل والي عسقلان , وأستشهد ما يزيد عن ألف مقاتل , فكانت الخسارة متقاربة بين الجانبين , فعاد ظهير الدولة إلى دمشق ورجع الجيش المصري إلى عسقلان[7] .

---

(1) يازور : هي بليدة من سواحل الرملة من أعمال فلسطين والشام ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج5 , ص 425 .

(2) أبن ميسر , المنتقى , ص 74 .

(3) تبنا : بلدة بحوارن , وهي من أعمال دمشق ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 14 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 32 .

(5) أبن ميسر , المنتقى , ص 74 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 32 .

(6) ظهير الدين : هو ظهير الدين أبو سعيد طغتكين بن عبدالله الدمشقي , مؤسس أتابكية دمشق سنة 497هـ/1104م , كان أتابكيا لشمس الدين دقاق بن السلطان السلجوقي تتش , ثم أصبح صاحب دمشق بعد وفاة سيده دقاق سنة 497هـ/1104م حتى وفاته سنة 522هـ/1128م , له مواقف مع الإفرنج ؛ الصفدي , الوافي بالوفيات ,ج6 , ص 259 و ج10, ص 202 ؛ أبن عماد الحنبلي , عبد الحي بن أحمد بن محمد , (ت1089هـ/ 1678م) , شذرات الذهب في أخبار من ذهب , تحقيق : محمود الأرناؤوط , ط1 , دار أبن عنيد , بيروت , 1986م , ج6, ص 108 . وسيشار له لاحقا : أبن عماد الحنبلي , شذرات الذهب .

(7) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 240 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 85 ؛ أبن ميسر , المنتقى , ص 75 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 35 .

لم تتوقف حملات الأفضل العسكرية نحو بلاد الشام , سواء كانت برية أو بحرية , فعندما استنجد أهل طرابلس بالأفضل لمواجهة الخطر الإفرنجي سنة 501هـ/1107م , لم يتردد في إرسال أسطول محمل بالمؤن والغلات والسلاح لتتمكن من الصمود أمام الحصار ثم عاد الأسطول إلى مصر[1] , وعندما حاصر الإفرنج صيدا في العام نفسه سير الأفضل أسطولاً فتمكن من الانتصار على الاسطول الإفرنجي فرحل الإفرنج بغير فائدة[2] .

عادت القوات الإفرنجية إلى محاصرة طرابلس سنة 503هـ/1109م فسارع الأفضل بإرسال أسطول ضخم محمل بالرجال والغلال , إلا أنه وصل إليها بعد أن سيطر الإفرنج على المدينة , فتوجه الأسطول إلى صور فأفرغ حمولته من المؤن والغلات والسلاح فيها ثم عاد إلى مصر[3] , فقد علل بعض المؤرخين سبب تأخير الأسطول إلى طرابلس هي الرياح الشديدة التي ردت الأسطول أكثر من مرة إلى مصر , وأعاقت تقدمه نحو طرابلس [4].

وكان لسقوط طرابلس الحافز الذي دفع الإفرنج للتوسع في بلاد الشام على حساب الخلافة الفاطمية , حيث زحف الإفرنج نحو بيروت في السنة ذاتها 503هـ/1109م وحاصروها , فلم يتردد الفاطميون بإرسال نجدات لبيروت عن طريق البحر , فأرسل الأفضل تسع عشرة مركبة مزودة بالغلال والرجال والسلاح , واشتبكت مع مراكب الإفرنج وتغلبت عليها , فزودت أهلها بالميرة والسلاح فقوي أهلها بذلك , غير أن بلدوين استنجد بالأسطول الجنوي , فسيروا له اربعين مركباً مشحونة بالرجال والسلاح قلبت موازين المعركة , حيث أستطاع الإفرنج من هزيمة الأسطول الفاطمي ودخول بيروت , وغنموا ما فيها من الأموال والسلاح وقتلوا أهلها[5].

---

(1) أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 121 .

(2) أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 122-123 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 171 .

(3) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 262 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص136 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 171 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 44 .

(4) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 262 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 136 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 44 .

(5) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 268-269؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 136 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 45 .

تمكن الأسطول الإفرنجي سنة 504هـ/1110 م من السيطرة على مدينة صيدا , حيث كان الأسطول الفاطمي مقيماً على سواحل صور , إلا أنه لم يستطع تقديم المساندة إلى أهل صيدا , ويعود السبب إلى وصول الأسطول الإفرنجي معززاً بستين مركبة مشحونه بالرجال والسلاح , فلما رأى أهل صيدا عجزهم عن مقاومة الإفرنج وتأخير وصول الإمداد من الأسطول الفاطمي دفعهم على عقد صلح مع الإفرنج مقابل دفع عشرين ألف دينار في السنة[1] .

وبعد أن تمكن الإفرنج من الاستيلاء على صيدا , شرعوا في الزحف نحو صور , وحاصروها سنة 505هـ/1111م إلا أن صور وعسقلان من المدن التي واجهت الإفرنج بدعم من الخلافة الفاطمية , لكن أهل صور في هذه المرحلة شعروا بصعوبة موقفهم أمام هجمات الإفرنج , لذلك كاتبوا صاحب دمشق ظهير الدين طالبين النجدة , فأرسل إليهم جيشا من الأتراك , وبذلك أقرت السلطة الفاطمية هذه الخطوة في سبيل حماية المدينة من الإفرنج[2] .

حاول الإفرنج أحتلال مصر للأستفادة من مواردها وتأمين حدودها , والعمل على إفساح المجال للاتصال بالبحر الأحمر للسيطرة على طرق القوافل التجارية , إضافة لمواجهة الحملات العسكرية الموجهة تجاه مدن مملكتهم , وتثبيت أقدامهم في البر بعد أن أخضعوا أغلب المدن الساحلية , مستغلين سوء أحوال مصر الداخلية المتمثلة بالصراعات والانقسامات بين الجند والوزراء[3], ففي سنة 509هـ/ 1115م هاجم بلدوين الأول ملك الإفرنج مدينة الفرما[4] ونهبها وهدم مساجدها وألقى النار فيها وانسحب منها , بعد أن علم بأن الأفضل بن بدر الجمالي سير إليه العساكر لإخراجهم منها , فقد كلفت الخلافة هذه الحملة مائة ألف دينار[5] .

---

(1) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 273-274 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 139 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 172-173 .

(2) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 290-291 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 145-147 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 175 ؛ أبن أبي الهيجاء , تاريخه , ص 167 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 45 و 51-52 .

(3) عاشور , سعيد عبدالفتاح , أضواء جديدة على الحروب الصليبية , دار القلم , القاهرة , 1964م , ص 36 . وسيشار له لاحقا : عاشور , أضواء ؛ سلامة , جلال حسني , الاستيطان الصليبي في الأراضي المقدسة , أطروحة دكتوراة غير منشورة , جامعة عين شمس , مصر , 2004م , ص 147 . وسيشار له لاحقا : سلامة , الاستيطان ؛ مولر , فولفغانج فينر , القلاع زمن الحروب الصليبية , ترجمة : محمد وليد الجلاد , ط2 , دار الفكر , دمشق , 1984م , ص 14 . وسيشار له لاحقا : مولر , القلاع ,

(4) الفرما : مدينة على ساحل بحر الروم من ناحية مصر ؛ المهلبي , المسالك والممالك , ص 36 ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 255 .

(5) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 13-14 ؛ المقريزي ,اتعاظ , ج3 , ص 53 .

وكانت الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة الحافظ لدين الله تجرد عسكرا كل ستة أشهر إلى عسقلان, ليوافوهم بالأخبار عن عدد الإفرنج واستعداداتهم, فكانت التجريدة الصغيرة من الفرسان تتراوح ما بين ثلاثمائة إلى أربعمائة , أما التجريدة الكبيرة فتتراوح ما بين أربعمائة إلى ستمائة فارس, يتقدم كل مائة فارس أمير , ويسلم للأمير خريطة [1] , فكانت النفقة للأمراء مائة دينار, والأجناد ثلاثين دينار[2] .

ثم اضطرت الخلافة الفاطمية إلى وقف النشاط العسكري في بلاد الشام في عهد الخليفة الحافظ لدين الله بسبب الاضطرابات الداخلية, ولكن في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله عاد النشاط العسكري للدولة , فعلى إثر مهاجمة الإفرنج لمدينة الفرما سنة 545هـ/1150م سارعت الخلافة إلى مهاجمة الإفرنج في مدن الشام فجهزت المراكب الحربية بالرجال والسلاح , وأنفق على الحملة ثلاثمائة ألف دينار, فسارت إلى يافا , فأسرت عدة مراكب للإفرنج , وأحرقت ما عجزوا عن أخذه , ثم قصدوا عكا , وصيدا , وبيروت , وطرابلس فأبلوا بلاء حسنا , وظفروا بجماعة من حجاج الإفرنج ثم عادوا إلى مصر محملين بالغنائم[3] .

رد الإفرنج على الهزيمة التي مني بها أسطولهم سنة 546هـ/1151م بإعداد العدة لاحتلال مدينة عسقلان , حيث ظلت المدينة على مدى نصف قرن من الزمان تمثل المدينة الحدودية , وهدفا عسكريا رئيسيا للصراع الفاطمي الإفرنجي , وظلت تحت الحكم الفاطمي , حيث استخدمها الفاطميون قاعدة لشن الحملات العسكرية ضد الإفرنج , فقد كان الوزراء بمصر يرسلون إليها في كل سنة من الذخائر والأسلحة والأموال والرجال ما يكفي لحفظها , وبعد مقتل الوزير العادل ابن السلار انشغلت الخلافة الفاطمية بالصراعات الداخلية , فاستغل الإفرنج هذا الموقف فحاصروا عسقلان واحتلوها سنة 548هـ/1153م[4] .

---

(1) خريطة : كيس أو وعاء من جلد يرح على مافيه , وقد استعمل في العصر الفاطمي بمعنى كيس المال يوزع على المستحقين ؛ أبن المأمون , أخبار مصر , ص 98 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 100 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 238-239 .

(3) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 488 ؛ أبن المأمون , أخبار مصر , ص 61 ؛ أبو شامة , الروضتين , ج1 , ص 266-267 ؛ أبن الميسر , المنتقى , ص 144-145 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 205 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 202 .

(4) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 296-297 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج9 , ص 391-392 ؛ أبو شامة , الروضتين , ج1 , ص 288-289 ؛ أبن أبي الهيجاء , تاريخه , ص 225 ؛ أبن خلدون , العبر , ج5 , ص 237 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 206 .

بعد سقوط عسقلان آخر معاقل الفاطميين في بلاد الشام , أصبح الدور الذي تقوم به الخلافة الفاطمية هو إرسال الحملات العسكرية إلى بلاد الشام عن طريق إرسال أساطيل إلى معاقل الإفرنج, ففي سنة 550هـ/1155م سيرت الخلافة الفاطمية أسطولاً نحو مدينة صور , فملكوها لمدة ثلاثة أيام , وعادوا بالغنائم والاسرى إلى مصر[1] .

ثم عاود الأسطول الفاطمي سنة 552هـ/1157م لمهاجمة مدن الشام الواقعة تحت حكم الإفرنج, فهاجم مدن عسقلان , وبيروت , وعكا , وأوقعوا بالإفرنج خسائر كبيرة , وأسروا وغنموا[2], وفي سنة 553هـ/1158م جهز الوزير الصالح عسكرا عدته أربعة آلاف مقاتل , وعهد بها إلى ضرغام وجماعة من الأمراء للإغارة على بلاد الإفرنج , فساروا نحو تل العجول[3], فكانت بينهم وقعة , انهزم على إثرها الإفرنج , وغنموا أموالاً وخيولاً [4] . وسير الوزير الصالح عسكراً آخر في شعبان من العام نفسه ، فواقعوا الإفرنج على العريش[5] وعادوا ظافرين بعدة غنائم ما بين خيول وأموال , ثم خرجت من القاهرة سرية إلى بيت جبرين[6] وعادت بالغنائم[7].

ثم سيرت الخلافة الفاطمية أسطولاً في نفس العام إلى بيت المقدس , وعاد محملاً بالغنائم , ثم سير الوزير الصالح خمس شواني نحو ساحل الشام سنة 553هـ/1158م وظفرت بمراكب الإفرنج وعادت بالغنائم والأسرى إلى مصر , حيث أنفق الوزير صالح على هذه الحملة ما يزيد عن مائة ألف دينار[8] .

لم تتردد الخلافة الفاطمية في أرسال الأموال والسلاح إلى دمشق لقتال الإفرنج بين الحين والآخر, ففي سنة 553هـ/ 1158م بعث الوزير الصالح إلى والي دمشق هدية بقيمة ثلاثين ألف دينار من الأسلحة , وسبعين ألف دينار من العين لتقويته على قتال الإفرنج [9] . ولا شك ان هذه الحملات كلفت الخلافة الفاطمية الكثير من الأموال .

---

(1) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 510 ؛ أبو شامة , الروضتين , ج1 , ص 321 ؛ أبن ميسر , المنتقى , ص 153 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 224 .

(2) أبن ميسر , المنتقى , 155 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 230 .

(3) تل العجول : يقع بالقرب من كل من عسقلان وغزة وهو من أعمال فلسطين ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 233 .

(4) أبن ميسر , المنتقى , ص 157 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 233 .

(5) العريش : هي مدينة كانت اول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرملة ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 116 .

(6) بيت جبرين : هو بليد بين بيت المقدس وغزة , وبينها وبين القدس مرحلتان , وبينها وبين غزة أقل من ذلك ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1, ص 119 .

(7) المقريزي , اتعاظ , ج3 , 233 .

(8) أبن ميسر , المنتقى , ص 156 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 233-234 .

(9) أبن ميسر , المنتقى , ص 157 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 234 .

حاول الإفرنج قطع أمدادات مصر لبلاد الشام من خلال شن الحملات على مصر , ففي سنة 565هـ/ 1169م تعرضت دمياط لهجوم الإفرنج في عهد الخليفة العاضد بالله , فسير الخليفة العاضد وزيره صلاح الدين بالعسكر وأمده بالأموال والسلاح والذخائر , استمر الحصار خمسين يوماً , فبلغت النفقة على هذه الحملة ألف ألف دينار , حيث لم يبخل العاضد بالأموال لمواجهة الإفرنج حتى إن صلاح الدين كان يقول ما رأيت أكرم من الخليفة العاضد , أرسل لي مدة مقام الإفرنج على دمياط ألف ألف دينار سوى الثياب وغيرها[1] .

كان رد صلاح الدين على هذه الحملة بتسيير حملة في العام التالي نحو غزة وعسقلان والرملة ومضى إلى أيلة فكانت فيه وقعه يسانده أسطول في البحر مشحوناً بالأموال والرجال والسلاح , ثم عاد إلى مصر في نفس السنة[2] .

ومن المعلوم ان هذه الحملة قد كلفت الخلافة أموالاً طائلة , فإذا كانت حملة الدفاع عن مصر بلغت ألف ألف دينار , هذا يعني أن هذه الحملة قد كلفت أكثر من ذلك لأن في هذه الحملة قد شارك الأسطول إلى جانبها .

اما فيما يتعلق بعلاقات الفاطميين مع الروم فقد أتسمت العلاقات الفاطمية مع الروم في بلاد الشام بالتأرجح بين العداء والسلم , فقد كانت بلاد الشام محورا لهذا الصراع , وذلك لمحولات الروم المتكررة مد نفوذهم إلى الشام , بعد أن سيطر على الثغور الشامية المتمثلة باذنة[3] سنة 353هـ/964م , والمصيصة[4] سنة 354هـ/965م , وطرسوس[5] , آخر معاقل المسلمين في مناطق الثغور سنة 354هـ/965م , ثم سعى الروم للأستيلاء على المناطق الساحلية في بلاد الشام , فقاموا باحتلال أنطاكيا سنة 359هـ/ 969م , ثم ساروا نحو اللاذقية[6] وتمكنوا منها , وبذلك أصبحت هذه المدن منطلقا للغارات الرومية على مدن الشام الخاضعة للخلافة الفاطمية[7].

---

(1) أبو شامة , الروضتين , ج2 , ص 140 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 316 .

(2) أبن ميسر , المنتقى , ج2 , ص 181 ؛ المقريزي , الخطط , ج3 , ص320 ؛ أبن تغري بردي , النجوم , ج5 , ص 365 .

(3) أذنة : هي من الثغور الشامية قرب المصيصة ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص 133 .

(4) المصيصة :هي من ثغور الشام , تقع على شاطئ جيحان , بين أنطاكيا وبلاد الروم , تقارب طرسوس ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج5 , ص 145 .

(5) طرسوس : هي مدينة بثغور الشام , بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 28 .

(6) اللاذقية : هي مدينة ساحلية من أعمال حمص , تبعد عن جبله اثني عشر ميلا , وتبعد عن أنطاكيا ثمانية وأربعين ميلاً ؛ المهلبي , المسالك والممالك , ص 103 .

(7) أبن الأثير , الكامل , ج7 , ص 284, 287 , 314 , 318 ؛ العزام , بلاد الشام , ص 23-25 . العزام , أضواء , ص 32 .

وهاجم الجيش الفاطمي الروم في اللاذقية سنة 372هـ/982م وأسروا خمسمائة من الروم وعادوا بالغنائم الكثيرة[1], وفي سنة 385هـ995م عزم الروم على مهاجمة الشام فلما بلغ الخليفة العزيز بالله ذلك سير جيشا للتصدي لهم , فأطلق خمسين ألف دينار لتجهيز هذه الحملة , وأخرج للكتاميين أربعة آلاف فرس, وأمر أن يشترى لهم ألف فرس أخرى , وأخرج الفازة الكبيرة (الخيمة) وهي بعمود واحد طولها أربعة واربعون ذراعاً , ثم سير إلى منجوتكين مائة وخمسين ألف دينار , ولأبن جراح خمسين ألف دينار لتقويتهم على القتال , وقرأ سجلاً في الأسواق بالنفير فإضطربت البلد , وأجتمع من الرعية وطوائف الناس بالسلاح للسفر مع الخليفة العزيز, وأحصيت الخيول التي سارت مع الخليفة العزيز بالله اثني عشر ألفاً , أما الجمال المحملة فبلغت ثلاثين الفاً , وحملت الخزانة السائرة على عشرين جملاً , سوى خزائن الوجوه الخاصة , وكان معه من المال خمسة آلاف جمل , وعلى كل جمل صندوقان كبيران مملؤان بالأموال , أثارت هذه الحملة الرعب في الروم , لذلك سارع ملك الروم لطلب الصلح فأجيب إلى ذلك[2].

وفي سنة 446هـ/ 1054م حدث في مصر غلاء ووباء أيام الخليفة المستنصر بالله , فأستعان الخليفة بصاحب قسطنطينية ليحمل إليه الغلال من بلاده , فأطلق له ذلك , إلا أن الأقدار شاءت ان يتوفى قبل ذلك , فملكت من بعده زوجته , فراسلت المستنصر أن ينصرها لو تعرضت للأعتداء , إلا ان الخليفة المستنصر بالله رفض ذلك , فمنعت عنه الغلال , فكان رد الخليفة هو تجهيز جيش قدم عليه مكين الدولة[3] , لقتال الروم , وحاصر اللاذقية وأستولى عليها , ثم ساروا نحو أنطاكيا وغنموا منها الكثير[4] .

نفقات الصراع مع العباسيين

أتسمت العلاقات العباسية الفاطمية بالعداء الشديد منذ نشأت الخلافة الفاطمية في المغرب سنة 297هـ/ 909م , فلم تعترف كلا الخلافتين بشرعية الأخرى , لأن الفاطميين يعتقدون بأن الخلافة الإسلامية حق شرعي لهم , وان الخلافة العباسية باطلة شرعاً , وأخذت تلك العلاقات بعداً خطيراً في عهد الخليفة المستنصر بالله الذي استغل ثورة البساسيري في العراق ضد الخلافة العباسية سنة 446هـ ـ1054م

---

(1) النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 98 .

(2) أبن ميسر , المنتقى , ص 171-172 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 287-288 .

(3) مكين الدولة : هو الحسين بن علي بن دينار العقيلي , أرسله الخليفة المستنصر بالله إلى الشام لقتال الروم , ثم تولى ولاية حلب عام 449هـ/ 1042م بأمر من الخليفة المستنصر بالله ؛ أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 141 ؛ أبن العديم , زبدة حلب , ص 155 .

(4) أبن ميسر , المنتقى , ص 13-14 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 228 .

وقاموا بإمداده بالأموال الضخمة , فسيرت الخلافة الفاطمية سنة 448هـ/ 1056م هذه الأموال عن طريق المؤيد بالله[1] , فكانت جملتها ألفا ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار نقداً , ومن العين ألف ألف وسبعمائة ألف دينار , ومن العرض أربعمائة ألف دينار , وعشرة آلاف قوس , وخمسمائة فرس, ومن السيوف الألوف , ومن الرماح الشيء الكثير[2] , بحيث لم يبق في بيوت المال في القصر الشيء الكثير , مما أدى إلى إفلاس الدولة ووقوعها في أزمة اقتصادية[3] .

وبعد أن استطاع البساسيري أحكام سيطرته على بغداد والخطبة في مساجدها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة 450هـ/1058م, استنجد الخليفة القائم بأمر الله العباسي بالسلاجقة للتخلص من أبي الحارث البساسيري , حيث سار السلطان طغرلبك بجيش نحو الكوفة واستطاع من قتل أبي الحارث سنة 451هـ/ 1059م وإنهاء التمرد[4] .

بعد أن استقر أمر السلاجقة في بغداد , أخذ السلاجقة يتطلعون للقضاء على الخلافة الفاطمية في الشام ومصر وإعادتها إلى حاضرة الخلافة العباسية , وبدأ الصراع الفاطمي العباسي على أشده في بلاد الشام .

ففي سنة 462هـ ـ 1069م بادر محمود بن مرداس[5] صاحب حلب بإعلان الخطبة للخلافة العباسية وقطع الخطبة للخلافة الفاطمية , بعد أن شعر بقوة السلاجقة وانتشار دعوتهم[6].

---

(1) المؤيد بالله : هو هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي السلماني , داعي الدعاة , من زعماء الإسماعيلية وكتابها , ولد وتعلم بشيراز , وكان لأبيه وله الفضل في نشر الدعوة الفاطمية بشيراز , ثم اضطر إلى مغادرتها متنكرا إلى الاهواز سنة 436هـ/ 1044م , وأقام مدة ثم توجه إلى مصر , فخدم الخليفة المستنصر بالله في ديوان الإنشاء إلى أن صار إليه امر الدعوة سنة 450هـ / 1058م ,ولقب بداعي الدعاة وباب الأبواب فيسير إلى العراق لمد البساسيري بالأموال والسلاح لإقامة الدعوة الفاطمية ؛ الشيرازي , ديوان المؤيد , ص 19 و 40-41 ؛ الزركلي , الأعلام , ج8 , ص 76 .

(2) الشيرازي , هبة الله بن موسى بن داود المؤيد في الدين , (ت 470هـ/ 1087م) , ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة , تحقيق : محمد كامل حسين , ط1 , دار الكتب المصرية , مصر , 1949م , ص 40-41 . وسيشار له لاحقا : الشيرازي , ديوان المؤيد ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 23 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 14؛ العزام أضواء , ص 33. .

(3) أبن ميسر , المنتقى ,ص 15 .

(4) أبن الأثير , الكامل , ج8 ,ص 347 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج23 , ص 134 . العزام , أضواء , ص33 .

(5) محمود بن مرداس : هو محمود بن نصر بن صالح بن مرداس , صاحب حلب , أعلن الخطبة للعباسيين سنة 462هـ/ 1069م إلى ان توفي سنة 467هـ/ 1074م ؛ أبن العديم , زبدة حلب , ص 187 ؛ الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج13 , ص 112 .

(6) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 166 ؛ الاصبهاني , تاريخ ال سلجوق , ص 206 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 387 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 302 .

ولم يكتف السلطان ألب أرسلان السلجوقي بالسيطرة على حلب , بل سير حملة سنة 463هـ/ 1070م نحو فلسطين وعهد بقيادته لاتسز بن اوق[1] , ففتح مدينة الرملة , ثم سار منها إلى بيت المقدس وحاصرها وفتحها , وملك ما يجاورها من البلاد ما عدا عسقلان , ثم قصد دمشق فحاصرها , ولم يتمكن منها[2] , ثم سير السلطان ألب أرسلان حملة سنة 468هـ/ 1075م فتمكن من السيطرة على دمشق وإعلان الخطب للخليفة العباسي المقتدي بالله [3] .

نتيجة للانتصارات التي حققها اتسز على مدن الشام التابعة للخلافة الفاطمية جعله يطمع للسيطرة على مصر وانتزاعها من الخلافة الفاطمية , حيث توجه على رأس جيشه نحو مصر سنة 469هـ/ 1077م فتصدى له بدر الجمالي بجيش يبلغ عدده ثلاثين ألفاً ما بين فارس وراجل , وأستطاع بدر الجمالي هزيمته ورده عن مصر [4] , وكان التصدي لهذة الغزوات قد كلف الخلافة الفاطمية الأموال الكثيرة .

أعطى هذا الانتصار دافعاً لبدر الجمالي لشن هجمات على بلاد الشام لاستعادة نفوذهم من الخلافة العباسية , فقد سير حملة سنة 470هـ/ 1078م لاسترداد دمشق فحاصرها عدة ايام لكنه لم يتمكن منها , بسبب الإمدادات التي وصلت إليها[5] .

كما سير بدر الجمالي في العام التالي عسكراً كبيراً نحو دمشق فحاصرها , وسيطر على أعمالها وأعمال فلسطين , فاضطر اتسز إلى مراسلة تاج الدولة[6] , فعندما علم عسكر الفاطميين بقدوم تاج الدولة , توجهوا نحو طرابلس وسيطروا عليها[7] .

---

(1) استز : هو استز بن أوق الخوارزمي التركي , تولى دمشق سنة 468هـ/ 1075م , بعد حصاره اياها دفعات , واقام الخطبة للخلافة العباسية سنة 471هـ/ 1078 ؛ أبن عساكر , تاريخ دمشق , ج7 , ص 348 .

(2) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 166-167 ؛ الأصبهاني , تاريخ دول آل سلجوق , ص 57 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 390 .

(3) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 174 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 410 ؛ أبن خلدون , العبر , ج3 , ص 585.

(4) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 176 ؛ الاصبهاني , تاريخ دولة آل سلجوق , ص 57 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 412 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 317 .

(5) الأصبهاني , تاريخ دولة ال سلجوق , ص 58 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 418 ؛ أبن ميسر , المنتقى , ص 45 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 319 .

(6) تاج الدولة : هو تاج الدولة أبو سعيد تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق , كان صاحب البلاد الشرقية , دخل دمشق عندما استنجد به اتسز صاحب دمشق , قتل سنة 488هـ/ 1095م , أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج1 , ص 295 .

(7) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 182 ؛ أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 418 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 320 .

لم يتوقف بدر الجمالي عن محاولة إعادة سيطرة الخلافة الفاطمية على الشام , فقد سير عسكرا كبيرا سنة 482هـ/ 1089م نحو بلاد الشام , فتمكن من فتح صور وصيدا , ثم جبيل وعكا[1] .

وفي سنة 491هـ/ 1095م خرج الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي بعساكره إلى الشام ونزل عند بيت المقدس وملكها في رمضان من العام نفسه , ثم توجه نحو عسقلان وأقام بها قبل عودته إلى مصر[2], وهذه الحملات كلفت الخلافة الفاطمية أموالا طائلة .

فقد حافظت الخلافة الفاطمية على علاقتها الودية مع دمشق وحكامها من أجل دفع الخطر الإفرنجي على البلاد, حيث قدمت على الوزير المأمون البطائحي رسلاً من ظهير الدولة صاحب دمشق للأجتماع على قتال الإفرنج سنة 517هـ/1123م فجهز جيشاً برياً وبحرياً مكوناً من أربعين مركباً , فتوجه الجيش والأسطول نحو عسقلان , ومنها أتخذ الجيش الفاطمي منطلقاً لشن الغارات على الإفرنج في يافا , إلا أن هذه الحملة لم تأتِ بثمارها , بسبب وصول إمدادات للإفرنج من أسطول البنادقة , فعادت الحملة إلى مصر دون أن تحقق أي نتائج , ثم رد الإفرنج سنة 518هـ/1124م على صور بحملة بعد انسحاب الجيش الفاطمي منها ورجوعه إلى مصر , وضيقوا على أهلها الأمر الذي دعى ظهير الدولة إلى مراسلة الإفرنج وأن يسلم لهم المدينة لقاء خروج الجند والرعية من المدينة مع أموالهم بعد أن استنجد بالخليفة الآمر بأحكام الله فلم ينجده , فتم ذلك , فملك الإفرنج المدينة[3] .

---

(1) أبن الأثير , الكامل , ج8 , ص 460 ؛ أبن ميسر , المنتقى , ص 50 ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص 126 .

(2) أبن ميسر , المنتقى , ص 65-66 . المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 22 . النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 158-159 . العزام , أضواء , ص 33

(3) أبن القلانسي , تاريخ دمشق , ص 333 ؛ أبن ميسر , المنتقى , ص 94-95 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 175 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 100 ؛ سليمان , العلاقات الخارخية , ص 528 .

الفصل الرابع

النفقات العمرانية

أولا : نفقات العمارة المدنية والمنشات العامة

- **بناء مدينة القاهرة**
- **دار الوزارة**
- **دار الملك**
- **دار المظفر**
- **دار الشابورة**
- **المناظر والمنتزهات**
- **البساتين**
- **الحمامات**
- **الجسور**
- **الخلجان والترع**
- **الشوارع والطرقات**
- **الاسواق والخانات والقياسر والوكالات**
- **البيمارستان**

ثانيا : نفقات المؤسسات التعليمية

- **خزائن الكتب**
- **دار العلم**
- **المدارس**

ثالثا : نفقات عمارة الجوامع والمساجد والمشاهد

الفصل الرابع

النفقات العمرانية

اهتمت الخلافة الفاطمية في مصر اهتماما كبيرا بالعمارة , سواء كانت عمارة دينية أو مدنية أو مؤسسة تعليمية , فقد كان الخلفاء الفاطميون ووزراؤهم ينفقون على هذه العمائر الأموال الكبيرة, نتيجة لحجم الثراء والإمكانيات المالية المتوفرة لديهم, إضافة إلى ذلك الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي مرت به مصر في أغلب العصر الفاطمي, وسوف نتناول الحديث عن العمارة على النحو الآتي :

اولا : نفقات العمارة المدنية والمنشأت العامة

كانت الخلافة الفاطمية تنفق الجزء الأكبر من الأموال التي يأتي من إيرادات مصر على ما يتطلبه من وجوه الإنفاق على البلد سواء في أنشاء المدن , أو وجوه إعمار في الموافق العامة , كإنشاء الأسواق والحمامات والجسور , إضافة إلى كري الأنهار وحفر الترع لما يقتضيه وجوه الإعمار والإصلاح .

بناء مدينة القاهرة

عنيت الدولة الإسلامية بتخطيط المدن التي أنشأتها عقب الفتوحات الإسلامية , حيث كانت تنشأ مدن جديدة امتدادا لمدن أخرى سبقتها , وكانت تخصص المدينة الجديدة لسكنى الوالي أو الخليفة وحاشيته والمقربين منه والعساكر , فهذا ما فعله القائد جوهر الصقلي عندما انشأ مدينة القاهرة سنة 358هـ/ 969م , امتدادا للفسطاط والمهدية , حيث أعدها لتكون دار الخلافة ينزلها الخليفة وعساكره وخواصه [1] .

فعندما وجه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله قائده جوهر الصقلي لفتح مصر سنة 358هـ/ 969م , حدد له الخطوة التالية , هي أن يبني مدينة للفاطميين لا ينزلها إلا الخليفة وعساكره وخواصه الذين شرفهم بقربه فقط[2] , لتكون دار الخلافة ومنزل الملك , ومقر لنشر دعوته الدينية[3] .

---

(1) عبد الوهاب , حسن , تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها , دار النشر للجامعات المصرية , القاهرة , 1957م , ص 1 ؛ وسيشار له لاحقا : عبد الوهاب , تخطيط القاهرة .

(2) أبن عبد الظاهر , الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة , تحقيق : أيمن فؤاد سيد , ط1 , دار العربية للكتاب , القاهرة , 1996 م , ص 13 ؛ وسيشار له لاحقا : أبن عبد الظاهر , الروضة ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 54 ؛ مبارك , الخطط التوفيقية , ج1 , ص 4 .

(3) أبن الدقماق , الانتصار , ق2 , ص36 ؛ حسن , علي إبراهيم , تاريخ جوهر الصقلي , ط1 , مطبعة الحجازي , القاهرة , 1933م , ص 86 ؛ وسيشار له لاحقا : حسن , تاريخ جوهر ؛ الأحمدي , القاهرة , ص 7 .

فقد عزز المقريزي أسباب اتخاذ الخليفة المعز لدين الله مدينة جديدة إلى أسباب أمنية , منها يتخذ حصنا منيعا بين القرامطة وبين مدينة الفسطاط ليقاتلهم من دونها , إضافة إلى ذلك تسهيل مهمتهم للاستيلاء على دمشق التي كانت تابعة لمصر في ذلك الحين[1] .

شرع القائد جوهر الصقلي فور وصوله إلى مصر في السابع عشر من شعبان سنة 358هـ/969م بوضع الحجر الأساس لمدينة القاهرة[2] , فدار حولها سور من اللبن , وأنشأ داخل السور جامعا وقصرا , وعد المدينة معقلا يتحصن به وتنزله عساكره , ثم باشر بإنشاء خندق من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة إلى القاهرة[3] , فلما فرغ جوهر من بناء قصر الخليفة وجامع الأزهر وأدار حولهما السور سمى مدينة القاهرة بالمنصورية نسبة إلى المنصور ابن المعز , فلما قدم الخليفة المعز لدين الله إلى الديار المصرية أسماها القاهرة[4] .

كان الموقع الذي اختاره جوهر للقاهرة عبارة عن سهل رملي فسيح , يحده من الشمال أرض فضاء , ومن الشرق جبل المقطم[5] , ومن الغرب خليج القاهرة , ومن الجنوب تحدها مدينة الفسطاط[6] .

ضم السور الذي اختطه القائد جوهر للقاهرة ثمانية أبواب لكل ضلع بابان , اثنان من السور الشمالي هما باب الفتوح وباب النصر , واثنان في الضلع الجنوبي حملا نفس الاسم زويلة , واثنان في الضلع الشرقي هما باب البرقية وباب القراطين , أما أبواب الضلع الغربي فهما باب القنطرة وباب السعادة[7] .

أما داخل أسوار القاهرة فقد اشتمل على قصرين وجامع , يقال لأحد القصرين القصر الكبير الشرقي , وهو منزل سكن الخليفة ومحل حرمه , وموضع جلوسه لدخول العساكر وأهل الدولة , وفيه الدواوين وبيت المال وخزائن السلاح , أما القصر الآخر فيعرف بالقصر الغربي , يشرف على البستان الكافوري , الذي يتجول به الخليفة في أيام النيل للنزهة , أطلق على هذه القصور أسم القصور الزاهرة[8] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 55 .

(2) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 15.

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 54-55 ؛ مبارك , الخطط التوفيقية , ج1 , ص 6 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 111 .

(5) جبل المقطم : هو جبل غير شامخ , يقع في ضفة النيل الشرقية . ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج5 , ص 138 .

(6) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 20 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 59-60 .

(7) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 16-18 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 55 ؛ مبارك , الخطط التوفيقية , ج1 , ص 7 ؛ الأحمدي , القاهرة , ص 111 .

(8) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 56 .

ثم أقيمت حول القصور المعالم العمرانية التي تفي بمتطلبات ساكنيها , إذ قام في الشمال الشرقي من القصر الشرقي المناخ[1] الذي يحتوي على مخازن لتموين القصور والجيش[2] , أما بجوار القصر الشرقي فأقيم إسطبل الطارمة شرقي الجامع الأزهر , وآخر إسطبل الجميزه بحارة زويلة مخصصتان لركوب الخليفة[3] .

ثم وضع القائد جوهر الصقلي أساس الجامع الأزهر في الرابع والعشرين من جماد الآخرة سنة 359هـ/ 970م[4] , في الجنوب الشرقي من القاهرة على مقربة من القصر الكبير الشرقي[5] .

كذلك اشتملت القاهرة على حارات وأسواق , وحمامات , وبساتين , وفنادق , وخانات وغيرها من الجوانب العمرانية , حيث اختطت القاهرة على أساس اعتبارات اجتماعية وعسكرية تقوم على إسكان كل صنف من الجيش حسب أعراقهم[6] .

تألفت خطط القاهرة في المرحلة الأولى من ست حارات , حملت كل حارة اسم عناصرها وهي على النحو الآتي :

1- حارة الروم : وهي حارتان , حارة الروم المشهورة الآن , وحارة الروم الجوانية , وتقع بالقرب من باب النصر على يسار الداخل منه , وهي منسوبة للأشراف الجوانيين[7] .

2- حارة الديلم : وهي منسوبة إلى الديلم الواصلين بصحبة أفتكين المعزي غلام معز الدولة بن بويه , حيث قدم معه إلى القاهرة جماعة من الديلم , وكذلك عرفت هذه الحارة بحارة الأمراء لأن سكانها من الأمراء والأعيان [8].

3- حارة كتامة : وهي منسوبة إلى قبيلة كتامة , قدموا مع القائد جوهر الصقلي , وهي مجاورة لحارة الباطنية[9] .

---

(1) المناخ : هو موضع برسم طواحين القمح التي تطحن جرايات القصور وبرسم مخازن الأخشاب والحديد ؛ أبن طوير , نزهة , ص 141 .

(2) أبن طوير , نزهة , ص 141 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 242 ؛ الأحمدي , القاهرة , ص 12 ؛

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 242-243 .

(4) المصدر نفسه , ج3 , ص 213 .

(5) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 59 ؛ أحمد , أحمد عبدالرزاق , تاريخ وآثار مصر الإسلامية , دار الفكر العربي , 1999م , ص 219 ؛ وسيشار له لاحقا : أحمد , تاريخ مصر .

(6) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 62 , ص 370 .

(7) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 21 .

(8) المصدر نفسه , ص 22.

(9) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 388 .

4- حارة زويلة : اختطتها قبيلة عرفت بزويلة , نسبة إلى بئر زويلة وهو المكان الذي يعمل فيه الروايا , وهي محلة كبيرة بالقاهرة اختطها القائد جوهر للقادمين معه من المغرب[1] .

5- حارة البرقية : عرفت هذه الحارة باسم جماعة من أهل برقة , نزلوا مع الخليفة المعز لدين الله من بلاد المغرب , وهي الحارة التي ينتسب إليها أمراء البرقية[2] .

6- حارة الباطنية : تنتسب هذه الحارة إلى جماعة قدموا مع الخليفة المعز لدين الله من المغرب , فنسبت هذه الحارة إلى اسمهم[3] .

أما عن مساحة القاهرة , فقد ذكر لنا مبارك باشا أن مدينة القاهرة على النحو الذي كانت عليه أيام الخليفة المعز لدين الله في هذه العبارة " شكل مدينة القاهرة في أيام القائد جوهر كان مربعا تقريبا , ضلعه ألف ومئتا متر , ومساحة الأرض المحصورة فيه تقدر بثلاثمائة وأربعين فدانا[4] , منها نحو سبعين فدانا بنى فيها القصر الكبير"[5] .

إن جملة الأموال التي أنفقت على بناء مدينة القاهرة, ونفقات الجيش الذي فتح مدينة مصر بلغت أربعة وعشرين ألف ألف دينار[6].

شهدت القاهرة توسعاً في الناحية العمرانية , الأمر الذي أدى إلى خراب أسوارها , حيث قام أمير الجيوش بدر الجمالي سنة 480هـ/ 1087م بإعادة بناء السور فلم تذكر المصادر حجم الأموال التي انفقها في تجديد هذا السور[7] .

---

(1) المقريزي , الخطط, ج2 , ص 375 .

(2) المصدر نفسه , ج2 , ص 391 .

(3) المصدر نفسه , ج2 , ص 383 .

(4) الفدان : هو مقياس المساحة المصرية و يقدر ب 6368 متر مربع ؛ هنتس , المكاييل , ص 98.

(5) مبارك , الخطط التوفيقية , ج1 , ص 6 .

(6) الصنهاجي , أخبار ملوك , ص 84 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج28 , ص 80- 83 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 35 .

(7) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 96 .

كذلك تم تجديد سور القاهرة في عهد الوزير صلاح الدين الأيوبي سنة 556هـ/ 1161م في عهد الخليفة العاضد لدين الله[1] . ولم تذكر المصادر قيمة النفقات على هذا البناء . وفيما يلي سنتحدث عن أبرز معالم مدينة القاهرة , ولن نتحدث عن القصور وذلك لمعالجتها في الفصل الثاني .

دار الوزارة :

تقع دار الوزارة بجوار القصر الشرقي , تجاه باب العيد , يقال لها الدار الأفضلية والدار السلطانية[2] , فقد أشار بعض المؤرخين إلى أن بدر الجمالي هو الذي بنى دار الوزارة[3] , لكن من المرجح أن الدار التي أصبحت فيما بعد مقر للوزارة, وهي التي بناها الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي , والتي عرفت بدار الوزارة , يؤكد ذلك كتب ابتياعات الأملاك القديمة التي تؤكد على أنها من بناء الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي , لا من عمارة أبيه بدر الجمالي[4].

كانت دار الوزارة تعرف قديما بدار القباب , فقد اتخذها الأفضل بن بدر الجمالي دار سكن فقط , فلم يحول إليها الدواوين من القصر , إلى أن بنى دار الملك , فأصبحت دار القباب مسكنا لأولاده[5] , حيث اشتملت دار الوزارة على قاعات ومساكن وبستان وغيره , فكان فيه مائة وعشرون مقسا من الماء الذي يجري في بركها ومطابخها ونحو ذلك [6] , ومحاطة بسور مبني بالحجارة , وكان في إحدى قاعات هذا الدار شباك كبير كان في قصر الخلافة ببغداد يجلس فيه خلفاء بني العباس , فأرسله البساسيري إلى القاهرة , فلما بنى الأفضل هذه الدار جعله ليجلس فيه ويتكئ عليه[7] , فلم تذكر المصادر حجم الأموال التي أنفقت على هذه الدار .

دار الملك :

تقع على شاطئ النيل لساحل مدينة الفسطاط[8] , أنشأها الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي , الذي ابتدأ في بنائها وأنشأها في سنة 501هـ/1107م ,

---

(1) المصدر نفسه , ج2 , ص 96 .
(2) المقريزي , الخطط, ج2 , ص 229 .
(3) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 50 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 229 .
(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 299 .
(5) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 51 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 232 .
(6) المقريزي , الخطط , ج2 , ص232 .
(7) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 231 ؛ المناوي , الوزارة , ص 98 .
(8) أبن ميسر , المنتقى , ص 76 .

فلما كملت تحول إليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها , وحول إليها الدواوين من القصر , وجعل فيها الأسمطة , واتخذها مجلسا سماه مجلس العطايا يجلس فيه[1] , متخذا من دار الملك مقرا للحكم مما يدل على سيطرة واستبداد الأفضل مع الخليفة الآمر بأحكام الله وسيطرته على شؤون الدولة[2] , وصار دار القباب لسكنى أولاده , وظل الحال على ما هي عليه في دار الملك حتى قتل الأفضل فنقلت الدواوين مرة أخرى من دار الملك إلى القصر , وصادرت الخليفة الآمر بأحكام الله بيوت الأفضل[3] .

دار المظفر :

تقع هذه الدار بحارة برجوان , بناها أمير الجيوش بدر الجمالي إلى أن مات عام 487هـ/ 1094م , فلما تولى ابنه الأفضل بن بدر الجمالي سكن دار القباب , ثم أصبحت هذه الدار دار الضيافة [4].

دار الشابورة :

بناها الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي , سميت بهذا الاسم لأنها بيعت في أيام الشدة , وأطلق عليها شابورة حلواء[5] .

المناظر والمتنزهات :

يقصد بالمناظر والمتنزهات مواضع النزهة[6] , حيث اهتمت الخلافة الفاطمية بإقامة المناظر والمتنزهات داخل القاهرة وخارجها , فأنفقت عليها أموال كثيرة , فكانت بمثابة استراحات يخلد إليها الخلفاء والوزراء طلبا للراحة والانسجام أو لاستعراض الجيوش والتنزه وغير ذلك[7]. ومن أهمها :

1- منظرة الجامع الأزهر : تقع بجوار جامع الأزهر , تشرف على الجامع , يجلس فيها الخليفة لمشاهدة ليالي الوقود الأربعة[8] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 332 .

(2) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 106 ؛ أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 26-27 ؛ سيد , الدولة الفاطمية , ص 161 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 332 ؛ المقريزي , اتعاظ, ج3 , ص 40 ؛ المناوي, الوزارة , ص 97 .

(4) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 329 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 480 .

(5) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 113 .

(6) المصدر نفسه , ج2 , ص 290 .

(7) فكري , أحمد , مساجد القاهرة ومدارسها , دار المعارف , القاهرة , د.ت , ج1 , ص 22 ؛ وسيشار له لاحقا : فكري , مساجد القاهرة .

(8) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 290 .

2- منظرة اللؤلؤة : تقع هذه المنظرة على بر الخليج من باب القنطرة , تشرف على البستان الكافوري , بناها الخليفة العزيز بالله , استمرت هذه المنظرة إلى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله , حيث أمر بهدمها عام 402هـ/ 1011م[1] , ثم أعيد بناؤها في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله , جرت العادة الاحتفال بهذه المنظرة بوفاء النيل[2] .

3- منظرة الغزالة : تقع هذه المنظرة بجانب منظرة اللؤلؤة على شاطئ الخليج , كان يسكن في المنظرة الأمير أبو القاسم ابن المستنصر والد الحافظ لدين الله , فقد خربت هذه المنظرة بعد زوال الخلافة الفاطمية [3].

4- منظرة دار الذهب : تقع بجوار منظرة الغزالة , مطله على الخليج , بناها الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي , وكانت عادة الأفضل أن يستريح بها إذا كان الخليفة في قصر اللؤلؤة[4] .

5- منظرة السكرة : تعتبر هذه المنظرة من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين , تقع على بر الخليج الغربي , يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج , لها بستان عظيم , وفيها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وغيره من الاستاذين و بناها الخليفة العزيز بالله , إلا أنها اندثرت بعده [5].

6- منظرة الدكة : وهي من أجمل مناظر الخلفاء الفاطميين , لها بستان عظيم بجوار المقس , كان الخليفة إذا ركب لكسر الخليج من الكسرة بمظلته يسير في البر الغربي إلى أن يصل إلى البستان المعروف بالدكة , وبقيت هذه المنظرة حتى زوال الخلافة الفاطمية[6] .

7- منظرة المقس : وهي من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين , تقع بجوار جامع المقس , وهي مطلة على ساحل النيل بالمقس , كانت هذه المنظرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول وتوديعه عند الذهاب لقتال الإفرنج[7] .

8- منظرة البعل : هي من أجل منتزهات الخلافة الفاطمية , تقع في ظاهر القاهرة , بجانب الخليج الغربي , مقابل منظرة الأزر , بناها الوزير الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي , لها فرش معد للشتاء والصيف , فتصرف الرسوم للقائمين عليها خلال أيام الأفضلية , فيعد لمقدمي الركاب اليمين والشمال لكل واحد عشرين ديناراً , ومائدة غذاء لكل واحد ثلاثة دراهم[8] .

---

(1) المصدر نفسه , ج2 , ص 295 .
(2) المصدر نفسه , ج2 , 97 .
(3) المصدر نفسه, ج2 , ص 299 – 300 .
(4) المقريزي , الخطط, ج2 , 301-302 .
(5) المصدر نفسه , ج2 , ص 302 .
(6) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 125 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 323 ؛
(7) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 323- 324 .
(8) المصدر نفسه , ج2 , ص 325 – 326 .

9- منظرة التاج : وهي من جملة المناظر التي كان الخلفاء الفاطميون ينزلونها للنزهة , تقع بظاهرة القاهرة , بناها الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي , كان لها فرش معد للصيف والشتاء , وحولها بساتين عدة , وأعظم ما حولها قبة الهواء وبعدها منظرة الخمس وجوه[1] .

10- منظرة الخمس وجوه : تقع من جهة القاهرة البحرية , وهي أيضا من أجمل المناظر التي يتنزه بها الخلفاء الفاطميون , بناها الأفضل بن بدر الجمالي , وكان لها فرش معد للشتاء والصيف , لها خمسة أوجه من المحال الخشب التي تقل الماء لسقي البستان , وهي من أعظم متفرجات القاهرة , فعندما يعم النيل تسقى هذه الأراضي فتفتن رؤيتها وتبتهج , فتزرع في تلك البسطة قرطا وكتانا يقصر الوصف عن تعداد حسنه , وتزرع حولها غروساً من النخل , حيث تلاشت هذه المنظرة بعد انقراض الخلافة الفاطمية[2] .

11- منظرة باب الفتوح : تقع هذه المنظرة خارج باب الفتوح , كانت هذه المنظرة مخصصة لجلوس الخليفة فيها لعرض العساكر وتوديعها إذا سارت في البر إلى بلاد الشام[3] .

12- منظرة الصناعة : وهي من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين , تقع في الساحل القديم الفسطاط , يجلس بها الخليفة حتى تتقدم له العشاريات فيركبها ويسير بها للمقياس , حتى يخلق بين يديه الوفاء , أنشأها الوزير المأمون , فعند وفاء النيل ستة عشر ذراعاً يركب الخليفة والوزير إلى المنظرة وترمى العيشاريات بين أيديهم , ثم يعديا في إحداهما إلى المقياس[4] .

13- منظرة دار الملك : وهي من أجمل مناظر الخلفاء الفاطميين , أنشأها الأفضل بن بدر الجمالي سنة 501هـ/ 1107م , فلما اكتمل بناؤها تحول إليها وسكنها , وحول إليها الدواوين من القصر , وجعل فيها الأسمطة , واتخذها مجلسا يجلس فيه وسماه مجلس العطايا , فلما قتل الأفضل صارت دار الملك من جملة منتزهات الخلفاء , فهو يحتوي على بستان عظيم , استمر حتى نهاية الخلافة الفاطمية[5] .

14- منظرة منازل العز : بنتها السيدة تغريد أم الخليفة العزيز بالله بن المعز , حيث لم يكن بمصر أحسن منها , فهي مطلة على النيل ولا يحجبها عن نظره شيء , فبعد موت الخليفة المعز لدين الله أصبح الخلفاء يتداولونها , فأصبحت معدة لنزهتهم[6] .

---

(1) المصدر نفسه, ج2 ، ص 326-327 .
(2) المقريزي , الخطط, ج2 , ص 327 .
(3) المصدر نفسه , ج2 , 327 .
(4) المصدر نفسه , ج2 , ص 329-330 .
(5) المصدر نفسه , ج2 , ص 332 .
(6) المصدر نفسه , ج2 , ص 334 .

15- منظرة بركة الحبش : تشرف هذه المنظرة على بركة الحبش , يقال لها دكة الخركة , بناها الخليفة الآمر بأحكام الله , وهي من خشب مدهون , وفيها طاقات , صور فيها كل شاعر وبلده , حيث استدعي كل واحد منهم قطعة من شعره لمدح الخليفة , فلما دخل الخليفة الآمر بأحكام الله إلى المنظرة أعجب بالأشعار فأمر بصرف خمسين ديناراً لكل شاعر[1] .

16- منظرة قبة الهواء : وهي من أحسن منتزهات الخلفاء الفاطميين , تقع بين التاج والخمسة وجوه , حيث يحيط بها عدة بساتين , ولها فرش معدة للشتاء والصيف , و يركب إليها الخليفة في أيام الركوبات يوم السبت والثلاثاء[2] .

البساتين :

كان للخلفاء الفاطميين بساتين يتنزهون بها , ومن أهمها البساتين الجيوشية , فهما بستانان , إحداهما خارج باب الفتوح , والآخر يمتد من باب القنطرة إلى الخندق[3] , حتى أن الأفضل من شدة إعجابه بالبستان عمل له سورا مثل سور القاهرة , وعمل فيه بحرا كبيرا , وجعل فيه عشارية تحمل ثمانية أرادب , وبنى وسط البحر منظرة محملة على أربعة عواميد من أفضل الرخام , وحفها بشجرة النارنج , ثم سلط على هذا البحر أربعة سواق , وجعل له معبرا من نحاس مخروط زنته قنطار , وجلب له الطيور والحمام للزينة الشيء الكثير , ووضع لكل بستان أربعة أبواب من حديد لا يدخل من هذه الأبواب إلا السلطان وأولاده وأقاربه[4] .

احتوى البستان على سبعة عشر ألف ألف ومئتي شجرة , وثمانمائة وأحد عشر رأساً من البقر , ومائة وثلاثة رؤوس من الجمل , ومن العمال ألف رجل , وكان الحاصل من البستان من زهر وتمر نيف وثلاثون ألف دينار[5] .

---

(1) المصدر نفسه, ج2 , ص 339 .

(2) المصدر نفسه , ج2 , ص 349 .

(3) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 137 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 339 .

(4) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 139 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 340.

(5) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 139 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 340 .

الحمامات :

الحمامات مفردها حمام , ويعني الماء الحار , والاستحمام هو الاغتسال بالماء الحار , والحميم بمعنى العرق , واستحم الرجل أي معنى عرق , حيث يقال لمن يخرج من الحمام طاب حميمك أي بمعنى طاب عرقك , وهو الدعاء بالصحة , لان الصحيح يطيب عرقه أي تشافى من مرضه[1] .

وصلت الحمامات في مصر خلال العصر الفاطمي حدا بالغا من الترف والسعه في البناء , باعتباره مظهرا من مظاهر الاعتناء بالنظافة والزينة , والحضارة والترف على حد تعبير ابن خلدون[2] , حيث احتلت الحمامات مكانا مهما في حياة الناس اليومية , فهو وسيلة أساسية في تأمين الطهارة للمسلم التي تمكنه من تأدية واجباته الدينية , وهذا ما يفسر رغبة الخليفة العزيز بالله ببناء جامع وحمام معا[3] .

لعبت الحمامات دورا بارزا في الجانب العملي والترفيهي للسكان , حيث كان الرجال يقبلون على المزين لقص رؤوسهم , فغالبا ما يكون المزين بجانب الحمامات[4] . أما النساء فقد كُنْ يترددن على الحمامات لغرض التزين والترفيه عن النفس خارج المنزل , فكن يجتمعن به ويقمن بالغناء[5] , حتى أن الخليفة الحاكم بأمر الله اجتاز إحدى الحمامات فسمع فيها ضجيج النساء فأمر بإغلاق الحمامات , ومنعهن من الدخول إلى الحمامات بغير مئزر[6] .

كذلك أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بفصل حمامات المسلمين عن حمامات اليهود والنصارى , فأمرهم بوضع الصليب فوق حماماتهم[7] .

---

(1) أبن سيد , أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي , 0 ت458هـ/ 1066م , المحكم والمحيط الأعظم , تحقيق : عبدالحميد هنداوي , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 2000م , مج2 , ص 552 ؛ وسيشار له لاحقا : أبن سيد , المحكم ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 536 .

(2) الحمّامات توجد في الأمصار المستحضرة المستبحرة العمران لما يدعو إليه التّرف والغنى من التّنعّم ولذلك لا تكون في المدن المتوسّطة ؛ أبن خلدون , العبر , ج1 , ص 472 .

(3) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 68 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 536 ؛ الأحمدي , القاهرة , ص 224 .

(4) الشيزري , عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله الشافعي , (ت590هـ/1194م) , نهاية الرتبة في طلب الحسبة الشريفة , مطبعة لجنة التأليف والترجمة , القاهرة , 1946م , ص 88 ؛ وسيشار له لاحقا : الشيزري , نهاية.

(5) أبن الحاج , أبو عبدالله محمد بن محمد الفارسي المالكي , (ت 737هـ / 1336م) , المدخل , دار التراث , القاهرة ,د.ت, ج2 , ص 172 ؛ وسيشار له لاحقا : أبن الحاج , المدخل .

(6) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 71 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 76 ؛ المئزر : يقصد به الثوب المحيط بالنصف الأسفل من البدن ؛ مصطفى وآخرون , المعجم الوسيط , ص 16 .

(7) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 76؛ أيوب , التاريخ الفاطمي , ص 181 .

كانت الحمامات تخضع لرقابة المحتسب كل يوم , حيث يقوم بتفقد نظافة الحمامات , وإلزام الرجال بعدم الكشف عن عوراتهم , وإلزام أصحاب الحمامات والقائمين عليها بإشعال البخور داخل الحمام والالتزام بالنظافة[1] .

أول من بنى الحمامات في القاهرة الخليفة العزيز بالله , حيث بلغت الحمامات في الفسطاط ألفاً ومائة وسبعين حماما , أما في القاهرة فقد بلغت ثمانين حماماً[2] .

وقد خصصت حمامات للرجال وحمامات للنساء , كما خصصت أيام معينة للنساء وليس في كل أيام الأسبوع, حيث كانت الحمامات في العصر الفاطمي منقسمة إلى ثلاثة أنواع وهي حمامات عامة , وحمامات خاصة , وحمامات للنساء[3].

1- الحمامات العامة : يقصد بها الحمامات التي يقصدها الناس بمختلف طبقاتهم للاستحمام , وذلك أن الناس لم يألفوا الاستحمام في منازلهم[4] .

2- الحمامات الخاصة : وهذه الحمامات لا توجد إلا في قصور الخلفاء والوزراء والأمراء[5] .

3- الحمامات الخاصة بالنساء : وهي الحمامات التي لا يسمح بالدخول إليها ألا النساء , وكانت واجهات هذه الحمامات بدون فتحات , وله باب يشابه أبواب المساجد , حيث يغطى الحمام بقباب كروية بها فتحات صغيرة مغطاة بالزجاج الملون غير شفاف , وكانت الحوائط من الحجر الجيري , ولها بالداخل سفل من الرخام , كما غطيت الأرض بالرخام الملون , وكانت حوائط الحمامات غنية بالزخرفات[6] .

وأشهر الحمامات التي وجدت في مصر خلال العصر الفاطمي :

1- حمام السيدة العمة : كانا حمامين في أول حارة الروم تجاه سوق الشوايين , وهما الأول للرجال والآخر للنساء[7] .

---

(1) الشيزري , نهاية , ص 87-88 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 536 .

(3) رمضان , هويدا عبد العظيم , المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , 1994م , ج1 , ص 262 ؛ وسيشار له لاحقا : رمضان , المجتمع في مصر .

(4) عاشور , سعيد عبدالفتاح , الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية , مجلة عالم الفكر , الكويت , العدد الأول , مج11 , 1980م , ص 118 ؛ وسيشار له لاحقا : عاشور , الحياة الاجتماعية .

(5) عاشور , الحياة الاجتماعية , ص 118 .

(6) أحمد , المرأة في العصر الفاطمي , ص 172-173 ؛ الجبيلي , علياء يحيى علي , مدينة القاهرة في عهد الدولة الفاطمية , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية للبنات بالرياض , 1996م , ص 300 ؛ وسيشار له لاحقا : الجبيلي , مدينة القاهرة .

(7) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 101 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 536-537 .

2- حمام الساباط : يقع في القصر الغربي , خصص هذا الحمام لتلبية حاجة سكان القصر , حيث كان الخليفة يستحم فيه بعد عودته من المنحر إلى القصر الغربي[1] .

3- حمام الصينمة : يقع هذا الحمام بالقرب من خزانة البنود , على يسار رحبة باب العيد المؤدي إلى قصر الشوك , وقد خرب موضعه وعمل مكانه مبيضة للغزل بالقرب من الجمالية[2] .

4- حمام اللؤلؤة : يقع هذا الحمام برأس الرحبة , ملاصق لدار السناني في القاهرة , أنشأها الأمير لؤلؤ[3] الحاجب[4] .

5- حمام النتر : يقع هذا الحمام بخط دار الوزارة الكبرى , فهو مخصص لدار الوزارة في عهد الخلافة الفاطمية[5] .

6- حمام ابن أبي الدم[6] : هذا الحمام يقع بين سويقة المسعودي وباب الخواجة و أنشأها أبن أبي الدم , خرب هذا الحمام وأصبح مسكناً لأحد قضاة الخليفة الحاكم بأمر الله [7] .

7- حمام الحصينية : يقع هذا الحمام في سويقة الصاحب[8] .

8- حمام دار الذهب : يقع هذا الحمام بدار الذهب , وهو احد مناظر الخلفاء الفاطميين , وقد خرب هذا الحمام ولم يبق له الأثر[9] .

9- حمام ابن قرفة[10] : يقع هذا الحمام بخط سويقة المسعودي من حارة زويلة , بناها ابن قرفة بجوار داره , وقد خرب هذا الحمام وعمل موضعه فندق , أما بئر هذا الحمام فقد أخذت للحمام الذي عرف في العصر المملوكي بحمام السلطان[11] .

---

(1) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 102 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 537 .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 538 .

(3) لؤلؤ الحاجب : هو حسام الدين لؤلؤ الحاجب أرمني الأصل , من جملة أجناد مصر في أيام الخلافة الفاطمية , تقدم في خدمة الأسطول الفاطمي في عهد الوزير صلاح الدين الأيوبي ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 556 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 538 .

(5) المصدر نفسه , ج2 , ص 538 .

(6) أبن أبي الدم : هو يهودي احد كتاب الإنشاء في أيام الخليفة الحاكم بأمر الله ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 539 .

(7) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 539 .

(8) المصدر نفسه , ج2 ؛ ص 540 .

(9) المصدر نفسه, ج2 , ص 540 .

(10) أبن قرفه : هو أبو سعيد بن قرفه الحكيم و متولي الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح في الدولة الفاطمية ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 540 .

(11) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 540 .

10- حمام الأوحد : وهو من الحمامات القديمة , يقع بالقرب من سويقة المسعودي من قنطرة الموسكي , وقد عرف هذا الحمام في العصر المملوكي بحمام السلطان أيضاً[1] .

11- حمام الرصاصي : يقع هذا الحمام بحارة الديلم , أنشأها الأمير سيف الدين[2] , وأوقفها على ذريته وأولاده [3].

12- حمام الجيوشي : يقع هذا الحمام بحارة برجوان , كان تابعاً لدار المظفر بن أمير الجيوش بدر الجمالي , استمر هذا الحمام حتى زوال الخلافة الفاطمية[4] .

13- حمام الخشيبة : يقع هذا الحمام بجوار درب السلسلة و كانت تعرف بحمام قوام الدولة , ثم صارت حماما لدار الوزير المأمون البطائحي[5] .

14- حمام الكوبك : يقع هذا الحمام بين حارة زويلة وبين درب شمس الدولة , , أنشأها الوزير عباس[6] , أحد وزراء الخلافة الفاطمية[7] .

الجسور :

تمثل أهمية الجسور في الاستفادة إلى أقصى حد بمياه الفيضان , فإن أقامة الجسور تحقق أمرين , الأول : استمرار الماء في الأحواض الزراعية , والثاني : صرف الماء عن الأحواض الزراعية وحمايتها من الزائد عن حاجتها , وهذه الجسور لا غنى عنها حيث تحتاج البلاد إلى إقامة الجسور عليها لتحصيل المنفعة بسوق الماء إليها أو صرفه عنها[8] , غالبا ما كانت الخلافة الفاطمية تسخر الأهالي لإنشاء الجسور لضمان المحافظة عليها وإدامتها وضمان إصلاحها من جهة , ومن جهة أخرى تقوم هي بإنشاء الجسور على نفقتها وتسخر الأموال لإدامتها وإصلاحها , حيث يوجد نوعان من الجسور هما :

---

(1) المصدر نفسه , ج2 , ص 541 .

(2) الأمير سيف الدين : هو الأمير سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء , صهر بني رزيك , وزوج ابنة الصالح بن رزيك , فهو كرديا , قدمه الصالح بن رزيك لما ولي الوزارة ونوه به , فلما مات أصبح الأمير سيف مدبرا لابنه ؛ المقريزي و الخطط , ج2 , ص 465 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 544 .

(4) المقريزي , الخطط, ج2 , ص 544 .

(5) المصدر نفسه , ج2 , ص 549 .

(6) عباس : هو عباس بن يحيى بن تميم بم المعز بن باديس , أصله من المغرب , لقب بالأمير ركن الدولة , تولى الوزارة في عهد الخليفة الظافر بأمر الله ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 486 .

(7) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 550 .

(8) أبن مماتي , قوانين , ص 342-343 .

1- الجسور السلطانية : وهي التي تقيمها الدولة للاستفادة منها لحفظ مياه النيل , وهي لعامة النفع , لها رسوم موظفة على الأعمال الشرقية والأعمال الغربية , فيتعين على السلطان الاهتمام بعمارتها والإنفاق على إصلاحها[1] , فكانت الخلافة الفاطمية تنفق ربع خراج البلد على أعمال إصلاحية ومنها الجسور[2] .

2- الجسور البلدية : وهي عبارة عما يخص نفقتها ناحية دون أخرى , يتولى إقامتها المقطعون والفلاحون من أصل مال الناحية, حيث يلتزم صاحب كل دار أن يصلحها أو يزيل ضررها[3] .

غالبا ما كان أهل مصر يصيبهم فيضان النيل , فيتم الاتصال بينهم عن طريق المراكب , لان الجسور تغمرها المياه , لذلك أمر الخليفة المعز لدين الله سنة 364هـ/975م بإصلاح جسر الفسطاط بعد أن كان معطلا[4] , وكانت الخلافة تنفق كثيراً من الأموال لإصلاح وإدامة الجسور , يذكر ناصر خسر أن القرى كانت تشيد على المرتفعات والتلول حتى لا يصيبها الغرق إذا غمر الماء البلاد , حيث أنشأوا على الشاطئ من أول الولاية لآخرها جسرا من الطين ليسير عليه الناس , فتصرف من خزينة السلطان كل سنة للعامل المعتمد عشرة آلاف دينار لتجديد عمارتها[5] .

الخلجان والترع :

تعد الزراعة محور الاقتصاد المصري , فقد اهتم الفاطميون بالزراعة منذ قدومهم إلى مصر , حيث يتركز نجاح الزراعة على عاملين أساسيين , الأول : فيضان نهر النيل , والثاني : عناية الخلافة بتوفير الإمكانيات اللازمة لإيصال المياه إلى الأراضي الزراعية , لذلك أخذت الخلافة الفلاطمية على عاتقها أهمية حفر الترع والخلجان باعتبارها الوسيلة الأهم لتنظيم وتوزيع المياه على الأراضي الزراعية , حتى بلغ عدد الخلجان في مصر خلال العصر الفاطمي خمسة وعشرين خليجاً , أما الترع فقد تزايدت حتى بلغت نحو المائة وسبعة عشر ترعة في جميع أنحاء البلاد[6] . وإن حفر هذه الترع والخلجان كان يتطلب الأموال الوفيرة , فكانت الخلافة الفاطمية تنفق ربع خراج البلد على ذلك [7] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 290 .

(2) المصدر نفسه , ج1 , ص 219 .

(3) المصدر نفسه , ج1 , ص 290 .

(4) المصدر نفسه, ج1 , ص 769 .

(5) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 82-83 .

(6) أبن مماتي , قوانين , ص 205-206 .

(7) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 219 .

وكانت الخلافة الفاطمية تقوم بصيانة وحفر الترع والخلجان كلما دعت إليه الضرورة , فقد أمر الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 404هـ/1013م بإعادة حفر خليج الإسكندرية بعد اندثاره , فأنفق عليه مبلغ خمسة عشر ألف دينار , فحفر كله[1] , ثم أمر الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 502هـ/ 1108م بتجديد حفر خليج القاهرة بعد اندثاره , وأمر بوضع حراسه عليه لمنع الناس من أن يطرحوا فيه شيئاً[2] , وفي سنة 506هـ/1112م حفر الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي بحر أبي المنجا لإيصال الماء إلى المناطق الشرقية بعد أن شكى الناس من شحة المياه[3] .

الشوارع والطرقات :

لم يكن بالقاهرة المعزية شوارع واسعة سوى الشارع الرئيسي المعروف بقصبة القاهرة الذي يشق القاهرة من باب زويلة إلى ميدان بين القصرين ثم يتفرع إلى طريقين , طريق من اليمين يصل إلى رحبة باب العيد من أبواب القصر الشرقي الكبير , وطريق يسلك يسارا مارا بالجامع الأقمر وحارة برجوان ثم إلى باب الفتوح[4] , أما باقي الطرقات والأزقة وان ضاقت احيانا فهي كثيرة , وتبقى أنظف من شوارع الفسطاط وأزقتها , إلا أن شوارعها وأزقتها تبقى مظلمة[5] .

فقد أوجبت الخلافة تنظيف الطرقات التي يسلكها الخليفة في موكبه , ورشها بالماء قبل مسير المركب , وإيقاد المصابيح في الشوارع والطرقات[6] , فقد أمر الخليفة العزيز بالله سنة 383هـ/993م بإضاءة المصابيح على الدور وفي الأسواق قطعا لدابر اللصوصية [7] , كذلك أمر الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 391هـ/1000م أن توقد القناديل في سائر البلد على جميع الحوانيت والأبواب والدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة فأتم ذلك , ولازم الخليفة الحاكم بأمر الله الركوب في الليل إلى المدينة يتفقد الشوارع والأزقة والأسواق , فزينت القياسر والأسواق بأنواع الزينة[8] .

---

(1) المصدر نفسه , ج1 , ص 282 .
(2) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 43 .
(3) المقريزي , الخطط , ج1 , ص 209 , ج2 , ص 341 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 50 .
(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 83 .
(5) أيوب , التاريخ الفاطمي , ص 183 .
(6) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 39 .
(7) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 615 .
(8) المصدر نفسه , ج2 , ص 615-616 .

كذلك اهتمت الخلافة الفاطمية بمكافحة الحريق , فلما تزايد الحريق في القاهرة والفسطاط وفي أماكن أخرى أمر الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 405هـ/1014م باتخاذ القناديل على الحوانيت وأزيار الماء مملوءة , وإزالة السقائف التي على الأبواب والحوانيت , فتم ذلك في الفسطاط والقاهرة[1] .

وفي سنة 517هـ/ 1123م أمر الوزير المأمون البطائحي ولاة مصر والقاهرة بإحضار السقائين وأخذ منهم الحجج باستعدادهم للحضور كلما دعت الحاجة إليهم سواء ليلا أو نهارا , ورتب عددا من العتالين أن يبيتوا على باب كل معونة مع عشرة من الفعلة ومعهم الطوارق والقرب مملوءة بالماء , وان تتكفل الخلافة بجميع نفقاتهم[2] .

الأسواق والخانات والقياسر

عرفت مصر منذ فجر التاريخ بكثرة أسواقها وهذا يرجع إلى طبيعة موقعها الجغرافي المتميز , حيث انتشرت الأسواق في جميع أنحاء مصر , وهذا من الطبيعي لما تتميز به مصر من وفرة الإنتاج وتنوعه في المجال الزراعي والحيواني والصناعي , فقد خلف هذا التنوع في الإنتاج ووفرته في أنحاء مصر نشاطا ملحوظا في عملية تبادل السلع في جميع أنحاء مصر[3] , حتى أن ناصر خسرو قد تعجب عندما زار مصر لما رآه في أسواق الفسطاط من أنواع الفواكه والخضراوات والرياحين وقصب السكر في يوم واحد فعلق بقوله " كل من يفكر كيف تجمع هذه الأشياء التي بعضها خريفي وبعضها ربيعي وبعضها صيفي وبعضها شتوي لا يصدق هذا ... ثم ذكر ولاية مصر عظيمة الاتساع بها كل أنواع الجو من البارد والحار , وتجلب كل الحاجات لمدينة مصر من جميع البلاد , ويباع بعضها في الأسواق "[4] .

فقد تركزت أعداد الأسواق في مدينتي القاهرة والفسطاط خلال العصر الفاطمي , لكن حدثت تغيرات جوهرية في أماكن هذه الأسواق ومسمياتها , وما تمارسه من نشاط تجاري فيما تلا العصور[5] , كما أن بعض الأسواق اندثرت , وبعضها لم يعد لها الوجود , حيث يذكر المقريزي "

---

(1) المصدر نفسه , ج2 , ص 615 .

(2) المصدر نفسه, ص 285 .

(3) سلطان , الأسواق في العصر الفاطمي , مؤسسة الشباب , الإسكندرية , 1997م , ص 15 ؛ وسيشار له لاحقا : سلطان , الأسواق .

(4) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 103 .

(5) سلطان , الأسواق , ص 17 .

وقد كان في مدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الأسواق شيء كثير جدا , قد باد أكثرها , وكفاك دليلا على كثرة عددها أن الذي خرب من الأسواق فيما بين أراضي اللوق إلى باب البحر بالمقس اثنان وخمسون سوقا"[1] , أما عدد الأسواق الموجودة في الفسطاط فبلغت مئتي سوق عامرة[2] .

كانت هذه الأسواق تخضع لرقابة المحتسب , للحد من الغش , ومنع الغلاء , و تحديد الاسعار , ومنع احتكار الحبوب والدقيق على أيدي كبار التجار, فكان يعاقب كل من يخالف من هؤلاء التجار[3] , حيث يذكر ناصر خسرو العقوبة التي يتعرض لها كل من يخالف الأمر بقوله " يصدقون في كل ما يبيعونه , خوفا من العقاب , لأن جزاء من يغش أو يكذب على مشتر فإنه يوضع على جمل ويعطى جرسا بيده ويطوف به في المدينة وهو يدق الجرس وينادي قائلا قد كذبت , وها أنا أعاقب وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب"[4] .

كانت الأسواق تعود للخلافة بالعائدات المالية الكبيرة , فكان الخليفة الفاطمي يملك ما لا يقل عن عشرين ألف دكان في القاهرة , تتراوح أجرة كل دكان بين دينارين وعشرة دنانير في الشهر[5] .

ومن الأسواق المشهورة في مصر في العصر الفاطمي سوق القصبة , وهو من أعظم أسواق مصر , يحتوي على اثني عشر حانوتاً , عامرة بأنواع المأكل والمشارب والأمتعة تبتهج العين لرؤيتها , ويعجب الناظر لهيبتها , ويعجز عن إحصاء ما فيها من البضائع والأشخاص[6].

وكذلك سوق أمير الجيوش , الذي بناه الوزير بدر الجمالي بحارة برجوان الخادم القريب من جامع الحاكم , يباع في هذا السوق اللحوم والزيوت والعطور والألبان والخضراوات , حيث لا يحتاج ساكنوه إلى سوق غيره من وفرة البضائع التي يحتويه السوق[7] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 580 .
(2) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 106 .
(3) الشيرزي , نهاية , ص 48 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص225 .
(4) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 105 .
(5) المصدر نفسه, ص 88 .
(6) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 580 .
(7) المصدر نفسه , ج2 , ص 581 - 582 .

كذلك يوجد سوق القماحين , يعتبر هذا السوق من الأسواق القديمة في القاهرة , حيث يزدهر هذا السوق في شهر رمضان , إذ كانت الفوانيس تعلق على حوانيت السوق , وكانت تباع في هذا السوق كميات كبيرة من الشموع , يجهز منها الشموع الموكبية برسم ركوب الصبيان وصلاة التراويح[1] . وسوق بين القصرين الذي كان واسعا جدا , يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس ورجال , تباع فيه أصناف المأكولات من اللحوم والفواكه والحلويات المصنعة[2].

كذلك وجد سوق الحلاوين , اكتسب هذا السوق من الحلوى المصنوعة من السكر , وكان هذا السوق يزدهر في موسم شهر رجب , والنصف من شعبان , وموسم عيد الفطر الذي يبدأ منتصف شهر رمضان , وموسم عيد الأضحى , كانت تصنع فيه الحلوى على شكل تماثيل الحيوانات , حيث عرفت هذه التماثيل بالعلاليق , لأنها تعلق بخيوط على أبواب الحوانيت , فكانت أوزانها تتراوح ما بين رطل وعشرة أرطال , يشتريه الناس للأطفال[3] . أما سوق الشراحين , الذي يقع في القاهرة فيمتد من حارة الروم إلى سوق الحلاوين , فيه الكثير من الحوانيت , يباع فيها لحوم الشواء والرؤوس , إضافة إلى الأجبان الشامية[4] .

ومن الأسواق الأخرى التي وجدت سوق التفاح , يقع هذا السوق قرب باب زويلة , يرد إليه الفواكه على اختلاف أشكالها وأصنافها مما ينبت في بساتين ضواحي القاهرة , ويباع فيها أيضا التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية , ومنه ينقل إلى أسواق القاهرة والفسطاط , ويصدر منها إلى العراق[5] .

الخانات :

الخانات : مفردها خان , وهي كلمة فارسية تعني البيت أو الفندق , يسكنه التجار[6] , ويضم الخان مجموعة من الحوانيت ومستودعات البضائع الخاصة بالتجار, ويقام هذا الخان داخل الأسواق الرئيسية , وعلى الطرق التجارية, يشكل كمحطات

---

(1) المقريزي , الخطط, ج2 , ص 584 .

(2) المصدر نفسه , ج2 , ص 585 .

(3) المصدر نفسه, ج2 , ص 592 - 593 .

(4) المصدر نفسه , ج2 , ص 593 .

(5) المصدر نفسه, ص 577 .

(6) أبن منظور , لسان العرب , ج10 , ص 313 , ج13 , ص 146 .

لنزول التجار وحفظ بضائعهم , وغالبا ما يتكون الخان من ثلاث طوابق , يكون الطابق العلوي كفندق لراحة التجار , أما الطابق الثاني فيكون على شكل محال تجارية , أما الطابق السفلي فيكون مستودعاً يستخدم لحفظ لبضائع[1] , وغالبا ما يكون خارج الخان ساقية للسبيل وحانوت يشتري منه المسافر ما يحتاج إليه ولدابته[2] .

كان لازدهار حركة التجارة بمصر الفاطمية الأثر الكبير في نمو الحركة السكانية فيها , فانتعشت الخدمات العامة وازداد الطلب عليها , ولا سيما بناء الخانات لاستيعاب الأعداد الكبيرة من الناس الوافدة إلى مصر والقاهرة , لذلك أنشأ الفاطميون الخانات الكثيرة لتفي الحاجات اللازمة , فكانت هذه الخانات ملكاً للخلفاء والوزراء والأمراء[3] , حيث يذكر ناصر خسرو عندما زار مصر قائلا " رأيت خانا سمي دار الوزير لا يباع فيه سوى القصب , وفي الدور الأسفل منه يجلس الخياطون وفي الأعلى الرفاؤون , وسألت القيم على أجرة هذا الخان الكبير فقال كانت سنة عشرين ألف دينار ... وإن في هذه المدينة مائتي خان أكبر منه أو مثله" [4] .

القياسر :

القياسر : وهي كالخان العظيم , تغلق عليها الابواب من حديد , وتطوف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض[5] , وهي عبارة عن مجموعة من المباني العامة على هيئة رواق من أروقة الدير , وبها حوانيت ومصانع ومخازن وأحيانا مساكن[6] .

---

(1) أبن بطوطة , محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم , (ت 779هـــ/1377م , رحلة أبن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار , دار الكتب العلمية , بيروت , 2001م , ص 37 ؛ وسيشار له لاحقا : أبن بطوطة , رحلة ؛ الضلاعين , مروان عاطف , السلع التجارية في الأسواق المصرية في دولة المماليك البحرية (648-784هـــ/ 1250-1382م) , المجلة الأردنية للتاريخ والآثار , عمان , مج 6 , ع 2 , 2012م, ص 85 ؛ وسيشار له لاحقا : الضلاعين , السلع التجارية .

(2) أبن بطوطة , رحلة , ص 37 .

(3) أيوب , التاريخ الفاطمي , ص 179 .

(4) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 106 .

(5) أبن جبير , رحلة , ص 210 .

(6) سرور , محمد جمال الدين , تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق , دار الفكر العربي , بيروت , 1976م , ص 161 ؛ وسيشار له لاحقا : سرور , تاريخ الحضارة .

انتشرت القيساريات في الفسطاط والقاهرة[1] , يباع في هذه القياسر المنتجات الصناعية وسلع الترف[2] , وهناك عدد من القياسر مخصصة لبيع نوع معين من السلع , مثل قيسارية العسل التي يباع فيها أنواع العسل , وقيسارية الأجناد التي يباع فيها الفراء والجوخ , وقيسارية عبدالعزيز التي يباع فيها البر , وقيسارية الحبال مخصصة لبيع الحبال[3] .

ومن أشهر القيساريات في مصر خلال العصر الفاطمي قيسارية أبن أبي أسامة , هذه القيسارية بجوار الجملون الكبير على يسرة من سلك إلى بين القصرين , وقفها الشيخ الأجل أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن أبي أسامة، صاحب ديوان الإنشاء في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله ، وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة ، وينعت بالشيخ الأجل كاتب الدست الشريف ، ولم يكن أحد شاركه في هذا النعت بديار مصر في زمانه ، على وجوه البر سنة 518هـ/ 1124م [4] , وقيسارية أمير الجيوش المعروفة بسوق مرجوش , التي تبدأ من حارة بهاء الدين قراقوش إلى القرب من الجامع الحاكمي , بناها أمير الجيوش بدر الجمالي خلال توليه الوزارة في أيام الخليفة المستنصر بالله [5].

ومن القيساريات التي وجدت في العصر الفاطمي قيسارية المحلى , حيث كانت سكن الصوافين , أي تجار الصوف بسوق الغزالين والعطارين , تشتمل على ستة أبواب , يباع فيها أفخر أنواع الصوف والشعر[6] , وقيسارية ابن ميسر الكبرى , وهي بسوق وردان بالفسطاط , لها خمسة أبواب , مرسومة لبيع الصوف الخام البلدي والمجلوب[7] , وقيسارية ابن ميسر الصغرى , وهذه القيسارية بسوق القماشين بالفسطاط , ويباع فيها الصناديق وما شاكلها , وبها أعيان من التجار[8] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 557 .

(2) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 50 .

(3) البكري , المسالك والممالك , ج2 , ص 607 ؛ أبن سعيد , النجوم الزاهرة , ص 27 ؛ الكندي , الولاة , ص 562 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 559 .

(5) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص 52 .

(6) أبن دقماق , إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي , (ت 809هــ/ 1407م) , الانتصار لواسطة عقد الأمصار , منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع , بيروت , د.ت , ق1 , ص 38 ؛ وسيشار له لاحقا : أبن دقماق , الانتصار .

(7) أبن دقماق , الانتصار, ق1 , ص 38 .

(8) المصدر نفسه , ق1 , ص 39 .

كانت القياسر في العصر الفاطمي في غاية النظام والنظافة , وكانت الدكاكين عامرة بمختلف أنواع السلع , وقد بلغ من روعتها ما يطول الوصف بنعت أسواقها , حتى وصفت بأنها من أجل أمصار المسلمين واكبر مفاخرهم[1] .

الوكالات :

الوكالات : تشبه الفنادق يعلوها رباع , تشمل على بيوت كثيرة , ينزلها التجار ببضائعهم من بلاد الشرق الإسلامي وتجار العراق وبلاد الشام[2] . ومن أشهر الوكالات في مصر خلال العصر الفاطمي الوكالة الآمرية التي أنشأها الوزير المأمون البطائحي سنة 516هـ/ 1121م بجوار دار الضرب , مخصصة لسكن لمن يصل من التجار العراقيين والشاميين وغيرهم من التجار[3] .

تعتبر الوكالات من الأماكن التي يتم فيها عمليات البيع الشراء بالجملة والتجزئة , وتوزيع ما يرد إليها على الأسواق , فكان التجار الشرق يتخذون من الوكالات مسكنا لهم , ومكانا لحفظ أموالهم وودائعهم[4] .

الفنادق

الفنادق : هي كلمة لاتينية تدل على مبنى ضخم مكون من عدة طوابق فيه غرف مختلفة ومخازن , وبه صحن داخلي , يستخدم لخزن السلع ونزول التجار ودوابهم , فهو مكان لإقامة التجار ومخزن لحفظ بضائعهم[5] .

تحتوي الفنادق على كنيسة صغيرة يقيم فيها التجار الأجانب شعائرهم الدينية , وفيها فرن لصناعة الخبز[6] , فقد تميزت مصر في عصر الخلافة الفاطمية بانتشار الفنادق في معظم البلاد , ومنها الإسكندرية , حيث يوجد بها فنادق للتجار الذين يقيمون في مصر فكان لكل طائفة فندق[7] ,

---

(1) المقدسي , أبو عبدالله محمد بن أحمد , (ت 330هـــ/ 990م) , أحســن التقاســيم في معرفة الاقاليم , ط3 , مكتبة المدبولي , القاهرة , 1991م , ص 199 ؛ وسيشار له لاحقا : المقدسي , أحسن التقاسيم .

(2) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 576-577 .

(3) المصدر نفسه , ج2 , ص 256 .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 577 ؛ سرور , الدولة الفاطمية , ص 141 ؛ الضلاعين , السلع التجارية , ص 86 .

(5) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 577 ؛ ماجد , دولة السلاطين المماليك ورسومهم , مطبعة الانجلو , مصر , 1964م , ج1 , ص 124 ؛ وسيشار له لاحقا : ماجد , دولة السلاطين ؛ الضلاعين , السلع التجارية , ص 84 .

(6) ماجد , دولة السلاطين , ص 124 .

(7) المرجع نفسه , ص 124 .

وكذلك تينيس , فقد ذكر ابن بسام بأن تينيس يوجد بها ست وخمسون فندقا[1] , اما في عيذاب فكان هناك فندق نزل فيه أبن جبير وهو في طريقه إلى الحج[2] .

البيمارستان : لفظة البيمارستان لفظة فارسية , وذلك أن البيمار بالفارسي هو المرضى وستان هو موضع اي موضع المرضى[3] , البيمارستان (بفتح الراء وسكون السين) وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين بيمار بمعنى مريض أو عليل أو مصاب بمرض , وستان بمعنى مكان أو دار , فهي أذن دار المرضى ثم اقتصر الاستعمال فصارت مارستان[4] .

كانت البيمارستانات في أول عهدها إلى زمن طويل مستشفيات عامة تعالج فيها المرضى وجميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية ورمدية وعقلية , إلى أن أصابتها الكوارث ودار بها الزمن وحل بها البوار وهجرها المرضى فأفرغت من المرضى سواء المجانين حيث لا مكان له سواها[5] .

يبدو أن الخدمات الصحية في مصر خلال العصر الفاطمي لم تلق العناية الكافية , إذ استمرت في العمل بالبيمارستان الذي أسسه احمد ابن طولون أو الإخشيد , ذلك لأن الخلفاء جمعوا في قصورهم أشهر الأطباء وأغدقوا عليهم الأموال والخلع ومنحوهم الدور وأولوهم الوظائف والمناصب[6] .

جعل الفاطميون الأطباء مداومين على الخدمة في القصور لعلاج الخلفاء ومن اعتل من أهل القصر , بينما بقيت البيمارستان دون رعاية , إلا حالة واحدة سجلها لنا المقريزي هي زيارة الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله سنة 415هـ/ 1024م متنكرا فطاف في البيمارستان فأطلق لكل واحد من المجانين خمسين درهماً , وأمر ان يدفع للقائم عليهم خمسين درهماً , وأن يطبخ للمجانين كل يوم ما يأكلونه قبل تناول أدويتهم [7].

---

(1) أبن بسام , محمد بن أحمد بن بسام , (ت 542هـ/ 1147م) , انيس الجليس في أخبار تينيس , تحقيق جمال الدين الشيال , مجلة المجمع العلمي العراقي , بغداد , مج14 , 1976م , ص 14 ؛ وسيشار له لاحقا : أبن بسام , أخبار تينيس .

(2) أبن جبير , رحلة , ص 41 .

(3) أبن أبي اصيبعة , عيون الانباء , ج1 , ص 47 .

(4) بك , أحمد عيسى , تاريخ البيمارستانات في الاسلام , المطبعة الهاشمية , دمشق , 1939م , ص 8 ؛ وسيشار له لاحقا : بك , تاريخ البيمارستان .

(5) المرجع نفسه , ص 8 .

(6) العيدروس , محمد حسن , الدولة الإسلامية الخامسة , دار الكتاب الحديث , القاهرة , 2010م , ص 685 ؛ وسيشار له لاحقا : العيدروس , الدولة الإسلامية .

(7) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 143 .

ثانيا : نفقات المؤسسات التعليمية

اهتم الخلفاء الفاطميون منذ أن استقر سلطانهم في مصر بالعمل على نشر الثقافة التعليمية , فضلا عن الثقافة المذهبية التي تتصل بالدعوة الإسماعيلية , وكان للجامع الأزهر الأثر الكبير في النهوض في الحياة الثقافية في مصر , وأنفقت على هذه الدعوة الأموال الطائلة , وقد تركز الاهتمام بالمؤسسات الثقافية والتعليمية المتمثلة بخزائن الكتب ودار العلم والمدارس .

خزائن الكتب

تعد خزانة القصر الشرقي من مفاخر الخلافة الفاطمية لما تتميز به عن باقي المكتبات , حتى أنها وصفت بأنها من عجائب الدنيا , وأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام خزائن للكتب أعظم من الخزانة التي توجد في القاهرة داخل القصر , ومن عجائبها أنها احتوت على ألف ومئتين وعشرين نسخة من تاريخ الطبري , ويقال أنها تحتوي على ألفي ألف وستمائة ألف كتاب[1] .

اقتدى الفاطميون بالعباسيين في بغداد , والأمويين في الأندلس باقتناء الكتب النادرة في مختلف العلوم , فقد كان الخليفة المعز لدين الله حريصا على شراء الكتب النادرة , ومن شدة إعجابه بالكتب كان يخطها بيده , فقد أحضر إليه مصحفا كبيرا اشتراه بأربعمائة دينار[2] .

أما الخليفة العزيز بالله فقد اشترى نسخة من كتاب الطبري حمله إليه رجل بمائة دينار[3] .

أما محتويات الخزائن فيقدم لنا الزبير صاحب كتاب الذخائر والتحف الذي كان في القاهرة في زمن الشدة واصفا المكتبة بقولة " إن عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة , من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة , وأن الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألف وأربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن , محلاة بذهب وفضة وغيرها , وإن جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم لم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة دون خزانة القصر الداخلة التي لا يتوصل إليها , ووجد صناديق مملوءة أقلاماً مبرية من بارية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما"[4]

---

(1) أبو شامة , الروضتين , ج2 , ص 210 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 148-149 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 163 .

(4) الزبير, الذخائروالتحف , ص 262؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 164-165 .

كما قدم لنا أبن طوير الذي عاصر نهاية الخلافة الفاطمية في مصر وصفا عن تنظيم هذه الخزانة بقولة " وتحتوي هذه الخزائن على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بحواجز , وعلى كل حاجز باب متقن بمفصلات وقفل , وفيها من أصناف الكتب ما يزيد عن مائتي ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات , فمنها في الفقه على سائر المذهب , والنحو , واللغة , وكتب الحديث النبوي , والتواريخ , وسير الملوك , والنجامة , والروحانيات , والكيمياء , من كل صنف نسخة والعشرة , ومنها النواقص التي ما تممت , كل ذلك مترجمة ورقة ملصقة على باب كل خزانة وما فيها , والمصاحف الكريمة في كل مكان فيها فوقها , وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ومن يليه ومن يماثله , كابن البواب وغيره"[(1)] .

أما مسألة الأشراف على هذه الخزائن فقد تولى الخلفاء ذلك بأنفسهم , حيث كان يتوجه الخليفة بنفسه للمكتبة راكبا , ويدخل إليها ويترجل على الدكة , ويجلس ويحضر إليه أمين الخزانة فيأتيه بمصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب , ثم يأخذ شيئاً للمطالعة ثم يعيده بعد ذلك [(2)]

احتوت المكتبة على ناسخين وفراشين , فإذا أراد الخليفة تفقد الخزانة مشى فيها مشية لينظرها , ثم يأمر بإعطاء الشاهد عشرين ديناراً في كل مرة يتفقد فيها المكتبة [(3)].

وشارك الوزراء الفاطميون الخلفاء في تكوين المكتبات , فقد ذكر ابن خلكان ان يعقوب بن كلس وزير الخليفة الفاطمي العزيز بالله كان في بيته قوم يكتبون القرآن الكريم , وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب وحتى الطب , ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها[(4)].

كذلك كان الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي يمتلك خزانة كتب كبيرة , فعندما قتل أقام الخليفة الآمر بأحكام الله في داره أربعين يوماً والكتاب بين يدية يكتبون ما ينقل إلى القصور فوجد له من الذخائر النفيسة ما لا يحصى , ومن ضمنها دواة يكتب فيها مرصعة بالجوهر قوام جوهرها اثنا عشر ألف دينار , ووجد له خمسمائة ألف مجلد من الكتب العلمية[(5)].

واهتم الخلفاء الفاطميون بموظفي الخزائن حيث يذكر لنا المقريزي ضمن أحداث 506 هـ/ 1112 م وصل يائنس الناسخ من الشام فاستخدم في خزائن الكتب الأفضلية براتب عشرة دنانير في الشهر , وثلاث رزم كسوة في السنة , إضافة إلى الهبات والرسوم[(6)] .

---

(1) أبن طوير , نزهة , ص 127 .

(2) أبن طوير , نزهة, ص 127 .

(3) المصدر نفسه , ص 127-128 .

(4) أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج7 , ص 29 .

(5) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 69-70 .

(6) المصدر نفسه , ج3 , ص 51 .

كذلك نرى اهتمام الوزير المأمون البطائحي بالعلم والعلماء , حيث قرر المأمون للشيخ أبي جعفر يوسف بن أحمد سنة 516هـ/ 1122م لما قدم من الأندلس وصار ضيف الدولة ، كسوة شتوية وعيدية ورسوم ، وأقطعه دارا بالقاهرة ، وكتب له منشوراً بموجبه كلف الوزير المأمون أبي جعفر[1] بأن يشرح له كتب أبقراط إذ كان من أجل كتب الطب وأوفاها وأكثرها غموضا , وان يحمل ما يكتمل أولاً إلى خزانة الكتب , وقراءته على جميع من يحضر إليه من أهل هذه الصناعة , فأقبل الأطباء إليه , واجتمع الناس حوله , فخصص له يومين يشرح فيها , أما باقي الأسبوع فينصرف فيها إلى التصنيف , ويحمل ما ينجز إلى خزائن الكتب , ووضع تحت يده كاتبين لتبيض ما يؤلفه [2] .

وتعرضت خزائن كتب القصر الفاطمي لأزمات كثيرة , أضاعت من ذخائرها الشيء الكثير , إلى أن قضي عليها تماما في أثناء الشدة العظمى في عهد الخليفة المستنصر بالله[3] , حيث يذكر المقريزي نقلا عن أبن الزبير صاحب كتاب الذخائر والتحف " إنه كان بمصر في العشر الأوائل من محرم عام 461هـ/1068م قد رأى فيها خمسة وعشرين جملاً موقرة كتبا محمولة إلى دار الوزير ابي فرج محمد بن جعفر المغربي , فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر ... وكانت حصته قومت عليه بخمسة آلاف دينار , وكانت تساوي أكثر من مائة ألف دينار , ونهبت من داره في نفس السنة"[4] .

كذلك استولى الجند والأتراك والأمراء على نفائس ما كان في خزائن الكتب الفاطمية , فمزقت محتوياتها , فصارت بعض هذه الكتب برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم , ثم أحرقوا ورقها بحجة ان فيها كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم , سوى ما غرق وتلف , وحمل ما حمل إلى باقي الأمصار , أما ما تبقى فقد عصفت به الرياح فصار تلالا عرف بتلال الكتب[5] .

دار العلم

---

(1) أبو جعفر يوسف بن أحمد : هو أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسدية بن يوسف، الإسرائيلي الأصل ، من الفضلاء في صناعة الطب وله عناية بالغة في الاطلاع على كتب أبقراط وجالينوس وفهمها , وكان قد سافر من الأندلس إلى الديار المصرية سنة 516هــ/ 1122م ولقي العناية من الوزير المأمون البطاحي , وله من المؤلفات الشيء الكثير ؛ أبن أبي اصيبعة , عيون الانباء , ص 499 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج3 , 94-95 ؛ أبن أبي أصيبعة , عيون الأنباء , ص 500 .

(3) سيد , خزائن الكتب الفاطميين , معهد المخطوطات العربية , مصر , ج1 , 1998م , ص 12 ؛ وسيشار له لاحقا : سيد , خزائن الكتب .

(4) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 164

(5) المقريزي , الخطط , ج2 , ص164 ؛ سيد , خزائن الكتب , ص 12-13 .

من جملة اهتمام الفاطميين بالعلم والمعرفة هو أنشاء دار العلم , حيث أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 395هـ/1005م بجوار القصر الغربي المقابل للجامع الأقمر[1] , أطلق على هذه الدار اسم دار الحكمة , وتردد عليها الفقهاء والمقرئون والنحويون والأطباء والمنجمون وغيرهم من أرباب العلم , وفرشت بمختلف أنواع الفرش , وزودت هذه الدار بكل ما يحتاج اليه العاملون والمتعلمون , وعلقت الستور على جميع أبوابها وممراتها , وخصص لها قيم لخدمتها , ومجموعة من الفراشين يعتنون بفرشها , وأجريت الأرزاق على جميع من كان فيها من قراء وفقهاء وخدم[2] .

بعد أن افتتحت الدار نقل إليها الكتب من خزائن القصر في العلوم والآداب , وكذلك الكتب المنسوبة إلى أشهر النساخ ما لم يُرَ قبله مجتمعا , ولا من ملوك وخلفاء المسلمين , حيث جهزت دار العلم بالحبر والأوراق والأقلام , وأبيح كل ذلك لمن يريد قراءة الكتب ونسخها[3], ورصدت الخلافة مبالغ سنوية لهذه الدار , فبلغت في كل سنة مائتين وسبعة وخمسين ديناراً وزعت على النحو الآتي[4] :

الصنف	القيمه
ثمن الحصر	10 دنانير
ثمن الورق للناسخ	90 ديناراً
الخازن	48 ديناراً
ثمن الماء	12 ديناراً
الفراشون	15 ديناراً
ثمن الحبر والأقلام	12 ديناراً
ثمن لملمة الستارة	1 دينار
ثمن لمه الكتب	12 ديناراً
ثمن فرش الشتاء	15 ديناراً
ثمن طنافس في الشتاء	4 دنانير

(1) المقريزي , اتعاظ, ج2 , ص 52 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 275

(2) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص52 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 275 .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 275 .

(4) المصدر نفسه , ج2 , ص 275 .

وكان الخليفة الحاكم بأمر الله يستدعي إلى قصره جماعة من العلماء للمناظرة , ففي سنة 403هـ/ 1012م أحضر الخليفة إلى قصره جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء ومن الأطباء , وتناظرت كل طائفة منهم بين يديه , ثم خلع على الجميع , ووقف الخليفة الحاكم بأمر الله أماكن في الفسطاط على دار العلم(1) .

وأسندت رئاسة هذه الدار إلى داعي الدعاة , وقد يكون الهدف من ذلك أن تكون تلك الدار ودعاتها تحت سيطرة الخليفة , حتى يكون الخليفة على علم بما يجري فيها , فضلا عن إشراف داعي الدعاة على عقد المجالس الخاصة بعلوم المذهب الفاطمي فيها , أما عن الحلقات الدراسية التي تتم فيها فهي كثيرة ومتنوعة , إلى جانب ذلك تدريس علوم آل البيت , حيث تكون طريقة التعليم فيها لا تختلف عن طريقة التعليم في المساجد الإسلامية الأخرى , منها طريقة الحلقة , وطريقة الشرح أو المناظرات , فكان الطلاب يدخلون إلى الدار بحرية للانتفاع بعلومها المختلفة , فضلا عن إجراء الأرزاق عليهم في جميع الأوقات ولاسيما في الأعياد والمواسم(2).

وأغلقت هذه الدار في عهد الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي , حيث يعود السبب في إغلاقها إلى اجتماع الناس فيها , والخوض في أمور مذهبية , والخوف من الاجتماع على المذهب النزاري , ولما قتل الأفضل عام 515هـ/ 1121م أمر الخليفة الآمر بأحكام الله وزيره المأمون بإعادة فتح الدار سنة 517هـ/ 1123م , مشترطا على اقتصارها على العلوم الشرعية , واستخدام فيها المقرئين للقرآن الكريم(3) .

المدارس

يقصد بالمدارس الأماكن التي بنيت بمجهود الدولة أو الأفراد وتتعهد بالإنفاق عليها , وقد تحبس عليها الأوقاف للإنفاق على الطلبة والعاملين عليها(4) .

---

(1) المصدر نفسه , ج2 , ص 275 .

(2) الكندي , الولاة , ص 60 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 87 ؛ المقريزي , الخطط , ج2 , ص 275 - 277 ؛ علي , خطاب عطية , التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول , مطبعة الاعتماد , مصر , 1947م , ص 158 ؛ وسيشار له لاحقا : علي , التعليم .

(3) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 278 .

(4) الطيباوي , عبداللطيف , محاضرات في تاريخ العرب والإسلام , دار الأندلس , بيروت , 1963م , ج1 , ص 54 ؛ وسيشار له لاحقا : الطيباوي , تاريخ العرب .

لم تعرف مصر في بدايات العصر الفاطمي المدارس , وإنما كانت بدايات التدريس في جامع الأزهر سنة 365هـ/ 975م أي بعد ثلاث سنوات من دخول الخليفة المعز لدين الله إلى مصر , ففي هذا العام جلس القاضي علي بن النعمان في الجامع وأملى مختصر أبيه في الفقه عن أهل البيت, ويعرف هذا المختصر بالاقتصار , فكان جمعا عظيما وأثبت أسماء الحاضرين[1].

ولما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للخليفة العزيز بالله رتب داره مجلسا للعلماء من الأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين , وأجرى على جميعهم الأرزاق[2] , وكان يجمع الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل لمناقشة كتاب ألفه أسماه الرسالة الوزيرية , وهو في الفقه الإسماعيلي يتضمن ما سمعه من الخليفة المعز لدين الله وابنه العزيز بالله[3] .

شهدت سنة 378هـ/ 988م أول محاولة لترتيب درس منظم في الجامع الأزهر , فقد استأذن الوزير يعقوب بن كلس الخليفة العزيز بالله في تعيين جماعة من الفقهاء بجامع الأزهر , وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها , كانوا يجتمعون كل جمعة بجامع الأزهر بعد الصلاة , يدرسون الفقه حتى وقت العصر , فأجرى عليهم الخليفة العزيز بالله أرزاقاً تكفيهم كل شهر , وأمر لهم ببناء دار إلى جانب الجامع الأزهر , وخلع عليهم في عيد الفطر وحملهم على البغال[4].

أما في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله فكان التدريس يتم في دار العلم التي بناها سنة 395هـ/1005م , فكانت عن طريق حلقات أشبه بحلقات المساجد[5] .

وقد نشأت المدارس في أواخر العصر الفاطمي متأثرة بذلك بالسلاجقة والاتابكة وبالتحديد المدارس النظامية , فإن المصادر ذكرت إنشاء المدرسة الحافظية والمدرسة العادلية , ولم تذكر حجم النفقات التي أنفقتها عليها , وتعد المدرسة الحافظية هي أول مدرسة أنشئت في مصر خلال العصر الفاطمي , بناها الوزير الفاطمي رضوان بن ولخش سنة 532هـ/1138م في الإسكندرية , وقد سميت بالحافظية نسبة إلى الخليفة الحافظ لدين الله[6] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 383 .
(2) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 383 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج7 , ص 30 .
(3) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 283 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج7 , ص 30 .
(4) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 383-384 ؛ سيد , الدولة الفاطمية , ص 585 .
(5) المقريزي , الخطط, ج2 , ص 275 .
(6) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 167 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج10 , ص 465 .

وقد اشتملت المدرسة على مساكن للطلبة تكون مستقرّا لهم ومقاما ، ومثوى لجميعهم , ومحلّا لكافّتهم , وأن يطلق من ديوان الخليفة مؤونتهم من عين وغلة , فكانت الخلافة تتكفل بجميع نفقات الدارسين فيها[1] . أما المدرسة العادلية فقد بناها الوزير العادل بن سلار في الإسكندرية سنة 544هـ/1149م لتدريس المذهب الشافعي[2] .

ثالثا : نفقات عمارة الجوامع والمساجد والمشاهد

اهتمت الخلافة الفاطمية اهتماما كبيرا بالعمارة الدينية , ويعود هذا الاهتمام إلى نشر المذهب الإسماعيلي مذهب الخلافة الفاطمية الرسمي , بالإضافة إلى حياة البذخ والترف والرخاء الذي ساد معظم فترات حكم الدولة الفاطمية الذي انعكس على بناء هذه العمائر والتي شملت الجوامع والمساجد .

وقد اهتمت الخلافة الفاطمية اهتماما كبيرا بإنشاء الجوامع والمساجد , حيث أنفقوا الأموال الطائلة لإنشائها , فلم يكن الغرض من إنشائها مقتصرا على الأغراض الدينية فحسب , بل كانت هناك أهداف سياسية واجتماعية متمثلة بمنافسة الخلافة العباسية في بغداد , وجذب الناس اليهم , وبث تعاليم المذهب الإسماعيلي بين المصريين , لذلك اتخذوا من المساجد وسيلة لنشر دعوتهم , فقد بلغت عدد المساجد في القاهرة والفسطاط خمسة عشر مسجدا على حد قول ناصر خسرو [3] . وسنتناول الحديث عن الجوامع على النحو الآتي :-

1- الجامع الأزهر

يعتبر الجامع الأزهر أول جامع أسس في القاهرة , بناه القائد جوهر الصقلي مولى الخليفة المعز لدين الله , عندما بدأ بتأسيس القاهرة , ابتدأ بناء هذا الجامع في يوم السبت لست بقين من جماد الأولى سنة 359هـ/970م , واكتمل بناؤه في التاسع من رمضان سنة 361هـ/972م[4] , ولم تذكر المصادر المبالغ التي أنفقها القائد جوهر لبناء هذا الجامع , إلا أنها أدرجت ضمن نفقات بناء مدينة القاهرة والتي سبق وتحدثت عنها .

---

(1) القلقشندي , صبح الأعشى , ج10 , ص 465 .

(2) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 198 ؛ أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج2 , ص 198 .

(3) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 101 .

(4) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 213 .

وتم تجديد هذا الجامع بمرور الزمن , فكان أول تجديد له في عهد الخليفة العزيز بالله سنة 378هـ/988م , وعين فيه خمس وثلاثون رجلا من الفقهاء , وأطلق لهم الرزق ما يكفي , وأمر بشراء دار لهم بجانب الجامع الأزهر[1] .

ثم جدد في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله , وأوقفت عليه رباعاً في الفسطاط مع غيره من المساجد الأخرى[2] . كذلك جدد في عهد الخليفة المستنصر بالله , وجدد في عهد الخليفة الحافظ لدين الله , فأنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربي عرفت بمقصورة فاطمة[3] .

وخصصت الخلافة الفاطمية أموالاً من أجل عمارة الجامع , ومصاريف أخرى قدرت بألف دينار وواحد وسبعة وستين ديناراً ونصف دينار وثلث دينار في السنة موزعة على النحو الآتي[4]:

أبواب الصرف	قيمة المبلغ في السنة
راتب الخطيب	84 ديناراً
ثمن ألف ذراع حصر	84 ديناراً
ثمن ثلاثة عشر ألف ذراع لكسوة الجامع	108 دنانير
ثمن ثلاث قناطير زجاج	12,75 ديناراً
ثمن العود الهندي والبخور في شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع	15 ديناراً
ثمن نصف قنطار شمع	7 دنانير
ثمن كنس الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيط واجرة الخياط	5 دنانير
ثمن مشاعل لسرج القناديل	دينار واحد
ثمن الفحم للبخور عن قنطار واحد	نصف دينار
ثمن الملح للقناديل	ربع دينار

(1) المصدر نفسه, ج3 , ص 213 .
(2) المصدر نفسه , ج3 , ص 214 .
(3) المصدر نفسه , ج3 , ص 217 .
(4) المقريزي , الخطط, ج3 , ص 215 – 216 .

ثمن النحاس والتنانير والقباب فوق سطح الجامع	24 ديناراً
ثمن لف أربعة حبال وست دلال	نصف دينار
ثمن قنطارين خرقا لمسح القناديل	نصف دينار
ثمن عشر قفات للخدمة وثمن عشر قناديل قنب لتعليق القناديل	نصف دينار
ثمن مائتي مكنسة لكنس الجامع	دينار وربع دينار
ثمن أزيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها	3 دنانير
ثمن زيت الوقود	3 دنانير
ثمن ألف ومائتي رطل زيت مع أجرة الحمل	37,5 ديناراً
راتب الأئمة وهم ثلاثة , وأربعة قومة وخمس عشرة مؤذنا	556,5 ديناراً
راتب المشرف على الجامع	24 ديناراً
ثمن كنس وإخراج الوسخ من الجامع	دينار واحد
ثمن باقي احتياجات الجامع من كنس ومسح الأتربة وخياطة السجاد	60 ديناراً
ثمن علف لرأسين من البقر للمصنع الذي في الجامع	8,75 دنانير
ثمن أجرة المخزن	4 دنانير
ثمن فداني قرط لتربية راسي بقر	7 دنانير
أجرة متولي علف البقر والسقي	15,5 ديناراً
أجرة الميضاءة التابعة للجامع	12 ديناراً

كان بيت المال هو المسؤول عن النفقات التي تنفق على المساجد على حد قول جوهر الصقلي من خلال وثيقة الأمان التي أعطاها للمصريين " وأن أتقدم في رم مساجدكم ، وتزيينها بالفرش والإيقاد ، وأن أعطي مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم ، وأدرها عليهم ، ولا أقطعها عنهم، ولا أدفعها إلا من بيت المال"[1] .

2- جامع الحاكم

ينسب هذا الجامع إلى الخليفة الحاكم بأمر الله , مع أن الذي أمر بإنشائه هو والده الخليفة العزيز بالله في رمضان سنة 380هـ/ 990م , إلا انه توفي قبل إتمامه , فأتمه أبنه الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 393هـ/1003م , فبلغت تكاليف البناء أربعين ألف دينار[2] , وفي سنة 401هـ/ 1010م تم تجديد الجامع فزاد في منارته , ثم أمر الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 403هـ/1012م بعمل تقدير ما يحتاج إليه الجامع من حصر وقناديل والسلاسل فبلغت النفقة على ذلك خمسة آلاف دينار[3] , وحمل إليه أربعة تنانير فضة حجر , وقناديل مذهبة عددها أربعمائة قنديل بسلاسل فضة , وعلق على أبوابه الستور , وفرشه بفرش فاخر[4] , وحبس الخليفة الحاكم بأمر الله على هذا الجامع عدة قياسر وأملاك بباب الفتوح[5] .

3- جامع راشدة

بناه الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 393هـ/1002م في الفسطاط , والذي كان في الأصل كنيسة على النيل جنوب الفسطاط , فأمر الخليفة الحاكم بإزالتها وبناء الجامع مكانها[6] , وتم بناء الجامع سنة 395هـ/ 1005م , وتم تجهيزه بالفرش والقناديل وكل ما يحتاج إليه تحت إشراف الخليفة الحاكم بأمر الله[7] .

تم تجديد الجامع سنة 400هـ/ 1010م , فأمر الخليفة الحاكم بأمر الله بتجهيز الجامع بقناديل وتنور من فضة زنته ألوف كثيرة علقت بجامع راشدة , وفي سنة 401هـ/1011م هدم هذا الجامع وتم إعادة بنائه[8] . ولم تذكر المصادر حجم الأموال التي أنفقت عليه .

---

(1) المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 105 .

(2) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 222 ؛ المقريزي , اتعاظ , ج1 , ص 267 ؛ الدواداري , الدرر المضيئة , ص 269 .

(3)المقريزي , الخطط, ج3 , ص 222 .

(4) الدواداري , الدرة المضية , ص 286 .

(5) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 223 .

(6) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 234 ؛ الدواداري , الدرة المضية , ص 270 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , ج4 , ص 345 .

(7) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 234 .

(8) المقريزي , الخطط, ج3 , ص 234 .

4- جامع المقس

أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس , بجانب منظرة المقس التي يستعرض فيها الخليفة الأسطول الفاطمي قبل ذهابه إلى الحرب وعند رجوعه , وقد أوقف الخليفة الحاكم بأمر الله على هذا الجامع أوقافاً كثيرة , تصرف على عمارته من الفرش والبخور[1].

5- جامع القرافة أو جامع الأولياء

بنته السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز لدين الله , وأم الخليفة العزيز بالله سنة 366هـ/ 976م في القرافة[2] , فهو ثاني جامع أقامه الفاطميون في مصر بعد الجامع الأزهر , حتى إنه بني على هيئته , يتكون من قصر ومسجد وحمام , وبه بستان كان منتزها وفي غربيه صهريج ومدخل , وفي الوسط مقصورة تتكون من عدة أبواب , وأمام كل باب قنطرة على عمود رخام ومزوقة بأنواع الأصباغ الملونة , وله منظرة كبيرة مطلة على قبو , وتحته حوض لسقي الدواب[3] .

وكان جامع القرافة يؤدي دوره كسائر الجوامع في مصر , ترسل له الأسمطة في الأعياد والمناسبات التي تقيمها الخلافة برسم الخاص بالقراء والوعاظ , ويفرق منه على المساكين[4].

وفي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله تم تجديد الجامع , حيث أمر الخليفة الوزير المأمون بترميم ما تهدم منه , وأن يعمر بجانبه طاحونة للسبيل ويبتاع لها الدواب , ويختار من أهل التقى الساكنين بالقرافة ليجعله وكيلا عليها , جاعلا له ما يكفيه من علف الدواب , وجميع ما يحتاج إليه من مؤن , على أن تكون الغاية من إنشاء الطاحونة إعفاء الفقراء من كلفة الطحن , وبقي هذا الجامع إلى أن احترق بحريق الفسطاط عام 564هـ/1169م [5].

(1) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 237 ؛ أبن دقماق , الانتصار , ق1 , ص 68 .

(2) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 325 .

(3) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 63 ؛ المقريزي , الخطط , ج3 , ص325-326 .

(4) أبن المأمون , أخبار مصر , ص 35 و ص 60.

(5) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 330 .

6- الجامع العتيق

يوجد هذا الجامع بمدينة الفسطاط , يقال له تاج الجوامع , وجامع عمرو بن العاص , وهو أول مسجد أسس بديار مصر بعد الفتح , شيده عمرو بن العاص أيام إمارته على مصر سنة 21هـ/642م من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] .

يذكر ناصر خسرو أن الخليفة الحاكم بأمر الله قد اشترى هذا الجامع من أحفاد عمرو بن العاص بمبلغ مائة ألف دينار , ثم أدخل عليه عمارات كثيرة وعظيمة منها ثريا فضية لها ستة عشر جانبا , كل جانب منها ذراع ونصف , فصارت دائرتها أربعاً وعشرين ذراعاً , يقال أن وزن هذه الثريا خمسة وعشرون قنطارا من الفضة , كل قنطار مائة رطل , وكل رطل أربعة وأربعون ومائة درهم , يقال حين تم صفها لم يتسع الباب لكبرها , فخلعوا بابا وادخلوها منه ثم أعادوا الباب إلى مكانه[2] .

واهتم الخلفاء الفاطميين بعمارة هذا الجامع , ففي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله تم تجديد بياض الجامع سنة 387هـ/997م[3] , ثم أطلق الخليفة الحاكم بأمر الله في نفس السنة ألفي دينار لعمارة الجامع , فعمرت منارته الكبيرة[4] .

ويوقد في هذا الجامع في ليالي المواسم أكثر من سبعمائة قنديل , ويفرش بعشر طبقات من الحصير الجميل الملون بعضها فوق بعض , ويضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل[5] . وان مثل هذه الأعمار والتجديدات كانت تكلف الخلافة الأموال الكثيرة .

7- جامع الفيلة

يقع هذا الجامع بجوار بركة الحبش , بناه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي سنة 478هـ/1085م , فأطلق عليه جامع الفيلة لأن قبته تتكون من تسع قباب , وفي أعلاه ذات قناطر إذا رآها الإنسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيلة , بلغت نفقات بناء هذا الجامع ستة آلاف دينار[6] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 144-145 ؛ ناصر خسرو , سفر نامة , ص 102.

(2) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 102 .

(3) أبن دقماق , الانتصار , ق1 , ص 68 .

(4) الدواداري , الدرة المضية , ص 261 .

(5) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 102 .

(6) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 215 .

8- المسجد الجيوشي

بناه الوزير بدر الجمالي على هضبة جبل المقطم سنة 478هـ/ 1085م , تعلو هذا المسجد لوحة من الرخام نقشت عليها بالخط الكوفي , سجل بتاريخ بناء المسجد , ونصها " بسم الله الرحمن الرحيم , (أنما يعمر مساجد الله من أمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)[1] مما أمر بعمارة هذا المسجد المبارك فتى مولانا وسيدنا الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين وسلم إلى يوم الدين , السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام , كامل قضاة الإسلام , وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وكيد عدوه وحسدته ابتغاء مرضاة الله في المحرم سنة ثمان وسبعين وأربعمئة "[2] . ولم تذكر المصادر المبالغ التي رصدت له وأنفقت عليه .

9- مسجد الرصد

بناه الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي بعد بناء جامع الفيلة , لرصد الكواكب بالآله التي يقال لها ذات الرصد[3] .

10- جامع المقياس

يقع هذا الجامع بجوار مقياس النيل بجزيرة الفسطاط[4] , أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي سنة 485هـ/ 1092م , فلم تذكره المصادر التاريخية , إلا أنه وجد بهذا المسجد ثلاثة نصوص منقوشة بالخط الكوفي يبين تاريخ إنشائه , وجاء في إحدى اللوحات نص " بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله , نصر من الله وفتح قريب و لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين , مما أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك فتاه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام , كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين , أدام قدرته وأعلى كلمته في رجب سنة خمس وثمانين وأربعمئة , والحمد الله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين"[5] .

---

(1) سورة التوبة : الاية 18 .

(2) فكري , أحمد , مساجد القاهرة ومدارسها , دار المعارف , مصر , 1960م , ج1 , ص 89 ؛ وسيشار له لاحقا : فكري , مساجد .

(3) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 650 .

(4) المصدر نفسه, ج3 , ص 253 .

(5) فكري , مساجد , ص 90 .

11- جامع العطارين

يعتبر جامع العطارين من أقدم مساجد الإسكندرية , كان قائما في سوق العطارين فعرف باسمه , بناه الوزير بدر الجمالي أمير الجيوش سنة 447هـ/1084م[1] , ولم تذكر المصادر قيمة النفقات التي أنفقت على هذا المسجد .

12- جامع الأقمر

هو من المساجد البارزة في العصر الفاطمي , بناه المأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 515هـ/1121م[2] , واكتمل بناؤه 519هـ/1125م , فجعل الطابق الأرضي منه دكاكين ومخازن تطل واجهتها لجهة باب الفتوح , ووقفت عليه دار النحاس وحمام شمول , ورتب له المؤذنين والخطباء[3] , وانفق على بناء هذا الجامع مبلغ مائتي ألف دينار[4] .

13- جامع الظافر

يعرف أيضا بالجامع الأفخر , يقع هذا الجامع وسط سوق السراجين , بناه الخليفة الظافر بنصر الله سنة 543هـ/ 1148م , وقف حوانيته على سدنته ومن يقرأ فيه , فقد خص الجامع بالمؤذنين وحلقات تدريس الدين والفقه[5] .

14- جامع الصالح

هو من الجوامع التي عمرت في زمن الخلفاء الفاطميين , عمره الوزير الصالح طلائع بن رزيك في القاهرة خارج باب زويلة سنة 554هـ/1160م , وسبب بنائه لكي ينقل إليه رأس الحسين عليه السلام من عسقلان إلى القاهرة , وانشأ له بئرا تملأ من ساقية على الخليج المعروف بخليج أمير المؤمنين أو خليج القاهرة , وجعل المجاري إليه , ظل هذا الجامع إلى أن تهدم بزلزال سنة 702هـ/ 1311م[6] .

---

(1) أبن ميسر , المنتقى , ص 46 .

(2) المصدر نفسه , ص 91 .

(3) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 253 .

(4) قراعة , سنية , مساجد ودول , مطابع دار أخبار اليوم , القاهرة , 1958م , ص 142 ؛ وسيشار له لاحقا : قراعة , مساجد .

(5) المقريزي , الخطط , ج2 , ص 261 .

(6) أبن عبد الظاهر , الروضة , ص 75 ؛ المقريزي , الخطط , ج3 , ص 261 – 262 .

15- مسجد النارنج

يقع هذا المسجد بين الرصد والقرافة الكبرى بجانب سقاية ابن طولون , مطل على بركة الحبش , بنته الجهة الآمرية سنة 522هـ/1128م , فأنفقت على عمارته اثنى عشر ألف ديناراً[1].

16- مسجد شقيق الملك

يقع هذا المسجد بجوار مسجد الرصد , بناه شقيق صاحب بيت المال أحد خدام القصر في أيام الخليفة الحافظ لدين الله سنة 541هـ/1146م , وعمل فيه للخليفة الحافظ ضيافة حضرها الخليفة بنفسه ومعه الأمراء والأستاذين وكافة الرؤساء[2] .

أولت الخلافة الفاطمية العناية الكاملة بالناحية الدينية , لكونها مظهرا من مظاهر السيادة الفاطمية واستمرار الشعائر الدينية , حتى أن ناصر خسرو تعجب من هذا الاهتمام حيث ذكر " كان لكل مسجد في جميع المدن والقرى التي نزلت بها ... نفقات يقدمها وكيل السلطان من زيت السرج والحصير والبوريا وسجاجيد الصلاة ورواتب القوام والفراشين والمؤذنين وغيرهم "[3] , فقد كانت الخلافة الفاطمية تصرف رواتب شهرية للخطباء والقراء بصورة منتظمة , فكان راتب خطباء الجوامع يتراوح ما بين العشرة والعشرين ديناراً , وراتب القراء يتراوح ما بين الخمسة عشر والعشرين ديناراً في الشهر[4] .

وخصصت الخلافة الفاطمية أحباساً للمساجد والجوامع , ففي سنة 363هـ/974م جمعت أحباس الجوامع فبلغت ألف ألف وخمسمائة درهم , وزع منها على كل مشهد خمسون درهما برسم الماء لزوارها .[5]

وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أحصيت المساجد التي لا غلة لها في كل من القاهرة والفسطاط , فكانت ثمانمائة مسجد , فأطلق لها الخليفة من بيت المال مبلغ تسعة آلاف ومائتي درهم , لكل مسجد اثنا عشر درهم[6] . وامر الخليفة الحاكم سنة 405هـ/1014م بحبس عدة قياسر وأملاك مع سبع ضياع على القراء والمؤذنين[7] .

---

(1) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 651 .
(2) المصدر نفسه , ج3 , ص 650.
(3) ناصر خسرو , سفر نامة , ص 109 .
(4) أبن طوير , نزهة , ص 84 .
(5) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 266 ؛ مبارك , الخطط , ج1 , ص 47 ؛ أيوب , التاريخ الفاطمي , ص 162 .
(6) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 96 ؛ المقريزي , الخطط , ج3 , ص 266 .
(7) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 105 .

وعرض على الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 406هـ/1015م استيمار الفقهاء والقراء والمؤذنين بالقاهرة والفسطاط , فكانت جملته في كل سنة واحداً وسبعين ألفاً وسبعمائة وثلاثة وثلاثين ديناراً وثلث وربع دينار , فأمضى الخليفة في ذلك[1] .

وكان القضاة في مصر خلال العصر الفاطمي إذا بقي لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوميا على المساجد والمشاهد في الفسطاط والقاهرة لحصر ما يحتاجه من زيوت وقناديل , وأعمار ما يمكن أصلاحه[2] .

فقد أولى الخلفاء الفاطميون العناية بالمساجد , فلم تكن عنايتهم بالمساجد داخل مصر فحسب , بل شملت مساجد أخرى خارج مصر , فلما وقعت معاهدة بين الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله وملك الروم سنة 418هـ/1027م فتح الجامع الذي بالقسطنطينية فأرسل له الخليفة الحصر والقناديل وعين فيه مؤذناً .[3]

المشاهد

المشهد : هي الشواهد أو أضرحة آل البيت وبعض الصحابة والأئمة من العلماء[4] .

عرفت مصر في العصر الفاطمي نوعا أخر من المنشأة الدينية , أقيمت لإحياء ذكرى آل البيت , واغلب هذه المشـــاهد مشـــاهد رؤية بين القاهرة والفســـطاط , ومعظمها غير ثابت التاريخ , فيرجح انتمائها إلى العصرـ الفاطمي من خلال الدراســات المعمارية والزخرفية[5] . ومن أهم هذه المشــاهد التي أنشــأت في العصر الفاطمي هي :

1- المشـــهد الحســـيني : وهو من أهم المشـــاهد الذي أضـــافه الفاطميين لتغزيز مكانة الجانب الديني في القاهرة , حيث كان رأس الأمام الحسـين بن علي عليهم السـلام مدفون بعسقلان وعليه مشهد عظيم , فخـاف الوزير الصـــالح بن رزيـك عليـه من هجمـة الإفرنج , فعزم على نقله , وبنى جامعه المعروف بجوار باب زويلة بجامع الصـالح , وأرسـل لإحضـار الرأس , حيث وجد دمه لم يجف , وله ريح كريح المسك , أراد الوزير الصالح إن يدفنه في الجامع الذي بناه

(1) المقريزي , اتعاظ, ج2 , ص 112 .
(2) المقريزي , الخطط , ج3 , ص 267 .
(3) المقريزي , اتعاظ , ج2 , ص 176 .
(4) ابن جبير , رحلة , ص 20-21 .
(5) سيد , الدولة الفاطمية , ص 392-399 .

ليفوز بـالفخر , إلا إن الخليفـة الفـائز رفض ذلـك , وقال لا يكون ذلك إلا داخل القصـــور الزاهرة , وافرد الخليفة له حجرة من القصر وبناها وجعلها مشهدا سنة 549هـــ/1154م(1) . فلم تذكر المصادر حجم النفقات التي أنفقتها الخلافة الفاطمية على أنشاء هذا المشهد .

2- مشـهد السـيدة رقية : يقع هذا المشهد في القاهرة , سمي بهذا الاسم نسبة إلى السيدة رقية ابنة الأمام علي بن أبي طالب عليهم السـلام , بنت هذا المشـهد السـيدة علم الآمرية زوجة الخليفة الأمر بأحكام الله , فلم تذكر المصادر سنة الإنشاء وحجم النفقات [2] .

3- مشـهد السيدة سكينة : بناه الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي سنة 525هـــ/1130م , اهتم الأفضـل ببنائه وحلي بالمحاريب والتعاليق , وصـاغ له الاعلاق المثمنة , سـمي بهذا الاسـم نسـبة إلى السيدة سكينة ابنة الإمام زين العابدين بن علي بن الأمام الحسن رضي الله عنهم [3].

4- مشـهد الإمام زين العابدين : يقع مشـهد الإمام زين العابدين بن الإمام الحسن ابن الإمام علي بن أبي طـالـب رضي الله عنهم فيمت بين الجامع الطولوني ومدينة الفســطاط , بناه الوزير الأفضـــل بن أمير الجيوش بدر الجمالي بعد إن كان مسـجدا وسـط أكوام لم يبق منه شيء من معالمه إلا المحراب , فبناه الأفضل [4].

اهتم الخلفاء الفاطميين بعمارة المشـاهد وتزينها , ففي سـنة 516هـــــ/1122م أمر الوزير المأمون بتجديد عمارة مشـهد السـيدة زينب , وكذلك تجديد عمارة مشـهد ام كلثوم , وان يصـلح ما تهدم منها , وان يجعل على كل لوح من رخام عليه اسم وتاريخ تجديده , فمدحه الشعراء عند فراغ العمارة [5].

وفي نفس السـنة أمر الخليفة الأمر بإحكام الله وزيره المأمون أن يصرف مبلغ إلفي دينار , وان يصـاغ قنديلين ذهبا وقنديلين فضـة وان يحمل القنديلين الى مشـهد الحسـين عليه السـلام بعسـقلان , وقنديلان مثلهما إلى التربة التي في القصر [6].

كما فرقت الأموال التي حصـلت من احباس الجوامع سـنة 363هـــ/ 974م على كل مشـهد خمسـون درهما برسم ماء الشرب لزوار المشاهد[7] .

---

(1) ابن عبد الظاهر , الروضة , ص 30 . المقريزي , الخطط , ج2 , ص 204.
(2) ابن عبد الظاهر , الروضة , ص 93 .
(3) المصدر نفسه , ص 95.
(4) ابن عبد الظاهر , الروضة , ص 95-96 . المقريزي , الخطط , ج3 , ص 626 .
(5) ابن ميسر , المنتقى , ص 91 .
(6) المقريزي , اتعاظ , ج3 , ص 96 .
(7) المصدر نفسه , ج3 , ص 96.

الخاتمة

يتبين من خلال الدراسة أن الموارد المالية للدولة الفاطمية كانت تنقسم إلى قسمين : الموارد الشرعية كالخراج , والجزية , والزكاة , والموارد غير شرعية كالمكوس , والمصادرات , والتركات , وكانت هذه الموارد تشكل مورد ضخم للدولة , والدليل على ذلك الفائض المالي للدولة وكثرة نفقاتها ، ومظاهر البذخ والترف التي كان يعيشها الخلفاء وكبار رجال الدولة , فخراج مصر يتراوح سنويا ما بين ثلاثة آلاف ألف إلى خمسة آلاف ألف دينار , وضرائب المكوس التي يتم جبايتها من مدينة تنيس وحدها ثلاثمائة وستون ألف دينار سنويا, وانعكس هذا الفائض من الأموال على وجوه الإنفاق في الدولة سواء على قصور ومرافق الخلافة ومؤسسات الدولة المختلفة وبناء الجيش, والحملات العسكرية , والعمارة المدنية والدينية.

وكان الخليفة الفاطمي هو صاحب الولاية العامة في الدولة الفاطمية وبخاصة خلال العصر الفاطمي الأول , وكانت جميع موارد الدولة تحت تصرفه ينفق ما يشاء دون رقابة أو محاسبة , وكان الخلفاء الفاطميين من أكثر حكام الدول الإسلامية حبا للمظاهر , لذلك سيطرت حالة البذخ والترف على إدارتهم وسياستهم للدولة , فبالغوا في الإنفاق على قصور الخلافة وخزائنها ومرافقها , والإنفاق على الأعياد والمناسبات ، ونفقات الهبات والعطايا لكبار رجال الدولة , فضلا عن نفقات البيعة ونفقات نساء القصر ونحوها , لذلك نجد أن الخلافة الفاطمية أنفقت على بناء القصر الغربي وحده ألفي ألف دينار , وكانت نفقات خزائن ومرافق القصور ألف ألف دينار سنويا , كما اظهر الخلفاء عظمتهم وترفهم من خلال إرسال الهدايا والمنح إلى ولاة الأقاليم وكبار موظفي الدولة وعامة الشعب .

كما اهتمت الخلافة الفاطمية بموظفي الدولة وبخاصة أرباب الوظائف الإدارية والدينية والعسكرية من خلال تقديم الخلع الثمينة والهدايا والمنح إضافة إلى الرواتب والإقطاعات لكسب ولائهم ووفائهم وإخلاصهم للخلافة الفاطمية , فقد بلغ راتب الوزير خمسة آلاف دينار في الشهر, إضافة إلى الإقطاعات التي تمنحها الخلافة لهم , أما أصحاب الدواوين فقد كانت تتراوح رواتبهم ما بين عشرون والمائة وخمسون دينار في الشهر كلن حسب منصبه , بينما كانت رواتب كل وال من ولاة الأقاليم المصرية تبلغ خمسون دينار في الشهر , أما راتب قاضي القضاة فكان مائة دينار في الشهر ، إضافة إلى الجرايات والمنح , أما باقي موظفي الدولة فان رواتبهم تتراوح ما بين المائة دينار والخمس دنانير كلاً حسب منصبه .

كذلك اهتمت الخلافة الفاطمية بتأسيس جيش قوي متعدد الأجناس والطوائف , ومجهز بأحدث الأسلحة الدفاعية والهجومية المتعارف عليها خلال العصور الوسطى من اجل بسط نفوذهم والقضاء على منافسيهم , ومحاربة حركات التمرد والعصيان التي تهدد الخلافة الفاطمية , فقد كانت الخلافة تنفق أموالا كثيرة على رواتب الجيش وتجهيز الحملات العسكرية , حيث كانت مرتبات الجند تتراوح ما بين ثمانية دنانير والمائة دينار في الشهر كلاً حسب منصبه ورتبته , وأنفقت الخلافة الفاطمية أموال ضخمة على مد نفوذها إلى بلاد الشام والحجاز واليمن , أما نفقات الصراع مع الخلافة العباسية ودعم حركة أبو الحارث البسا سيري بلغت ألفي ألف وثلاثمائة ألف دينار , وأنفقت الخلافة كثير من الأموال للقضاء على حركات التمرد والعصيان فحركة أبو ركوة وحدها كلفت الخلافة ألف ألف دينار , بينما بلغت نفقات الخلافة للقضاء على حركة أبو الفتوح خمسة وعشرون قنطار من الذهب , أما نفقات الدفاع عن مصر ضد خطر الإفرنج فبلغت أكثر من ألف ألف دينار .

وبالغ الخلفاء الفاطميين بالإنفاق على المنشآت العمرانية , سواء كانت عمارة مدنية , أو علمية , أو دينية , يتبين ذلك من خلال حجم الإنفاق على بناء المدن والقصور والمتنزهات والبساتين والمكتبات , والمدارس , والمساجد , والمشاهد , ودور العبادة , حيث أنفقت الخلافة الفاطمية على بناء مدينة القاهرة وحدها وفتح مصر أربع وعشرون ألف ألف دينار .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر المخطوطة

1. أبن إياس , محمد بن أحمد الحنفي , (ت 930هـ /1523م) , نشق الأزهار في عجايب الأقطار, الناسخ وهبة سالم, مخطوطة مصورة في جامعة الملك عبد العزيز, السعودية .
2. المقريزي , تقي الدين أحمد بن علي , (ت845هـ / 1442م) , شذور العقود في ذكر النقود , مخطوطه مصورة في جامعة الملك سعود , السعودية .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة

1- القرآن الكريم

2- أبن الأثير, أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني,(ت630 هـ/1233م)

- الكامل في التاريخ , تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري , ط1 , بيروت , دار الكتاب العربي , 1997م .

- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل , تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات , دار الكتب الحديثة , القاهرة , 1963م .

3- أبن الأثير , مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني , (ت 606هـ/ 1209م) , النهاية في غريب الحديث والأثر , تحقيق : طاهر أحمد الرازي ومحمود محمد الطناحي , المكتبة العلمية , بيروت , 1979م.

4- أبن الأخوة , محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد , (ت 729هـ/ 1329م) , معالم القربة في طلب الحسبة , دار الفنون , كمبردج , د.ت .

5- إدريس , عماد الدين , (ت872هـ / 1488م) , تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب , من كتاب عيون الأخبار , تحقيق : محمد اليعلاوي , ط 1, دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1985م .

6- الإدريسي , أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله , (ت 564هـ / 1160م) , نزهة المشتاق في اختراق الآفاق , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة, 2002م.

7- الأرمني , أبو المكارم جرجيس بن مسعود , (ت 605هـ / 1208م) , كنائس وأديرة مصر , تحقيق : ايفنتس , اكسفورد , 1985م .

8- الأسدي , محمد بن محمد بن خليل , (ت 658هـ/ 1260م) , التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار , تحقيق : عبدالقادر الطليمان , دار الفكر العربي , القاهرة , 1968 م .

9- الأشعري , أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحق بن سالم بن إسماعيل (ت330 هـ / 941م) , مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين , تحقيق : محمد محي الدين , المكتبة العصرية , بيروت, 1990م.

10- الإصبهاني , أبو عبدالله محمد بن محمد بن صفي الدين , (ت 597هـ/1201م) .

- الفتح القسي في الفتح القدسي , ط1 , دار المنار , الأردن , 2004م .

- تاريخ آل سلجوق , ط1 ,دار الكتب العلمية ,بيروت , د.ت .

11- الإصطخري , أبو إسحق إبراهيم بن محمد ,(ت346هـ/957م) , المسالك والممالك , دار صادر , بيروت , 2004 م .

12- الأنطاكي , يحيى بن سعيد بن يحيى , (ت 458هـ/ 1066م) , تاريخ الأنطاكي , تحقيق : عمر عبد السلام التدمري, مطبعة جروس , لبنان, 1990 م.

13- أبن إياس , محمد بن أحمد ,(ت930هـ/1523م) , بدائع الزهور في وقائع الدهور, مطابع الشعب , مصر , 1960م.

14- البخاري,أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة,(ت 265هـ / 869م) .

- التاريخ الكبير , تصحيح : محمود محمد خليل, دار المعارف العثمانية , الهند, د.ت .

- صحيح البخاري, تحقيق محمد زهير ناصر, ط1, دار طوق النجاة , بيروت,2001 م.

15- أبن بسام , محمد بن أحمد بن بسام , (ت 542هـ/ 1147م) , أنيس الجليس في أخبار تينيس , تحقيق جمال الدين الشيال , مجلة المجع العلمي العراقي , بغداد , 1976م .

16- أبن بطوطة , محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم , (ت 779هـ/1377م) , رحلة أبن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار , دار الكتب العلمية , بيروت , 2001م.

17- البكري , أبو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد , (ت487هـ/ 1094م) , المسالك والممالك , دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1992 م.

18- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت 279هـ/ 892م) ، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت،1991م.

19- أبن تغري بردي , جمال الدين أبو المحاسن يوسف , (ت 874هـ/ 1469م) , النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , تعليق : محمد حسين شمس الدين , ط1, دار الكتب العلمية , بيروت , 1992م.

20- الثعالبي , أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل , (ت 429هـ/1038م) , تحفة الوزراء , تحقيق : سعد ابودية , ط1 , دار البشير , عمان , 1994م .

21- الجاحظ , عمرو بن بحر بن محبوب الكناني , (ت 255هـ/868م) , الرسائل السياسية , ط1 , دار الهلال , بيروت , 1987م .

22- أبن جبير , أبو الحسن محمد بن أحمد , (ت 614هـ/ 1217م) , رحلة أبن جبير , بيروت , دار صادر , د.ت .

23- الجهشياري , أبو عبدالله محمد بن عبدوس , (ت310هـ/922م) , كتاب الوزراء والكتاب , تحقيق : مصطفى السقا وآخرون , ط1 , مطبعة مصطفى البابي وأولاده , القاهرة , 1938م .

24- أبن الجوزي , أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد , (ت 597هـ/ 1201م) , المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , تحقيق : محمد عبد القادر عطا , ط1, بيروت , دار الكتب العلمية , 1992م.

25- الجوهري , أبو نصر إسماعيل بن حماد , (ت 393هـ/ 1002م) , الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية , تحقيق : أحمد عبدالغفور عطا , ط4 , دار العلم للملايين , بيروت , 1984م .

26- أبن الحاج , أبو عبدالله محمد بن محمد الفارسي المالكي , (ت 737هـ / 1336م) , المدخل , دار التراث , القاهرة , .د.ت .

27- أبن حجر , شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني , (ت 852هـ/ 1448م) , رفع الإصر عن قضاة مصر , تحقيق : علي محمد عمر , ط1, مكتبة الخانجي , القاهرة, 1988م .

28- أبن حزم الأندلسي, أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري, (ت456هـ/ 1064م) , جمهرة أنساب العرب , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 1983م .

29- الحميري , محمد بن عبد المنعم , (ت900هـ / 1494م) , الروض المعطار في خبر الأقطار , تحقيق : إحسان عباس , ط2 , مكتبة لبنان , بيروت , 1984م .

30- أبن حنبل , أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني,(ت 241هـ/ 855م) , مسند الإمام أحمد بن حنبل , تحقيق شعيب الأرنؤوط , ط1 , مؤسسة الرسالة , بيروت , 2001م.

31- أبو حنيفة , أحمد بن داود الدينوري , (ت 282هـ/ 895م) , الأخبار الطوال , تحقيق عبدالمنعم عامر , مراجعة جمال الدين سلمان , مطبعة الإدارة العامة للثقافة , وزارة الثقافة المصرية , مصر , د.ت .

32- أبن حوقل , أبو القاسم محمد بن علي النصيبي , (ت 367هـ/ 977م) , صورة الأرض , ط2, مطبعة بريل, ليدن , 1928م.

33- أبن خلدون , عبد الرحمن , (ت 808هـ / 1406م) , العبر في ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر , مراجعة : سهيل زكار , دار الفكر , بيروت , 2000م.

34- أبن خلكان , أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر , (ت 681هـ / 1282م) , وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , تحقيق : إحسان عباس , دار صادر , بيروت , 1971م .

35- الخوارزمي , أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر , (ت 387هـ/ 997م) , مفاتيح العلوم , تحقيق : عثمان خليل , ليدن , 1930م .

36- أبن دقماق , إبراهيم بن محمد بن أدمر العلائي , (ت 809هـ/1407 م) , الأنتصار لواسطة عقد الأمصار , المكتب التجاري للنشر والتوزيع, بيروت , د.ت .

37- الدواداري , أبو بكر بن عبدالله بن أيبك , (ت 645هـ/ 1247م) , الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية , تحقيق : صلاح الدين المنجد , المعهد الألماني للآثار , القاهرة , 1961م .

38- الذهبي , شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد , (ت 748هـ/ 1347م) , سير أعلام النبلاء, تحقيق : شعيب الارنوط , دار الحديث , القاهرة , 2006م.

39- الرازي , زيد الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر , (ت 666هـ / 1267م , مختار الصحاح , تحقيق يوسف الشيخ , ط5, المكتبة العصرية , بيروت, 1999م .

40- الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (ت 395هـ/ 1004م)، معجم مقايس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر, بيروت، 1979م.

41- الزبيدي , محمد بن محمد بن عبدالرزاق , (ت 1205هـ/1790م) , تاج العروس من جواهر القاموس , تحقيق : مجموعة من المحققين , دار الهداية , مصر , د.ت .

42- الزبير , الرشيد بن أحمد القاضي , (ت ق 5 هـ / 11م) , الذخائر والتحف , تحقيق : محمد حميد الله, سلسلة دائرة المطبوعات والنشر, الكويت , 1959م .

43- أبو سعيد , أبو الحسن علي بن موسى المغربي , (ت685هـ/ 1286) , النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة , تحقيق حسين نصار , مطبعة دار الكتب , مصر , 1970م .

44- أبن سلام , أبو عبيدة القاسم بن سلام , (ت224هـ/ 838م) , كتاب الأموال , ط1 , مؤسسة الناصر للثقافة , بيروت , 1981م .

45- السمعاني , عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي , (ت 562هـ/1167م) , الأنساب , تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى , ط1 , مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد , 1962م.

46- أبن سيدة , أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي , (ت458هـ/ 1066م) , المحكم والمحيط الأعظم , تحقيق : عبدالحميد هنداوي , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 2000م.

47- السيوطي , جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر , (ت 911هـ/ 1505م) .

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة , تحقيق محمد أبو الفضل , ط1 , دار إحياء الكتب العربية , مصر , 1967م .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة , تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبة العصرية , لبنان , 1964م.

48- أبو شامة , شهاب الدين عبدالرحمن إسماعيل , (ت 665هـ/1267م), عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية , تحقيق : أحمد البيسومي, منشورات وزارة الثقافة , دمشق , 1991م.

49- أبن شداد , عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري , (ت 684هـ / 1285م) , الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة , تحقيق : يحيى عبادة , مطبعة وزارة الإرشاد القومي , سوريا , 1978م .

50- الشهرستاني , أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد , (548 هـ / 1153م) , الملل والنحل , تحقيق : أمير علي مهنا , علي حسن فاعور , دار المعرفة , بيروت, 1993م.

51- الشيرازي , هبة الله بن موسى بن داود المؤيد في الدين , (ت 470هـ/ 1087م) , ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة , تحقيق : محمد كامل حسين , ط1 , دار الكتب المصرية , مصر , 1949م .

52- الشيرزي , عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله الشافعي , (ت590هـ/1194م) , نهاية الرتبة في طلب الحسبة الشريفة , مطبعة لجنة التأليف والترجمة , القاهرة , 1946م.

53- الصفدي , صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله , (ت 764هـ/ 1363م) .

- تحفة ذوي الألباب فيما حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب , تحقيق : إحسان بنت سعيد زهير حمدان , دار إحياء التراث العربي , دمشق , 1992م.

- الوافي بالوفيات , تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى , دار احياء التراث , بيروت , 2000م.

54- الصنهاجي , محمد بن علي بن حماد بن عيسى , (ت 628هـ/ 1231م) , أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم , تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس , دار الصحوة , القاهرة , د.ت .

55- أبن أبي أصيبعة , أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزوجي,(ت 668هـ/1269م) , عيون الأنباء في طبقات الأطباء , تحقيق : نزار رضا , دار مكتبة الحياة , بيروت , د.ت .

56- أبن الصيرفي , أبو القاسم علي بن منجب بن سلمان المصري , (ت 542هـ / 1147م) , الإشارة إلى من نال الوزارة , تحقيق عبدالله مخلص, المعهد العلمي الفرنسي , القاهرة, 1923م .

57- الطبري , محمد بن جرير بن يزيد , (ت 310هـ/922م) , جامع البيان عن تأويل آي قرآن , تحقيق : عبدالله التركي , ط1 , دار هجر للطباعة والنشر , مصر , 2001م.

58- أبن الطقطقي , محمد بن طباطبا , (ت709هـ/1309م) , الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية , تحقيق : عبد القادر محمد , ط1 , دار القلم العربي , بيروت , 1997م .

59- أبن طوير , أبو محمد المرتضى عبد السلام الحسن الفهري , (ت 517هـ / 1120م) , نزهة المقلتين في أخبار الدولتين , تحقيق : أيمن فؤاد السيد , ط1 , بيروت , دار صادر , 1992م .

60- أبن ظافر , جمال الدين علي الأسدي , (ت 622هـ/ 1225م) , أخبار الدول المنقطعة , القسم الخاص بالفاطميين , تحقيق أندريه فريه , مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية , القاهرة , 1972م .

61- أبن عبد الحكم , عبدالرحمن بن عبدالله , (ت 257هـ/870م) , فتوح مصر والمغرب , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , 1994 م .

62- أبن عبد الظاهر , محي الدين أبو الفضل عبدالله , (ت 692هـ/1293م) , الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة , تحقيق : أيمن فؤاد سيد , ط1 , دار العربية للكتاب , القاهرة , 1996 م .

63- أبن عبدالحق , صفي الدين عبد المؤمن البغدادي , (ت739هـ / 1338م) , مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع , تحقيق : محمد البيجاوي , دار الجليل , بيروت , 1992م.

64- أبن العديم , عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة , (ت 660هـ/ 1261م , زبدة الحلب في تاريخ حلب , وضع حواشيه : خليل المنصور , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 1996م .

65- أبن عذاري , أبو عبدالله محمد المراكشي , (ت 712هـ / 1312م) , البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب , تحقيق : س.كولان وليفي بروفنسال ,ط3 , دار الثقافة , بيروت , 1983م.

66- أبن عساكر , أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي , (ت 571هـ/1175م) , تاريخ دمشق , تحقيق : عمرو بن غرامة , دار الفكر , بيروت 1995م.

67- أبن العماد الحنبلي , عبد الحي بن أحمد بن محمد , (ت1089هـ/ 1678م) , شذرات الذهب في أخبار من ذهب , تحقيق : محمود الأرناؤوط , ط1 , دار أبن عنيد , بيروت , 1986م .

68- عماد الدين , إدريس الداعي , (ت872هـ/1488م) , عيون الأخبار وفنون الأثار السبع السادس من أخبار الدولة الفاطمية , تحقيق : مصطفى غالب , ط2 , دار الأندلس , بيروت , 1984م .

69- عمارة اليمني , أبو محمد نجم الدين علي بن زيدان الحكمي, (ت 569هـ/ 1173م) .

- النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية , اعتنى بتصحيحه هرتويغ درنُبرغ , مطبعة مرسو , باريس , 1897م .

- تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها , تحقيق : محمد بن علي الاكوع , لجنة البيان , القاهرة , 1979م .

70- الغرناطي , لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله و (ت776هت/1374م) , أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام , تحقيق : ليفي بروفنسال , ط2 , دار الكشوف , بيروت , 1956م .

71- الفاسي , تقي الدين محمد بن أحمد , (ت832هـ/ 1429م) , العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين , تحقيق أيمن فؤاد السيد , مؤسسة الرسالة , القاهرة , 1958م.

72- أبن الفراء , أبو يعلى محمد بن الحسن الحنبلي , (ت 458هـ / 1065م) , الأحكام السلطانية , صححه محمد حامد, دار الكتب العلمية , بيروت, 2000م .

73- الفيروزآبادي , مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب , (817هـ/ 1414م) , قاموس المحيط , ط8,مؤسسة الرسالة , بيروت, 2008م .

74- أبو القاسم , محمود بن عمرو بن أحمد جارالله , (ت538هـ/1143م) , أساس البلاغة , تحقيق : محمد باسل , ط1, دار الكتب العلمية , بيروت , 1998م.

75- القاضي النعمان , أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد , (ت 363هـ / 973م).

- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام , تحقيق : اصف بن علي أصغر, دار المعارف , القاهرة, 1963م.

- المجالس والمسايرات , تحقيق : الحبيب الفقهي وآخرون , ط1 , دار المنتظر , بيروت , 1996م .

76- قدامة بن جعفر , (ت 337هـ/948م) , الخراج وصناعة الكتابة , تحقيق : محمد حسين الزبيدي , دار الحرية للطباعة , بغداد , 1981م .

77- القرطبي , أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري , (ت 671هـ/ 1272م) , تفسير القرطبي , تحقيق أحمد البردوني و ط2 , القاهرة , دار الكتب المصرية , 1964 م .

78- أبن القفطي , جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني , (ت646هـ / 1248م) , أخبار العلماء وأخبار الحكماء , تحقيق إبراهيم شمس الدين , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 2005م .

79- أبن القلانسي , حمزة بن أسد بن علي بن محمد , (ت555هـ/ 1160م) , ذيل تاريخ دمشق , تحقيق : سهيل زكار , ط1, دار حسان للنشر والطباعة , دمشق , 1983م .

80- القلقشندي , أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد , (ت 821هـ / 1418م) .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء, المطبعة الأميرية , القاهرة , 1914م .
- مآثر الإنافة في معالم الخلافة , تحقيق :عبدالستار أحمد فراج , عالم الكتب, بيروت , د.ت.
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل العرب الزمان , تحقيق : إبراهيم الأبياري , ط2 , دار الكتب المصرية , مصر , 1982م .
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب , تحقيق : إبراهيم الأيباري , ط2 ,دار الكتاب اللبناني , بيروت , 1980م .

81- ابن القونوي , قاسم بن عبدالله بن أمير علي الرومي الحنفي , (ت 978هـ/1570م) , أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء , تحقيق : يحيى حسن مراد , دار الكتب العلمية , بيروت , 2004 م .

82- الكاتب , علي بن خلف , (ت437هـ/1045م) , موارد البيان , تحقيق : حسين عبداللطيف , مطبعة جامعة الفاتح , ليبيا , 1982 م .

83- الكندي , أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المعري , (ت 355هـ/ 965م) , الولاة والقضاة , تحقيق محمد حسن محمد وأحمد فريد , ط1, دار الكتب العلمية, بيروت , 2003 م .

84- أبن المأمون , جمل الدين أبو علي موسى البطائحي , (ت 588هـ/ 1192م) , نصوص من أخبار مصر , تحقيق : أيمن فؤاد سيد, المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية , القاهرة , 1983م .

85- الماوردي , أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البغدادي , (ت 450هـ / 1085م).

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية , تحقيق : أحمد مبارك , ط1, دار أبن قتيبة , الكويت , 1989م .

- قوانين الوزارة وسياسة الملك , تحقيق : فؤاد عبد المنعم واخرون , ط2 , مؤسسة شباب الجامعة , مصر , 1987م .

86- المخزومي , أبو الحسن علي بن عثمان , (585هـ / 1189م) , المنتقى من كتاب المنهاج في علم خراج مصر , تحقيق : كلود كاهن , مراجعة يوسف راغب , المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية , القاهرة , 1986 .

87- المسبحي , الأمير المختار عز الملك محمد بن عبدالله , (ت 420هـ/ 1029م) .

- أخبار مصر , تحقيق : أيمن فؤاد السيد , المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية , القاهرة , 1978م.

- نصوص ضائعة من أخبار مصر , اعتنى بجمعها ونشرها أيمن فؤاد سيد , المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية , القاهرة , 1965م .

88- المسعودي , أبو الحسن علي بن الحسين بن علي , (ت 346 هـ/ 957م) , مروج الذهب ومعادن الجوهر , تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد , ط5, دار الفكر , بيروت , 1973م .

89- مسكويه , أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب , (ت421هـ/1030م) , تجارب الأمم وتعاقب الهمم , تحقيق: سيد كسروي حسن , ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 2003 م.

90- المعافيري , أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي القائل الحمادي , (ت 470هـ /1077م) , كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة , تحقيق : محمد بن علي بن الحسين , ط1 , مركز الدراسات والبحوث اليمني , صنعاء , 1994م .

91- المقدسي , أبو عبدالله محمد بن أحمد البشاري , (ت380هـ/ 990م) , أحسن التقاسيم في معرفه الأقاليم , ط3 , القاهرة , مكتبة المدبولي , 1991م .

92- المقريزي , تقي الدين أحمد بن علي , (ت845هـ / 1442م) .

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا , تحقيق : جمال الدين الشيال , ط2 , دار الفكر , القاهرة, 1996م.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة , تحقيق : كرم حلمي فرحان , ط1, عين للدراسات الإنسانية والاجتماعي , مصر , 2007م.

- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب , تحقيق : فردناد واسطون ميلر , جوتنجن , المانيا , 1847م .

- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك , تحقيق : جمال الدين الشيال , ط1 , مكتبة الثقافة الدينية , بور سعيد , 2000م .

- المقفى الكبير , تحقيق : محمد اليعلاوي , ط1, دار العرب الإسلامي , بيروت , 1991.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار , تحقيق : محمد زينهم ومديحة الشرقاوي , ط1, مكتبة المدبولي , القاهرة , 1997م.

93- أبن المقنع , أبو محمد عبدالله المقنع , (ت 143هـ/760م) , آثار أبن المقنع , ط1, دار الكتب العلمية , بيروت , 1989م .

94- أبن المقنع , ساويريس , (ت 377هـ/987م) , تاريخ مصر من بدايات القرن الأول للميلاد حتى نهاية القرن العشرين من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة , تحقيق : عبدالعزيز جمال الدين , ط1, مكتبة المدبولي , القاهرة , 2006 .

95- أبن مماتي , أبو المكارم الأسعد بن المهذب , (ت 606هـ / 1209م) , قوانين الدواوين , تحقيق عزيز سوريال , ط1, مكتبة المدبولي , القاهرة, 1991م .

96- أبن منظور , محمد بن مكرم بن علي , (ت 711 هـ / 1311م) , لسان العرب , بيروت , دار صادر , 1993 .

97- أبن المهلبي , الحسن بن أحمد العزيزي , (ت380هـ/990م) , المسالك والممالك , تعليق : تيسير خلف , دار التكوين , دمشق , 2006م .

98- أبن الموصلايا . العلاء بن وهب أمين الدولة أبو سعد الكاتب البغدادي , (ت 497هـ/1104م) , رسائل أمين الدولة , أبن الموصلايا , تحقيق : عصام مصطفى الهزايمة , ط1, مركز زايد للتراث والتاريخ, الأمارات العربية المتحدة , 2003م.

99- أبن ميسر , تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن حلب , (ت 677هـ/ 1278م) , المنتقى في أخبار مصر , انتقاه المقريزي , تحقيق : أيمن فؤاد السيد, المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية , القاهرة, 1981م .

100- النابلسي , عثمان بن إبراهيم , (ت 632هـ/1234م) , لمع الدواوين المضية في دواوين الديار المصرية , مكتبة الثقافة الدينية , مصر , 1990م .

101- ناصر خسرو علوي , (ت 481هـ/ 1088م) , سفر نامة , ترجمة : يحيى الخشاب , ط2, الهيئة المصرية للكتاب , القاهرة , 1993 م .

102- نظام الملك , الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي , (ت 485هـ/1093م) , سير الملوك , تحقيق : يوسف حسين بكار , ط2 , دار الثقافة , قطر , 1986م .

103- النعمان , القاضي بن حيون , (ت363هـ / 973م) , رسالة افتتاح الدعوة , تحقيق : وداد القاضي , ط 1 , دار الثقافة , بيروت, 1970م .

104- النوبختي , أبو محمد الحسن بن موسى , (ت 402هـ / 1011م) , فرق الشيعة , تصحيح : هـ. بيتر, مطبعة الدولة , استانبول, 1931م .

105- النويري , شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب , (ت733هـ /1332م) , نهاية الأرب في فنون الأدب , تحقيق : عبد المجيد ترحيني , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 2004م.

106- أبن هاني الأندلسي , محمد بن هاني , (ت 362هـ/972م) , ديوان أبن هاني , دار بيروت للطباعة , لبنان , 1980م .

107- الهمذاني , محمد بن عبدالملك ب إبراهيم , (ت521هـ/ 1127م) , تكملة تاريخ الطبري , تحقيق : البرت يوسف كنعان , ط1 , المطبعة الكاثوليكية , بيروت , 1958م .

108- أبن أبي الهيجاء , الأمير عز الدين محمد , (ت 700هـ/ 1301م) , تاريخ أبن أبي الهيجاء , تحقيق : صبحي عبد المنعم , ط1 , مطبعة رياض الصالحين , القاهرة , 1993م .

109- أبن واصل , محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم , (ت697هـ/1298م) , مفرج الكروب في أخبار بني أيوب , تحقيق : جمال الدين الشيال , جار الكتب الوثائقية القومية , القاهرة , 1957م.

110- ياقوت الحموي , شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي , (ت626هـ / 1228م) .

- معجم البلدان , دار صادر, بيروت , 1977م.

- معجم الأدباء , تحقيق : إحسان عباس , ط1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1992م .

111- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، (ت 182هـ/ 798م) ، الخراج، دار المعرفة ، بيروت، 1979م.

ثالثا : المصادر المعربة

1. جيل , ريمون , تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس (منشورة ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية لسهيل زكار, دار الفكر , دمشق , 1993 م , ج6) .

2. الشارتري , فوشيه , الاستيطان الصليبي في فلسطين , ترجمة قاسم عبده قاسم , ط1 , دار الشرق , مصر , 2001م .

3. الصوري , وليم , الحروب الصليبية , ترجمة حسن حبشي , مؤسسة الإسراء , القاهرة , 1998م.

4. مجهول , يوميات صاحب أعمال الفرنجة (منشورة ضمن الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية لسهيل زكار , دار الفكر , دمشق , 1995م , ج6) .

5. مولر , فولفغانج فينر , القلاع زمن الحروب الصليبية , ترجمة : محمد وليد الجلاد , ط2 , دار الفكر , دمشق , 1984 .

رابعا : المراجع الحديثة

1- أحمد , أحمد عبدالرزاق , تاريخ وآثار مصر الإسلامية , دار الفكر العربي , مصر , 1999م .

2- أحمد , حسن خضيري , علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب , ط1 , مكتبة المدبولي , القاهرة , د.ت .

3- أحمد , نريمان عبد الكريم , المرأة في مصر في العصر الفاطمي , الهيئة المصرية العامة للكتاب و القاهرة , 1993م .

4- أمين , محمد محمد , الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (648-923هـ/ 1250-1517م) دراسة تاريخية وثائقية , ط1, دار النهضة , القاهرة , 1980 م.

5- أيوب , إبراهيم رزق الله , التاريخ الفاطمي الاجتماعي , الشركة العالمية للكتاب , لبنان , 1997م .

6- بارتولد , و , تاريخ الترك في آسيا الوسطى , ترجمة أحمد سليمان , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , 1996م .

7- البراوي , راشد , حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين , ط1, النهضة المصرية , القاهرة , 1948م , ص 331 .

8- بك , أحمد عيسى , تاريخ البيمارستانات في الإسلام, المطبعة الهاشمية , دمشق , 1939م .

9- بول , ستانلي لين , طبقات سلاطين الإسلام , ترجمة مكي طاهر, تحقيق : علي البصر , دار البصري , بغداد , 1961م .

10- البياتي , منير حميد , النظم الإسلامية , ط1 , دار وائل للنشر , الاردن , 2006م .

11- جناحة , رحاب السيد , حكام الأقاليم المصرية في العصر الفاطمي , ط1 , الافاق العربية , القاهرة , 2014م .

12- حسن , إبراهيم حسن , تاريخ الدولة الفاطمية في مصر وسورية وبلاد المغرب , ط4, مكتبة النهضة , القاهرة , 1968م .

13- حسن , حسن إبراهيم , الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص , المطبعة الأميرية , القاهرة , 1932م .

14- حسن , علي إبراهيم , تاريخ جوهر الصقلي, ط1 , مطبعة الحجازي , القاهرة , 1933م .

15- حسين , محسن محمد , الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين , دار ئاراس للطباعة والنشر , أربيل , 2003 م .

16- حمادة , محمد ماهر , الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية , ط2 , مؤسسة الرسالة , بيروت ,1985 .

17- دخيل , محمد حسن , الدولة الفاطمية الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية , ط1 , مؤسسة الانشار العربي , بيروت , 2009 م .

18- الدروبي , محمد محمود , الرسائل الفنية في العصر العباسي , ط1 , دار الفكر , بيروت , 1999م .

19- الدوري , عبد العزيز , النظم الإسلامية , بيت الحكمة , جامعة بغداد , 1988.

20- دوزي ، رينهارت , تكملة المعاجم العربية ، ترجمه جمال الخياط , ط1 , دار الشؤون الثقافية , بغداد , 2000م.

21- رباح , إسحاق , وسليمان أبو سويلم , الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون , ط2 , كنوز المعرفة , عمان , 2010 م.

22- رمضان , هويدا عبد العظيم , المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي الى العصر الفاطمي , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , 1994م .
23- زنيبر , محمد , الدولة الإسلامية في ظل الخلافة العباسية عصر الخلفاء الكبار , دار المغربية للنشر , المغرب , 1984م .
24- السامرائي , حسام الدين , المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية , دار الفكر العربي , 1990م .
25- السبحاني , جعفر , بحوث في الملل والنحل , ط2, مؤسسة الصادق , إيران , 2007م.
26- سرور , محمد جمال الدين .
- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس للهجري , دار الفكر العربي , القاهرة , 1957م .
- سياسة الفاطميين الخارجية , دار الفكر العربي , مصر , 1994م .
- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق , دار الفكر العربي , بيروت , 1976م .
- تاريخ الدولة الفاطمية , دار الفكر العربي , القاهرة, 1995م .
- مصر في عصر الدولة الفاطمية , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , 1996م .
27- سعد , أحمد صادق , تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي , ط1, دار أبن خلدون , بيروت , 1979م .
28- سعيد , عبد الفتاح , الحركة الصليبية , ط2 , مكتبة الأنجلو , القاهرة , 1971م.
29- سلطان , عبد المنعم .
- الأسواق في العصر الفاطمي , مؤسسة الشباب , الإسكندرية , 1997م .
- المجتمع المصري في العصر الفاطمي , دار المعرف , القاهرة , 1985م .
30- سليمان , سمير عبدالله , الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر , 2006 م .
31- سيد , أيمن فؤاد , الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد , مكتبة الأسرة , القاهرة , 2007م .
32- سيمينوفا , ل . أ , تاريخ مصر الفاطمية , ترجمة حسن بيومي, المجلس الأعلى الثقافي , القاهرة , 2001م .

33- الشريف , أحمد إبراهيم , دراسات في الحضارة الإسلامية , ط2 , دار الفكر العربي , 1981م .

34- صالح , خولة عيسى , الرقابة الإدارية والمالية للدولة العربية الإسلامية , ط1 , بيت الحكمة , بغداد , 2001م .

35- الصالح , صبحي , النظم الإسلامية نشأتها وتطورها , ط4, دار العلم للملايين , بيروت, 1978م .

36- الطيباوي , عبداللطيف , محاضرات في تاريخ العرب والإسلام , دار الأندلس , بيروت , 1963م .

37- عاشور , سعيد عبدالفتاح , أضواء جديدة على الحروب الصليبية , دار القلم , القاهرة , 1964م .

38- عاشور , فايد حماد محمد , جهاد المسلمين في الحروب الصليبية , مؤسسة الرسالة , بيروت , 1981م .

39- عبد الوهاب , حسن , تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها , دار النشر للجامعات المصرية , القاهرة , 1957م .

40- علي , خطاب عطية , التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول , مطبعة الاعتماد , مصر , 1947م .

41- العمايرة , محمد عبدالله , الجيش الفاطمي , ط1 , دار كنوز المعرفة , عمان , 2010م .

42- العيدروس , محمد حسن , الدولة الإسلامية الخامسة , دار الكتاب الحديث , القاهرة , 2010م .

43- فروخ , عمر , العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط منذ الجاهلية الى سقوط الدولة الأموية , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 1958م .

44- فكري , أحمد , مساجد القاهرة ومدارسها , دار المعارف , مصر , 1960 ,

45- قراعة , سنية , مساجد ودول , مطابع دار أخبار اليوم , القاهرة , 1958م .

46- قكري , أحمد , مساجد القاهرة ومدارسها , دار المعارف , القاهرة , د.ت .

47- قمر , محمود أحمد محمد , الجيش المصري في عهد الدولة الطولونية (254-292هـ/868-905م) , ط1 , عين للدراسات والبحوث الإنسانية , مصر , 2011م .

48- كاتبي , غيداء خزنة , الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري , الممارسات والنظرية , ط3 , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 2001م .

49- كاشف , سيد إسماعيل , وآخرون , موسوعة تاريخ مصر عبر العصور , أعدها للنشر عبد العظيم رمضان , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر , 1993م .

50- الكفراوي , عوف محمود , سياسة الإنفاق العام في الإسلام , مركز الإسكندرية للكتاب , مصر , 1997م .

51- ماجد , عبد المنعم .

- دولة السلاطين المماليك ورسومهم , مطبعة الأنجلو , مصر , 1964م.

- السجلات المستنصرية , القاهرة , دار الفكر العربي , 1954م .

- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر , ط3 , القاهرة , مكتبة الأنجلو , 1985م.

- ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر, ط1 , دار الفكر العربي , القاهرة , 1994م .

52- ماهر , سعاد , البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية , المجع العلمي , جدة , 1979م .

53- مبارك , علي باشا , الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة , ط1 , المطبعة الأميرية , بولاق , 1888م.

54- مجمع اللغة العربية , معجم ألفاظ القرآن , ط2 , الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف , 1970 م .

55- محمد , صبحي عبد المنعم , العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين , العربي للنشر والتوزيع , القاهرة , د.ت .

56- محمد , زغلول , الأدب في العصر الفاطمي , منشأة المعارف , الإسكندرية , د.ت .

57- مشرفة , عطيه مصطفى , نظم الحكم في مصر في عصر الفاطميين , ط1 , دار الفكر العربي, مصر , 1948م .

58- مصطفى , إبراهيم , وآخرون , المعجم الوسيط , دار الدعوة , تركيا , 1989م .

59- المعاضيدي , خاشع , الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي , دار الحرية للطباعة , بغداد , 1976م .

60- المناوي , محمد حمدي , الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي , دار المعارف , مصر , د.ت .

61- النخيلي , درويش, السفن الإسلامية على حروف العجم , دار المعارف , مصر, 1979م .

62- هنتس , فالتر , المكاييل والأوزان الإسلامية , ترجمة : كامل العسلي, منشورات الجامعة الاردنية , الأردن, 1970م .

63- يوسف , يوسف إبراهيم , النفقات العامة في الإسلام , دار الثقافة , قطر , ط2 , 1982م .

خامسا : الرسائل الجامعية

1- أحمد , نهلة , دور المرآة في مصر خلال العصر الفاطمي , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة آل البيت , الأردن , 2010م .

2- الأحمدي , خلود محمد , القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية (358-569هـ/969-1173م) دراسة في الحياة الاجتماعية , رسالة ماجستير غير منشورة , الجامعة الأردنية , الأردن , 2010م .

3- بني عامر , هارون أحمد , الأسرة الجمالية ودورها في الدولة الفاطمية , رسالة ماجستير غير منشورة , الجامعة الأردنية , 2002م.

4- جابر , عبدالله جاسم , النظم الإدارية والمالية والقضائية والعسكرية وتطورها في عهد الخليفة المعز لدين الله (341-365هـ/952-975م) , رسالة ماجستير غير منشورة , معهد الآداب الشرقية , بيروت , 1997م .

5- الجبيلي , علياء يحيى علي , مدينة القاهرة في عهد الدولة الفاطمية , اطروحة دكتوراة غير منشورة , كلية التربية للبنات بالرياض , 1996م .

6- الزعبي , فايزة محمود أحمد , مراسيم الزواج في مصر وبلاد الشام في العصر الفاطمي حتى نهاية دولة المماليك , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة اليرموك , الأردن , 2003 م .

7- الزهراني , ضيف الله يحيى , النفقات وإدارتها في الدولة العباسية (132-334 هـ) , أطروحة دكتوراه , جامعة أم القرى , المملكة العربية السعودية , 1983م .

8- زيادة , أحمد السيد محمد , التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة الزقازيق , مصر , 2007م .

9- سلامة , جلال حسني , الاستيطان الصليبي في الأراضي المقدسة , أطروحة دكتوراه غير منشورة , جامعة عين شمس , مصر , 2004م .

10- سلمان , معن , العلاقات الخارجية للخلافة الفاطمية في المرحلتين المغربية والمصرية (297-567هـ/ 909-1171م) , أطروحة دكتوراه , جامعة دمشق , 2006 م.

11- الصغير , أجفان , المؤسسات الإدارية في الخلافة الفاطمية , أطروحة دكتوراه غير منشورة , جامعة دمشق , 2002م .

12- طاعة , أمجد حافظ حسين , العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبين في مصر وبلاد الشام (491-570هـ/ 1098-1173م) , رسالة ماجستير غير منشورة , غزة , 2012م .

13- العزام , عيسى محمود .

- بلاد الشام في العصر الفاطمي الأول (358-465هـ) دراسة حضارية , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة اليرموك , الأردن , 1992م .

- الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المستنصر بالله (427هـ/1035م - 487-1094م) , اطروحة دكتوراه غير منشورة , الجامعة الأردنية , 1997م .

14- الكناني , ضياء محسن عبدالرزاق , الجيش في الخلافة العباسية (334-447هـ/ 945-1054م) , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة مؤتة , الأردن , 2015 م .

سادسا : البحوث والمجلات العلمية :

1. التواني , أبو بكر , الأسطول الفاطمي , مجلة التراث العربي , سوريا , مج7 , ع25-26 , 1987 م.

2. الجالودي , عليان عبدالفتاح .

- الإقطاع العسكري في عصر السلاطين السلاجقة الكبار ودور نظام الملك الطوسي في نشأته وتطوره (429-486هـ/1037-1092م) , المجلة الأردنية للآثار والتاريخ , ع1 , مج2, 2008 م.

- قواعد الحكم في سلطة آل سلجوق من خلال كتاب سياست نامة للوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي, المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية, عمان , مج5 , ع1 , 2009م .

3. الجالودي , ونهلة أحمد عبد الباقي , سيدات القصور ودورهن في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي , المجلة الأردنية للتاريخ والآثار , ع 2-3 , مج7 , 2013م .

4. الجواري , رياض حميد وآخرون , جهود المعز لدين الله الفاطمي السياسية والعسكرية (341-365هـ/ 951-975م) , مجلة الكلية الإسلامية الجامعة , العراق , ع8 , مج3, 2009م .

5. حسن , علي إبراهيم , عظمة الفاطميين , مجلة الكتاب , مصر, ع 2 , ج2 , 1946م.

6. خرابشة , سليمان عبد , حركة أفتكين التركي ضد الحكم في بلاد الشام (364-368هـ/ 975-978م) , مؤتة للبحوث والدراسات والعلوم الإنسانية والاجتماعية , الأردن , ع 3 , مج14, 1999م .
7. رحمة الله , فليحة , صورة الحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي في العراق , المجلة التاريخية المصرية , ع1, ج17, 1970م .
8. صالح , فيروز عثمان , البيعة في النظام السياسي الإسلامي , مجلة العلوم والبحوث الإسلامية , جامعة السودان , ع1 , 2010م .
9. الضلاعين , مروان عاطف , السلع التجارية في الأسواق المصرية في دولة المماليك البحرية (648-784هـ/ 1250-1382م) , المجلة الأردنية للتاريخ والآثار , عمان, ع 2 , مج 6, 2012م .
10. عاشور , سعيد عبدالفتاح , الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية , مجلة عالم الفكر , الكويت , العدد الأول , مج11 , 1980م .
11. العزام , صبحي وعيسى العزام , النفقات في العراق في العصر السلجوقي , دراسات تاريخية , مجلة علمية فصلية محكمة , العدد 109-110, مطبعة جامعة دمشق, 2010م .
12. العزام , عيسى محمود .
   - أسعار المواد الغذائية في مصر خلال العصر الفاطمي (358هـ/968م -567هـ/1167م) , المجلة العربية للعلوم الإنسانية , الكويت , ع 72 , 2001م .
   - أضواء على نفقات الخلافة الفاطمية العسكرية (358-567هـ/968-1072م) , مجلة كان التاريخية , ع 29 , 2015م .
13. العوفي , محمد سالم بن رشيد , الحركة الصليبية وآثرها على تطور العلاقات بين مصر والشام (490-554هـ/ 1096-1159م) , مجلة كلية العلوم الاجتماعية , جامعة الأمام محمد بن سعود , السعودية , ع4, 1984م .
14. ماجد , عبد المنعم , أصل حفلات الفاطميين في مصر , مجلة المعهد العربي للدراسات الإسلامية في هندريز , إسبانيا , ع 1-2 , مج2 , 1954م .
15. محاسنة , محمد حسين .

- القضاء في مصر في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي , مؤتة للبحوث والدراسات , ع3 , مج 19 , 2004م
.
- ثورة أبو ركوة ضد الخلافة الفاطمية , مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية , مصر, ع 23, مج3 , 2000م .

16. محمد , هيفاء عاصم , البحرية المصرية في العصر الفاطمي , مجلة كلية التربية , الجامعة المستنصرية , ع4 , 2009م .
17. النقيب , أحلام حسن , الأسطول الفاطمي نموذج للتفوق البحري الإسلامي , (212-365هـ/827-976م) , مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية , جامعة الموصل , مج4 , ع3 , 2006م .

سابعا :البحوث الانكليزية

1. Goitein , S.D , From Mediterranean to India documenton the Traade to India , magazin Speculum , Issue 29 , Part 1 .

Abstract

The Resources and Expenses in Egypt During Fatimid Era

(358-567 A.H / 968-1171 A.D)

By

khalid oudah mohammed al-dulaimi

Under the supervision of

dr. essa mahmood al-azam

Abstract This thesis has addressed the problem of the resources and expenses in Egypt during the Fatimid period (358 H – 576 H , 968-1171 A.D) . Despite the significance of this topic, it has not received a sufficient attention by the scholars in this field. Most of studies have dealt with the subject of the Fatimid Age from the political, social, intellectual, and economic aspects. However, (up to my knowledge) nobody has done a research specifically addressed the resources and expenses. The main aim of this study is to gain a deeper understanding of the economic policy of Fatimid Caliphate and the ways of spending the expenses. To support this study, the thesis has been divided into; the introduction, preface, four chapters and conclusion.

The first chapter has stated the main resources on which the Fatimid Caliphate in Egypt has depended to govern its affairs. These resources have been identified as following; Kharaj, Zakat, Customs, ALhusharyia Inheritances, Expropriations

, Retention (ALAhbass) Mint Income (Dar ALdharb), and Minerals Income.

Following this, I explained the expenses of the Caliphate in chapter two, by defining the concept of the expense (Nafakah), and then explaining the expenses of the Bay‘ah, women, facilities of Caliphate Palaces, Eids and Events, and Gifts. While in the third chapter, I have explained the military and administrative expenses which include the expenses of the ministry, Diwans, Wali (Alderman) of regions, the employees of the palaces and the religious expenses.

Then I outlined the expenses of Fatimid army which include military administration, Fatimid fleet, and Military expeditions. Finally, the fourth chapter dealt with the constructional expenses, starting with the construction of Cairo, the ministry house, Calipha Palace, Gardens and parks.

In the next section, I addressed two types of the expenses: the Public facilities (which include the bridges, golfs, roads, streets, and markets), the educational expenses (which include the public libraries and schools), and the expenses of religious buildings (which include the Mosques and worship houses).